سلسلة آفاق عالمية 124

المائة كتاب
100 / 9

رواية

الصَّخَب و العُنف

وليام فوكنر

مكتبة بغداد

ترجمة : محمد يونس

وليَام فوكنَر

الصَّخَب والعُنف

ترجمة: محمد يونس

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذا الكتاب ترجمةٌ كاملةٌ ودقيقةٌ لرواية:

William Faulkner,
The Sound and the Fury,
1929.

المحتويـات

7	جان-بول سارتر: **الزمن في "الصخب والعنف"**
21	فوكنـر: **كلمـة أولـى**
27	فوكنـر: **كلمـة ثانيـة**
37	**الصَّخـب والعُنـف**
431	فوكنـر: **مُلحَـق**

https://telegram.me/maktabatbaghdad

چان-پول سارتر:

الزمن في "الصخب والعنف"[1]

أول ما يفاجئ القارئ لرواية "الصخب والعنف" هو غرابة تكنيكها. فما الذي جعل فوكنر يجزئ الزمن في روايته، ويمزج هذه الأجزاء بلا ترتيب؟ ولماذا كانت أول نافذة تُفتح على العالم الروائي فيها مرويةً من خلال وعي معتوه؟ الأمر الذي يدفع القارئ إلى أن يبحث عن علامات توجهه، وإلى إعادة ترتيب الأحداث زمنيًّا.

أنجب جاسون كومبسون وزوجته كارولين ثلاثة أبناء وابنة. واستسلمت الإبنة كادي لشخص يدعى دالتون إيمز، وحملت منه، الأمر الذي دفعها لأن تبحث بسرعة عن زوج...

عند هذا الحد، يتوقف القارئ، لأنه يدرك أنه يروى قصة أخرى. ذلك أن فوكنر لم يكن في ذهنه حبكة الرواية منذ البداية، ثم أعاد خلط

---

[1] نُشرت المقالة لأول مرة في مجلة "لا نوفيل ريفو فرانسيز"، عدد يونيو-يوليو 1939. وقد تمت الترجمة العربية عن الترجمة الانجليزية لمارتن دارمون- المترجم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أجزائها مثلما يخلط المرء أوراق اللعب، بل لم يكن بإمكانه أن يرويها بطريقة أخرى. وفي الروايات الكلاسيكية، يتضمن الحدث عقدةً مركزية، على سبيل المثال مقتل كارامازوف الكبير، أو التقاء إدوارد وبرنارد في المزيفون[2]. ولكننا لن نجد مثل هذه العقدة في "الصخب والعنف". فهل تكون العقدة فيها خصي بنجي، أم مغامرة كادي العاطفية البائسة، أم انتحار كوينتن، أم كُره جاسون لابنة أخته؟ فما إن تتأمل أية سلسلة من الأحداث حتى تتكشف عن سلسلة الأحداث الأخرى، كل الأحداث الأخرى. ولا شيء يحدث؛ والقصة لم تتكشف بعد؛ هذا ما نكتشفه وراء كل كلمة مثل حضور كريه وقهري بدرجات متفاوتة من الكثافة، وفقًا لكل موقف. ومن الخطأ النظر إلى هذه الأشكال من الخروج عن المألوف على أنه مجرد استعراض لا مبرر له لبراعة الكاتب. فالتكنيك الروائي مرتبطٌ على الدوام بميتافيزيقا الروائي. ومهمة الناقد هي اكتشاف هذه الميتافيزيقا قبل أن يقوم بتقييم التكنيك الروائي.

والآن، من الواضح- على نحو مباشر- أن ميتافيزيقا فوكنر هي ميتافيزيقا الزمن.

ومصيبة الإنسان تكمن في أنه مقيدٌ بالزمن.

"... إن الانسان ليس إلا حاصل جمع المصائب التي واجهته. ويومًا ما بعد أن تُفكر في مصيبتك، سوف تتعب، ولكن الزمن عندئذٍ سوف يكون مصيبتك..."

هذا هو الموضوع الحقيقي للرواية. وإذا كان التكنيك الذي تبناه

---

[2] رواية لأندريه جيد – المترجم.

فوكنر نفيًا للزمانية أو التقيد بالزمن، فإن السبب في ذلك يرجع إلى أننا نخلط بين الزمانية والتتابع الزمني. فالإنسان هو الذي اخترع الساعات والتواريخ.

"... وكان أبي قد قال إن التكهن بوضع العقارب على ميناء الساعة عشوائي الترقيم عَرَض من الأعراض التي تدل على وظيفة العقل البشري، وأوضح أنه إفراز له مثلما أن العرق إفراز للجسم..."

ولكي نصل إلى الزمن الحقيقي، يتعين علينا أن نتخلي عن المقاييس المبتكرة الذي لا تقيس أي شيء.

"... إن الوقت يموت مع كل تكة من رقاص الساعة، ولن يعود الوقت للحياة إلا عندما تتوقف الساعة."

وعليه، فإن كسر كوينتن لساعته لهو إشارة لها قيمة رمزية، فهي توصلنا إلى الزمن دون ساعات.

كما أن الزمن؛ عند المعتوه بنچي- الذي لا يدري ما هو الوقت- هو زمن بلا ساعات.

وما يتكشف لنا- بناءً على ذلك- هو أن الحاضر ليس هو الحد المثالي الذي يتحدد موضعه بدقة بين الماضي والمستقبل. فحاضر فوكنر حاضرٌ لا عقلاني في جوهره. إنه الحدَث الذي ينسل إلينا مثل لص بشع ويتعذر فهمه، ينسل إلينا ثم يختفي. وخارج هذا الحاضر لا يوجد شيء، نظرًا لأن المستقبل لم يوجد. وينشأ الحاضر من مصادر لا نعلمها، ويجرف بعيدًا حاضرًا آخر، فهو يبدأ من جديد إلى الأبد. إنه مثل الحاضر عند

https://telegram.me/maktabatbaghdad

دوس باسوس[3]، وإن كان أكثر منه إتقانا. ذلك أن فوكنر يراكم طبقات من سرده الروائي. فالأفعال نفسها- حتى عندما يُنظَر إليها من وجهة نظر مَن يقومون بها- تنبثق فجأةً، ثم تتشتت عند ولوجها إلى الحاضر.

"توجهتُ إلى التسريحة، وتناولت الساعة ووجهها مقلوب للأسفل. وخبطت زجاج الساعة بالتسريحة وتلقيت بيدي قطع الزجاج المتكسرة ووضعتها في منفضة السجائر، وخلعت العقارب ووضعتها في المنفضة. وكانت الساعة تتكتك."

والخاصية الأخرى للحاضر- عند فوكنر- هي الانغراز[4]. وأنا أستخدم هذه الكلمة لعدم وجود كلمة أفضل منها للتعبير عن ذلك، للإشارة إلى الحركة المكبوحة في الزمن. فلدى فوكنر لا يوجد أي تقدم للأمام، لا شيء يأتي من المستقبل. فالحاضر لا يتضمن في ذاته الأحداث المستقبلة التي نتوقعها، مثلما يتضح عندما أقول إن الصديق الذي أنتظره يحضر في نهاية المطاف. فالأمر على العكس من ذلك؛ فلكي يكون حاضرًا يتعين أن يظهر دون سبب وأن يتوقف عندئذٍ. وهذا التوقف ليس تعبيرًا مجردًا، فهو يدركه في الأشياء ذاتها، ويسعى لجعله ملموسًا.

"... واستدار القطار عند المنحنى وكان المحرك ينفث دفعات من الدخان القصيرة والكثيفة، ثم اختفوا بنعومة عن الأنظار بهذه

---

[3] **جون دوس باسوس** (1896-1970): روائي ورسام أمريكي، كتب عدة روايات من أبرزها "ثلاثية الولايات المتحدة"، التي استخدم فيها أسلوبا روائيا تجريبيا، تضمن الاستعانة بمقتطفات من الصحف والسير الذاتية والروايات الواقعية، ليرسم صورة عريضة للثقافة الأمريكية في العقود الثلاثة الأولي من القرن العشرين- المترجم.

[4] بالفرنسية Enfoncement؟

الطريقة بما يتصفون به من الهزال والصبر الذي لاحدود له في الزمان والوداعة الساكنة..."

ثم مرةً أخرى:

"...، ومن أسفل العربة كانت حوافر الحصان تبدو وهي تتحرك بانتظام وبسرعة مثلما تتحرك يد امرأة تطرز قماشا، غير أن الحركة كانت تتلاشى دون أن تتقدم العربة للأمام، مثلما يجري المتدرب على آلة التدريب دون أن يتحرك من مكانه..."

ويبدو أن فوكنر يأسر الحركة في قلب الأشياء ذاتها؛ فاللحظات تنبثق فجأةً، ثم تتجمد، ثم تخفت وتنحسر وتتلاشى، إلا أنها لا تتحرك.

ولكن هذه الوضع المراوغ، والمتعذر على الفهم، يمكن مع ذلك إدراكه والتعبير عنه لفظيًّا. ويمكن لكوينتن أن يقول "كسرت ساعتي". لكنه عندما يقول ذلك يكون ما يشير إليه ماضيًا. والماضي يمكن تسميته ووصفه. وحتى حدٍّ معين، يمكن تحديده من خلال المفاهيم، أو إدراكه بالحدس. ولقد أشرنا من قبل- بصدد الحديث عن رواية **سارتوريس**- أن فوكنر يوضح لنا الأحداث على الدوام عندما تكون قد اكتملت بالفعل. أما في "الصخب والعنف"، فإن كل ما يحدث يكون إما بسبيله للحدوث، أو لا شيء يحدث، أو حدث بالفعل. وهذا ما يمكننا من أن نفهم تعبيرًا غريبًا ورد على لسان أحد أبطال الرواية، حين يقول "**أنا لم أعد موجودًا.. كنت موجودًا**". وبهذا المعنى، يمكن لفوكنر أن يجعل الإنسان بلا مستقبل، أن يجعل منه "**مجمل خبراته المناخية**"، أو "**مجمل ما واجهه من مصائب**"، أو "**مجمل ما يمتلك**". وفي كل حالة من تلك،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نرسم نحن الخط الفاصل، طالما أن الحاضر ليس إلا أقوالاً مشوشة، والمستقبل أصبح ماضيًا. فرؤية فوكنر عن العالم أشبه برؤية شخص يجلس في عربة مكشوفة وينظر إلى الوراء؛ ففي كل لحظة تتتابع الظلال عن يمينه ويساره، وتظهر أضواء متقطعة، ونقاط ضوء مرتعشة وغير مستقرة، لا تصبح أشجارًا وأناسًا وسيارات إلا عندما ينظر إليها في نسبتها بعضها للبعض الآخر. فالماضي هنا يكتسب صفات سيريالية تتسم الخطوط المحددة لها بالصلابة والوضوح والرسوخ. والحاضر المراوغ، وغير المحدد، يكون عاجزًا أمامها، حافلاً بالثغرات التي تنفذ من خلالها أمورٌ من الماضي تتسم بالثبات والجمود والصمت. وفقرات المناجاة مع النفس- لدى فوكنر- تذكرنا برحلات الطيران التي تنغصها مطبات الهواء. فعند حدٍّ معين، نرى وعي البطل "يسقط في الماضي"، ثم يعاود النهوض، ثم يسقط فيه مجددًا. فالحاضر ليس موجودًا، فهو يصبح ماضيًا بمعني الكلمة. وفي رواية **سارتوريس**، يُنظر إلى الماضي من خلال "القصص"، لأنه يتألف من مخزون من الذكريات المألوفة، لأن فوكنر لم يكن قد تملك بعد ناصية تكنيكه. وهو في **الصخب والعنف** أكثر تجريبية، ومن ثم أقل يقينًا. بل إن انشغاله بالماضي هو من القوة إلى حدٍّ يغطي على الحاضر - ويسلك الحاضر طريقه وسط الظلال، مثل نهر جوفي، ولا يظهر إلا عندما يصبح ماضيًا. ونتيجة لذلك، فإن كوينتن لا يدرك أنه أهان بلاند، لأنه يعايش من جديد- في معركته معه- معركته مع دالتون إيمز.[5] وعندما ضربه بلاند، تمت المطابقة بين معركته هذه وبين

---

[5] الحوار مع بلاند يتم إقحامه وسط الحوار مع إيمز: "هل كانت لك أخت". كما أن هناك مزجًا وخلطًا بين المعركتين، بين كوينتن ودالتون إيمز، وكوينتن وبلاند، يصعب

معركته مع دالتون إيمز. وسوف يحكي شريف- فيما بعد- كيف ضرب بلاند كوينتن؛ سوف يصف المشهد لأنه أصبح تاريخًا- ولكن هذا المشهد، عندما كان حاضرًا، كان حدثًا غامضًا وضبابيًّا. ولقد حكى لي البعض عن ناظر مدرسة توقفت ذاكرته، مثلما تتوقف ساعة مكسورة، عند الأحداث التي مر بها في الأربعينيات من عمره؛ وعلى الرغم من أنه في الستينيات من عمره، إلا أنه لا يدري بذلك. وتنحصر ذكرياته في فناء المدرسة وجولاته في الملاعب. ومن ثم، فإنه يفسر الحاضر عن طريق هذا الماضي الثابت، ويتحرك حول مائدته وهو على اقتناع تام بأنه يراقب الطلاب في لعبهم. وشخصيات فوكنر تتصرف على هذا النحو. والأدهى من ذلك أن ماضيهم ليس مرتبًا وفقًا لترتيب زمني، بل نابع من بعض الانفعالات والعواطف. فحول بعض الأحداث الرئيسية المحورية (حمل كادي، وخصي بنجي، وانتحار كوينتن)، تدور شذرات من الأحداث والأفكار. ومن ثم عبثية الترتيب أو التعاقب الزمني، عبثية "دوران الساعة ويقينها الأخرق". فترتيب الماضي هو ترتيب القلب. فلا يجب أن نصدق هذا الحدث الحاضر، وبعد أن يمضي يصبح الأكثر حضورًا في ذكرياتنا. وتغير الزمن يمكنه أن يغمره في قاع الذاكرة أو في سطحها. وما يحدد مستواه فحسب هو ما يكمن فيه من قيمه، أو ما يتناسب مع حياتنا.

ومن ثم، فإن هذه طبيعة الزمن عند فوكنر. فإلى أي مدًى هي صحيحة؟ هذا الحاضر الذي يصعب تحديده، وهذه الانقضاضات المفاجئة للماضي، وهذا الترتيب العاطفي أو الانفعالي للأحداث الذي

فيه التمييز بين ما حدث في المعركتين.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يناقض الترتيب العقلاني، وهو ترتيبٌ- رغم أنه ترتيب زمني- إلا أنه يفتقر للواقعية؛ هذه الذكريات البشعة والملحة، وهذه التقلبات للقلب- ألا نتعرف فيها على الزمن الضائع الذي نعيد الإمساك به عند مارسيل بروست؟ إنني أدرك الاختلافات بينهما؛ وعلى سبيل المثال أعلم أن الخلاص لدى بروست يكمن في الزمن ذاته، في الاستعادة الكاملة للماضي. وبالنسبة لفوكنر، فإن الأمر على العكس من ذلك، فإن الزمن لسوء الحظ لا يضيع؛ إنه موجودٌ هناك على الدوام كما لو كان هاجسًا. والوجد الصوفي هو السبيل الوحيد للإفلات من العالم الزائل؛ فالصوفي هو على الدوام الإنسان الذي يرغب في نسيان شيءٍ ما: ذاته أو- على نحو أكثر عمومية- اللغة أو التمثل الصوري أو الشكلي. وفوكنر يتوق إلى نسيان الزمن:

"أهديك- يا كوينتن- ضريح الأمال والرغبات جميعا، ومن المؤلم أنها كفيلة- حين تستخدمها- بأن تكون شاهدا على لا جدوى التجربة الانسانية برمتها، وهي التجربة التي لن تكون فيها تجربتك ملبية لاحتياجاتك الفردية أفضل مما كان حال تجربته أوتجربة والده. أهديها لك لا لكي تتذكر الزمن بل *لتنساه بين حين وآخر*. فلا تجهد نفسك في السعي لالحاق الهزيمة به، لأنها معركة خاسرة وهما لم يخوضاها، ولا يكشف ميدانها للانسان إلا عن حمقه ويأسه، والانتصار فيها وهم من أوهام الفلاسفة والحمقى".

ونظرًا لأنه نسى الزمن، فإن الزنجي في رواية ضوء في أغسطس يحقق نوعًا من السعادة يتميز بأنه غريب وغيرطبيعي: "لن يكون ذلك

عندما تتأكد من أنه لا يوجد ما يمكنه أن يقدم لك العون- الديانة أو الشرف أو أي شيء آخر- ولكن عندما تتأكد أنك لا تحتاج إلى أي عون".[6]

ولكن الزمن بالنسبة لفوكنر- مثله في ذلك مثل بروست- هو الذي يفرق بين الناس في المقام الأول. ونحن نذكر العشاق في رواية بروست "المتع والأيام"، وهم يتمسكون بعواطفهم التي يخشون أن تنقضي، والتي يعلمون أنها سوف تنقضي. ونفس المعاناة نجدها عند فوكنر

".. فالناس ليس في وسعهم ارتكاب فعلا شنيعا للغاية على الاطلاق، وليس في وسعهم حتى أن يتذكروا في الغد ما بدا أنه فعل شنيع اليوم..."

و

".. من الامور التي يصعب تصديقها أن تفكر بأن علاقة حب أو تعاطف سند يشتريه المرء دون قصد وينتهي أجله شئنا ذلك أم أبينا ويتم استرداه دون سابق انذار لنستبدله بأي إصدار أخر تصادف أن الآلهة تطرحه في ذلك الوقت..."

كان يتعين على بروست أن يستخدم تكنيكًا شبيهًا بتكنيك فوكنر الروائي، وهذه هي النتيجة المنطقية لميتافيزيقاه. ولكن فوكنر كان إنسانًا ضائعًا، ولأنه يعلم أنه ضائع فهو يخاطر بأن يدفع بفكره إلى نهايته. أما بروست فهو كلاسيكي ورجل فرنسي، والفرنسيون يلتزمون الحذر حين يضيعون، ولذا فإن الأمور تنتهي على الدوام بأن يعثروا على أنفسهم. فالفصاحة أو حب الوضوح والذهنية العقلانية دفعتا بروست للحفاظ

---

[6] ***Light in August*** (New York: Modern Library, 1950), p. 99.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

على مظهر التتابع أوالتعاقب الزمني، على أقل تقدير.

ويمكننا أن نتعرف على السبب الحقيقي للتشابة بينهما في اهتمامات قاسمهم فيها عددٌ كبير من الكتاب في عالم الأدب. فمعظم الكتاب المعاصرين الكبار- بروست وجويس ودوس باسوس وفوكنر وجيد وفرچينيا وولف- حاول كل منهم، بطريقته، تقطيع أوصال الزمن. فبعضهم حرمه من الماضي والمستقبل، واختزله في الحدس البحت للحظة؛ والبعض الآخر- مثل دوس باسوس- جعل منه ذاكرة آليه ومحدودة؛ أما بروست وفوكنر فقد قطعا رأسه ببساطة، فقد حرماه من المستقبل، أو بعبارة أخرى من بُعد الاختيار الحر والفعل. فأبطال بروست لا يحققون على الإطلاق أي إنجاز؛ أجل هم يتوقعون الأمور قبل حدوثها، ولكن توقعاتهم أشبه بأحلام اليقظة، التي يهزم فيها الناس الواقع ويتشبثون بها، ومن ثم فإنهم لا يمكنهم تجاوز الحاضر. فالحسناء التي تظهر ليست تلك التي كنا ننتظرها، وفترة الانتظار ليست إلا فترة من الإثارة التافهة والضئيلة التي تدوم للحظة. وبالنسبة لأبطال فوكنر، فإنهم لا يتوقعون الأمور قبل حدوثها على الإطلاق: فالسيارة تمضى بهم بعيدًا، بينما هم ينظرون للوراء. والانتحار الوشيك لكوينتن- الذي ألقى بظلاله على اليوم الأخير من حياته- لا يقع ضمن عالم الاختيارات الإنسانية. فليس في وسع كوينتن أن يفكر لثانية واحدة في إمكانية ألا ينتحر. فالانتحار قضية مقررة سلفًا، شيء يقترب منه دون تفكير، ودون حتى الرغبة فيه، أو التفكير فيه:

" .....إنك تعتبر الموت على مايبدو مجرد تجربة من شأنها أن تجعل شعر رأسك يشيب بين عشية وضحاها إذا صح القول دون

أن يتغير مظهرك..."

فالانتحار لا يتم اختياره بصورة واعية، لأنه حتمي. وحيث أنه يفقد طابع الإمكان، فإنه يكف عن الوجود في المستقبل؛ فقد أصبح جزءًا من الحاضر، ويهدف عمل فوكنر الفني بأكمله لأن يوحي لنا بأن مناجاة كوينتن لنفسه، ونزهته الأخيرة، هما بالفعل انتحاره. وأعتقد أننا يمكننا- بهذه الطريقة- أن نفسر مفارقةً تتسم بالغموض: فكوينتن يفكر في يومه الأخير كما لو كان في الماضي، كما لو كان شخصًا يتذكر. ولكن مَن هو الذي يتذكر، طالما أن الأفكار الأخيرة للبطل تتزامن تقريبًا مع تفجر ذاكرته ودمارها؟ إن الإجابة على ذلك تكمن في مهارة الروائي في اختيار اللحظة المعينة من الحاضر التي يصف منها الماضي. ومثلما فعل سالاكرو[7] في مسرحيته "**مجهول من أراس**"، فإن فوكنر اختار لحاضره لحظة الموت المتناهية الدقة. وبهذه الطريقة، فإن ذاكرة كوينتن تشرع في سرد انطباعاته

"...سمعت عبر الحائط يايات سرير شريف، ثم سمعت صوت احتكاك نعليه بالأرض، ونهضت...." *إنه ميت بالفعل*."

وفي الواقع، فإن هذا القدر المبالغ فيه من الفن، وهذا القدر الكبير من التحايل، إنما يهدف فحسب لتعويض افتقار المؤلف لأية معرفة حدسية بالمستقبل. فكل شيء في دخيلة فوكنر الآن يصبح واضحًا، لا

---

[7] **أرمان سالاكرو** (1899-1989): كاتب مسرحي فرنسي غزير الانتاج. بدأ كتاباته بمسرحيات ذات طابع سيريالي، ومن بينها مسرحية "رحلة إلى الأرض"، ومسرحية "جسر أوروبا". ثم اتجه لكتابة مسرحيات ذات طابع فلسفي واجتماعي وساخر، ومن بينها مسرحية "مجهول من أراس". ويغلب على تفكيره اتجاه وجودي- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سيما لا معقولية الزمن. فطالما أن الحاضر غير المتوقع، والمستقبل الذي لم يتشكل يمكن أن يتحدد فحسب من خلال الإفراط في الذكريات، فإننا نتأكد من أن الزمن هو "مصيبة الانسان". فلو كان للمستقبل واقع، فإن الزمن يتحرك من الماضي ويقترب من المستقبل، ولكن إذا طُمس المستقبل، فإن الوقت لا يعود ذلك الذي يقطع الحاضرعن ذاته:

"... لن يكون بوسعك تحمل التفكير بأن الموت لن يضرك على هذا النحو..."

فالإنسان يمضي حياته في النضال ضد الزمن، والزمن يجعل الإنسان يتآكل مثلما تتآكل المواد بالأحماض، وينزعه من ذاته ويبعده عن تحقيق إنسانيته. فكل شيء عبثي والحياة "**حكاية بلا معنى يرويها معتوه مليئة بالصخب والعنف**"[8]

ولكن، هل زمن الإنسان زمنٌ بلا مستقبل؟ يمكنني أن أتبين أن المسمار أو كتلة من الطين أو الذرة تعيش في زمن حاضر دائم. لكن هل الإنسان مسمارٌ يفكر؟ فإذا شرعتَ في غرزه في الزمن الكوني- زمن الكواكب والمجرات، وزمن تكوينات العصر الثلاثي في الجيولوجيا، زمن الأنواع الحيوانية، أو غرزناه في حمَّام من حامض الكبريتيك- فإن الإجابة واضحة. ومع ذلك، فمن الصحيح أن نعتقد أن الزمن يمكن أن يكون مفروضًا من الخارج، وأن وعيًا يُطرح بهذه الطريقة من لحظة إلى أخرى من شأنه أن يكون في البداية وعيًا، وأن يكون زمنيًّا فيما بعد. فالوعي لا يمكن أن يكون "في الزمن" إلا إذا أصبح زمنًا، من خلال تلك الحركة ذاتها التي تجعل منه وعيًا. وإذا ما استخدمنا تعبير هايدجر، فلا بد أن

---

[8] **Macbeth**, Act V, scene v.

"يصبح زمنا". وفي هذه الحالة، لم يعد من الممكن أن توقف الإنسان عند كل لحظة متعاقبة، وتعريفه بأنه "مجمل ما يمتلك". بل على العكس من ذلك، فإن طبيعة الوعي تقتضي أنه مستهدف في المستقبل؛ ويمكننا أن نفهم ما هو فحسب بما سيصيره؛ فهو يتحدد في وجوده الحاضر بإمكاناته ذاتها. وهذا ما يطلق عليه هايدجر "القوة الصامتة للممكن". لن تتعرف في نفسك على الإنسان الفوكنري، فهو كائن محروم من أية إمكانية، ويمكن تفسيره فحسب بما كان. وإذا ركزتَ ذهنك وفحصته، فسوف ترى أنه أجوف، ولن تجد سوى المستقبل. وأنا لا أتحدث حتى عن خططك أو توقعاتك، بل عن الإشارة ذاتها إلى أنك لن تلاحظ في وقتيته دلالةً بالنسبة لك، إلا إذا توقعت اكتماله خارج ذاته، وخارج ذاتك، فيما لم يحدث بعد. فهذه الكأس ذاتها التي لا ترى قاعها- والذي قد تراه، أي في نهاية حركة لم تقم بها بعد- وتلك الصفحة البيضاء، ووجها الآخر الذي لا تراه، ويمكنك أن تراه لو قلبت الصفحة، كل هذه الأشياء- وكافة الأشياء الثابتة وذات الكتلة المحيطة بنا- تمتد صفاتها المباشرة والصلبة إلى المستقبل. أما الإنسان، فليس مجمل ما يخصه الآن، بل مجمل ما لم يخصه بعد، مجمل ما يمكن أن يتصف به. ولو أننا انغمسنا في المستقبل، فهل تتضاءل الوحشية اللامعقولة للحاضر؟ فالحدث لا ينسل إلينا مثل لص، طالما أنه بطبيعته مستقبلٌ بسبيله للوجود. أليس من مهمة المؤرخ الذي يفسر الماضي أن يتساءل بدايةً عن مستقبله؟ أخشى أن العبثية- التي يجدها فوكنر في الحياة الإنسانية- هي عبثية وضعها فوكنر فيها. ولا يعني ذلك أن الحياة ليست عبثية، ولكن يعني أنها تنطوي على نوع مختلف من العبثية.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فلماذا يختار فوكنر- وغيره من الكتاب- هذا النوع بعينه من العبثية، وهو نوع بعيدٌ عن الخيال المبدع وعن الحقيقة؟ لابد لنا أن نبحث عن السبب في ذلك في الظروف الاجتماعية لحياتنا الراهنة. فيأس فوكنر يبدو- بالنسبة لي- سابقًا على ميتافيزيقاه؛ فالمستقبل- بالنسبة له، كما هو بالنسبة لنا جميعًا- محجوز أو مسدود. فكل ما نراه، وكل ما نعايشه، يدفعنا للقول "لا يمكن أن يستمر ذلك لمدة أطول من ذلك"؛ ولكننا ليس في وسعنا أن نتصور أي تغيير سوى على أنه تغيير عنيف. فنحن نعيش في زمن التحولات التي يصعب تصورها، وفوكنر يستخدم فنه- الذي يفوق المعتاد- ليصف لنا عالما يحتضر من الشيخوخة، ونحن فيه نلهث ونشعر بالاختناق. وأنا أحب فنه، لكني لا أصدق ميتافيزيقاه. فالمستقبل المحجوز يظل مستقبلاً. وحتى لو كان الواقع البشري بلا أفق، وحتى لو كان حسابه قد أُقفل، فإن وجوده يتحدد على هذا التوقع ذاته. فافتقاد كافة الآمال، على سبيل المثال، لا يحرم الواقع البشري من كل إمكاناته، بل هو ببساطة "سبيل لأن يكون هناك توافق مع هذه الامكانات ذاتها[9]".

---

[9] Heidegger, **Sein und Zeit**.

وليـام فُوكنَـر:

كلمـة أولَـى*

كتبتُ هذا الكتاب وتعلمتُ أن أقرأ. ولقد تعلمتُ القليل عن فن الكتابة عندما كتبت رواية "**راتب جندي**". تعلمت كيف أتعامل مع اللغة والكلمات، لا بقدر كبير من الجدية كما يفعل كاتب المقال عادة، بل بنوع من الاحترام الحذر، كما لو أنك تتعامل مع الديناميت، كما تعلمت حتى التعامل معها بمرح كما تتعامل مع النساء، وربما بنفس القدر من النوايا الخفية والخبيثة نوعًا ما. ولكني عندما انتهيت من رواية "**الصَّخَب والعُنف**" اكتشفتُ أن هناك بالفعل شيئًا يمكن أن ينطبق عليه، بل ينبغي أن ينطبق عليه مصطلح "الفن"، ذلك المصطلح الذي بَلي من كثرة استعماله منذ القدم. واكتشفتُ أنني استخدمت كل ما قرأت، من هنري جيمس، مرورًا بهينتي**، وحتى جرائم القتل التي نشرتها

* لم يكتب فوكنر أية مقدمة لرواية "**الصَّخَب والعُنف**". وقد نُشرت كلمته هذه بعد وفاته في: **The Southern Review** 8 (N.S., 1972) 705-10.

** **جورج ألفريد هينتي** (1812ـ1902): روائي انجليزي غزير الإنتاج، كتب أكثر من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الصحف، وهي الروايات والكتب والصحف التي قرأتها دون هضمها في ذلك الحين، مثل الحيوانات المجترة. وبعد "**الصَّخَب والعُنف**"، ودون أن أفتح كتابًا، ومن خلال سلسلة من الأصداء المتأخرة مثل رعد الصيف، اكتشفتُ فيها أصداءً لكتابات فلوبير ودوستويفسكي وكونراد، الذين قرأت كتبهم قبل عشر سنوات. فمع "**الصخب والعنف**"، تعلمتُ أن أقرأ، ثم تخليت عن القراءة، حيث لم أقرأ شيئًا منذ ذلك الحين.

كما يبدو أنني لم أتعلم شيئًا منذ ذلك الحين. وحين كتبتُ رواية "**الحرَم**"، وهي الرواية الثانية بعد "**الصَّخَب والعُنف**"، كان ذلك الجزء مني الذي تعلّم أثناء الكتابة- وهو الجزء الذي ربما يكون القوة الدافعة للكاتب لمواصلة العمل الإبداعي، وتحمل مشاق وضع نحو 75 ألف أو مئة ألف كلمة على الورق- كان هذا الجزء غائبًا، لأنني كنت لا أزال أقرأ أصداء الكتب التي التهمتُها قبل عشر سنوات خلت، أو أكثر. وما تعلمتُه من رواية "**الحرَم**" أن هناك شيئًا مُفتقَدًا، شيئًا قدمته لي رواية "**الصَّخَب والعُنف**" ولم توفره لي رواية "**الحرَم**". وعندما بدأت كتابة رواية "**بينما أرقُد محتضرة**"، اكتشفتُ هذا الجانب المفتقَد؛ وهو جانب ربما يكون مفتقدًا في هذه الحالة أيضًا، هو أنها رواية كُتبت عن عمد، بمعنى أنني تعمدتُ كتابة رواية لاستعراض القوة؛ فقبل أن أمسك بالقلم للكتابة على الورق، وقبل أن أخط أية كلمة، كنتُ أعلم آخر كلمة سأكتبها، ومتى ستحل النهاية. فقبل كتابتها، قلت: سوف أكتب عملاً يمكن- إذا لزم الأمر- أن أصمد به، أو أسقط، ولا أكتب مرةً أخرى. ولذا، فقد شعرت- بعد الانتهاء من الكتابة- ببرد الراحة والرضا بين

---

120 كتابًا ورواية، وعُرف برواياته التاريخية- المترجم.

جوانحي، كما توقعت. ولكني كنت أتوقع أيضًا أن تكون الحالة التي وضعتني فيها "**الصَّخَب والعُنف**" مفقودة؛ ذلك الانفعال النفسي والجسدي الغامض الذي يصعب وصفه، تلك النشوة وذلك الحماس والشغف والثقة المبهجة، وذلك التوقع لحدوث مفاجأة تنتظر بفارغ الصبر الظهور، تتضمنها الصفحات الفارغة التي لم تشُبها شائبة بعدُ بيدي. ولم أشعر بذلك عندما كتبت رواية "**بينما أرقُد محتضرة**". وقلت لنفسي إن السبب يكمن في أنني كنت أعرف أيضًا الكثير مما تتضمنه الرواية قبل أن أشرع في كتابتها. ومن المرجح أنني- في المستقبل- لن أمر بمثل هذه الحالة التي لا أعلم فيها الكثير عن مضمون الرواية التي أكتبها، كما أنني لا أعلم إن كان ذلك سيحدث مجددًا. وانتظرت عامين تقريبًا، ثم بدأت في كتابة رواية "**ضوء في أغسطس**"، ولم أكن أعلم شيئًا عن مضمونها يتجاوز أن هناك امرأة شابة حاملاً تمشي في طريق ريفي موحش؛ وعندها اعتقدتُ أنني سوف أعود لهذه الحالة الآن، طالما أنني لا أعلم الكثير عن مضمون الرواية، كما كان عليه الحال حين كتبت "**الصَّخَب والعُنف**"*، وقبل أن أُسطِّر أول صفحة فارغة منها.

---

* نُشرت "**الصَّخَب والعُنف**" في عام 1929، وعنوانها مستوحًى من مناجاة وردت في المشهد الخامس، من الفصل الخامس، من مسرحية "**ماكبث**" لشيكسبير، ونصها:

غدًا، ثم بعدَ غَدٍ، ثم ما بعد الغد،
كلُّ غدٍ يزحف بخطًى بطيئة يومًا بعدَ يوم
حتى آخرِ مَقطَع في سِجِلِّ الزَّمَان
وَكُلُّ أمس مضَى بِنَا أنَارَ لِلحَمقَى طَرِيقَ الموتِ المعتِم
فَانطَفِئِي ! انطَفِئِي! .. أيتُهَا الشَّمعَةُ القَصِيرَة!
فَالحَيَاةُ لَيست سِوَى ظِلٍّ زَائِل

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ولكن هذه الحالة لم تعاودني. فالصفحات تتزايد عددًا والقصة تسير على ما يرام. وكنت أجلس كل صباح للكتابة بلا تلكؤ، ومع ذلك دون ذلك النوع من التوقع، وذلك النوع من المتعة الذي يجعل الكتابة شيقة بالنسبة لي. وانتهيت تقريبًا من كتابة الرواية قبل أن أدرك أن ذلك لن يحدث مرةً أخرى، نظرًا لأنني أُدرك- قبل أن أكتب أية كلمة- ما سيفعله الناس، ونظرًا لأنني أختار- عن عمد- بين عدة إمكانات واحتمالات للسلوك، وأزن وأقيس كل اختيار بميزان كتابات هنري جيمس وكونراد وبلزاك. وأعلم أنني قرأت كثيرًا، ووصلت إلى المرحلة التي لا بد أن يمر بها كل كاتب شاب، والتي يعتقد فيها أنه يعلم الكثير عن حرفته. وتلقيتُ نسخةً من الكتاب، ووجدتني لا أرغب حتى في رؤية أي نوع من السترات كان يرتديها سميث. كانت لديَّ رؤيا بالنسبة لها، وبالنسبة لكل الروايات الأخرى التي تلت "**الصَّخَب والعُنف**"، التي كانت مرصوصةً على الرف، وكنت أنظر إلى كعوبها بقليل من الانتباه يصل إلى حد الاشمئزاز تقريبًا، وهو انتباه يقل على نحو مضطرد مع الانتقال من عنوان على كعب الكتاب إلى عنوان آخر، إلى أن تصل إلى آخر، انتباه وكأنه يقول لك حمدًا لله أنني لن أحتاج لأن أفتحها مرةً أخرى. وأعتقد

مثْلِ مِسكِينٍ يملأُ المسرَحَ في سَاعَتِه ضَجِيجًا وَحِرَاكًا
وَلاَ تَسمَعُ لَه صَوتًا بَعدَ ذَلِك
حِكَايَةً بِلاَ مَعنى
يَروِيهَا مَعتُوهٌ مَلِيئةٌ **بِالصَّخَبِ وَالعُنف**

وجدير بالذكر أن الراوي الرئيسي للحكاية- في "**الصَّخَب والعُنف**"- معتُوه، وهو بنچي، كما أن الراوي الثاني كوينتن مضطرب نفسيا- المترجم.

أنني عرفتُ عندها السبب في أنني لم أعد أمر بحالة النشوة الأولى، وأنني لن أمر بها مجددًا، وأيًّا ما كانت الروايات التي سأكتبها في المستقبل، دون إبطاء أو تلكؤ، ولكن دون ذلك النوع من التوقع والمتعة التي كتبتُ بها "**الصَّخَب والعُنف**"، التي ضمنتها ربما أكثر الأمور التي حركت مشاعري بشدة: منظر كادي وهي تصعد شجرة الكمثرى لترى جنازة جدتها، في حين ينظر كوينتن وجاسون وبنچي والزنوج إلى مؤخرة بنطلونها الملوث بالطين.

وهذه الرواية هي الرواية الوحيدة التي كتبتها- من بين سبع روايات- دون تعب أو جهد أو أي شعور تال من التعب أو الارتياح أو الاشمئزاز. وعندما شرعتُ فيها لم تكن لديَّ أية خطة على الإطلاق. ولم أكن أكتب رواية، بل أفكر في كتابة عدة كتب؛ بل الأمر على العكس، فقد كنت أقول لنفسي إنه لا ينبغي أن أشعر بالقلق مما يفضله الناشر أو لا يفضله على الإطلاق. وقبل ذلك بأربعة أعوام، كتبتُ "**راتب جندي**"، ولم تستغرق كتابتها مني وقتًا طويلاً، ونُشرت على الفور، وحصلتُ منها على خمسمائة دولار تقريبًا. وقلت لنفسي إن كتابة الروايات أمرٌ سهل، ولا تستلزم منك الكثير من الجهد. وكتبت رواية "**البعوض**". وكانت كتابتها سهلةً للغاية، وطُبعت على الفور، وحصلت منها على نحو أربعمائة دولار. وقلتُ لنفسي إن هناك المزيد من الروايات لتكتبها. ونظرًا لأني كنت روائيًّا بأكثر مما أعتقد، فقد كتبت رواية "**سارتوريس**". واستغرقت كتابتها وقتًا أطول، ورفضها الناشر على الفور. ولكني واصلت تسويقها نحو ثلاث سنوات بعناد، رغم أن الأمل في نشرها بدأ يخفت. وربما كان السبب وراء ذلك هو البحث عن مبرر للوقت الذي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أمضيته في كتابتها. ومات هذا الأمل ببطء، ولكن لا بأس. فذات يوم، بدا أنني قد أغلقت الباب بيني وبين كافة عناوين الناشرين وقوائم الكتب. وقلتُ لنفسي إنني يمكنني الآن أن أكتب؛ يمكنني الآن أن أجعل من نفسي زهرية مثل تلك الزهرية التي احتفظ بها الروماني القديم في سريره، وأبلى حافتها من كثرة تقبيله لها. ومن ثم، فإنني- أنا الذي لم يكن لي أخت، وكان قدري أن أفقد ابنتي في طفولتها- شرعتُ في أن أجعل من نفسي فتاة صغيرة ومأساوية.

وليَـام فُوكنَـر:

كلمـة ثانيـة*

لا يشكل الفن جزءًا من الحياة في الجنوب الأمريكي مثل الشمال. فمن الواضح أن الأمر على خلاف ذلك في الشمال. فهو يمثل أكثر الأحجار صلابة في صرح مَنهاتن. هو الذي يضفي على الشوارع تألقًا إلى حدٍّ ما أو يحرمها منه. وانطلاقًا منه، تظهر العمارات الشاهقة، وبسببه تنهار عمارات ثم تشق طريقها كالسهم لعنان السماء. فهناك أناس يحيون حياة البرجوازية الصغيرة- (ويمثلون عددًا بلا حصر من العظام الصغيرة التي يتعذر رؤيتها تقريبًا، والتي يؤدي غياب أي منها لانهيار الهيكل العظمي بأكمله)- يكسبون عيشهم منه- فتيان يتحدثون عدة لغات، وفتيات تخرجن من مدارس الأحياء الشعبية، وتوجهن إلى

* نُشرت كلمة فوكنر هذه- بعد وفاته- في مجلة *Mississippi Quarterly* 26 (Summer 1973): 410-415؛ ورغم تكرار بعض ما ورد في "كلمة أولى"، إلا أننا رأينا أهميةً ما لما تنفرد به من أفكار- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

غُرف التحرير ومعارض الفن، ورجال شابت رؤوسهم وتدلت كروشهم إلى حدٍّ ما يعملون في مطابع اللينوتيب، يحجزون تذاكر لحضور الحفلات الموسيقية، ثم يتوجهون في وقار إلى بيوتهم، إلى بروكلين ومحطات الضواحي، حيث ينتظرهم أطفالهم وأحفادهم، وذلك بعد زمن طويل من عصر أسلافهم من السياسيين الأيرلنديين، ومن النصَّابين القادمين من نابولي، الذين طواهم النسيان مثلما طوى الهنود الحمر والحمام البري المنقرض.

وكذلك الحال بالنسبة لشيكاغو أيضًا، حيث الإيقاع الذي لا يكون على الدوام متوافقًا، ويبدو فتيًّا وعالي الصوت ومتغيرًا على الدوام، والذي يجذب من حوض أحد الأنهار- الذي يكاد يشكل قارة- الشبان والشابات الذين يحيون في خضم حياته القلقة، ثم يقذف بهم بعيدًا مرةً أخرى، ليكتبوا عن شيكاغو، في نيو إنجلاند وڤرجينيا وأوروبا.

لكن الفن في الجنوب لا بد له- لكي يحظى بالمشاهدة- أن يصبح نوعًا من الطقس والعرض العام؛ شيء يقع بين المخيم الغجري والسوق الكنسية، يقدمة حفنة من الممثلين الجوالين الغرباء الذين يبددون طاقتهم في الاحتجاج والدفاع عن النفس، إلى حدٍّ ألا يُترك شيءٌ لا يتم الحديث عنه على مدى أسبوع واحد من الجهد المحتدم، لإقامة عرض في ليلة الجمعة، ثم ينفض العرض ويتلاشى، ولا يترك سوى آثار مرسومة على الأرض، أو قطع أقمشة مُنشَّاة، أو شريط آلة كاتبة مستهلك، عند أحد الأركان، أو فاتورة لأقمشة الرايات والشاش والبفتة يحملها في يده بائع وهو مشدوه.

وربما كان السبب في ذلك أن الجنوب عجوز وفاقد للحياة (وأنا

أتحدث عن الإحساس بالحلم بالنسبة لمنطقةٍ ما، لدي أية مجموعة من الرجال يجمعها شيءٌ ما مشترك، قد يكون الجغرافيا أو المناخ، وهو الإحساس الذي يشكل تطلعاتهم الاقتصادية والروحية في صورة مدن، وفي نمط من المباني والسلوك). أما نيويورك، وأيًّا كان ما تعتقده في نفسها، فهي شابة وحية؛ فهي لا تزال تمثل تقدمًا منطقيًّا وغير منقطع لما قدمه الهولنديون.

وتتباهي شيكاغو بأنها مدينة شابة، ولكن الجنوب ميت- مثلما هو حال شيكاغو، وهي وسط الغرب ونيويورك الشرق- بعد أن قتلته الحرب الأهلية الأمريكية. إنه أرض المهاجرين الذين يعيدون بناء المدن والبلدات- على غرار المدن والبلدات في كنساس وأيوا وإلينوي- بناطحات سحاب تتميز بوجود تندات مخططة بدلاً من الشرفات الخشبية، وفيها تعلّم الشباب بيع البنزين وتدربت الفتيات- اللاتي يعملن في خدمة الزبائن في المطاعم والمقاهي- على أن يقلن بدلال "أوه... أوكي" وأن يتحدثن براءٍ مشددة، وأن يتوقفن عند التقاطعات في الشوراع الهادئة والظليلة، التي لا يمر منها سوى السائحين القادمين من الشمال في سياراتهم الكاديلاك واللنكولن، التي يسيرون بها بسرعات بطيئة، وتتغير أضواؤها من الأحمر إلى الأخضر.

ولكن هذا الفن- الذي لا مكان له في حياة الجنوب- ليس إلا محصلة عمل الفنان الجنوبي. إنه أنفاسه ولحمه ودمه مجتمعة. وليس بالشيء المفروض عليه، ولا بالشيء الذي أقحم فيه عنوةً بالصدفة، وفرض عليه أن يختار- مثلما يتم الاختيار بين الموضات- بين أن يكون فنانًا وأن يكون إنسانًا. إنه يقوم بذلك على نحو قصدي، ويرغب في القيام بذلك.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ويصدق ذلك عليه، وعليه وحده. فالجنوبيون وحدهم هم مَن يتعاملون بالسوط والمسدس مع المحررين، فيما يخص تعاملهم- أو سوء تعاملهم- مع مخطوطاتهم. ولقد كانت هذه المسدسات الفعلية في الأيام الخوالي، بطبيعة الحال، ولم نعد نستسلم لمثل هذا النزوات الآن؛ ولكنها ما تزال موجودة، لا تزال في دخيلتنا.

لأن الجنوبي يكتب عن نفسه، لا عن البيئة المحيطة به: ليس ذلك الشخص الذي يمسك- إذا ما تحدثنا بالمجاز- بالفنان بإحدى يديه وبالبيئة المحيطة به باليد الأخري، وينشب كل منهما بخناق الآخر بعنف، مثلما يُرغِي قِط- وُضع في جوال من الخيش- ويُزبد وينشب أظفاره فيه. فهو يكتب. ونحن لا نُقبل- وربما لن نُقبل أبدًا- على الموسيقى والفن التشكيلي. فنحن نحتاج لأن نتحدث، لأن نقول ونحكي، لأن الخطابة هي تراثنا. ويبدو أننا نحاول- على امتداد الأنفاس (أو الكتابة) اللاهثة البسيطة للفرد- أن نتوصل لإدانة لا ترحم للمشهد المعاصر، أو أن نهرب منه إلى منطقة نركن إليها، ونطمئن لها من السيوف وأشجار الماجنوليا والطيور المقلدة، التي ربما لا يوجد مثلها في أي مكان آخر. وكلا الأمرين متجذرٌ في المشاعر؛ وربما يكون ملموسًا إلى أقصي حد في مشاعر أولئك الذين يكتبون بمرارة وقسوة عن زنا المحارم في العشش المسقوفة بالطين. وعلى أية حال، فإن كل نهج من هذين هو مسألة تتعلق بالتحيز بعنف، يكتب فيها الكاتب بلا وعي منه- في كل سطر وعبارة- عن يأسه وغضبه الشديدين، وإحباطاته، أو عن تطلعاته لآمال لا تقل عنفًا عن ذلك. فلا وجود بين ظهرانينا لذلك الذهن البارد الذي يمكن أن يكتب بهدوء وتجرد تام، واستمتاع تام، عن المشهد المعاصر.

ولا أعتقد أن هناك كاتبًا يحيا في الجنوب يمكنه أن يقول إن الكتابة- بالنسبة له- متعة، دون أن يكون كاذبًا. ربما لأننا لا نريد ذلك.

ويبدو أنني قد جربتُ النهجين. جربتُ أن أهرب، وجربت أن أدين. وبعد خمس سنوات، أعود لتأمل "**الصخب والعنف**"، وأرى أن هذه هي نقطة الغليان فيها: أنني قد استخدمتُ في هذه الرواية النهجين في آنٍ معًا. وعندما بدأت كتابة الرواية، لم تكن لديَّ خطةٌ لها على الإطلاق، ولم أكن حتى أفكر في أن أكتب كتابًا. وقبل هذه الرواية، كتبت ثلاث روايات، كانت كتابة كل منها أيسر من سابقتها، وأكثر متعة، على نحو مضطرد، وحصلت منها على عائد مادي مجز. غير أن الرواية الثالثة استغرق نشرها ثلاث سنوات، وكنت أرسلها من ناشر إلى آخر بنوع من الدأب والعناد والأمل الذي بدأ يخبو- رويدًا رويدًا- في أن تعوض، على أقل تقدير، ما أنفقته من ورق ووقت في كتابتها. ويبدو أن هذا الأمل قد مات، لأنني- ذات يوم- بدا لي فجأةً أن جميع الأبواب قد أصبحت موصدة بيني وبين الناشرين؛ وقلت لنفسي إنني يمكنني الآن أن أكتب، وليس أمامي الآن سوى أن أكتب. ولما كنت إنسانا لا أخت له، وله ثلاثة أخوة، وكان مقدرًا لي أن أفقد ابنتي في طفولتها، فقد شرعتُ في الكتابة عن فتاة صغيرة.

لم أكن على يقين- في ذلك الحين- من أنني أسعى لأن أبدع لي أختًا لم تكن لي على الإطلاق، وابنة قُدر لي أن أفقدها؛ ولكن الأولى ربما تكون أكثر وضوحًا لأن كادي كان لها ثلاثة أخوة، حتى قبل أكتب اسمها على الورق. وبدأتُ فحسب الكتابة عن أخ وأخته يتقاذفان الرش بالماء في ترعة صغيرة، وأن الأخت وقعت فيها وتلوثت ملابسها، في حين كان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أصغر إخوتها يبكي، معتقدًا أن أخته قد هُزمت أو لحق بها ضررٌ ما. أو ربما لأنه يعلم أنه طفل صغير، وأنها ينبغي أن تتخلى عن رش أخيها بالماء لتهدئ خاطره. وعندما قامت بذلك، عندما كفت عن القتال بالماء، وخطت فوقه وقد حنت جسمها- فيما كانت ملابسها مبتلة- تفجرت أمامي على الورق القصة بكاملها، كما حكاها هذا الأخ الأصغر نفسه، في القسم الأول من الرواية.

وتراءى لي أن هذا التألق المسالم لتلك الترعة سوف يصبح التدفق المظلم والصارم للزمن، الذي يجرفها إلى حيث لا يمكنها أن تعود إليه لتهدئ خاطره؛ ولكن مثل هذا الانفصال والافتراق فحسب لم يكن كافيًا، أو لم يكن كافيًا إلى حدٍّ بعيد؛ فقد كان حتميًّا أن يجرفها الزمن للخزي والعار أيضًا؛ وأن يكف بنچي عن النمو منذ هذه اللحظة؛ وأن كل ما يعرفه ينبغي أن يبدأ وينتهي بهذه الشخصية المبتلة والمحنية والشرسة واللاهثة والمتريثة، التي تشبه في رائحتها رائحة الأشجار؛ وأن بنچي لا بد من ألا يكبر أبدًا للسن التي يمكن أن يخفف فيها الفهم من آلام الحرمان، ومن ثم تخفيف الغضب، كما هو حال جاسون، أو النسيان كما هو حال كوينتن.

وتراءى لي أنهم ينبغي أن يذهبوا للمرعى الأخضر ليمضوا فترة ما بعد الظهر، لكي يكونوا بعيدًا خلال جنازة الجدة، ولكي يتمكن الأشقاء الثلاثة والأطفال الزنوج من أن يرفعوا رأسهم ليروا مؤخرة بنطلون كادي الملوثة بالطين، عندما صعدت على الشجرة، لكي تنظر من خلال النافذة إلى الجنازة، دون التأكد- حتى ذلك الحين- من رمزية البنطلون الملوث بالطين، لأنها- عند هذا الحد- كانت هي التي تمتلك

الشجاعة التي مكنتها من أن تواجه بشرف- في وقت لاحق- العار الذي جلبته، وهو ما عجز كل من كوينتن وجاسون عن مواجهته، فوجد الأول ملاذه في الانتحار، في حين أن الثاني دفعه الغضب للانتقام لأن يسلب من ابنة أخته- التي جاءت من علاقة غير مشروعة- المبلغ الضئيل الذي تمكنت كادي من إرساله لها. ولذا، ذهبت إلى غرفة النوم في الليل، حيث كانت ديلسي تمسح بالبنطلون الملوث المؤخرة العارية لتلك الفتاة الصغيرة المنكوبة، في محاولة من ديلسي لأن تزيل بأسف الطين الذي وصل إلى جسدها ولحمها، وهو اللحم الذي جعلوه رمزًا للعار وتنبؤًا به، كما لو كانت ديلسي قد تنبأت بالمستقبل المظلم، وبالدور الذي ستقوم به في سعيها لأن تظل هذه الأسرة المنهارة متماسكة.

وعند هذا الحد، اكتملت القصة وانتهت. فهناك ديلسي التي تمثل المستقبل- والتي صمدت فوق أنقاض هذه الأسرة التي هوت كمدخنة متهالكة- كانت ضامرة ولكنها صبورة ولا تُقهر؛ وهناك بنچي الذي يمثل الماضي. وكان لا بد أن يكون معتوهًا، ولذا فإنه- شأن ديلسي- لا يتأثر بالمستقبل؛ ولكنه- خلافًا لها- لا يتأثر به من خلال رفضه التام للقبول به. فهو بلا عقل ولا فهم، وغير محدد الملامح وعديم الحيلة، كأنه شيءٌ بلا عيون ولا صوت، وهو يحيا ويوجد فحسب لأن لديه قدرة على المعاناة في حياة بدائية، غير محدد المعالم ويتحسس الأشياء بيديه: كتلة عاجزة وشاحبة من المعاناة بلا تفكير تحت الشمس، تعيش في زمن ليس زمانها، اللهم سوى أنه يمكنه من أن يحمل معه ذلك الكائن الشرس والجسور الذي لا يمثل له سوى لمسة وصوت، وربما يسمعه في أي ملعب للجولف، وله رائحة تشبه رائحة الأشجار، ويراه في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأشكال البراقة التي يراها في نومه.

والقصة برمتها متحققةٌ بالكامل في القسم الأول الذي يحكيه بنچي. ولم أتعمد أن أجعلها غامضة، ولكني- عندما تأكد لي أن القصة ينبغي أن تنشر- كتبتُ ثلاثة أقسام أخرى أطول من القسم الذي رواه هذا المعتوه بنچي، وذلك لكي أوضح هذا القسم الأول. وعندما كتبتُ القسم الأول، لم أكن أكتبه لكي يُطبع. ولو تعين عليَّ أن أكتبه الآن لأصبح مختلفًا، لأن كتابته علمتني كيف أكتب وكيف أقرأ؛ وعلمتني كيف أفهم ما قرأته من قبل، لأني اكتشفتُ أن فيه أصداءً مثل أصداء رعد الصيف لكتابات فلوبير وكونراد وتورجنيف، التي التهمتها قبل عشر سنوات دون أن أهضمها مثل الحيوانات المجترة. ولم أقرأ شيئًا منذ ذلك الحين، وما كان لي أن أفعل ذلك. وتعلمت أمرًا واحدًا- منذ ذلك الحين- عن الكتابة، ألا وهو أنه لن يتكرر هذا الانفعال النفسي والجسمي الغامض الذي يصعب وصفه- عند كتابة القسم الذي رواه بنچي من "**الصَّخَب والعُنف**"، وتلك النشوة وذلك الحماس والشغف والثقة المبهجة، وذلك التوقع لحدوث مفاجأة تتضمنها الصفحات الفارغة، التي لم تشبها شائبة بيدي، تنتظر بفارغ الصبر الظهور كلها جميعًا. فالإقبال على العمل، والشعور بالرضا عنه، سوف يحدثان بنفس القدر من الحماس والجد، وسوف يستمران طالما كانت لديَّ الطاقة للقيام بذلك، ولكن هذه الحالة وهذا الانفعال والنشوة- التي ذكرتها- لن تتكرر، ولن أدركها من جديد.

ومن ثم، فقد كتبت القسمين اللذين رواهما كوينتن وجاسون سعيًا لتوضيح قسم بنچي، ولكن تراءى لي أنني أُسوِّف وأضيع الوقت، وأنني يتعين عليَّ أن أنتهي من الرواية. واعتقدتُ أن تعويض ذلك سيأتي من

خلال ضبط وتنقيح ما تمت كتابته. ولكن استغرق مني الأمر أكثر من شهر قبل أن أمسك بالقلم للقيام بذلك، وبدأت الكتابة بالعبارة الأولى من القسم الأخير من هذه الرواية: "بدا الفجر- في ذلك اليوم- كئيبًا وقارس البرودة". وهناك قصة تُروى عن روماني قديم كان يحتفظ في سريره بزهرية أحبها، وأبلى الرجل حافة الزهرية من كثرة تقبيله لها. وقد صنعت لنفسي زهريةً، ولكني كنت أعلم أنني لن أستطيع العيش فيها للأبد، وأنه من الأفضل- بعد أن صارت لديَّ- أن أرقد في سريري وأنظر إليها، وأن الأمر سيكون على هذا النحو بالتأكيد، لا عندما أفتقد نشوة الكتابة فحسب، بل بعد أن أفتقد الهمة للكتابة، وأفتقد ما يستحق القول أيضًا. ولعل مما يبعث على الراحة أن تفكر في أن تترك أثرًا وراءك بعد أن تموت، ولكن الأفضل أن تصنع شيئًا تموت حبًّا فيه، والأفضل من كل ذلك هو مؤخرة بنطلون فتاة بائسة الحظ تصعد على شجرة الكمثرى، المزهرة في شهر أبريل، لتشاهد جنازة من النافذة.

أوكسفورد في 19 أغسطس 1933

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وليـام فُوكنَــر

الصَّخَب والعُنــف

https://telegram.me/maktabatbaghdad

7 أبريـــل 1928

عـبر الـسياج، من بين الفتحات التي تتخلل أشجار الورد الملتفة، تمكنتُ من رؤيتهم، وهم يلعبون الجولف. كانوا قد أتوا إلى المكان الذي يوجد به العَلَم، فيما كنتُ أسير بمحاذاة السياج. وكان لاستر يبحث عن شيءٍ ما في الحشائش القريبة من شجرة الورد. رفعوا العَلَم من مكانه، وهـم يواصـلون اللعـب. ثم أعـادوه إلى مكانـه، واتجهـوا إلى الهـضبة، وضرب أحدهم الكرة، ثم ضرب لاعبٌ آخر الكرة. وواصلوا بعد ذلك اللعب، فيما كنت أسير بمحاذاة السياج. عاد لاستر من مكان الشجرة، وسرنا بمحاذاة السياج، وتوقفوا عن اللعب، وتوقفنا نحن أيضًا عن السير، ونظرتُ عبر السياج، فيما واصل لاستر بحثه بين الحشائش.

"هنا... يا كادي*". وضرب الكرة. وابتعدوا عبر الملعب الأخضر.

* **الكادي**: هو مساعد لاعب الجولف، وهو يتفق أيضًا مع اسم "كادي" أخت بنچي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تشبثتُ بالسياج، وراقبتُهم وهم يبتعدون.

وقال لاستر "اصغ لي الآن؛ أتبلغ الثالثة والثلاثين من العمر، وما تزال تتصرف على هذا النحو. في حين أنني ذهبت إلى المدينة لأشتري لك هذه الكعكة. فلتكُف عن التأوه والتشكي. هلا ساعدتني في البحث عن ربع الدولار هذا لأتمكن من الذهاب إلى عرض السيرك هذه الليلة".

كانوا يلعبون لبرهة في الملعب الأخضر. وعدت إلى السير بمحاذاة السياج إلى حيث كان العَلَم. كان يرفرف فوق العشب والأشجار الناصعة.

قال لاستر: "هيا بنا. لقد بحثنا هناك. ولن يأتوا الآن من جديد. فلننزل إلى الترعة، ونعثر على ربع الدولار قبل أن يعثر عليه الزنوج".

كان أحمر، ويرفرف فوق العشب الأخضر. آنذاك، كان ثمة طائر يحوم ويحط عليه. طرده لاستر. كان العَلَم يرفرف فوق العشب والأشجار الناصعة. وكنتُ أتشبث بالسياج.

قال لاستر: "كفاك أنينًا. فليس بوسعي أن أجعلهم يعودون، إن لم يكونوا سيعودون. وإن لم تصمت، فلن تقيم لك ماما حفل عيد ميلاد. وإن لم تصمت، فأنت تعلم ما سأقوم به. سوف آكل الكعكة عن آخرها. وآكل الشموع، أيضًا. آكلها كلها الثلاثة والثلاثين شمعة. هيا، فلنذهب إلى الترعة. عليَّ أن أعثر على ربع الدولار. وقد نعثر على إحدى كراتهم. انظر. ها هُم. بعيدًا هناك. أترى". اقترب من السياج وهو يشير بذراعه. "أتراهم. لن يأتوا هنا بعد الآن. هيا بنا".

سرنا بمحاذاة السياج، ووصلنا إلى سياج الحديقة، حيث كان ظلانا.

راوي هذا القسم من الرواية- المترجم.

كان ظلي أطول من ظل لاستر على السياج. أتينا إلى الثغرة المفتوحة وعبرنا منها.

قال لاستر: "انتظر قليلاً. لقد علِقتَ في السلك الشائك مرةً أخرى. ألا يمكنك أبدًا الزحف من هنا دون أن تعلق بالسلك الشائك".

لم تمسك بي كادي وزحفنا. قال لنا خالي موري ألا ندع أحدًا يرانا، ولذا فضلنا الانحناء. قالت لي كادي: انحنِ، يا بنچي عند سيرك. هكذا، كما تراني. وانحنينا وعبرنا الحديقة، حيث كانت الزهور تخشخش وتصر علينا. كانت الأرض صلبة. تسلقنا السياج، حيث كانت الخنازير تخور وتنخر. وقالت كادي أظن أنها حزينة لأن واحدًا منها قد ذُبح اليوم. كانت الأرض صلبة، وممتلئة بالحفر والمطبات. قالت كادي لا تخرج يديك من جيوبك، وإلا تجمدتا. وأنت لا تود أن تتجمد يداك في عيد الميلاد، أليس كذلك؟

قال ڤيرش: "الجو باردٌ هنا للغاية، وأنت لا تود أن تخرج".

قالت أمي: "ما الذي يجري الآن".

قال ڤيرش: "إنه يود أن يخرج".

قال خالي موري: "دعوه يخرج".

قالت أمي: "إن الجو شديد البرودة، ومن الأفضل أن يظل في المنزل. كُف عن ذلك، يا بنچامين".

قال خالي: "لن يضيره الخروج".

قالت أمي: :أنت، يا بنچامين. إن لم تتصرف على نحو لائق، فسوف أرسلك إلى المطبخ".

قال ڤيرش: "طلبت أمي أن نبعده اليوم عن المطبخ. فهي تقول إن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عليها أن تنتهي من إعداد كل هذا الطبخ".

قال خالي موري: "دعيه يذهب، يا كارولين. فأنت تقلقين عليه إلى حد المرض".

قالت أمي: "أعلم ذلك. أحيانًا ما أتساءل إن كان ذلك حُكم القَدَر عليّ".

قال خالي: "أعلم ذلك، أعلم ذلك. عليك أن تكوني أكثر قدرة على الاحتمال. سوف أعد لك كأسًا من التودي".

قالت أمي: "سيزيد ذلك من شعوري بالإحباط، ألا تدرك ذلك".

قال خالي: "ستشعرين بالتحسن. ألبسه يا فتى ملابس ثقيلة، واخرج معه لبعض الوقت".

خرج خالي. وخرج ڤيرش.

قالت أمي: "اسكت، من فضلك. نحن نسعى لأن نخرجك من المنزل بأسرع ما يمكننا. ولكني أخشى أن تمرض".

ألبسني ڤيرش حذاء المطر ومعطف المطر، وتناولنا قبعتي وخرجنا. كان خالي قد وضع الزجاجة بعيدًا على البوفيه في غرفة السفرة.

قال خالي موري: "فلتُبقِه بالخارج- يا فتى- نحو نصف ساعة. أبقِه في الفناء، الآن".

قال ڤيرش: "أجل يا سيدي. لن ندعه أبدًا يغادر المكان".

خرجنا. كانت الشمس باردة وساطعة. قال ڤيرش: "إلى أين أنت ذاهب. إياك أن تفكر في أنك ستذهب إلى المدينة، هل تفكر في ذلك". وسرنا بين أوراق الشجر التي تصدر الحفيف. كانت البوابة باردة. قال ڤيرش: "من الأفضل أن تضع يديك في جيبيك. وإلا فإنهما ستتجمدان

عند هذه البوابة، عندها ماذا ستفعل. لماذا لم تنتظرهم في المنزل". ووضع يديَّ في جيبيْ. سمعته يخشخش بين أوراق الشجر. وكنت أشم البرد. وكانت البوابة باردة.

"هناك بعض الجوز. يااااه. انظر إلى تلك الشجرة. انظر هنا إلى هذا السنجاب، يا بنچي". لم أكن أشعر بالبوابة على الإطلاق، لكني كنت أشم البرد المتألق. وقال ڤيرش: "من الأفضل أن تعيد يديك إلى جيبيك".

كانت كادي تمشي. ثم ركضت، وحقيبتها المدرسية تتأرجح وتتقافز خلفها.

قالت كادي: "مرحبًا، يا بنچي". فتحت البوابة وانحنت عند دخولها. كانت رائحتها كرائحة أوراق الشجر. قالت: "هل أتيت لتقابلني. هل أتيتَ لتقابل كادي. لماذا تركته يخرج يديه في البرد، يا ڤيرش". قال ڤيرش: "لقد قلت له أن يضعها في جيبيه. لكنه يتشبث بهذه البوابة".

قالت: "هل أتيت لتقابل كادي"، وهي تدلك يدي. "ما الامر؟ ما الذي تود أن تقوله لكادي؟". كانت رائحة كادي كرائحة الأشجار، وكرائحتها حين تقول إننا نائمان.

ما سبب شكواك، قال لاستر. فيمكنك أن تراهم مجددًا عندما نذهب إلى الترعة. خذ. خُذ زهرة داتورة. أعطاني الزهرة. ومضينا عبر السياج، إلى قطعة الأرض.

قالت كادي: "ما الأمر. ماذا تحاول أن تقول لكادي. هل هُم من تركوه يخرج، يا ڤيرش؟"

قال ڤيرش: "لم يتمكنوا من إبقائه في البيت. وأصر على الخروج إلى أن تركوه يخرج، ثم نزل مباشرةً وأتى إلى هذا المكان، وهو ينظر عبر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

البوابة".

قالت كادي: "ما الأمر. هل تظن أن عيد الميلاد يأتي عندما أعود إلى البيت من المدرسة. أهذا ما تظنه؟ إن عيد الميلاد بعد غد. سانتي كلوز.. سانتي كلوز يا بنچي! هيا، نجري إلى المنزل لنشعر بالدفء". أخذت يدي وجرينا وسط أوراق الشجر الناصعة التي تصدر الحفيف. أسرعنا في الخطى، وخرجنا من البرد الساطع إلى البرد المعتم. وكان خالي موري يعيد الزجاجة إلى البوفيه. نادى على كادي.

قالت: "خذه عند المدفأة، يا ڤيرش. اذهب مع ڤيرش. سآتي بعد دقيقة".

ذهبنا إلى المدفأة.

قالت أمي: "هل هو بردان، يا ڤيرش".

قال ڤيرش: "لا".

قالت أمي: "اخلع عنه معطف المطر وحذاء المطر. كم قلتُ لك ألا تدخل به الى البيت وهو يرتدي حذاء المطر".

قال ڤيرش: "حاضر. قف الآن". خلع الحذاء، وفك أزرار معطفي.

قالت كادي: "انتظر، يا ڤيرش، ألن يخرج مرةً أخرى، يا أمي. أود أن يذهب معي".

"من الأفضل أن تتركيه هنا". قال خالي موري. "لقد خرج من المنزل بما فيه الكفاية اليوم".

"أعتقد أن من الأفضل لكما أن تظلا في البيت". قالت أمي. "ديلسي تقول إن الجو يزداد برودة".

قالت كادي:"أوه.. يا أمي".

قال خالي: "كلام فارغ. إنها في المدرسة طول اليوم. وتحتاج لهواء نقي. هيا اجري، يا كانديس".

قالت كادي: "أرجوك، يا أمي، اتركيه يخرج. أنت تعلمين أنه سوف يبكي".

قالت أمي: "إذن، فلماذا تذكرين ذلك أمامه. لماذا أتيتِ إلى هنا. هل لتعطيه حجة ليزعجني مجددًا. كفاك خروجًا اليوم. وأعتقد أن من الأفضل أن تجلسي هنا وتلعبي معه".

قال خالي موري: "دعيهما يخرجان، يا كارولين. فلن يضرهما قليل من البرد. وتذكري أنك بحاجة لأن تستردي عافيتك".

قالت أمي: "أعلم ذلك. لا أحد يعلم مدى خشيتي لعيد الميلاد. لا أحد يعلم. فلست من النسوة اللاتي يمكنهن التحمل. وقد كنت أتمنى أن أكون أكثر قوة من أجل جاسون والأطفال".

قال خالي: "عليك أن تقومي بأقصى ما في استطاعتك، ولا تجعليهما يسببان لك القلق. هيا، انصرفا، كلاكما. ولكن لا تمكثا لوقت طويل بالخارج. فأمكما ستقلق عليكما".

قالت كادي: "حاضر، يا سيدي. هيا، يا بنچي، سوف نخرج مرةً أخرى من المنزل". زررت معطفي وذهبنا نحو الباب.

قالت أمي: "هل ستأخذين هذا الولد إلى الخارج دون أن يرتدى حذاء المطر. هل تودين أن يصيبه مرض، والبيت به عدد كبير من الضيوف".

قالت كادي: "نسيت، كنت أظن أنه يرتديه". عدنا. قالت أمي: "عليك أن تتروي". وقال لي ڤيرش "*قف ساكنًا الآن*". وألبسني حذاء

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المطر. قالت أمي: "يوما ما سوف أموت، وسيكون عليك أن تعتني به". قال ڤيرش: "*اخبط رجليك في الأرض بقوة*". "تعال لتقبل ماما، يا بنچامين".

أخذتني كادي إلى كرسي أمي، وأخذت أمي وجهي بين يديها، ثم احتضنتني.

قالت: "ياطفلي المسكين ". ثم تركتني. "اهتمي به- أنتِ وڤيرش- يا حبيبتي".

قالت كادي: "حاضر". وخرجنا. وقالت كادي:

"لا حاجة بك لأن تخرج، يا ڤيرش. سأبقيه معي لبعض الوقت".

قال ڤيرش: "لا بأس. فليس الخروج في هذا البرد أمرًا يبعث على المتعة". ومضي لحال سبيله. توقفنا في الردهة، ومالت عليَّ كادي وأحاطتني بذراعيها، والتصق وجهها المشرق البارد بوجهي. كانت رائحتها كرائحة الأشجار.

قالت: "لست طفلاً مسكينًا، أليس كذلك. أليس كذلك. فلديك حبيبتك كادي. أليست لديك حبيبتك كادي؟"

قال لاستر: ألا يمكنك أن تكف عن هذا البكاء واللعاب. ألا تخجل من نفسك، من كل هذا الصخب الذي تحدثه. ومررنا بحظيرة العربة، حيث كانت العربة موجودة. كانت لها عجلة جديدة.

قالت ديلسي: "ادخل الآن، وانتظر حتى تأتي أمك". ودفعتني داخل العربة. كان تي پي يمسك بعنان الفرس. وقالت ديلسي: "لا أفهم السبب في أن جاسون لم يشتر عربة جديدة. فهذه العربة بسبيلها أن تهوي- ذات يوم- متحطمة بكم. انظر إلى عجلاتها". خرجت أمي، مسدلة وشاحها.

كان معها بعض الزهور.

قالت: "أين روسكوس؟".

قالت ديلسي: "روسكوس لا يمكنه اليوم حتى أن يرفع ذراعيه. وتي پي يمكنه أن يقود العربة بتمكن".

قالت أمي: "أنا خائفة من ذلك. يبدو لي أن كل ما بوسعكم هو أن تعطوني سائقًا مرةً كل أسبوع. يعلم الله أنني لا أطلب منكم إلا القليل".

قالت ديلسي: "تعلمين تمامًا- مثلما أعلم- أن روسكوس تفاقمت حالة الروماتزم المصاب بها بحيث لا يمكنه القيام بالمزيد من العمل، يا سيدة كارولين. تعالي، وادخلي العربة، الآن. وتي پي ليس بأقل من روسكوس تمكنًا من قيادة العربة".

قالت أمي: "أنا خائفةٌ من ذلك. ومعي الطفل". صعدت ديلسي درجات السلم. ""أتسمين هذا الشئ طفلاً"، قالت. أخذت بذراع أمي. "إنه رجل كبير مثل تي پي، هيا، الآن، لكي تذهبي".

قالت أمي: "خائفةٌ من ذلك". نزلوا درجات السُّلَّم وساعدتها ديلسي في ركوب العربة. قالت أمي: "ربما يكون ذلك أفضل لنا جميعًا".

قالت ديلسي: "ألا تخجلين من الحديث بهذا الشكل. ألا تعلمين أنه ليس بوسع زنجي يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا أن يجعل المهرة كويني تسرع في جريها. إنها أكبر سِنا من تي پي وبنچي مجتمعين. اسمع، يا تي پي، لا تحاول أن تجعل المهرة تسير بسرعة كبيرة. وإذا لم تسر بالسرعة التي تريدها السيدة، فسوف أسلط روسكوس عليك. ولن يتأخر في عقابك". فرد تي پي: "حاضر".

قالت أمي: "أعلم أن أمرًا ما سيحدث. كف عن ذلك يا بنچامين".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت ديلسي: "أعطه زهرة ليمسك بها. هذا هو ما يريده". ومدت يدها للزهور.

قالت أمي: "لا.. لا. ستبعثرينها".

قالت ديلسي: "ستظل الزهور معك. وسأعطيه زهرة منها".

أعطتني زهرة وسحبت يدها بعيدًا.

قالت ديلسي: "هيا الآن، قبل أن تراكم كوينتن، وتذهب معكم أيضًا".

قالت أمي: "أين هي".

قالت ديلسي: "إنها تلعب مع لاستر أمام المنزل. هيا يا تي پي. وسر بالعربة الآن كما علمك روسكوس".

قال تي پي: "حاضر. هيا، يا كويني".

قالت أمي: "لا تتركي كوينتن".

قالت ديلسي: "لن أتركها طبعا".

قرقعت العربة وارتجت في طريقها. قالت أمي: "أنا خائفة من أن أذهب وأترك كوينتن. من الأفضل ألا أذهب، يا تي پي". مررنا من البوابة، حيث لم تقرقع من جديد. ضرب تي پي كويني بالسوط.

قالت أمي: "أنت، يا تي پي".

رد تي پي: "أفعل ذلك لكي تسير، وأنشطها إلى أن نعود للحظيرة".

قالت أمي: "عُد بنا. أنا خائفة من الذهاب وترك كوينتن".

رد تي پي: "لا يمكنني أن أستدير هنا". ثم أصبح الطريق أكثر اتساعًا.

"ألا يمكنك أن تستدير بها هنا". قالت أمي.

قال تي پي: "وهو كذلك". بدأنا في الاستدارة.

قالت أمي: "أنت، يا تي پي"، وهي متشبثة بي.

قال تي پي: "لا بد لي من أدير العربة على نحوٍ ما. هووووب، يا كويني". وتوقفنا.

قالت أمي: "سوف تقلب العربة بنا".

قال تي پي: "ما الذي تودين عمله، إذن".

قالت أمي: "أنا خائفة من محاولتك الاستدارة".

قال تي پي: "هيا، يا كويني". وواصلنا السير.

قالت أمي: "كل ما أخشاه أن تترك ديلسي كوينتن ليحدث لها شيءٌ ما، وأنا بالخارج. فعلينا الإسراع بالعودة".

قال تي پي: "هيا، يا كويني". وضرب المهرة بالسوط.

قالت أمي، وهي تتشبث بي: "أنت، يا تي پي". كنت أسمع وقع أقدام كويني، والأشكال البراقة تمضي على جانبي الطريق بسرعة وثبات، وتنساب ظلالها على ظَهر كويني. استمرت مثل الإطارات المعدنية اللامعة للعجلات. ثم توقف الأشكال عند المخفر الأبيض العالي حيث كان يقف الجندي. لكنها على الجانب الآخر تواصلت بسلاسة وثبات، وإن كان ذلك ببطءٍ ما.

قال جاسون: "ماذا تريدين". كان يضع يديه في جيبيه، وقلمًا خلف أذنه.

قالت أمي: "نحن في طريقنا إلى المقابر".

قال جاسون: "لا بأس. لن أعمل على إثنائك عن ذلك. إن كان ذلك هو كل ما تريدينه مني، أن تخبريني بذلك".

قالت أمي: "أعرف أنك لن تأتي. كنت سأشعر أكثر بالأمان لو أنك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أتيت".

قال جاسون: "أكثر أمانًا مِن ماذا، إن أبي وكوينتن لن يؤذياك".

وضعت أمي المنديل تحت وشاحها. قال جاسون "كُفي عن ذلك، يا أمي، هل تودين أن تجعلي هذا المعتوه اللعين يصرخ وسط الميدان. هيا، يا تي پي".

قال تي پي: "هيا يا كويني".

قالت أمي: "هذا قَدري. ولكني سأموت أيضًا، قريبًا".

قال جاسون: "هنا".

قال تي پي: "حاااه.. شي". وقال جاسون:

"إن خالي موري يعمل على سحب خمسين دولارًا من حسابك. فما الذي تودين عمله".

قالت أمي: "لماذا تسألني. لم تعد لي كلمة بعد. إنني أحاول ألا أزعجك أنت وديلسي. ولسوف أموت قريبًا، ثم تموت أنت".

قال جاسون: "هيا، يا تي پي".

قال تي پي: "هيا، يا كويني". انسابت الأشكال. وبدأت من جديد الأشكال على الجانب الآخر، براقة وسريعة وناعمة، مثلما حين كانت كادي تقول إننا سوف ننام.

إبكِ أيها الطفل، قال لاستر. ألا تخجل. ومررنا بالحظيرة. كانت مرابط الحيوانات جميعها مفتوحة. لن تحصل على مهر منقط لتركبه الآن، قال لاستر. كانت الارضية جافة ومتربة. والسقف يتساقط. وكانت الثقوب المائلة ممتلئة بلون أصفر دوّار. ما الذي تريده بالذهاب من هذا الطريق. هل تريد أن تطيح برأسك إحدى تلك الكرات؟

قالت كادي: "أبقِ يديك في جيبيك. وإلا تجمدتا. أنت لا تود أن تتجمد يداك في عيد الميلاد، أليس كذلك".

تجولنا في الحظيرة. كانت البقرة الكبيرة والصغيرة تقفان عند الباب، وكنا نسمع صوت الأحصنة برنس وكويني وفانسي وهي تضرب الأرض بحوافرها داخل الحظيرة. قالت كادي: "لو لم يكن الجو باردًا لكنا ركبنا فانسي. لكن الجو أبرد من أن نقوم بذلك". آنئذٍ، كنا نرى الترعة والدخان يتصاعد منها.

قالت كادي: "هذا هو المكان الذي يذبحون فيه الخنازير. يمكننا أن نعود إليه لنراهم". وذهبنا أسفل الهضبة.

قالت كادي: "هل تود أن تحمل الرسالة. يمكنك أن تحملها". أخرجت الرسالة من جيبها ووضعتها في جيبي. "إنها هدية عيد الميلاد". قالت كادي. "وخالي موري سيجعل منها مفاجأةً للسيدة باترسون. علينا أن نعطيها لها دون أن يعلم أحد بذلك. أبقِ يديكِ في جيوبك تمامًا، الآن". ووصلنا إلى الترعة.

"لقد تجمدت"، قالت كادي. وكسرت قطعة من الجليد من سطح الماء ووضعتها أمام وجهي، وقالت "انظر. ثلج. وهذا يوضح مدى برودة الطقس". ساعدتني في عبور الترعة وصعدنا إلى الهضبة. "حذار من أن تخبر ماما وبابا. هل تعلم ماذا أظن. أظن أنها مفاجأة لكل من ماما وبابا والسيد باترسون، لأن السيد باترسون أرسل إليك بعض الحلوى. هل تذكر عندما أرسل لك السيد باترسون بعض الحلوي في الصيف الماضي".

كان هناك سياج. كانت كرمة العنب جافة، والرياح تصفر فيها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت كادي: "لا أفهم السبب في أن خالي موري لم يرسل ڤيرش. فڤيرش لن يخبر أحدًا". كانت السيدة باترسون تطل من النافذة. وقالت كادي: "انتظر هنا. انتظر هنا، الآن. وسوف أعود بعد دقيقة. هات الرسالة". أخذت الرسالة من جيبي. "أبقِ يديك في جيبيك". تسلقت السياج، والرسالة في يدها، ومضت عبر حفيف الزهور البنية. أتت السيدة باترسون إلى الباب وفتحته، ووقفت هناك.

كان السيد باترسون يكسر الحطب بين الزهور الخضراء. توقف عن التكسير ونظر إلىّ. وأتت السيدة باترسون عبر الحديقة وهي تجري. عندما رأيت عينيها بدأت في البكاء. "أيها الأبله" ، قالت السيدة باترسون. "لقد أبلغته ألا يرسلك أبدًا وحدك مرةً أخرى. اعطها لي. بسرعة". أتي السيد باترسون مسرعًا ، وفي يده فأس. انحنت السيدة باترسون عبر السياج وهي تمد يدها. كانت تحاول أن تتسلق السياج. وقالت: "اعطها لي. هاتها. تسلق السيد باترسون السياج. أخذ الرسالة. علق فستان السيدة باترسون بالسياج. رأيت عينيها من جديد ، فجريت إلى أسفل الهضبة.

قال لاستر: "ليس هناك سوى المنازل. سوف نذهب للترعة".

كانوا يغسلون عند الترعة. كان أحدهم يغني. وكنت أشم رائحة الملابس وهي تُغسل، والدخان الذي يهب عبر الترعة.

قال لاستر: "اجلس هنا، لا شأن لك بهم هناك. فهؤلاء الناس ضربوك، ولا شك".

"ما الذي يريد أن يفعله"

قال لاستر: "هو لا يدري ما الذي يريد أن يفعل. يظن أنه يريد الذهاب إلى هناك، حيث يضربون الكرة. اجلس هنا، والعب بعشب

الداتورة. ولو كان لك أن تنظر إلى شيء، فانظر إلى هؤلاء الأطفال الذين يلعبون في الترعة. لم لا تتصرف مثل بقية الناس". جلست على الضفة، حيث كانوا يغسلون، والدخان يتصاعد أزرق.

قال لاستر: "هل رأيتم رُبع دولار هنا".

"أي رُبع؟"

قال لاستر: "الرُّبع الذي كان معي هنا هذا الصباح. لقد ضاع مني في مكانٍ ما. لقد سقط من هذا الثقب في جيبي. ولو لم أجده فلن أتمكن من الذهاب إلى السيرك الليلة".

"مِن أين حصلت على ربع الدولار يا ولد، هل أخذته من جيب أحد البيض في غفلة منه".

قال لاستر: "حصلتُ عليه من مكان التحصيل. هناك الكثير حيث جاء هذا الربع. وليس عليَّ سوى العثور على هذا الرُّبع. فهل وجدتموه".

"لن أبحث عن أي ربع. فلديَّ ما يشغلني".

قال لاستر: "تعال، وساعدني في البحث عنه".

"إنه لن يعرف ربع الدولار حتى لو رآه".

قال لاستر: "لكنه يمكن أن يساعدني في البحث. ولسوف تذهبون جميعًا الليلة إلى السيرك".

"لا تحدثني عن السيرك. فبعد أن انتهي من غسل هذا الطشت، لن يكون بإمكاني أن أرفع يدي- من التعب- لأفعل أي شيء".

قال لاستر: "أراهن أنك ستكون هناك. أراهن أنك كنت هناك الليلة الماضية. وأراهن أنكم ستكونون هناك عندما تنفتح الخيمة".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"سيكون هناك عدد كبير من الزنوج، بدوني. كما الليلة الماضية".

"إن نقود الزنوج جيدة مثل نقود البيض، في الواقع".

"إن البيض يعطون الزنوج النقود لأنهم يعرفون أن أول رجل أبيض يظهر مع فرقة سوف يستعيدها، ومن ثم سيذهب الزنجي للعمل من أجل المزيد من النقود".

"أليس هناك من يذهب بك إلى السيرك".

"ليس بعد. لم أفكر في الأمر، في الواقع".

"لماذا تتحامل على البيض؟"

"أنا لا أتحامل عليهم. فأنا أمضي في طريقي وأدع البيض يمضون في طريقهم. ولست مشغولاً بهذا السيرك".

"هناك رجل يمكنه أن يعزف أنغامًا على منشار. يعزفها كما لو على قيثارة".

قال لاستر: "أنت ذهبت هناك الليلة الماضية. وسوف أذهب الليلة لو وجدت ربع الدولار الذي ضاع مني".

"سوف تصطحبه معك إلى هناك، على ما أظن".

قال لاستر: "أنا! هل تظن أنني يمكن أن أتواجد معه في أي مكان، ما إن يبدأ في الصراخ".

"ما الذي تفعله عندما يبدأ في الصراخ".

قال لاستر: "أضربه بالسوط". ثم جلس وشمر بنطلونه. ولعبا في الترعة.

قال لاستر: "ألم تجد أية كرة بعد".

"ألست مغرورًا في كلامك. أفضل لك ألا تتحدث بهذه الطريقة أمام

جدتك".

توغل لاستر في الترعة، حيث كانوا يلعبون. كان يبحث في الماء، بمحاذاة الضفة.

قال لاستر: "كان معي عندما أتينا هنا في الصباح ".

"من أين ضاع منك؟"

قال لاستر: "من هذا الثقب في جيبي".

بحثا في الترعة. ثم سرعان ما انتصبوا وتوقفوا، ثم رشوا بعضهم بالماء وتعاركوا. التقطها لاستر، وجلسوا القرفصاء في الماء، وهم ينظرون إلى الهضبة عبر الشجيرات.

قال لاستر: "أين هم؟".

"ابتعدوا عن الأنظار الآن".

وضعها لاستر في جيبه. ثم أتوا من فوق التل.

"هل سقطت كرةٌ هنا؟"

"لا بد أنها سقطت في الماء. هل رأها أحدكم يا أولاد أو سمعها".

قال لاستر: "لم نسمع شيئًا يسقط هنا. سمعت شيئًا خبط في هذا الشجرة هناك. ألا تعرفون الاتجاه الذي سقطت فيه".

بحثوا في الترعة.

"اللعنة. ابحثوا في الترعة. لقد سقطت هنا. لقد رأيتها".

بحثوا في الترعة. ثم صعدوا أعلى الهضبة.

قال الصبي: "هل أخذت الكرة".

قال لاستر: "ما شأني بها. لم أر أية كرة".

نزل الصبي في الماء. واصل البحث. استدار ونظر إلى لاستر مرةً

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أخرى. ومضي في البحث في الترعة.

قال الرجل أعلى الهضبة: "أيها الكادي". خرج الصبي من الماء وصعد إلى أعلى الهضبة.

قال لاستر: "والآن، ليس لنا إلا أن نستمع إليك. اسكت".

"لماذا يبكي الآن؟"

قال لاستر: "لا أدري. إنه يبدأ على هذا النحو. وهو على هذا المنوال منذ الصباح. لأن اليوم عيد ميلاده، في الواقع".

"كم عمره؟"

قال لاستر: "ثلاثة وثلاثون عامًا. بلغ الثالثة والثلاثين صباح اليوم".

"هل تعني أن عمره ظل ثلاث سنوات لمدة ثلاثين عاما؟"

قال لاستر: "لا أدري. فأنا أنقل لك ما قالته أمي. فسوف نضع ثلاثة وثلاثين شمعة في كعكة، على أية حال. كعكة صغيرة. لن تتسع لكل هذه الشموع إلا بالكاد. اسكت. تعال هنا". أتى وأمسك بذراعي.

قال: "أيها الأبله العجوز، هل تريد أن أجلدك".

"لا أشك في أن تفعلها".

قال لاستر: "لقد فعلتُها. اسكت، الآن. ألم أقل لك أنك لا يمكنك أن تذهب هناك. فسيخبطون إحدى كراتهم برأسك ويطيحون بها. تعال، هنا". أعادني عنوة. "اجلس". جلست فخلع حذائي، وشمر بنطلوني. "الآن، انزل إلى الماء والعب، لنرى ان كنت ستكف عن هذه النهنهة وهذا اللعاب الذي يسيل من فمك".

سكت ونزلت في الماء « .... »

« .... » وأتى روسكوس وقال تعالوا للعشاء، فقالت كادي: لم يحن

بعد موعد العشاء، فلن أذهب.

كانت مبللة. كنا نلعب في الترعة وقرفصت كادي في الماء، وابتلت ملابسها، وقال ڤيرش:

"سوف تضربك أمك لأنك بللتِ فستانك".

قالت كادي "لن تفعل أي شيء من هذا القبيل".

قال كوينتن: "كيف عرفتِ".

قالت كادي: "هذا ما أعلمه تمامًا. فكيف تعرف أنت".

قال كوينتن: "هي قالت إنها فعلت ذلك. فضلاً عن أنني أكبر منك سنًّا".

قالت كادي: "أنا عمري سبع سنوات، وأظن أنني أعرف".

قال كوينتن: "أنا أكبر منك. وأذهب للمدرسة. أليس كذلك، يا ڤيرش؟".

قالت كادي: "سوف أذهب إلى المدرسة العام القادم. عندما تفتح أبوابها. أليس كذلك، يا ڤيرش؟".

قال ڤيرش: "أنت تعلمين أنها تضربك عندما تبللين ملابسك".

قالت كادي: "إنها ليست مبتلة". وقفت في الماء ونظرت إلى فستانها. "سوف أخلعه"، قالت. "آنئذٍ، سيجف".

قال كوينتن: "لن تخلعيه بالتأكيد".

قالت كادي: "بل سوف أخلعه".

قال كوينتن: "الأفضل ألا تخلعيه".

أتت كادي وأدارت ظهرها لي ولڤيرش.

قالت: "فك الأزرار، يا ڤيرش".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال كوينتن: "لا تفعل ذلك، يا ڤيرش".

قال ڤيرش: "ليست ملابسي لأفكها".

قالت كادي: "فك الأزرار، يا ڤيرش. وإلا أبلغت ديلسي بما فعلته أمس". هكذا فك ڤيرش الأزرار.

قال كوينتن "إياكِ أن تخلعي فستانك". خلعت كادي فستانها وطرحته على الضفة. ولم تعد ترتدي غير قميصها وسروالها، وصفعها كوينتن فانزلقت ووقعت في الماء. حين وقفت راحت ترش الماء على كوينتن، ويرش كوينتن الماء على كادي. تساقط بعض الرذاذ عليَّ وعلى ڤيرش، فأخرجني ڤيرش إلى ضفة الترعة. قال إنه سيشي بكادي وكوينتن، فبدأ كوينتن وكادي في رش الماء على ڤيرش. فاختبأ خلف إحدى الأجمات.

قال ڤيرش: "سوف أبلغ ماما بما تفعلونه كلكم".

صعد كوينتن إلى الضفة وحاول الإمساك بڤيرش، لكنه فر ولم يتمكن كوينتن من الإمساك به. حين عاد كوينتن، وقف ڤيرش وصاح بأعلى صوته بأنه سوف يشي بهم. قالت له كادي إنه إذا لم يبلغ ماما، فسوف يسمحان له بالعودة. فقال ڤيرش إنه لن يبلغ ماما، وتركاه يعود.

قال كوينتن: "أظن الآن أنك راضية. فسنُجلد نحن الاثنين الآن".

قالت كادي: "لا يهمني. فسوف أهرب".

قال كوينتن: "أجل ستهربين".

قالت كادي: "سوف أهرب ولن أعود أبدًا". بدأت في البكاء.

استدارت كادي، وقالت: "اسكت"، فسكت. بعدها لعبا في الترعة. كان جاسون يلعب أيضًا. وحده في الترعة في مكان بعيد منها. أتى ڤيرش من خلف الأجمة وأنزلني في الماء مرةً أخرى. كانت مؤخرة كادي مبلولة

تمامًا ومطينة، وشرعت في البكاء، وأتت وجلست في الماء. قالت: "اسكت الآن. فلن أهرب". سكت. كانت رائحة كادي كرائحة الأشجار عندما تمطر السماء.

قال لاستر: ماذا دهاك. ألا تكف عن ذلك الأنين، وتلعب في الترعة مثل بقية الناس.

لماذا لا تصحبه إلى المنزل. ألم يقولوا لك ألا تخرجه إلى أي مكان.

قال لاستر: إنه ما يزال يظن أنهم يمتلكون هذا المرعى. لا يمكن لأحد أن يرى هذا المكان من المنزل، بأية حال. يمكننا ذلك. كما أن الناس لا يحبون النظر إلى معتوه. فهم لا يستبشرون به خيرًا.

جاء روسكوس وقال إنه أتى من أجل العشاء، فقالت كادي إن وقت العشاء لم يحن بعد.

قال روسكوس: "بل حان. وديلسي تطلب منكم جميعًا أن تجيئوا إلى المنزل. هاتهم يا ڤيرش". وصعد إلى الهضبة، حيث كانت البقرة تخور.

قال كوينتن: "ربما تكون ملابسنا قد جفت مع وصولنا للمنزل".

قالت كادي: "إنها غلطتك. أتمنى ألا نتعرض للجَلد". ارتدت ثوبها وزرر لها ڤيرش الأزرار.

قال ڤيرش: "لن يعرفوا أنكم بللتم ملابسكم. لا يبين عليكم. إلا إذا وشيت بكم أنا أو جاسون".

قالت كادي: "هل ستشي، يا جاسون".

قال جاسون: "أشي بِمَن".

قال كوينتن: "لن يشي بكم. هل ستشي بهم يا جاسون".

قالت كادي: "أنا متأكدة أنه سيشي بنا. سيشي لجدتي".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال كوينتن: "لا يمكنه أن يشي لها. فهي مريضة. وإذا سرنا ببطء فسوف يحل الظلام تمامًا ولن يتمكنوا من رؤيتنا".

قالت كادي: "لا يهمني إن كانوا سيرون أم لا. وسوف أبلغهم بنفسي. احمله إلى الهضبة، يا ڤيرش".

قال كوينتن: "لن يشي بنا جاسون. أتذكر السهم والقوس اللذين صنعتهما لك، يا جاسون".

قال جاسون: "هما مكسوران الآن".

قالت كادي: "فليبلغهم. لا يهمني. فلتحمل موري إلى الهضبة، يا ڤيرش". جلس ڤيرش القرفصاء، وركبت على ظهره.

قال لاستر: نراكم الليلة جميعًا في السيرك. هيا بنا. فعلينا أن نعثر على ربع الدولار الضائع.

قال كوينتن: "إذا ما سرنا ببطء، فسوف يكون الظلام قد حل عند وصولنا هناك".

قالت كادي: "لن أسير ببطء". ذهبنا إلى أعلى الهضبة، لكن كوينتن لم يأت. كان في الترعة عندما وصلنا إلى المكان الذي يمكننا فيه أن نشم رائحة الخنازير. كانت الخنازير تنخر وتشمشم في المذود الواقع في الركن. لحق بنا جاسون، ويداه في جيبيه. وكان روسكوس يحلب البقرة عند باب الحظيرة.

أتت البقرات من الحظيرة وهي تتقافز.

قال تي پي: "استمر. اصرخ من جديد. أنا نفسي سأصرخ. يوووي". ركل كوينتن تي پي من جديد. ركله إلى المذود الذي كانت الخنازير تأكل فيه، ورقد تي پي في المذود. قال تي پي: "ملعوبة. ألم يوقعني. أرأيت كيف

ركلني الرجل الأبيض هذه المرة. يوووي".

لم أكن أبكي، لكني لم أتمكن من التوقف. لم أكن أبكي، لكن الأرض لم تكن ثابتة، ومن ثم كنت أبكي. واصلت الأرض الانحدار، وركضت البقرة أعلى الهضبة. حاول تي پي أن ينهض. لكنه سقط مرةً أخرى، وركضت البقرات أسفل الهضبة. أمسك كوينتن بذراعي، ومضينا نحو الحظيرة. آنئذٍ، لم تكن الحظيرة موجودة، وكان علينا الانتظار إلى أن تعود. لم أرها تعود. أتت في أعقابنا، وأجلسني كوينتن في المذود الذي كانت البقرات تأكل فيه. تشبثتُ بالمذود. كان هو أيضًا يبتعد، وتشبثتُ به. ركضت البقرات أسفل الهضبة، عبر الباب. ولم أستطع التوقف. جاء كوينتن وتي پي أعلى الهضبة، يتعاركان. كان تي پي يهوي أسفل الهضبة وجرجره كوينتن إلى أعلى الهضبة. ضرب كوينتن تي پي. ولم أستطع التوقف.

قال كوينتن: "قِف. ابق هنا. لا تبتعد إلى أن أعود".

قال تي پي: "سنعود أنا وبنچي إلى العُرس. يوووي".

ضرب كوينتن تي پي من جديد. ثم بدأ في خبطه في الحائط، وتي پي يضحك. وكل مرة كان يخبطه في الحائط كان يحاول أن يقول يوووي، لكن لم يكن ليستطيع من شدة الضحك. كففتُ عن البكاء، لكني لم أتمكن من التوقف. سقط تي پي فوقي واختفي باب الحظيرة. لقد ذهب أسفل الهضبة، وكان تي پي يدافع عن نفسه، وسقط من جديد. كان لا يزال يضحك، ولم أتمكن من التوقف، وحاولت النهوض ولكني سقطت، ولم أتمكن من التوقف. وقال ڤيرش:

"من المؤكد أنك فعلتها الآن. بالتأكيد فعلتها. كف عن هذا البكاء".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان تي پي لا يزال يضحك. ارتمى على الباب وضحك. "يووي" قال. "سنعود أنا وبنچي إلى العُرس".

قال ڤيرش: "هُس. من أين حصلت عليه؟"

قال تي پي: "من القبو. يووي".

قال ڤيرش: "هس. من أي مكان في القبو؟"

قال تي پي: "في كل مكان". وواصل الضحك. "هناك أكثر من مئة زجاجة. هناك أكثر من مليون. انظر، أيها الزنجي، فسأصرخ".

قال كوينتن: "ارفعه".

رفعني ڤيرش.

قال كوينتن: "اشرب هذه يا بنچي". كانت الزجاجة ساخنة.

قال كوينتن: "اسكت، الآن. اشربها".

قال تي پي: "دعني أشربه أنا، يا سيد كوينتن".

قال ڤيرش: "اخرس. وإلا مزقك السيد كوينتن".

قال كوينتن: "امسكه، يا ڤيرش".

أمسكوا بي. كان شيء ساخن ينسكب على ذقني وقميصي. قال كوينتن: "اشرب". أمسكوا برأسي. وشعرت بالسخونة داخلي، وبدأت من جديد. كنت أصرخ الآن، وشيءٌ ما يحدث في جوفي فزاد بكائي، وأمسكوا بي إلى أن توقف ذلك عن الحدوث. بعدها سكت. كانت الأشياء تدور حولي، ثم بدأت الأشكال في الظهور. افتح الكوخ، يا ڤيرش. كانوا يمضون ببطء. "افرش هذه الأجولة الفارغة على الأرض". كانوا يسرعون، يسرعون بما فيه الكفاية تقريبًا. "والآن، ارفع قدميه". ومضوا، بسلاسة وبشاشة. وكنت أسمع صوت تي پي وهو يضحك.

ومضيت معهم، إلى اعلى الهضبة الساطعة.

وضعني ڤيرش على قمة الهضبة. ونادى: "تعال هنا، يا كوينتن"، وهو ينظر إلى أسفل الهضبة. كان كوينتن لا يزال واقفًا هناك بجانب الترعة. كان يتقيأ في الظل بجانب الترعة.

قالت كادي: "دعوا هذا التافه يبقى هناك". وأمسكت بيدي ومضينا فتخطينا الحظيرة، ثم عبرنا البوابة. كان هناك ضفدع على الممشى القرميد، جالسًا القرفصاء في منتصفه. تخطته كادي وساعدتني على تخطيه.

قالت: "هيا، يا موري". كان الضفدع ما يزال جالسًا هناك حتى نخسه جاسون بإصبع قدمه.

قال ڤيرش: "سيتسبب لك في طفح جلدي". قفز الضفدع بعيدًا.

قالت كادي: "هيا، يا موري".

قال ڤيرش: "لديهم ضيوف الليلة".

سألته كادي: "كيف عرفت؟"

أجاب ڤيرش: "من كل هذه الأنوار المضاءة. فالضوء في كل شباك".

قالت كادي: "أظن أن من الممكن أن نضيء كافة الأنوار دون أن يكون هناك ضيوف، متى شئنا ذلك".

قال ڤيرش: "أؤكد لك أن هناك ضيوفًا. من الأفضل أن تتسللوا من الخلف وتنسلوا من السلالم".

قالت كادي: "لا يهمني ذلك. سأذهب مباشرةً إلى غرفة الجلوس التي يجلسون فيها".

قال ڤيرش: "لا أشك في أن والدك سيجلدك لو فعلتِ ذلك".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت كادي: "لا يهمني. سأدخل مباشرةً إلى غرفة الجلوس. وسأمضي مباشرةً إلى غرفة الطعام، وأتناول العشاء".

قال ڤيرش: "أين إذن ستجلسين؟"

قالت كادي: "في مقعد جدتي. فهي تتناول طعامها في السرير".

قال جاسون: "أنا جائع". سبقنا وجرى على المشى. كانت يداه في جيبيه، وسقط على الأرض. ذهب إليه ڤيرش وساعده في النهوض.

قال له ڤيرش: "لو أخرجت يديك من جيبيك، فسيمكنك الوقوف ثابتًا على قدميك. ألا يمكنك أن تخرجهما حتى تتفادى السقوط، خاصةً وأنك بدين".

كان أبي واقفًا عند سلم المطبخ.

قال: "أين كوينتن؟"

قال ڤيرش: "قادمٌ على المشى". كان كوينتن قادمًا ببطء، وقميصه الأبيض متسخ.

قال أبي: "ياه!". سقط عليه الضوء عند الدرج.

قال جاسون: "رش كادي وكوينتن الماء على بعضهما البعض".

انتظرنا.

قال أبي: "هل فعلا ذلك؟". جاء كوينتن، فقال أبي:

"يمكنكم أن تتناولوا عشاءكم الليلة في المطبخ". انحنى عليَّ وحملني، وسقط الضوء عليَّ أيضًا عند السُّلَّم، وكنت أنظر من أعلى إلى كادي وجاسون وكوينتن و ڤيرش. اتجه أبي إلى السُّلَّم. وقال: "عليكم التزام الهدوء".

قالت كادي: "لماذا نلتزم الهدوء، يا أبي. هل عندنا ضيوف؟"

قال أبي: "نعم".

قال ڤيرش: "ألم أقل لكم إن عندهم ضيوفًا؟".

قالت كادي: "لا لم تقُل. أنا مَن قالت إن هناك ضيوفًا. وقلت سوف".

قال أبي: "اسكتوا". سكتوا، وفتح أبي الباب، وعبرنا الشرفة الخلفية ودخلنا المطبخ. كانت ديلسي في المطبخ، وأجلسني والدي على الكرسي وربط لي المريلة، ووضع جزءًا منها على حافة المائدة حيث كان العشاء. كانت الأبخرة تتصاعد.

قال أبي: "الآن، عليكم بطاعة ديلسي. فلا تجعليهم يصدرون أية ضوضاء أخرى قدر الإمكان، يا ديلسي".

قالت ديلسي: "حاضر، يا سيدي". وابتعد أبي.

"تذكروا.. عليكم بطاعة ديلسي"، قال من ورائنا. ملت بوجهي على الطعام. كانت الأبخرة تتصاعد إلى وجهي.

قالت كادي: "قل لهم أن يطيعوني الليلة يا أبي".

قال جاسون: "لن أطيعك. سوف أطيع ديلسي".

قالت كادي: "ينبغي أن تطيعني لو قال أبي ذلك. قل لهم أن يطيعوني يا أبي".

قال جاسون: "لن أفعل ذلك. لن أطيعك".

قال أبي: "اسكتوا. أطيعوا كادي، إذن. ديلسي، بعد أن ينتهوا من عشائهم، اصعدي بهم من السُّلّم الخلفي".

قالت ديلسي: "حاضر، يا سيدي".

قالت كادي: "أرأيتم. أظن أن عليكم أن تطيعوني".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت ديلسي: "اسكتوا الآن جميعًا. عليكم التزام الهدوء الليلة".

همست كادي: "لماذا نلتزم الهدوء الليلة؟"

قالت ديلسي: "لا تهتمي. فسوف تعلمين عندما يشاء الله ذلك". أحضرت طبقي. كان البخار يتصاعد منه ويلسع وجهي. وقالت ديلسي: "تعال هنا، يا ڤيرش".

قالت كادي: "ومتي يشاء الله، يا ديلسي"

قال كوينتن: "يوم الأحد. ألا تعرفين شيئًا".

قالت ديلسي: "هُس. ألم يقل لكم السيد جاسون أن تلتزموا جميعًا الهدوء. تناولوا عشاءكم، الآن. هات ملعقته، يا ڤيرش". جاءت يد ڤيرش بالملعقة إلى الطبق. وارتفعت الملعقة إلى فمي. كان البخار يدغدغ فمي. بعدها توقفنا عن الأكل، ونظر كل منا للآخر، وكنا هادئين، ثم سمعنا صوتًا مرةً أخرى وبدأت أبكي.

قالت كادي: "ما هذا". وضعت يدها على يدي.

قال كوينتن: "إنها أمي". وارتفعت الملعقة إلى فمي وأكلت، ثم بكيت مرة أخرى.

قالت كادي: "اسكت". لكني لم أسكت، وأتت وأحاطتني بذراعيها. ذهبت ديلسي وأغلقت البابين، وبعدها لم نعد نسمع الصوت.

قالت كادي: "اسكت، الآن". سكتُّ وأكلت. لم يكن كوينتن يأكل، لكن جاسون كان يأكل.

قال كوينتن: "إنها أمي". ونهض.

قالت ديلسي: "اجلس الآن. فعندهم ضيوف هناك، وأنت ملابسك متسخة بالطين. وأنتِ- يا كادي- اجلسي أيضًا وانتهي من طعامك".

قال كوينتن: "كانت تبكي".

قالت كادي: "كان شخصٌ ما يغني. أليس كذلك، يا ديلسي".

قالت ديلسي: "عليكم جميعًا الانتهاء من عشائكم، الآن، كما قال السيد جاسون. وسوف تعرفون عندما يشاء الله ذلك". وعادت كادي إلى كرسيها.

قالت: "ألم أقل لكم إنه حفل".

قال ڤيرش: "لقد أكل الطعام كله".

قالت ديلسي: "هات طبقه هنا". وابتعد الطبق عني.

قالت كادي: "كوينتن لا يتناول عشاءه، يا ديلسي. أليس عليه أن يطيعني".

قالت ديلسي: "تناول عشاءك، يا كوينتن. عليكم أن تفرغوا جميعًا من العشاء، وتغادروا مطبخي".

قال كوينتن "لا أريد مزيدًا من العشاء".

قالت كادي: "عليك بالأكل إن قلت لك ذلك. أليس كذلك، يا دلسي". كان الطبق يصاعد البخار إلى وجهي، ويد ڤيرش تغوص بالملعقة فيه، والبخار يدغدغ فمي.

قال كوينتن: "لا أريد المزيد. كيف يقيمون حفلاً وجدتي مريضة".

قالت كادي: "سوف يقيمونها أسفل السُّلّم. ويمكنها أن تأتي إلى العتبة وتشاهدها. هذا ما سأقوم به عندما أرتدي ملابس النوم".

قال كوينتن: "كانت أمي تبكي. ألم تكن تبكي، يا ديلسي".

قالت ديلسي: "لا تزعجني بأسئلتك الكثيرة، يا ولد. فعليَّ أن أُعد العشاء لهؤلاء الناس بعد أن تنتهوا من تناول طعامكم".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بعد قليل انتهي حتى جاسون من طعامه، وبدأ يبكي.

قالت ديلسي: "فلتهمد الآن".

قالت كادي: "إنه يبكي كل ليلة منذ أن مرضت جدتي، ولم يعد بإمكانه أن ينام معها في الفراش. إبكِ، أيها الطفل".

وقال جاسون: "سوف أشي بكم".

كان يبكي. قالت كادي: "لقد وشيت بنا بالفعل. ولم يعد هناك ما يمكنك قوله، الآن".

قالت ديلسي: "عليكم جميعًا أن تذهبوا إلى الفراش". أتت وأنزلتني، ومسحت وجهي ويدي بقطعة قماش ساخنة. قالت: "ڤيرش، هل يمكنك أن تصحبهم عبر الشرفة الخلفية بهدوء. وأنت، يا جاسون، كُف عن هذا البكاء".

قالت كادي: "إن الوقت مبكر للذهاب للفراش الآن. لم نذهب أبدًا إلى الفراش في مثل هذا الوقت المبكر".

قالت ديلسي: "ستفعلون ذلك الليلة. فقد أمركم أبوكم بأن تتوجهوا للفراش بعد تناول العشاء. لقد سمعتموه".

قالت كادي: "لقد قال إن عليهم أن يطيعوني".

قال جاسون: "لن أطيعك".

قالت كادي: "بل عليكَ أن تطيعني. هيا، عليك أن تفعل ما أقوله لك".

قالت ديلسي: "دعهم يلتزموا الهدوء، يا ڤيرش. عليكم جميعًا أن تلزموا الهدوء، أليس كذلك".

سألتها كادي: "لم يتعين علينا أن نلتزم الهدوء، الليلة"

قالت ديلسي: "أمك مريضة. وعليكم كلكم أن تذهبوا مع ڤيرش، الآن".

قال كوينتن: "قلت لكم إن أمي كانت تبكي". حملني ڤيرش وفتح الباب المفضي إلى الشرفة الخلفية. خرجنا، وأغلق ڤيرش الباب، فأصبح المكان مظلمًا. كنت أشم رائحة ڤيرش وأحس به. "الآن، عليكم جميعًا أن تلتزموا الهدوء. ثم نصعد إلى الطابق العلوي كما قال السيد جاسون. لقد قال إن عليكم أن تطيعوني. لن أطيعك. ولكنه قال لنا جميعًا أن نفعل ذلك. أليس كذلك، يا كوينتن". كنت أشعر برأس ڤيرش. وكان بوسعي أن أسمع صوتنا. ألم يقل ذلك، يا ڤيرش. أجل. هذا صحيح. عندئذ قلتُ إن علينا أن نخرج لبعض الوقت. هيا". فتح ڤيرش الباب وخرجنا.

نزلنا على السُّلّم.

قالت كادي: "من الأفضل أن نذهب إلى منزل ڤيرش، وبذلك نلتزم الهدوء". أنزلني ڤيرش، وأخذت كادي بيدي ونزلنا إلى الممشى القرميد.

قالت كادي: "هيا. لقد ذهب ذلك الضفدع. نط إلى داخل الحديقة الآن. ربما سنرى ضفدعًا آخر". جاء رسكوس بأوعية اللبن. ومضي. لم يأت كوينتن معنا. كان يجلس على سُلّم المطبخ. ومضينا إلى منزل ڤيرش. كنت أحب رائحة منزل ڤيرش. ***كان بالمنزل مدفأة، وكان تي پي يجلس القرفصاء على ذيل قميصه أمامها، يزودها بالحطب فتتوهج.***

بعد ذلك، نهضت وألبسني تي پي ملابسي، وذهبنا إلى المطبخ وأكلنا. كانت ديلسي تغني، وشرعت في البكاء فتوقفت.

قالت ديلسي "أخرجه من المنزل، الآن".

قال تي پي: "لا يمكننا أن نمضي في هذا الطريق".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لعبنا في الترعة.

قال تي پي: "لا يمكننا الذهاب إلى هناك. ألا تعلم أن ماما قالت إننا لا يمكننا".

كانت ديلسي تغني في المطبخ، وبدأت في البكاء.

قال تي پي: "اسكت. تعال نذهب إلى الحظيرة". كان روسكوس يحلب البقرة في الحظيرة. كان يحلبها بيد واحدة، ويئن من الألم. وكانت بعض الطيور قد حطت على باب الحظيرة وهي ترقبه. حط أحدها وأكل مع البقر. كنت أنظر إلى لبن روسكوس، فيما كان تي پي يُطعم كويني وبرينس. وكان العجل في حظيرة الخنازير. كان يصرخ ويحك أنفه في السلك.

نادى روسكوس: "يا تي بي". رد عليه من داخل الحظيرة: "نعم، يا سيدي". رفعت المهرة فانسي رأسها فوق الباب، لأن تي پي لم يطعمها بعد. قال روسكوس: "انتهِ من عملك بسرعة، وتعال لتحلب. فلم أعد أستطيع استخدام يدي اليمنى".

أتي تي پي وحلب البقرة.

قال: "ألا يمكنك الذهاب إلى طبيب"

رد روسكوس: "لا فائدة من الأطباء في هذا المكان".

قال تي پي: "وما العيب في هذا المكان"

قال روسكوس: "هذا المكان مشئوم. أدخل العجل هنا بعد أن تنتهي من الحلب".

قال روسكوس: هذا المكان مشئوم. ارتفعت النار وهبطت وراءه هو وڤيرش، منعكسةً على وجهه ووجه ڤيرش. انتهت ديلسي من وضعي في

الفراش. كانت رائحة الفراش مثل رائحة تي پي. وأحببتها.

قالت ديلسي: "ماذا تعرف عنها. أية رؤيا كنت فيها".

قال روسكوس: "لا لزوم لأية رؤيا. أليست علامة ذلك راقدة في هذا الفراش. ألم تكن تلك علامة للناس ليروا منذ خمسة عشر عامًا".

قالت ديلسي: "فلنفرض ذلك. فلا ضرر من ذلك عليك أو على ذويك. فثيرش يعمل، وفروني تزوجت وخف حملها عنك، وتي پي كبر بما يكفي ليحل محلك عندما يُعجزك الروماتزم".

قال روسكوس: "هناك علامتان، الآن. وسوف تكون هناك واحدة أخرى. لقد رأيت العلامة، وأنتِ أيضًا".

قال تي پي: "سمعت صوت بومة هذه الليلة. فلن يأتي دان ويتناول عشاءه أيضًا. ولم يقترب من الحظيرة أيضًا. وبدأ في النواح بعدما حل الليل. وقد سمعه ثيرش".

قالت ديلسي: "سوف يرحل أكثر من واحد. أرني إنسانا لن يموت، تبارك يسوع".

قال روسكوس: "الموت ليس نهاية المطاف".

قالت ديلسي: "أعرف ما يدور بذهنك. ولن يجلب الحظ أن تتفوه بهذا الاسم، اللهم إلا إذا كنت ستجلس معه، عندما يبكي".

قال روسكوس: "هذا مكان مشئوم. لقد تبيت ذلك في البداية، لكن عندما غيروا اسمه عرفته".

قالت ديلسي: "اسكت". فردت عليَّ الأغطية. كانت رائحتها مثل رائحة تي پي. أضافت: "اسكتوا كلكم، الآن، إلى أن ينام".

قال روسكوس: "لقد رأيت العلامة".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت ديلسي: "علامة على أن تي پي سوف يقوم عنك بكل العمل".

خذه- يا تي پي- هو وكوينتن إلى المنزل واتركهما يلعبان مع لاستر، حيث يمكن لفروني أن تراقبهما، واذهب لتساعد والدك.

انتهينا من الأكل. حمل تي پي كوينتن ومضينا إلى منزل تي پي. كان لاستر يلعب في التراب. أنزل تي پي كوينتن ولعبت هي أيضًا بالتراب. كانت لدى لاستر عدة بكرات، وتعارك هو وكوينتن، وأخذت كوينتن البكرات. بكى لاستر، وأتت فروني وأعطته علبة من الصفيح ليلعب بها، ثم أخذتُ البكرات، فتعاركت معي كوينتن، فبكيت. قالت فروني "اسكت. ألا تخجل من نفسك. هل من اللائق أن تأخذ لعبة طفلة". أخذت البكرات مني وأعادتها إلى كوينتن.

قالت فروني: "اخرس، الآن. أقول لك اخرس. أنت تستحق الجَلْد، هذا ما تستحقه". حملت لاستر وكوينتن. قالت: "تعال هنا". ذهبنا إلى الحظيرة. كان تي پي يحلب البقرة. وروسكوس يجلس على صندوق.

قال روسكوس: "ما به، الآن".

قالت فروني: "أبقه هنا. إنه يتعارك مع هؤلاء الأطفال من جديد. يأخذ لُعبهم. ابق مع تي پي الآن، لنرى إن كان يمكن أن تصمت لبرهة".

قال روسكوس: "نظف هذا الضرع الآن تمامًا. لقد حلبت تلك البقرة الفتية العام الماضي حتى الجفاف. فإذا ما حلبت هذه البقرة حتى الجفاف، فلن تُدر لبنًا مرةً أخرى".

كانت ديلسي تغني.

قال تي پي: "لا إلى هناك. ألا تعلم أن ماما قالت إننا لا يمكننا أن نذهب إلى هناك".

كانوا يغنون.

قال تي پي: "هيا. فلنلعب مع كوينتن ولاستر. هيا".

كانت كوينتن ولاستر يلعبان في التراب أمام منزل تي پي. كانت هناك مدفأة في المنزل، تصّاعد وتخبو، وروسكوس يجلس في سواده أمامها.

قال روسكوس: "هذه الثالثة، حمدا لله. لقد أخبرتكم منذ عامين. إن هذا المكان مشئوم".

قالت ديلسي: "لماذا لا تتركه، إذن؟". كانت تخلع ثيابي. "إن حديثك عن الشؤم جعل ڤيرش يفكر في ممفيس. كان يتعين أن يكفيك ذلك".

قال روسكوس: "لو كان ذلك هو كل الشؤم الذي يحيق بڤيرش".

دخلت فروني.

قالت ديلسي: "هل انتهيتم كلكم"

قالت فروني: "إن تي پي بسبيله للانتهاء من عمله. والسيدة كارولين تريد أن تضعي كوينتن في فراشها".

قالت ديلسي: "سآتي بأسرع ما يمكن. عليها أن تعلم أنني لا أملك أجنحة".

قال روسكوس: "هذا ما أقوله لك. مشئومٌ المكان الذي لا يتفوه فيه أحد أبدًا باسم أحد أطفالهم".

قالت ديلسي: "اسكت. هل تود له أن يبدأ".

قال روسكوس: "يربون طفلة لا تعرف حتى اسم أمها".

قالت ديلسي: "لا تشغل بالك بها. لقد ربيتهم جميعًا، ويمكنني أن أربي طفلة أخرى. اسكت، الآن. دعه ينام إن كان سينام".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت فروني: "لقد نطق باسم، وهو لا يعرف اسم أحد".

قالت ديلسي: "قولي له اسما وانظري إن كان لا يعرفه. قوليه له وهو نائم، وأراهنك أنه يسمعك".

قال روسكوس "إنه يعرف أكثر مما يظن الكثيرون. إنه يعلم أن ساعتهم قد أزفت مثل عقارب الساعة. ويمكنه أن يقول لك- لو كان يستطيع الكلام- متي تحين ساعته، أو ساعتك، أو ساعتي".

قالت فروني: "انقلي لاستر من هذا السرير، يا ماما. فهذا الطفل سوف يسحره".

قالت ديلسي: "اسكتي. هلا كنت أكثر عقلاً من ذلك. لماذا تستمعين إلى روسكوس. هيا إلى الفراش، يا بنچي".

دفعتني ديلسي وصعدت إلى الفراش، حيث كان لاستر راقدًا. وضعت ديلسي عصا طويلة من الخشب بين لاستر وبيني. وقالت: "الزم جانبك الآن. لاستر صغير، وأنت لاتود أن تلحق به أذى".

قال تي پي "انتظر، لا يمكنك الذهاب الآن".

ونظرنا عبر ركن المنزل وشاهدنا العربات وهي تبتعد.

قال تي پي: "الآن". حمل كوينتن وجرينا إلى ركن السياج، وراقبناهم وهم يمرون.

قال تي پي: "ها هو يذهب. هل ترى تلك التي يوجد بها زجاج. انظر إليه. إنه يرقد فيها. هل تراه".

قال لاستر: هيا، سوف آخذ تلك الكرة إلى المنزل، فلا أريد أن تضيع مني. لا، يا سيدي، لا يمكنك أن تأخذها. فلو رآك هؤلاء الرجال لقالوا إنك سرقتها. اسكت، الآن. لا يمكنك أن تأخذها. ما فائدتها لك.

فأنت لا تلعب الكرة.

كانت فروني وتي پي يلعبان في التراب بالقرب من الباب. كان مع تي پي زجاجة بها حشرات الحباحب المضيئة.

قالت فروني: "كيف خرجتم جميعًا؟"

قالت كادي: "لدينا ضيوف. وقال أبي إن عليهم أن يطيعوني الليلة. وأنتظر منك ومن تي پي أن تطيعاني أيضًا".

قال جاسون: "لن أطيعك. وليس على فروني وتي پي أيضًا أن يطيعاك".

قالت كادي: "سوف يطيعاني لو قلت لهما ذلك. ولكن ربما لن أقول ذلك لهما".

قالت فروني: "إن تي پي لا يطيع أحدًا. هل بدأوا الجنازة".

قال جاسون: "أية جنازة؟"

قال ڤيرش: "ألم تقل لك ماما ألا تقولي لهم".

قالت فروني: "حيث ينوحون. لقد ناحوا على الأخت بيولاه كلاي".

كانوا ينوحون في منزل ديلسي. وكانت ديلسي تنوح. وعندما ناحت ديلسي، قال لاستر اصمتوا، وصمتنا، فشرعت في البكاء، وعوى "بلو" تحت سلم المطبخ. ثم توقفت ديلسي عن البكاء وتوقفنا.

قالت كادي: "آه، هذا دأب الزنوج. فالبيض لا يقيمون جنازات".

قال ڤيرش: "ماما قالت لنا ألا نخبرهم، يافروني".

سألته كادي: "تخبروهم بماذا؟"

كانت ديلسي تنوح، وعندما قدمتُ للمكان بدأتُ أبكي، وكان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الكلب "بلو" يعوي تحت السُّلّم. قالت فروني من الشباك: خذهم يا لاستر إلى الحظيرة. لا يمكنني أن أطبخ وسط كل هذا الضجيج. وهذا الكلب أيضًا. خذهم جميعًا إلى الخارج.

قال لاستر: لن أذهب إلى هناك. قد أقابل أبي هناك. لقد رأيته ليلة أمس، وكان يلوح بذراعيه في الحظيرة.

قالت فروني: "أود أن أعرف لم لا. فالبيض يموتون أيضًا. وجدتك ماتت مثلما يموت أي زنجي، كما أظن".

قالت كادي: "والكلاب تموت. وعندما سقطت الكلبة نانسي في الحفرة، أطلق روسكوس عليها الرصاص، وأتت النسور وجردتها من ثيابها".

برزت العظام مصقولة من الحفرة، حيث كانت الكروم الداكنة في الحفرة السوداء، نحو ضوء القمر، مثل بعض الأشكال التي توقفت. ثم توقف كل شيء، وحل الظلام. وحين توقفت لأبدأ من جديد، كنت أسمع أمي، ووقع أقدام تمضي مسرعة بعيدًا، وكنت أشم رائحتها. ثم جاءت الغرفة، لكن عينَيَّ أُغمضتا. لم أتوقف. كنت أشم رائحتها. وكان تي پي يحل ملابس النوم.

قال: "هس.هسسسس".

لكني كنت أشمها. رفعني تي پي، وألبسني ثيابي بسرعة.

قال تي پي: "اسكت، يا بنچي. سوف نذهب إلى منزلنا. هل تريد أن نذهب إلى منزلنا، عند فروني. هس سسسس".

ربط حذائي وألبسني قبعتي وخرجنا. كان هناك ضوء في الصالة. عبر الصالة كان بإمكاننا أن نسمع صوت أمي.

قال تي پي: "هسسسس، بنچي. سنخرج خلال دقيقة". انفتح باب، وكنت أشم الرائحة أكثر من أي وقت مضى، وبرزت رأس. لم تكن رأس أبي. أبي كان مريضًا هناك.

ـ "هل يمكنك أن تخرج به من المنزل؟"

قال تي پي: "هذا ما نقوم به". وصعدت ديلسي السُّلّم.

قالت: "اسكتوا. اسكتوا. خذه إلى خارج البيت، يا تي پي. فروني تعد سريرًا له. عليكم جميعًا أن تعتنوا به الآن. اسكت، يا بنچي، واذهب مع تي پي".

مضت إلى حيث كنا نسمع صوت أمي.

"من الأفضل أن تبقيه هناك". لم يكن أبي. أغلق الباب، لكني كنت لا أزال أشم رائحته.

نزلنا إلى الطابق الأرضي. كان السلم يغوص في الظلام، وأخذ تي پي بيدي، وخرجنا من الباب، من الظلام. كان دان يجلسُ في الفناء الخلفي، وهو ينبح.

قال تي پي: "إنه يشمها. أهذه هي الطريقة التي اكتشفتَ بها الأمر".

نزلنا السُّلّم، حيث كانت ظلالنا.

قال تي پي: "لقد نسيتُ معطفك. كان ينبغي أن ترتديه. لكني لن أعود".

كان دان ينبح.

قال تي پي: "اسكت، الآن". تحركت ظلالنا، لكن ظل دان لم يتحرك إلا عندما ينبح.

قال تي پي: "لا يمكنني أن آخذك للبيت، وأنت تتذمر على هذا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

النحو. كان صوتك سيئًا بما فيه الكفاية قبل أن يتحول إلى ما يشبه صوت ذكر الضفادع. هيا".

سرنا على الممشي القرميد، مع ظلالنا. كانت حظيرة الخنازير تفوح برائحة الخنازير. كانت البقرة تقف في الفسحة، وهي تجتر نحونا. ونبح دان.

قال تي پي: "سوف توقظ سكان المدينة كلها. ألا يمكنك أن تسكت".

رأينا المهرة فانسي، وهي تأكل بجوار الترعة. كان القمر يلتمع على صفحة المياه عندما وصلنا إلى هناك.

قال تي پي: "لا، يا سيدي. هذا المكان قريب للغاية. لا يمكننا أن نتوقف هنا. هيا. الآن، انظر إلى نفسك. لقد تبللت رجلُك بالكامل. تعال هنا". وكان دان ينبح.

برزت الحفرة من بين جنبات العشب الطنَّان. برزت العظام من الكروم الداكنة.

قال تي پي: "والآن، وَلوِل حتى تنفلق رأسك إن شئت. وأمامك الليل بطوله وعشرون فدانًا من المراعي لتولول فيها".

رقد تي پي في الحفرة وجلستُ، أرقب العظام حيث كانت الصقور تأكل نانسي، مرفرفةً من الخندق سوداء، بطيئةً، متثاقلة.

قال لاستر: كانت معي عندما كنا هنا من قبل. وقد أريتها لك.. ألم ترها. لقد أخرجتها من جيبي هنا، وأريتها لك.

قالت كادي: "هل تظن أن النسور سوف تنزع ثياب جدتي. أنت مخبول".

قال جاسون: "أنت تافهة". وبدأ يبكي.

قالت كادي: "أنت أحمق". بكي جاسون. ويداه في جيبيه.

قال ڤيرش: "جاسون سوف يكون غنيًّا. فهو يدخر نقوده دائمًا".

بكي جاسون.

قالت كادي: "لقد دفعته لأن يبدأ. اسكت، يا جاسون. كيف يمكن للصقور أن تصل إلى مكان جدتي. لن يسمح لها والدي بذلك. هل ستترك صقرًا ينزع ملابسك. اسكت الآن".

سكت جاسون. قال: "فروني قالت إنها جنازة".

قالت كادي: "ليست جنازة. إنه حفل. ولا تعلم فروني شيئًا عنها. إنه يرغب في حشراتك المضيئة يا تي بي. دعه يمسك بها لبعض الوقت".

أعطاني تي پي زجاجة الحشرات المضيئة.

قالت كادي: "لا أشك في أننا لو ذهبنا إلى نافذة غرفة الجلوس فسيكون بإمكاننا أن نرى شيئًا. وعندها سوف تصدقونني".

قالت فروني: "أنا أعرف بالفعل. لا حاجة بي لأن أرى".

قال ڤيرش: "فروني، الأفضل أن تخرسي. وإلا فإن ماما ستجلدك".

قالت كادي "ما الذي يجري".

قالت فروني: "أنا أعرف ما أعرف".

قالت كادي: "هيا بنا. فلنقترب من الواجهة".

شرعنا في الذهاب.

قالت فروني: "تي پي يريد حشراته المضيئة".

قالت كادي: "اتركها معه لمدة أطول، يا تي پي. ولسوف نعيدها".

قالت فروني: "لم يمسكها أحدٌ منكم".

قالت كادي: "لو قلت أنك وتي پي يمكنكما أن تأتيا أيضًا، فهل

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ستدعيه يمسكها"

قالت فروني: "لم يقل لي أحد أن نطيعك، أنا وتي پي".

قالت كادي: "ولو قلت إنكما ليس عليكما القيام بذلك، فهل ستدعيها معه".

قالت فروني: "لا بأس. اتركها معه، يا تي پي. سنذهب لنراهم وهم ينوحون".

قالت كادي: "إنهم لا ينوحون. قلت لك إنه حفل. هل ينوحون، يا ڤيرش".

قال ڤيرش: "لم نذهب إلى هناك لنعرف ماذا يفعلون، ونحن واقفون هنا".

قالت كادي: "هيا. ليس على فروني وتي پي أن يطيعاني. لكن على البقية أن تطيعني. من الأفضل أن تحمله، يا ڤيرش. فقد حل الظلام".

حملني ڤيرش، ودُرنا حول المطبخ.

عندما نظرنا عبر المنعطف رأينا أضواء تأتي من الطريق الفرعي. عاد تي پي إلى باب القبو وفتحه.

قال تي پي: أتدرون ماذا يوجد هناك. شراب الصودا. رأيت السيد جاسون وهو قادم ويداه تحملان الكثير منه. انتظر هنا دقيقة واحدة.

ذهب تي پي ونظر من خلال باب المطبخ. قالت ديلسي: علام تتلصص. أين بنچي.

قال تي پي: إنه بالخارج.

قالت ديلسي: اذهب وانتبه له. وأبقه الآن خارج المنزل.

قال تي پي: حاضر. هل بدأوا الآن.

قالت ديلسي: اذهب، وأبعد هذا الصبي عن الأنظار. كفاني ما بيدي من عمل.

زحف ثعبان من أسفل المنزل. قال جاسون إنه لا يخاف الثعابين، فقالت كادي إنه يخاف منها فيما لا تخاف منها، وقال ڤيرش إن كليهما يخاف من الثعابين، فطلبت كادي التزام الهدوء، كما قال بابا.

قال تي بي: لا تشرع في البكاء الآن. هل تريد بعض هذا الشراب.

دغدغ أنفي وعينَيْ.

قال تي بي: إذا لم تكن ترغب في شربه، فاتركه لي لأشربه. لا بأس، ها هو. من الأفضل أن نأخذ زجاجة أخرى قبل أن يأتي مَن يزعجنا. اهدأ، الآن.

توقفنا تحت الشجرة القريبة من شباك غرفة الجلوس. أجلسني ڤيرش على الحشائش المبتلة. كان الجو باردًا. كان ثمة أضواء في جميع النوافذ.

قالت كادي: "هذه غرفة جدتي. إنها مريضة كل يوم، الآن. عندما تُشفى سوف نقوم برحلة".

قالت فروني: "أنا أعرف ما أعرف".

كانت الأشجار تئز، هي والحشائش.

قالت كادي: "أما الغرفة المجاورة لها، فهي الغرفة التي نقيم فيها عندما نصاب بالحصبة. أين تقيمون عندما تُحصَبين أنت وتي بي، يا فروني".

قالت فروني: "نُحصب في المكان الذي نقيم فيه، على ما أظن".

قالت كادي: "لم يبدأوا بعد".

قال تي بي: إنهم يستعدون للبدء. انتظر هنا إلى أن أحضر ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الصندوق لنتمكن من الرؤية عبر النافذة. لحظة، فلنكمل شرب هذه الزجاجة هنا. إنه يجعلني أشعر كما لو أن بومة تنعب في بطني.

احتسينا الشراب، ورمى تي پي الزجاجة عبر المشربية تحت المنزل، ومضينا. كنت أسمعهم في غرفة الجلوس وتشبثت بالحائط بيدي. سحب تي پي الصندوق. سقط على الأرض، وشرع في الضحك. رقد هناك، على الحشائش وهو يضحك. نهض وجرجر الصندوق تحت النافذة، محاولاً أن يتوقف عن الضحك.

قال تي پي: "أخشي أن تتعالى ضحكاتي. اصعد على الصندوق لترى إن كانوا قد بدأوا".

قالت كادي: "لم يبدأوا لأن الفرقة الموسيقية لم تأت بعد".

قالت فروني: "لن يأتوا بفرقة موسيقية".

قالت كادي: "وكيف عرفت"

قالت فروني: "أنا أعرف ما أعرف".

قالت كادي: "أنت لا تعرفين شيئًا". توجهت إلى الشجرة. "إدفعني لأعلى، يا ڤيرش".

قال ڤيرش: "قال لك أبوك أن تبتعدي عن هذه الشجرة".

قالت كادي: "كان ذلك منذ فترة طويلة. وأظن أنه نسي ذلك الآن. فضلاً عن أنه قال لكم أن تطيعوني الليلة. ألم يقل أن تطيعوني هذه الليلة"

قال جاسون: "لن أطيعك. كما أن فروني وتي پي لن يطيعاك أيضًا".

قالت كادي: "ارفعني لأعلى، يا ڤيرش".

قال ڤيرش: "لا بأس. أنت مَن ستُجلدين. لا أنا". ذهب ودفع كادي لأعلى إلى أول فرع في الشجرة. شاهدنا مؤخرة سروالها الملوثة بالطين.

ثم لم يعد بإمكاننا رؤيتها. كنا نسمع خشخشة الشجرة.

قال ڤيرش: "قال السيد جاسون إنه سيجلدك لو كسرتِ الشجرة".

قال جاسون: "سوف أشي بها أيضًا".

توقفت الشجرة عن الخشخشة. نظرنا عاليًا نحو الأغصان الساكنة.

همست فروني: "ماذا ترين"

لقد رأيتهم. ثم رأيت كادي، وزهور في شعرها، ووشاح طويل مثل ريح مشرقة. كادي كادي

قال تي پي: "اسكت. سوف يسمعونك. انزل بسرعة". جذبني. كادي. تشبثت بالحائط بيدي. كادي. جذبني تي پي.

قال: "اسكت. اسكت. تعال إلى هنا، بسرعة". شَدَّني. كادي "اسكت، يا بنچي، هل تريد أن يسمعوك. هيا بنا نتناول المزيد من الشراب، ثم يمكننا أن نعود إذا سكت. والأفضل أن نشرب زجاجة أخرى وإلا تعالى صياحنا. يمكننا أن نقول إن دان شربها. فالسيد كوينتن يقول دائما إنه كلب ذكي، وبإمكاننا أن نقول أنه كلب يشرب الشراب، أيضا".

سقط ضوء القمر على درجات سُلم القبو. شربنا المزيد.

قال تي پي: "هل تدري ما أتمنى. أتمنى أن يدخل دُب من باب هذا القبو. هل تعرف ماذا سأفعل. سأتوجه إليه مباشرةً وأبصق في عينه. ناولني هذه الزجاجة لأسد بها فمي قبل أن يعلو صراخي".

سقط تي پي على الأرض. بدأ في الضحك، وقفز باب القبو وضوء القمر بعيدًا وخبطني شيءٌ ما.

قال تي پي، محاولاً ألا يضحك: "اسكت. يا إلهي، سوف يسمعوننا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

انهض. انهض، يا بنچي، بسرعة". كان يتحرك على غير هُدًى وهو يضحك، وحاولت النهوض. جرَت درجات السُّلم صاعدةً إلى الهضبة في ضوء القمر، وسقط تي پي على الهضبة، في ضوء القمر، وجريت نحو السياج، وجرى تي پي ورائي وهو يقول: "اسكت اسكت". ثم سقط بين الزهور، ضاحكًا، وجريت نحو الصندوق. لكني عندما حاولت الصعود عليه قفز بعيدًا، وضربني في رأسي من الخلف، وصدر صوتٌ من حلقي. صدر الصوت من حلقي مرةً أخرى، وتوقفت عن محاولة النهوض، ثم صدر الصوت من جديد، وبدأت في البكاء. لكن حلقي واصل إصدار الصوت فيما كان يجذبني تي پي. وظل يصدره، ولم أعد أعرف ما إذا كنت أبكي أم لا، وسقط تي پي فوقي، وهو يضحك، وظل يصدر الصوت، ورفس كوينتن تي پي، وأحاطتني كادي بذراعيها ووشاحها المشرق، ولم أعد أشم رائحة الأشجار، وبدأتُ في البكاء.

قالت كادي: "بنچي، بنچي"، وأحاطتني بذراعيها من جديد، لكني ابتعدت. قالت: "ما بك، يا بنچي. هل هي هذه القبعة". خلعت قبعتها وأتت ثانيةً، لكني ابتعدت.

قالت: "بنچي، ما لك. ماذا فعلت كادي".

قال جاسون: "إنه لا يحب هذا الرداء المبهرج. تظنين أنك كبرت، أليس كذلك. تظنين أنك أفضل من غيرك. أليس كذلك. مبهرجة".

قالت كادي: "اخرس. أيها الحيوان الصغير القذر". ثم نادت "يا بنچي".

قال جاسون: "لمجرد أنكِ بلغتِ الرابعة عشر، تظنين أنك كبرت، أليس كذلك. تظنين أنك مهمة، أليس كذلك".

قالت كادي: "اسكت، يا بنچي. ستزعج ماما. اسكت".

لكني لم أسكت، وعندما ابتعدت تبعتُها، وتوقفت على درجات السُّلم وانتظرت، فتوقفت أنا أيضًا.

قالت كادي: "ما لك، يا بنچي. قُل لكادي. سوف تفعله. جرِّب".

قالت أمي: "يا كاندس".

قالت كادي: "نعم"

قالت أمي: "لم تشاغبينه. أحضريه إلى هنا".

ذهبنا إلى غرفة أمي، حيث كانت راقدةً مع المرض واضعةً قطعة من القماش على رأسها.

قالت أمي: "ما الأمر الآن، يا بنچامين".

قالت كادي: "بنچي". أتت مرةً ثانية، غير أنني ابتعدت.

قالت أمي: "لا بد أنكِ فعلتِ له شيئًا ما. لم لا تتركيه في حاله حتى أنعم ببعض الهدوء. أعطيه الصندوق، وامضي- أرجوك- واتركيه في حاله".

أحضرت كادي الصندوق فوضعته على أرض الغرفة وفتحته. كان ممتلئًا بالنجوم. وعندما كنت ساكنًا، كانت ساكنة. عندما تحركت، التمعت وومضت. سكت. ثم سمعت صوت كادي وهي تسير وبدأت من جديد.

قالت أمي: "تعال هنا، يا بنچامين". ذهبت نحو الباب. قالت أمي: "أنت، يا بنچامين".

قال أبي: "ماذا حدث. إلى أين أنت ذاهب".

قالت أمي: "خذه إلى الطابق الأرضي، واعهد به لأحد ليعتني به،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يا جاسون. أنت تعلم أنني مريضة". أغلق أبي الباب خلفنا.

نادى: "يا تي پي"

قال تي پي من الطابق السفلي: "نعم، يا سيدي".

قال أبي: "بنچي سينزل. اذهب مع تي پي"

ذهبت إلى باب الحمام. كنت أسمع صوت الماء.

نادى تي پي من أسفل السلم: "بنچي".

كنت أسمع الماء. كنت أصغي له.

نادى تي پي من أسفل السلم: "بنچي".

كنت أسمع الماء.

لم أعد أسمع صوت الماء وفتحت كادي الباب.

قالت: "لماذا يا بنچي". نظرت إليَّ وذهبتُ، واحتضنتني بذراعيها. قالت: "هل وجدت كادي مرةً أخرى. هل ظننت أن كادي هربت". كانت رائحة كادي كرائحة الأشجار.

ذهبنا إلى غرفة كادي. جلست أمام المرآة. أوقفت تحريك يديها ونظرت نحوي.

قالت: "لماذا، يا بنچي. ما الأمر. لا ينبغي لك أن تبكي. فكادي لن تذهب بعيدًا. انظر هنا". رفعت زجاجة ونزعت سدادتها ووضعتها أمام أنفي. قالت: "شمها. رائحتها جميلة. طيبة".

ابتعدتُ ولم أسكت وأمسكت بالزجاجة في يدها، وهي تنظر لي.

قالتْ: "ياه". وضعت الزجاجة وجاءت فاحتضنتني. "هكذا كان الامر إذن. وأنت تحاول أن تقول ذلك لكادي، ولكنك لم تتمكن. كنت تريد ذلك، لكنك لم تستطع. كادي لن تفعل ذلك، طبعًا. كادي لن

تفعل ذلك، طبعًا. انتظرني حتى أرتدي ملابسي".

ارتدت كادي ملابسها وأخذت الزجاجة من جديد، وهبطنا إلى المطبخ.

قالت كادي: "ديلسي. لقد أتي لك بنچي بهدية". انحنت ووضعت الزجاجة في يدي. "ناولها لديلسي". أمسكت كادي بيدي ومدتها نحو ديلسي التي أخذت الزجاجة.

قالت ديلسي: "عجبًا. حتى ابني لم يمنحني زجاجة عطر هدية. انظر، يا روسكوس".

كانت رائحة كادي كرائحة الأشجار. قالت: "كلانا لا يحب العطر".

كانت رائحتها كرائحة الأشجار.

قالت ديلسي: "تعال، الآن. أنت أكبر من أن تنام مع هؤلاء. أنت ولد كبير الآن. ثلاثة عشر عامًا. كبير إلى حد يسمح بأن تنام وحدك في غرفة العم موري".

كان العم موري مريضًا. كانت عينه مريضة، وفمه. وكان ڤيرش يحضر له عشاءه في صينية.

قال والدي: "موري يقول إنه سيطلق النار على الوغد. وقد أبلغته بأن من الأفضل ألا يقول ذلك مقدمًا لباترسون". وشرب .

قالت أمي: "جاسون"

قال كوينتن: "يطلق النار على مَن يا بابا. ولماذا يطلق عليه العم موري النار".

قال والدي: "لأنه لا يمكنه أن يحتمل نكتة بسيطة".

قالت أمي: "جاسون. كيف يمكنك الجلوس هنا، وأن ترى موري

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يطلق النار عليه في كمين، وأنت تضحك".

قال أبي: "إذن، فمن الأفضل أن يظل موري بمنأى عن الكمين".

قال كوينتن: "يطلق النار على مَن يا أبي. مَن الذي سيطلق عليه خالي موري النار".

قال أبي: "لا أحد. فأنا لا أملك مسدسًا".

شرعت أمي في البكاء، وهي تقول "إذا كنت تضن على موري بطعامك، فلم لا تكن رجلاً وتقول له ذلك في وجهه، بدلاً من السخرية منه أمام الأطفال من وراء ظهره".

قال أبي: "أنا لا أضن عليه بالطبع. وأقدر موري. فهو لا غنًى عنه لكي أحس بالتفوق العنصري. ولا أبادله بشيء فهو بلا نظير. هل تعرف السبب، ياكوينتن".

قال كوينتن: "لا، يا سيدي".

قال أبي باللغة اللاتينية: "*Et ego in arcadia*. لقد نسيت الكلمة اللاتينية التي تعني قش. لا عليكم. أنا أمزح فحسب". شرب ووضع الكأس، وذهب ووضع يده على كتف أمي.

قالت أمي: "ليس ذلك بالمزاح. وأهلي كرام الأصل مثل أهلك. كل ما في الأمر أن صحة موري سيئة".

قال أبي: "طبعًا. الصحة السيئة هي العلة الأولى للحياة كلها. فهي تنشأ عن المرض، مرورًا بالتعفن، وانتهاء بالتحلل. أنت، يا ڤيرش".

قال ڤيرش، الذي كان يقف خلف مقعدي: "نعم، يا سيدي".

قال أبي: "خذ الزجاجة واملأها"

---

* باللاتينية: أنا أعرف كل شيء عن ذلك.

قالت أمي: "وأبلغ ديلسي أن تحضر لتأخذ بنچامين إلى فراشه".

قالت ديلسي: "أنت ولد كبير. وسئمت كادي من النوم معك. اهدأ الآن، حتى يمكنك النوم". ابتعدت الغرفة عني، لكني لم أصمت، وعادت الغرفة، وأتت ديلسي، وجلست على فراشي، وهي تنظر إليَّ.

قالت ديلسي: "ألن تكون ولدًا طيبًا وتصمت. لن تكون، أليس كذلك. إذن انتظر لدقيقة واحدة".

خرجت من الغرفة. لم يكن هناك شيء في الباب. ثم رأيت كادي فيه.

قالت كادي: "اهدأ. أنا قادمة".

سكت، وثنت ديلسي حرف ملاءة السرير، ودخلت كادي بين الملاءة والبطانية. لم تكن قد خلعت روب الحمام.

قالت: "والآن، ها أنذا". أتت ديلسي ببطانية وفردتها عليها وثنت حافتها حولها.

قالت ديلسي: "سوف ينام بعد دقيقة واحدة. سأترك النور مضاءً في غرفتك".

قالت كادي: "لا بأس". أراحت رأسها بجوار رأسي على الوسادة، قائلة: "طابت ليلتك، يا ديلسي".

قالت ديلسي: "طابت ليلتك، يا عزيزتي". وتحولت الغرفة إلى ظلام. ***كانت رائحة كادي كرائحة الأشجار.***

نظرنا إلى الشجرة التي صعدت فوقها.

همست فروني: "ما الذي تراه، يا ڤيرش".

قالت كادي من الشجرة: "هسسسسس". وقالت ديلسي: "هل أتيتم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هنا". كانت قد جاءت من منعطف حول المنزل. قالت: "لماذا لم تبقوا في الطابق الثاني، كما قال لكم أبوكم، بدلاً من التسلل من وراء ظهري. أين كادي وكوينتن"

قال جاسون: "لقد قلت لها ألا تصعد إلى هذه الشجرة. فسوف أشي بها".

قالت ديلسي: "من الذي فوق الشجرة". تقدمت ونظرت إلى أعلى في الشجرة. قالت ديلسي: "كادي". بدأت الأغصان في الاهتزاز من جديد.

صاحت ديلسي: "انزلي- يا عفريتة- من الشجرة".

قالت كادي: "اسكتي. ألم تعرفي أن والدي قال إن علينا التزام الهدوء". برزت رجلاها من بين الأغصان، وصعدت ديلسي وأنزلتها من الشجرة.

قالت ديلسي: "هل فقدت صوابك لتتركهم يأتون إلى هنا"

قال ڤيرش: "لم أقدر عليها".

قالت ديلسي: "ماذا تفعلون هنا كلكم. مَن قال لكم أن تأتوا من المنزل"

قالت فروني: "هي. هي التي قالت لنا أن نأتي".

قالت ديلسي: "ومَن قال لكم أن تسمعوا كلامها. هيا إلى المنزل، الآن". كان كل من فروني وتي پي قد انصرفا. لم نلحظهما وهما يبتعدان.

قالت ديلسي: "تخرجون في منتصف الليل". حملتني وذهبنا إلى المطبخ.

قالت: "تنسلون من وراء ظهري. وأنتم تعلمون أن موعد نومكم قد

فات".

قالت كادي: "هسسس، يا ديلسي. لا ترفعي صوتك. علينا أن نلزم الهدوء".

قالت ديلسي: "إذن، عليك أن تضعي لسانك في فمك، وأن تلزمي الهدوء. أين كوينتن"

قالت كادي: "كوينتن فقد صوابه لأن الجميع كان عليهم أن يطيعوني الليلة. مازالت معه حشرات تي پي المضيئة".

قالت ديلسي: "أظن أن تي پي يمكنه أن يدبر حاله بدونها. أنت، يا ڤيرش، اذهب وابحث عن كوينتن. روسكوس قال إنه رآه يسير في اتجاه الحظيرة". وذهب ڤيرش. اختفي عن أنظارنا.

قالت كادي: "إنهم لا يفعلون شيئًا هناك. فهم يجلسون على الكراسي وينظرون، فحسب".

قالت ديلسي: "لا يحتاجون معونة منكم للقيام بذلك". وتجولنا في أنحاء المطبخ.

قال لاستر: أين تريد الذهاب الآن. هل ستعود لتراهم وهم يضربون الكرة من جديد. لقد بحثنا عنها هناك. هيا. انتظر لحظة. انتظر هنا إلى أن أرجع لأحضر الكرة. خطر ببالي شيءٌ ما.

كان المطبخ مظلمًا. كان الأشجار ترتفع سوداء في السماء. جاء دان يتهادى من أسفل السُّلّم وعضعض كاحل قدمي. تجولت في المطبخ، حيث كان القمر. أتي دان يتهادي في ضوء القمر.

قال تي پي في المنزل: "يا بنچي".

شجرة الورد القريبة من نافذة غرفة الجلوس لم تكن مظلمة، لكن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأشجار الكثيفة كانت كذلك. وكانت الحشائش تُصدر طنينًا في ضوء القمر، حيث كان ظلي يمشي على الحشائش.

قال تي پي في المنزل: "أنت، يا بنچي. أين تختفي. لقد تسللت. أعرف ذلك".

عاد لاستر. قال: انتظر. هنا. لا تذهب هناك. فالآنسة كوينتن وحبيبها في الأرجوحة هناك. اسلك هذا الطريق. ارجع هنا، يا بنچي.

كان الظلام دامسًا تحت الأشجار. لن يأتي دان. مكث في ضوء القمر. بعدها رأيت الأرجوحة وشرعت في البكاء.

قال لاستر: تعال من هناك، يا بنچي. ألا تعلم أن الآنسة كوينتن سوف تغضب.

كان في الأرجوحة شخصان الآن، ثم شخص واحد. أتت كادي مسرعة، بيضاء في الظلام.

قالت: "يا بنچي، كيف خرجت خلسة. أين ڤيرش"

احتضنتني وسكت، وتشبثتُ بفستانها، وحاولت أن أبعدها.

قالت كادي: "لماذا، يا بنچي. ماذا حدث، يا تي پي"

نهض الشخص الذي كان في الأرجوحة وقدم إلينا، فبكيت وتشبثتُ بفستان كادي.

قالت كادي: "إنه تشارلي، يا بنچي. ألا تعرف تشارلي"

قال تشارلي: "أين الزنجي المرافق له. لماذا يتركونه طليقًا يسير على هواه".

قالت كادي: "اهدأ، يا بنچي. ابتعد، يا تشارلي. إنه لا يحبك". ابتعد تشارلي وسكت. وتشبثت بفستان كادي.

قالت كادي: "لماذا، يا بنچي. ألن تتركني أبقى هنا وأتحدث قليلاً مع تشارلي"

قال تشارلي: "نادي الزنجي". عاد. تعالى بكائي، وتشبثتُ بفستان كادي.

قالت كادي: "ابتعد، ياتشارلي". جاء تشارلي ووضع يديه على كادي، وتزايد بكائي. تعالى بكائي.

قالت كادي: "لا، لا. لا. لا"

قال تشارلي: "ألا يمكنه أن يتكلم، يا كادي"

قالت كادي: "هل أنت مجنون". بدأت أنفاسها تتسارع. "يمكنه أن يرى. ألا يمكنه ذلك. ألا يمكنه ذلك". دافعت كادي عن نفسها. كانا يلهثان. وهمست كادي: "أرجوك. أرجوك".

قال تشارلي: "أبعديه من هنا".

قالت كادي: "سأبعده. دعني أمضي".

قال تشارلي: "هل ستبعدينه"

قالت كادي: "نعم. اتركني". مضى تشارلي بعيدًا. قالت كادي: "اهدأ. لقد ذهب". وسكت. كنت أسمعها وأشعر بما يختلج في صدرها.

قالت: "لابد أن آخذه إلى المنزل". أخذت يدي. همست: "أنا قادمة".

قال تشارلي: "انتظري. نادي الزنجي".

قالت كادي: "لا. سأعود. هيا بنا، يا بنچي".

صاح تشارلي: "كادي، من الأفضل أن تعودي. هل ستعودين". كنت أجري أنا وكادي. قال تشارلي: "كادي". وجرينا في ضوء القمر، نحو المطبخ.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نادي تشارلي: "كادي".

جرينا أنا وكادي. جرينا على سُلم المطبخ، وفي الشرفة، وانحنت كادي في الظلام وأمسكت بي. كنت أسمعها وأشعر بما يختلج في صدرها. قالت كادي: "لن أفعل ذلك مرةً أخرى. لن أفعل ذلك أبدًا، يا بنچي". ثم بكت وبكيت وتعانقنا. قالت: "اهدأ. اهدأ. لن أفعل ذلك مرةً أخرى". سكتُّ، ونهضت كادي، ودخلنا إلى المطبخ، وأضاءت النور، وأخذت صابونة المطبخ وغسلت فمها في حوض الغسيل بالمطبخ غسلاً جيدًا. كانت رائحة كادي كرائحة الأشجار.

قال لاستر: قلت لك مرارًا ابتعد من هنا. كانا قد جلسا بسرعة على الأرجوحة. وضعت كوينتن يديها على شعرها. كان يرتدي ربطة عنق حمراء.

قالت كوينتن: أنت، أيها المعتوه الكبير. سوف أبلغ ديلسي عن الطريقة التي تتركه بها يتتبعني أينما أذهب. وسوف أطلب منها أن تجلدك جيدًا.

قال لاستر: "لا يمكنني السيطرة عليه. تعال هنا، يا بنچي".

قالت كوينتن: "بل يمكنك ذلك. ولكنك لا تحاول. أنتما الاثنان تتجسسان عليَّ. هل أرسلتكما جدتي للتجسس عليَّ". قفزَت من الأرجوحة: "إذا لم تأخذه بعيدًا عن هنا، سوف أطلب من جاسون أن يجلدك".

قال لاستر: "لا يمكنني أن أفعل شيئًا معه. حاولي أنتِ بنفسك أن تفعلي ذلك إن كان بإمكانك".

قالت كوينتن: "اخرس. ألن تبعده عن هنا"

قال هو: "آه، دعيه يبقى هنا". كان يرتدي ربطة عنق حمراء. كانت الشمس حمراء عليها. "انظر هنا، يا فتى". أشعل عود كبريت ووضعه في فمه. ثم أخرج العود من فمه. كان العود ما يزال مشتعلاً. قال: "هل تود أن تجرب ذلك". توجهت إليه. قال: "افتح فمك". فتحت فمي. ضربت كوينتن علبة الكبريت بيدها فسقطت بعيدا.

قالت كوينتين: "ما بالك. هل تريده أن يبدأ البكاء. ألا تعرف أنه لا يكف عن البكاء طوال النهار. لسوف أبلغ ديلسي عما فعلت". جرت مبتعدة.

قال: "تعالي، يا فتاة. عودي. لن أمازحه".

جرت كوينتن إلى المنزل. ذهبت إلى المطبخ.

قال: "لقد أفسدت الأمر، يا فتى، إذن. أليس كذلك"

قال لاستر: "لن يرد عليك. فهو أصم وأبكم".

قال: "صحيح. منذ متى وهو على هذه الحالة"

قال لاستر: "منذ ثلاثة وثلاثين عامًا. لقد ولد معتوهًا. هل أنت ممن يعملون في السيرك".

قال: "لماذا".

قال لاستر: "لأني لم أرك في هذه الناحية من قبل، على الإطلاق".

قال: "حسنًا، وماذا يعني ذلك؟"

قال لاستر: "لا شيء. سوف أذهب هناك الليلة".

نظر إليْ. قال لاستر: "ألست ذلك الشخص الذي يعزف على المنشار، هل هو أنت؟"

قال: "سوف تكلفك إجابة ذلك السؤال ربع دولار". نظر نحوي.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "لماذا لا يحبسونه. لماذا تخرج به إلى هنا"

قال لاستر: "لا تسألني عن ذلك. لا يمكنني أن أتصرف معه. لقد أتيت إلى هنا لكي أبحث عن ربع دولار ضاع مني، لكي أتمكن من الذهاب للسيرك الليلة. ولن أتمكن من الذهاب على ما يبدو". نظر لاستر إلى الأرض. قال له: "أليس معك ربع دولار لا تحتاجه"

قال: "لا. ليس معي".

قال لاستر: "لا بد لي من الحصول على ربع دولار آخر، إذن". وضع يده في جيبه. قال: "هل ترغب في شراء كرة جولف"

قال: "قلتَ كرة ماذا؟"

قال لاستر: "كرة جولف. لا أريد فيها أكثر من ربع دولار".

قال: "وماذا أفعل بها. لا أحتاجها".

قال لاستر: "كنت أظن أنك ترغب فيها. تعال هنا، أيها العبيط. تعال هنا وشاهدهم وهم يضربون الكرة. هاك شيئًا يمكنك أن تلعب به إلى جانب زهور الداتورة تلك". التقطها لاستر وأعطاها لي. كانت الكرة براقة.

قال: "من أين حصلت على هذه الكرة". كان يمشي وربطة عنقه حمراء في ضوء الشمس.

قال لاستر: "وجدتها تحت هذه الشجيرة. كنت أظنها لوهلة ربع الدولار الذي ضاع مني".

أتى وأخذ الكرة.

قال لاستر: "اهدأ. سوف يعيدها بعد أن يتأملها".

قال: "واقي أجنس مابل بكي*". نظر نحو المنزل.

قال لاستر: "اهدأ. سيعيدها".

أعطاها لي فسكت.

قال: "من أتى لرؤيتها الليلة الماضية"

قال لاستر: "لا أعلم. هم يأتون كل ليلة يمكنها أن تنزل فيها من هذه الشجرة. وأنا لا أتعقب آثارهم".

قال: "اللعنة لو كان أحدهم قد خلّف أثرًا وراءه". نظر إلى المنزل. ثم ذهب واستلقى في الأرجوحة.

قال: "ابعد عن هنا. لا تزعجني".

قال لاستر: "هيا. لقد أفسدت كل شيء الآن. ولابد أن الآنسة كوينتن قد وشت بك".

ذهبنا نحو السياج، ونظرنا عبر فتحات الأزهار الملتفة. بحث لاستر بين الحشائش.

قال: "كان معي هنا على وجه التحديد". رأيت العلم يرفرف والشمس تسقط مائلةً على العشب الفسيح.

قال لاستر: "سوف يأتي بعضهم حالاً. هناك البعض الآخر الآن، لكنهم يغادرون. تعال ساعدني في البحث عنه".

سرنا بمحازاة السياج.

قال لاستر "اسكت. كيف يمكن أن أحضرهم إلى هنا، إذا لم يأتوا. انتظر. سوف يأتي بعضهم بعد دقيقة. انظر هناك. ها هم قادمون".

سرتُ بمحازاة السياج، إلى البوابة، حيث كانت الفتيات يمررن

---

* ماركة مشهورة لنوع من الواقي الذكري، في الولايات المتحدة- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حاملات حقائبهن المدرسية. قال لاستر: "أنت، يابنچي. عُد إلى هنا".

قال تي پي: لا فائدة من النظر عبر البوابة. لقد ذهبت الآنسة كادي إلى مكان بعيد، بعيد. لقد تزوجت وتركتك. ولا جدوى من التشبث بالسياج والبكاء. فلن تسمعك.

قالت والدة تي پي: ما الذي يريده. ألا يمكنك أن تلعب معه وتهدئه.

قال تي پي: إنه يريد النزول إلى هناك، والنظر عبر البوابة.

قالت الأم: لا يمكنه القيام بذلك. فالجو ممطر. ما عليك إلا أن تلعب معه وسوف يهدأ. أنت، يا بنچامين"

قال تي پي: ليس هناك ما يجعله يهدأ. إنه يظن أنه لو ذهب إلى البوابة، فستعود الآنسة كادي.

قالت الأم: هُراء.

كنت أسمعهم يتكلمون. ذهبت إلى الباب ولم أعد أسمعهم، وهبطتُ إلى البوابة، حيث كانت الفتيات يمررن ومعهن حقائبهن المدرسية. كن ينظرن إليّ، ويسرعن، ورؤوسهن ملتفتة. حاولت أن أقول شيئًا، لكنهن ابتعدن، ومشيت بمحاذاة السياج، محاولاً أن أقول شيئًا، لكنهن مضين بسرعة أكبر. ثم جرين، وأتيت إلى ناصية السياج، ولم أتمكن من المضي أبعد من ذلك، وتشبثتُ بالسياج، متطلعًا خلفهن، محاولاً أن أقول شيئًا.

قال تي پي: "أنت، يا بنچي. ماذا تفعل، فيما تتسلل. ألا تعلم أن ديلسي سوف تجلدك".

قال تي پي: "لا جدوي من البكاء والعويل عبر السياج. أنت تتسبب في فزعهن. انظر إليهن، يمشين في الجانب الآخر من الشارع".

قال أبي: كيف خرج. هل تركت البوابة غير موصدة بالمزلاج عندما دخلتَ، يا جاسون.

قال جاسون: بالطبع لا. ألا تعلم أنني أعقل من أن أفعل ذلك. هل تتصور أنني أود أن يحدث شيء مثل هذا. يعلم الله كم أن هذه العائلة مشئومة. سبق أن قلت لك ذلك مرارًا. أعتقد أنك سترسله إلى مستشفي الأمراض العقلية، الآن. إن لم يسبقك السيد بيرجس ويطلق النار عليه.

قال أبي: اسكت.

قال جاسون: لقد قلت لك ذلك مرارًا.

كانت مفتوحة عندما لمستها، وتشبثتُ بها عند الغسق. لم أكن أبكي، وحاولت التوقف، وأنا أراقب الفتيات وهن قادمات في الغسق. لم أكن أبكي.

"ها هو".

توقفن.

"لا يمكنه الخروج. ولن يؤذي أحدًا، على أية حال. هيًّا".

"أنا خائفة. أنا خائفة. سوف أعبر الشارع إلى الناحية الأخرى".

"لا يمكنه الخروج".

لم أكن أبكي.

"لا تكوني كالقطة الجبانة. هيا".

كن قادمات في الغسق. لم أكن أبكي، وتشبثت بالبوابة. وقدمن ببطء.

"أنا خائفة".

"لن يؤذيك. أنا أمر من هنا كل يوم. هو يجري فحسب بمحاذاة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

السياج".

قدمن. فتحت البوابة وتوقفن، ملتفتات. كنت أحاول أن أقول شيئًا، وأمسكت بها، محاولاً أن أقول شيئًا، وصرخت فيما كنت أحاول أن أقول شيئًا في جدبي، وبدأت الاشكال البراقة تنسدل على وجهي، وحاولت أن أبعدها. حاولت أن أزيحها عن وجهي، لكن الأشكال البراقة انسدلت من جديد. ازتفعت إلى الهضبة، وسقطت عليها بعيدًا، وحاولت الصراخ. لكني حين التقطتُ أنفاسي، لم أستطع أن أخرجها من جديد لأصرخ، وحاولت أن أتماسك حتى لا أسقط عن الهضبة، وسقطتُ عن الهضبة وسط الأشكال البراقة والمدوِّمة.

قال لاستر: أنت، أيها المعتوه. بعضهم قادم هناك. توقف عن البكاء والنواح الآن.

أتوا إلى العلَم. نقله أحدهم بعيدًا، وضربوا الكرة، ثم أعاد العلم إلى مكانه.

قال لاستر: "يا سيدي"

نظر إليه، وقال "ماذا"

قال لاستر: "هل تريد شراء كرة جولف"

قال: "دعنا نراها". أتى إلى السياج، ومد لاستر يده بالكرة عبر السياج.

قال: "من أين حصلت عليها"

قال لاستر: "وجدتها".

قال: "أعلم ذلك. أين. هل في حقيبة أحدهم"

قال لاستر: "عثرت عليها مرميةً هنا في الفناء. لن آخذ فيها أكثر من

ربع دولار".

قال: "لماذا تعتقد أنها ملكك"

قال لاستر: "لقد عثرت عليها".

قال: "إذن فلتعثر لنفسك على غيرها". وضع الكرة في جيبه ومضى.

قال لاستر: "كنت أود أن أذهب الليلة للسيرك".

رد عليه قائلاً: "هكذا". توجه إلى الهضبة. قال: "هيا يا كادي". وضرب الكرة.

قال لاستر: "أمرك عجيب. تبكي عندما تراهم وتبكي عندما لا تراهم. ألا يمكنك السكوت. ألا تظن أن الناس ملوا الاستماع لك طوال الوقت. هيا. لقد سقطت منك زهرة الداتورة". التقطها وأعادها لي. "تحتاج إلى زهرة جديدة. لقد أتلفت هذه". ووقفنا عند السياج، وتفرجنا عليهم.

قال لاستر: "الرجل الأبيض يصعب التعامل معه. رأيت كيف أخذ كرتي". واصلوا اللعب. وواصلنا السير بمحاذاة السياج. وصلنا إلى الحديقة ولم نتمكن من المضي أبعد من ذلك. تشبثتُ بالسياج، ونظرت عبر الفتحات بين الأزهار. وابتعدوا.

قال لاستر: "ليس لديك ما تبكي عليه. اسكت. فأنا مَن لديه ما يبكي عليه. هيا. لم لا تمسك جيدًا بتلك الزهرة. سوف تبكي عليها فيما بعد". أعطاني الزهرة. "إلى أين أنت ذاهب الآن".

كان ظلانا على العشب. سبقانا إلى الأشجار قبل أن نصل إليها. ظلي هو ما سبق أولاً. ثم وصلنا إلى الأشجار، واختفى ظلانا. كانت هناك زهرة في الزجاجة. وضعت الزهرة الأخرى فيها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال لاستر: "ألستَ رجلاً كبيرًا، الآن. وتلعب بزهرتين في زجاجة. هل تعلم ماذا سيفعلون بك عندما تموت السيدة كارولين. سيرسلونك إلى مستشفى الأمراض العقلية، حيث مكانك الطبيعي. السيد جاسون يقول ذلك. هناك يمكنك أن تتشبث بالقضبان طوال اليوم، وتبكي على هواك كبقية المجانين بها. أيعجبك ذلك".

ألقى لاستر الزهرتين بيده على الأرض. قال: "هذا ما سيفعلونه بك في مستشفى المجانين، عندما تشرع في البكاء".

حاولت أن ألتقط الزهرتين من الأرض. التقطهما لاستر، وابتعدتا عني. شرعت في البكاء.

قال لاستر: "بكّاء. بكاء. أنت تريد شيئًا لتبكي عليه. حسنًا، إذن. كادي". ثم قال هامسًا: "كادي، هيا ابكِ الآن. كادي".

قالت ديلسي من المطبخ "يا لاستر"

عادت الزهرتان.

قال لاستر: "اسكت. ها هما. انظر. عادا لمكانهما كما كانا من قبل. اسكت، الآن".

قالت ديلسي: "أنت، يا لاستر".

قال لاستر: "حاضر. نحن قادمون. لقد أفسدتَ كل شيء. انهض". شد ذراعي ونهضت. خرجنا من بين الأشجار. واختفى ظلانا.

قال لاستر: "اسكت. انظر إلى كل هؤلاء الناس يتفرجون عليك. اسكت".

قالت ديلسي: "احضره إلى هنا". ونزلَت السُّلّم.

قالت: "ماذا فعلت له"

قال لاستر: "لم أفعل له شيئًا. هو الذي بدأ لتوه في البكاء".

قالت ديلسي: "بل فعلت له شيئًا. أين كنتما"

قال لاستر: "هناك تحت أشجار السدر"

قالت ديلسي: "لقد ضايقتما الآنسة كوينتن. ألم يكن بإمكانك أن تبعده عنها. ألا تعرف أنها لا تحب وجوده معها".

قال لاستر: "لديها متسعٌ من الوقت للتعامل معه مثلما أفعل. فهو ليس خالي".

قالت ديلسي: "لا ترد عليَّ بوقاحة، أيها الصبي الزنجي".

قال لاستر: "لم أفعل له شيئًا. كان يلعب هناك، ثم بدأ فجأةً في البكاء".

قالت ديلسي: "لقد عبثتَ بمقبرة زهوره".

قال لاستر: "لم ألمس مقبرته".

قالت ديلسي: "لا تكذب عليَّ، يا ولد". صعدنا السُّلم ودخلنا المطبخ. فتحت ديلسي باب المدفأة، وسحبت كرسيًّا وضعته أمام المدفأة وجلست. لزمتُ الهدوء.

قالت ديلسي: ماذا تريدين من استشارتها. لماذا لم تأخذيه بعيدًا.

قالت كادي: كان ينظر إلى المدفأة فحسب، وقد أخبرته أمي باسمه الجديد، ولم نقصد أن نتسبب في استشارتها.

قالت ديلسي: أعرف أنك لا تقصدين ذلك. فهو في طرف من البيت وهي في الطرف الآخر. لا تقتربوا من الأشياء التي تخصني الآن. لا تلمسوا شيئًا إلى أن أعود.

قالت ديلسي: "ألا تخجل من نفسك حين تضايقه". وضعت الكعكة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

على المائدة.

قال لاستر: "لم أقصد مضايقته. فقد كان يلعب بزجاجة مليئة بزهور الأقحوان، وفجأةً بدأ في البكاء. لقد سمعتِه".

قالت ديلسي: "هل عبثت بزهوره"

قال لاستر: "لم ألمس مقبرة زهوره. ما شأني بلعبته. كنت أبحث فحسب عن ربع الدولار".

قالت ديلسي: "ضاع منك، أليس كذلك". أشعلت الشموع في كعكة عيد الميلاد. كانت بعض هذه الشموع صغيرة. وبعضها كبير ومُقطَّع إلى قطع صغيرة. "قلت لك أن تذهب وتخبئه بعيدًا. والآن أظن أنك تريدني أن أحصل لك على ربع آخر من فروني".

قال لاستر: "أريد الذهاب إلى السيرك، مع بنچي أو بدونه. فلن أتتبعه طوال النهار والليل أيضًا".

قالت ديلسي: "عليك أن تفعل بالضبط ما يريده هو، أيها الصبي الزنجي. وأنت تسمعني".

قال لاستر: "ألست أفعل ما يريده. ألست أفعل ذلك على الدوام. ألا أفعل ما تريده يا بنچي. أليس كذلك، يا بنچي".

قالت ديلسي: "عليك إذن ألا تتوانى عن ذلك. فعندما تأتي به إلى هنا، وهو يبكي، يستثيرها ذلك أيضًا. هلموا جميعًا لتأكلوا الآن هذه الكعكة، قبل أن يأتي جاسون. فلا أود أن يوبخني بسبب كعكة اشتريتها بحُر مالي.. فكيف أخبز كعكة هنا، وهو يعد عليَّ كل بيضة تدخل لهذا المطبخ. لنر إن كان بإمكانك أن أن تتركه وحده الآن، وإلا فإنك لا تود أن تذهب للسيرك الليلة".

خرجت ديلسي.

قال لاستر: "أنت لا تعرف أن تطفئ الشموع. انظر إليّ وأنا أطفئها". انحني ونفخ أوداجه. انطفأت الشموع. شرعت في البكاء. قال لاستر: "اسكت. انظر إلى هذه النار إلى أن أقطع هذه الكعكة".

كنت أسمع ساعة الحائط، وأسمع كادي وهي تقف خلفي، وكنت أسمع السقف. قالت كادي: إنها ما تزال تمطر. أنا أكره المطر. أكره كل شيء. ثم جاءت رأسها إلى حِجري وكانت تبكي، وتحتضنني، وبدأت أبكي. ثم نظرت إلى النار مرةً أخرى واختفت الأشكال الملساء والبراقة مرةً أخرى. كنت أسمع ساعة الحائط والسقف وكادي.

أكلت قطعة من الكعكة. امتدت يد لاستر وأخذت قطعةً أخرى. كنت أسمعه وهو يأكل. نظرت إلى النار.

مر سيخٌ طويل فوق كتفي. وصل إلى باب المدفأة، بعدها اختفت النار. وبدأت أبكي.

قال لاستر: "علام تبكي الآن. انظر هناك" كانت النار هناك. سكت. قال لاستر "ألا يمكنك أن تجلس وتنظر إلى النار وتهدأ، كما قالت لك ماما. ينبغي أن تخجل من نفسك.هاك. خُذ قطعة أخرى من الكعكة".

قالت ديلسي: "ماذا فعلت له الآن. ألا يمكنك أبدًا أن تتركه في حاله"

قال لاستر: "كنت أحاول فحسب أن أسكته حتى لا يقلق السيدة كارولين. لكن شيئًا ما جعله يبكي من جديد".

قالت ديلسي: "وأنا أعلم اسم هذا الشيء. سوف أطلب من ڤيرش أن يضربك بالعصا عندما يعود إلى المنزل. أنت تضايقه. وتفعل ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

طوال اليوم. هل أخذته إلى الترعة".

قال لاستر: "أبدًا. فقد بقينا هنا في الفناء طوال اليوم، كما قلتِ لنا".

مد لاستر يده ليأخذ قطعة أخري من الكعكة. ضربته ديلسي على يده. قالت "لو حاولت أن تمدها ثانيةً، فسوف أقطعها لك بهذه السكينة الماضية. أراهن أنه لم يأكل قطعة واحدة من الكعكة".

قال لاستر: "بل أكل منها. لقد تناول قطعتين مثلي تمامًا. اسأليه".

قالت ديلسي: "إياك أن تمد يدك مرةً ثانية. إياك".

قالت ديلسي: هذا صحيح. أعتقد أن الدور عليَّ لأبكي من بَعد. وأعتقد أن موري سوف يدعني أبكي عليه لبعض الوقت أيضًا.

قالت كادي: اسمه الآن بنچامين.

قالت ديلسي: كيف ذلك. هل أبلى اسمه الذي أطلق عليه عند مولده.

قالت كادي: اسم بنچامين مأخوذ عن التوراة. إنه أفضل له من اسم موري.

قالت ديلسي: وما السبب في ذلك.

قالت كادي: أمي قالت إنه أفضل.

قالت ديلسي: هه. إن الاسم لن يفيده في شيء. ولن يضره أيضًا. فحين يغير الناس أسماءهم فإن هذا لا يجلب لهم الحظ. فأنا اسمي ديلسي من زمن لا أذكره، وسيظل ديلسي بعد أن ينساني الناس.

قالت كادي: كيف سيعرفون أنه ديلسي، عندما يكونون قد نسوك منذ أمد بعيد.

قالت ديلسي: سوف يكون مسجلاً في الكتاب، يا عزيزتي.

قالت كادي: هل يمكنك أن تقرئيه.

قالت ديلسي: سيقرأونه لي. وكل ما عليَّ هو أن أقول أنا هنا.

مر السيخ الطويل عبر كتفي، واختفت النار. بدأت أبكي.

تشاجرت ديلسي مع لاستر.

قالت ديلسي: "لقد رأيتك. آآه، رأيتك". جذبت لاستر من الركن، وهي تهزه بقوة. قالت: "أليست هذه التصرفات تضايقه، أليست تضايقه. فقط انتظر إلى أن يعود أبوك للمنزل. كنت أتمنى لو كنت فتيةً كما كنت من قبل، لكنت خلعت أذنيك من رأسك. وأفكر في أن أحبسك في القبو وأمنعك من الذهاب للسيرك الليلة".

قال لاستر: "أو أمي، أو أمي".

مددت يدي إلى النار.

قالت ديلسي: "امسكه. أبعده عنها".

عادت يدي ووضعتها في فمي، وأمسكتني ديلسي. كنت أسمع صوت الساعة وسط ضجيج صوتي. عادت ديلسي وضربت لاستر على رأسه. وكان صوتي يرتفع مع كل ضربة.

قالت ديلسي: "أحضر هذه الصودا". أخرجَت يدي من فمي. علا صراخي آنئذٍ، وحاولت يدي الرجوع إلى فمي، لكن ديلسي أمسكتها. ارتفع صوتي. رشَّت ديلسي الصودا على يدي.

قالت ديلسي: "اذهب إلى الكرار، واقطع شريطًا من قطعة القماش المعلقة في المسمار هناك". قالت: "اهدأ، الآن. فأنت لا تود أن تُمرِض أمك مرةً أخري، أليس كذلك. هيا، انظر إلى النار. سوف تخفف ديلسي ألم يدك بعد دقيقة واحدة. انظر إلى النار". فتحت باب المدفأة. نظرتُ إلى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

النار، لكن يدي لم تتوقف عَن الألم، ولم أتوقف عن الصياح. حاولت يدي العودة إلى فمي، لكن ديلسي أوقفتها.

لفت قطعة القماش حول يدي. قال أمي:

"ما الوضع الآن. ألا يمكنني أن أمرض في سلام. هل عليَّ أن أغادر فراشي لأنزل له، وهناك زنجيان بالغان يتوليان رعايته".

قالت ديلسي: "إنه على ما يرام الآن. سوف يسكت. كل ما هنالك أنه تسبب لنفسه في حروق بسيطة في يده".

قالت أمي: "برفقة زنجيين بالغين، ويأتيان به للبيت وهو يبكي. أنتم تتعمدون إثارته عن عمد، لأنكم تعرفون أنني مريضة". اقتربت مني ووقفت بجانبي. قالت "اهدأ حالاً. هل أعطيته الكعكة".

قالت ديلسي: "لقد اشتريتها. ولم أستخدم شيئًا من كرار جاسون. لقد أعددت له عيد ميلاده".

قالت أمي: "هل تودين أن تسممه بكعكة المحلات الرخيصة تلك. أهذا ما تريدينه. أفلن أرتاح لدقيقة واحدة".

قالت ديلسي: "اصعدي إلى الطابق العلوي وارتاحي. سيخف بعد قليل، ويسكت. هيا اصعدي، الآن".

قالت أمي: "وأتركه لكما في الأسفل هنا لتُلحقا به الأذى. كيف يمكنني أن أنام هناك وهو يصرخ هنا. اسكت الآن، يا بنچامين".

قالت ديلسي: "ليس هناك مكان آخر لنأخذه إليه. وليست لدينا الغرفة التي اعتدنا أن نأخذه إليها. ولايمكنه أن يبقى بالخارج في الفناء، ليبكي أمام أنظار الجيران".

قالت أمي: "أعلم ذلك، أعلم. إنها غلطتي. وسوف أرحل عنكم

قريبًا، وسوف تسير أموركما- أنت وجاسون- على نحو أفضل". وشرعت في البكاء.

قالت ديلسي: "اهدئي الآن. سوف تتسببين لنفسك في الاكتئاب. اصعدي للطابق العلوي. وسوف يأخذه لاستر إلى المكتبة، ويلعب معه، إلى أن أعد له العشاء".

خرجت ديلسي برفقة أمي.

قال لاستر: "اسكت الآن، واهدأ. هل تود أن أحرق لك يدك الأخرى. لم يلحق بك أذًي. فاهدأ".

قالت ديلسي: "انظر. كُف عن البكاء الآن". وأعطتني الشبشب وسكِت. قالت "خذه إلى المكتبة. ولو سمعت صوته مرةً أخرى، فسأجلدك بنفسي".

ذهبنا إلى المكتبة. أضاء لاستر النور. بدت النوافذ سوداء، وظهر المكان الطويل المظلم على الحائط، وتوجهت إليه ولمسته. كان شبيهًا بالباب، لكنه لم يكن بابًا.

جاءت النار خلفي، وذهبت إلى النار، وجلست على الأرض ممسكًا بالشبشب. ارتفعت النار. وصلت حتى لوسادة مقعد أمي.

قال لاستر: "اهدأ. ألا يمكن أن تهدأ لبعض الوقت. لقد أعددتُ لك هنا نارًا، ولم تشأ حتى أن تنظر إليها".

قالت كادي: اسمك بنچي. هل تسمعني. بنچي. بنچي.

قالت أمي: ل اتقولي له ذلك. هاتيه هنا.

رفعتني كادي من تحت إبطي.

قالت: انهض يا ماو- أقصد يا بنچي.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت أمي: لا تحاولي أن تحمليه. ألا يمكنك أن تقتاديه ليأتي هنا. هل من الصعب عليك أن تفكري في ذلك.

يمكنني أن أحمله، قالت كادي: "دعيني أحمله، يا ديلسي".

قالت ديلسي: تمهلي للحظة. فأنت لست كبيرة بما يكفي لحمل برغوث. على رسلك والزمي الهدوء، كما قال السيد جاسون".

كان هناك ضوء عند أعلى السُّلم. كان أبي هناك، يرتدي قميصه قصير الأكمام. كانت نظرته تقول اسكتوا. همست كادي:

"هل ماما مريضة؟"

أنزلني ڤيرش وذهبنا إلى غرفة أمي. كانت هناك نار. كانت تصّاعد وتهبط على الحوائط. كانت هناك نارٌ أخرى في المرآة، وكنت أشم رائحة المرض. كانت تأتي من قطعة من القماش معصوبة على رأس أمي. كان شعرها على الوسادة. لم تصل إليه النار، لكنها توهجت على يديها، حيث كانت خواتمها تتقافز.

قالت كادي: "هيا وقل لماما تصبحين على خير". ذهبنا إلى الفراش. اختفت النار من المرآة. نهض أبي من الفراش ورفعني، ووضعت أمي يدها على رأسي.

سألت أمي: "كم الساعة الآن؟". كانت عيناها مغمضتين.

قال أبي: "السابعة إلا عشر دقائق".

قالت أمي: "إنه وقت مبكر ليذهب إلى الفراش. فسوف يستيقظ عند الفجر، وليس بوسعي ببساطة احتمال يوم آخر مثل هذا اليوم".

قال أبي، وهو يلمس وجهها: "تشجعي".

قالت: "أعلم أنني لستُ سوى عبء عليكم. لكني سوف أرحل

قريبًا، وتتخلصوا من متاعبي".

قال أبي "اهدئي. سأصحبه إلى الطابق السفلي لبعض الوقت. هيا أيها الفتى الكبير، نترل إلى الطابق الأرضي. سنلزم الهدوء في الوقت الذي يذاكر فيه كوينتن دروسه، الآن".

أتت كادي ومالت بوجهها على الفراش، وبرزت يد أمي في ضوء النار. كانت خواتمها تتقافز على على ظهر كادي.

قال أبي: أمك مريضة. سوف تضعك ديلسي في الفراش. أين كوينتن.

قالت ديلسي: ذهب ڤيرش ليحضره.

وقف أبي ينظر إلينا ونحن نمر من أمامه. كنا نسمع صوت أمي في غرفتها. قالت كادي: "اسكتوا". كان جاسون لا يزال يصعد السُّلم. ويداه في جيبيه.

قال أبي: "عليكم أن تكونوا أولادًا طيبين الليلة. الزمُوا الهدوء، حتى لا تزعجوا أمكم".

قالت كادي: "سنلزم الهدوء. لابد أن تلزم الهدوء الآن، يا جاسون". ومشينا على أطراف أصابعنا.

كنا نسمع السقف. وكنت أرى النار في المرآة أيضًا. رفعتني كادي مرةً أخرى.

قالت: "هيا، الآن. يمكنك من بعد أن تعود إلى النار. اهدأ، الآن".

نادت أمي: "كانديس".

قالت كادي: "اسكت، يا بنچي. ماما تريدك لدقيقة واحدة. فكن ولدًا طيبًا. ثم يمكنك أن تعود. يا بنچي".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أنزلتني كادي، وسكت.

"دعيه هنا، يا أمي. وعندما يستغرق في النظر إلى النار، يمكنك أن تخبريه".

قالت أمي: "يا كانديس". انحنت كادي وحملتني. كدنا أن نقع.

قالت أمي: "كانديس".

قالت كادي: "اهدأ. لا يزال بإمكانك أن ترى ذلك. اهدأ".

قالت أمي: "أحضريه هنا. إنه أكبر من أن تحمليه. لابد أن تكفي عن ذلك. ستؤذين ظهرك. فكل النساء في أسرتنا يفتخرن برشاقتهن. فهل تودين أن يكون مظهرك كالغسَّالات".

قالت كادي: "ليس ثقيلاً جدًّا. يمكنني أن أحمله".

قالت أمي: "حسنًا، أنا لا أود أن يحمله أحد إذن. إنه في الخامسة من عمره. لا، لا. لا تضعيه في حجري. دعيه يقف".

قالت كادي: "إذا سندتِه سوف يقف. اهدأ"ـ قالتـ "يمكنك أن تعود على الفور. ها هي وسادتك. انظر".

قالت أمي: "لا تفعلي، يا كانديس".

قالت كادي: "دعيه ينظر إليها وسيهدأ. تماسك لدقيقة فقط وأنا أسحبها. تشجع، بنچي. انظر".

نظرتُ إلى الوسادة، وسكت.

قالت أمي: "أنت تسرفين في تدليله. أنت وأبوك كلاكما. لا تدركان أنني مَن يدفع الثمن. كانت جدتك تفسد جاسون بهذه الطريقة، واحتاج إلى عامين ليتجاوزها، ولا قوة لديَّ لأقوم بنفس الأمر مع بنچامين".

قالت كادي: "لا تشغلي نفسك به. فأنا أحب أن أعتني به. أليس

كذلك، يا بنچي؟"

قالت أمي: "كانديس. قلت لك ألا تناديه بهذا الاسم. لقد كان سيئًا أن أصر أبوك على مناداتك باسم التدليل السخيف الذي يناديك به، ولن أدع أحدًا يناديه باسم تدليل. فاستخدام أسماء التدليل من الأمور المبتذلة. والعوام هم مَن يستخدمها. بنچامين. انظر لي، يا بنچامين".

وضعت وجهي بين يديها وأدارته نحو وجهها.

قالت: "بنچامين. ابعدي هذه الوسادة، يا كانديس".

قالت كاندي: "سوف يبكي".

قالت أمي: " أبعدي هذه الوسادة، كما قلت لك. عليه أن يتعلم أن يكون مطيعًا".

اختفت الوسادة.

قالت كادي: "اهدأ، يا بنچي".

قالت أمي: "اذهبي هناك، واجلسي". قالت وهي توجه وجهي نحوها: "كُف عن ذلك. كُف عن ذلك".

لكني لم أكف، واحتضنتني أمي وشرعتُ في البكاء، وبكيت. بعدها عادت الوسادة وحملتها كادي خلف رأس أمي. أعادت أمي لكرسيها، وراحت أمي تبكي أمام الوسادة الحمراء والصفراء.

قالت كادي: "اهدئي، يا أمي. اصعدي إلى أعلى واستريحي، حتى لا تمرضي. سأذهب لإحضار ديلسي". أخذتني أمام النار، ونظرت إلى الأشكال المتوهجة الناعمة. كنت أسمع النار والسقف.

حملني أبي. كانت رائحته كرائحة الأمطار.

قال: "حسنًا، يا بنچي. هل كنت ولدًا طيبًا اليوم"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت كادي وجاسون يتشاجران في المرآة.

قال أبي: "أنتِ، يا كادي".

كانا يتشاجران. وشرع جاسون في البكاء.

قال أبي: "كادي". كان جاسون يبكي. لم يعد يتشاجر، فيما كنا نرى كادي وهي تتشاجر في المرآة، وأنزلني أبي وذهب في المرآة، وتشاجر أيضًا. حمل كادي. كانت تتشاجر. رقد جاسون على الأرض، وهو يبكي. كان بيده مقص. وكان أبي يحمل كادي.

قالت كادي: "لقد مزق دُمَى بنچي كلها. سوف أقطع رقبته".

قال أبي: "كانديس".

قالت كاندي: "سوف أقطعها. سوف أقطعها". هجمت. لكن أبي أمسك بها. ركلت جاسون. تدحرج في الركن، وخرج من المرآة. أحضر أبي كادي أمام النار. أصبحوا جميعًا خارج المرآة. لم يبق فيها سوى النار. كما كانت النار في أحد الأبواب.

قال أبي: "كُفي عن ذلك. هل تودين أن تمرض أمك في غرفتها".

كفت كادي. قالت: "لقد قطع جميع الدُّمَي التي صنعتُها أنا وبنچي. قطعها لأنه وضيع".

قال جاسون: "لم أفعل ذلك". كان يجلس وهي يبكي. "لم أكن أعلم أنها دُمَاه. ظننت أنها مجرد أوراق قديمة".

قالت كادي: "لا بد أنك تعرف أنها كذلك. ولذا قطعتها".

قال أبي: "اسكت، ياجاسون".

قالت كادي: "سوف أصنع لك المزيد منها غدًا. سوف نصنع الكثير منها. هكذا، يمكنك أن تنظر إلى الوسادة، أيضًا".

دخل جاسون.

قال لاستر: "قلتُ لك مرارًا، اهدأ.

قال جاسون "ماذا به، الآن؟"

قال لاستر: "هو يستنزف نفسه فحسب. هذا دأبه طوال النهار".

قال جاسون: "لم لا تتركه وشأنه، إذن. وإن لم تكن قادرًا على تهدئته، فخذه إلى المطبخ. فلا يمكننا أن نقفل غرفةً علينا، مثلما تفعل أمي".

قال لاستر: "قالت أمي ألا أحضره إلى المطبخ إلى أن تعد العشاء".

قال جاسون: "لاعبه إذن وهدئه. فهل يتعين عليَّ أن أعمل طوال اليوم، ثم آتي إلى منزل مجانين". فتح الصحيفة وقرأ فيها.

قالت كادي: يمكنك النظر إلى النار والمرآة والوسادة أيضًا. لن يكون عليك الانتظار إلى أن يحضر العشاء لتنظر إلى الوسادة، الآن. كنا نسمع السقف. كنا نسمع جاسون أيضًا، يبكي بصوت عال وراء الجدار.

قالت ديلسي: "تعال، يا جاسون. لقد تركتَه وحده، أليس كذلك".

قال لاستر: "أجل، يا أمي".

قالت ديلسي: "أين كوينتن. العشاء جاهز تقريبًا".

قال لاستر: "لا أعرف. لم أرها".

خرجت ديلسي. نادت في الصالة: "كوينتن. العشاء جاهز، يا كوينتن".

كنا نسمع السقف. كانت رائحة كوينتن كرائحة الأشجار أيضًا.

قال: ماذا فعل جاسون.

قالت كادي: مزق كل دُمَى بنچي.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال كوينتن: قالت أمي ألا نناديه باسم بنچي. جلس على البساط بالقرب منا. قال: كنت أتمنى ألا تمطر. فلا يمكنك أن تفعل شيئًا.

قالت كادي: كنت تتشاجر. أليس كذلك.

قال كوينتين: لم يكن شجارًا عنيفًا.

قالت كادي: يمكنك أن تبلغهم به. سوف يرى أبي ذلك.

قال كوينتن: ليس مهمًا. كنت أتمنى ألا تمطر.

قالت كوينتن: "هل قالت ديلسي إن العشاء جاهز".

قال لاستر: "نعم". نظر جاسون إلى كوينتن. ثم قرأ في الصحيفة مرةً أخرى. دخلت كوينتن. قال لاستر: "هي تقول إنها أوشكت على الانتهاء منه". قفزت كوينتن على كرسي أمي. وقال لاستر:

"سيد جاسون".

قال جاسون: "ماذا"

فال لاستر: "اعطني ربع دولار".

قال جاسون: "من أجل ماذا"

قال لاستر: "حتى أذهب الليلة إلى السيرك".

قال جاسون: "أظن أن ديلسي كانت ستأخذ ربع دولار من فروني، لتعطيه لك".

قال لاستر: "أعطتني إياه. لكني أضعته. وبحثت أنا وبنچي- طوال اليوم- عن هذا الربع. يمكنك أن تسأله".

قال جاسون: "إذن، اقترض منه ربع دولار. فعليَّ أن أعمل من أجل نفسي". راح يقرأ في الصحيفة. نظرت كوينتن إلى النار. كانت النار في عينيها وعلى فمها. كان فمها أحمر.

قال لاستر: "حاولت أن أبعده عن هنا".

قالت كوينتن: "اخرس". ونظر جاسون إليه.

قال: "ما قلته لكِ سوف أفعله إذا رأيتك مع هذا الشخص الذي يعمل في السيرك مرةً أخرى". نظرت كوينتن إلى النار. قال جاسون: "هل سمعتني"

قالت كوينتن: "سمعتُك. لماذا لا تفعل ذلك، إذن"

قال: "ألا يقلقك ذلك"

قالت كوينتن: "لا يقلقني". واصل جاسون قراءة الصحيفة.

كنت أسمع السقف. اتكأ أبي ونظر إلى كوينتن.

قال: "أهلاً. مَن الذي فاز؟"

قال كوينتن: "لا أحد. أوقفونا. المدرسون".

قال أبي: "كيف كان. هل تخبرنا"

قال كوينتن: "كانت الأمور على مايرام. كان كبيرًا مثلي".

قال أبي: "حسنًا. فعلام كان ذلك"

قال كوينتن: "لم يكن على شيء يُذكر. هو قال إنه سيضع ضفدعة في درجها، ولن تجرؤ على جَلده".

قال أبي: "هيه. درجها هي. ثم ماذا حدث"

قال كوينتن: "أجل، يا سيدي. بعد ذلك ضربتُه".

كنا نسمع صوت السقف والنار، ونشيجًا خارج الباب.

قال أبي: "من أين يأتي بضفدع في نوفمبر"

قال كوينتن: "لا أدري، ياسيدي".

كنا نسمعهم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال أبي: "يا جاسون". كنا نسمع صوت جاسون.

قال أبي: "جاسون، تعال هنا، وكف عن ذلك".

كنا نسمع السقف والنار وجاسون.

قال أبي: "كُف عن ذلك، الآن. أتريد أن أجلدك مرةً أخرى". حمل أبي جاسون ووضعه على الكرسي بالقرب منه. نشج جاسون. كنا نسمع صوت النار والسقف. كان نشيج جاسون أعلى قليلاً.

قال أبي: "مرةً أخرى". كنا نسمع صوت النار والسقف.

قالت ديلسي: لا بأس. يمكنكم جميعا أن تأتوا للعشاء.

كانت رائحة ڤيرش كرائحة المطر. كانت رائحته كرائحة كلب أيضًا. وكنا نسمع النار والسقف.

كنا نسمع كادي وهي تمشي مسرعة. نظر أبي وأمي إلى الباب. اجتازت كادي الباب، مسرعة. لم تنظر. كانت مسرعة.

قالت أمي: "كانديس". توقفت كادي عن المشي.

قالت: "نعم، يا أمي".

قال أبي: "اهدئي، يا كارولين".

قالت أمي: "تعالي هنا".

قال أبي: "اهدئي، يا كارولين. دعيها وشأنها".

أتت كادي إلى الباب ووقفت عنده، وهي تنظر إلى أبي وأمي. لمحتني عيناها، لكنها حولتهما بعيدًا عني. شرعتُ في البكاء. تعالى صوت البكاء ونهضْت. دخلت كادي ووقفت وظهرها للحائط، وهي تنظر إليْ. توجهت إليها، باكيًا، وانكمشَت إلى جوار الحائط، ورأيت عينيها وارتفع صوت بكائي، وتعلقتُ بفستانها. مدت يديها، لكني تشبثتُ

بفستانها. كانت الدموع تسيل من عينيها.

قال ڤيرش: اسمك الآن بنچامين. هل تعلم كيف أصبح اسمك الآن بنچامين. إنهم يجعلونك أزرق اللثة. تقول أمي إنه في سالف العصر والأوان غير جدك اسم أحد الزنوج، وأصبح واعظًا، وعندما نظروا إليه وجدوه أزرق اللثة أيضًا. لم يكن من المعتاد أن يكون أزرق اللثة. وعندما نظرت امراة من العائلة في عينه عندما كان القمر بدرًا ولدت طفلاً أزرق اللثة. وذات أمسية، عندما أصبح هناك عشرة أطفال ذوو لثة زرقاء يمرحون في المكان، لم يعد بعدها إلى البيت. وعثر عليه صيادو حيوان البوسوم مأكولاً حتى العظم في الغابة. هل تعرف من أكله. هُم الأطفال ذوو اللثة الزرقاء.

كنا في الصالة. كانت كادي ما تزال تنظر إليْ. كانت يدها على فمها ورأيت عينيها وبكيت. صعدنا إلى الطابق العلوي. توقفَت مرةً أخري، بجوار الحائط، وهي تنظر إليْ، وبكيت، واستمرت على هذا، وأتيت لها، باكيًا، وانكمشت بجوار الحائط، وهي تنظر إليْ. فتحَت الباب المؤدي إلى غرفتها، لكني تشبثت بثوبها، وذهبنا إلى الحمام، ووقفت أمام الباب وهي تنظر إليْ. ثم غطت وجهها بذراعها واندفعت نحوها، وأنا أبكي.

قال جاسون: ماذا فعلت له. لم لا تتركه في حاله.

قال لاستر: لم ألمسه. إنه على هذا المنوال طوال اليوم. إنه يستحق الجلد.

قالت كوينتن: يلزمه أن يذهب إلى مستشفى الأمراض العقلية. كيف يمكن لإنسان أن يعيش في منزل مثل هذا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال جاسون: إن كان هذا البيت لا يروق لك، أيتها الفتاة، فمن الأفضل تركه.

قالت كوينتن: سأفعل ذلك. لا تقلق.

قال ڤيرش: "تزحزح قليلاً للخلف، ليمكنني تجفيف رجلي". أزاحني إلى الخلف قليلاً. "لا تشرع في البكاء، الآن. فما تزال تراها. هذا كل ما عليك أن تفعله. لم تكن مضطرًا للخروج في هذا الجو الممطر مثلي. لقد ولدتَ محظوظًا وأنت لا تعرف ذلك". رقد على ظهره أمام النار.

قال ڤيرش: "هل تعلم كيف أصبح اسمك الآن بنچامين. إن والدتك فخورة للغاية بك. ماذا قالت ماما".

قال ڤيرش: "لا تتحرك من مكانك ودع رجليَّ تجفان. وإلا فأنت تعرف ماذا سأفعل. سوف أسلخ جلد مؤخرتك".

كنا نسمع صوت النار والسقف وڤيرش.

نهض ڤيرش بسرعة وهو يسحب رجليه للخلف. قال أبي: "لا بأس، يا ڤيرش".

قالت كادي: "سوف أطعمه الليلة. فهو يبكي أحيانًا عندما يطعمه ڤيرش".

قالت ديلسي: "خذي هذه الصينية إلى أعلى، وعودي بسرعة لتطعمي بنچي".

قالت كادي: "ألا تريد أن تطعمك كادي".

قالت كوينتن: أمن الضروري أن يوضع هذا الشبشب القديم القذر على المائدة. لماذا لا تطعموه في المطبخ. كما لو كنا نأكل مع خنزير.

قال جاسون: إذا لم ترق لك الطريقة التي نأكل بها، فمن الأفضل ألا تأتي إلى المائدة.

تصاعد البخار من روسكوس. كان جالسًا أمام الموقد. وكان باب الفرن مفتوحًا وقدما روسكوس فيه. تصاعد البخار من الطاسة. وضعت كادي الملعقة في فمي بسهولة. كانت هناك بقعة سوداء داخل الطاسة.

قالت ديلسي: اهدئي، اهدئي. لن يزعجك بعد الآن.

انخفض مستوى الطعام في الطاسة. ثم أصبحت الطاسة فارغة. ابتعدت. قالت كادي: "إنه جائع الليلة". عادت الطاسة من جديد. لم أتمكن من رؤية البقعة. ثم تمكنت. قالت كادي: "إنه ميت من الجوع، الليلة. انظروا كم أكل من الطعام".

قالت كوينتن: أجل، سوف يزعجني. أنتم جميعًا ترسلونه للتجسس عليّ. أكره هذا البيت، وسوف اهرب منه.

قال روسكوس: "سوف تمطر طوال الليل".

قال جاسون: أنت تسيرين على هواك منذ أمد بعيد، لكنك لا تتأخرين أبدًا عن موعد الطعام.

قالت كوينتن: سنرى إن كنت لن أتأخر.

قالت ديلسي: "لا أعرف إذن ماذا أفعل. فقد أمسك الألم بي في فخذي إلى حد أن أتحرك بالكاد. إنه من صعود هذه السلالم طوال الليل".

قال جاسون: لن أندهش. لن أفاجأ بأي شيء تقومين به.

ألقت كوينتن بفوطتها على المائدة.

قالت ديلسي: اسكت، ياجاسون. ذهبت إلى كوينتن واحتضنتها. قالت: اجلسي، يا حبيبتي. عليه أن يخجل من نفسه حين يعيرك بما لم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ترتكبيه.

قال روسكوس: "حرنت مرةً أخرى، أليس كذلك"

قالت ديلسي: "اسكت".

دفعت كوينتن ديلسي بعيدًا عنها. نظرت إلى جاسون. كان فمها أحمر. رفعت كأس الماء من أمامها، وطوحت بذراعها للخلف بسرعة، وهي تنظر إلى جاسون. أمسكت ديلسي بذراعها. تشاجرا. انكسرت الكأس على المائدة، وسال الماء عليها. وكانت كوينتن تجري.

قالت كادي: "مرضت أمي من جديد".

قالت ديلسي: "من المؤكد أن تمرض. فمثل هذا الجو يجعل أي انسان يمرض. متى تنتهي من أكلك، يا غلام".

صرخت كوينتن: عليك اللعنة. عليك اللعنة. كنا نسمعها تجرى على السلم. ذهبنا إلى المكتبة.

أعطتني كادي الوسادة، وتمكنت من النظر للوسادة والمرآة والنار.

قال والدي: "لابد أن نلزم الهدوء عندما يذاكر كوينتن. ماذا تفعل، يا جاسون".

قال جاسون: "لا شيء".

قال والدي: "من المفترض أن تأتي هنا لتفعل ذلك".

قدم جاسون من الركن.

قال أبي: "ما الذي تمضغه"

قال جاسون: "لا شيء".

قالت كادي: "لقد عاد إلى مضغ الورق".

قال أبي: "تعال هنا، يا جاسون".

تفل جاسون ما في فمه في النار. صدر عنه صوت هسيس، انبسط متحولاً إلى اللون الأسود. ثم أصبح رماديًا. ثم انطفأ. كانت كادي وأبي وجاسون في مقعد أمي. كانت عينا جاسون مغمضتين ومنتفختين إلى حدٍّ ما فيما كان فمه يتحرك كما لو كان يتذوق شيئًا ما. رأس كادي كانت على كتف أبي. كان شعرها يشبه النار، وحبات صغيرة من النار في عينيها، وذهبت ورفعني أبي إلى المقعد أيضًا، وسندتني كادي. كانت رائحتها كرائحة الأشجار.

كانت رائحتها كرائحة الأشجار. كان الركن مظلمًا، لكني كنت أرى الشباك. جلست القرفصاء هناك، ممسكًا بشبشبي. لم أكن أراه، لكن يديَّ كانتا تريانه، وكنت أسمع الليل وهو يحل، ويداي تريان الشبشب، لكني لم أكن أرى نفسي فيما كانت يداي تريان الشبشب، وجلست القرفصاء هناك، مستمعًا إلى حلول الظلام.

قال لاستر: ها أنت ذا. انظر علام حصلت. أراه لي. أنت تعلم من أين حصلت عليه. لقد أعطته لي الآنسة كوينتن. كنت أعلم أنهم لا يمكنهم أن يتخلوا عني. ماذا تفعل هنا، بالخارج. أظن أنك تسللت إلى الخارج. ألم تأخذ كفايتك من البكاء ومن سيلان لعابك اليوم، فتسللت إلى هذه الغرفة الخالية، لتغمغم وتولول. هيا، إلى فراشك، حتى أتمكن من الذهاب إلى هناك قبل يبدأ العرض. لا يمكنني الليلة أن أهرج معك طوال الليل. فسوف أنطلق إلى هناك، ما إن أسمع أول بوق لهم.

لم نذهب إلى غرفتنا.

قالت كادي: "هذا هو المكان الذي كانوا يعزلوننا فيه عندما نصاب بالحصبة. لماذا يتعين علينا أن ننام هنا الليلة".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت ديلسي: "وماذا يهمك في المكان الذي ستنامون فيه". أغلقت الباب وجلست، وبدأت تخلع ملابسي. بدأ جاسون يبكي. قالت ديلسي "اهدأ".

قال جاسون: "أود أن أنام مع جدتي".

قالت كادي: "إنها مريضة. يمكنك أن تنام معها عندما تتحسن صحتها. أليس كذلك، يا ديلسي".

قالت ديلسي: "اسكت الآن". سكت جاسون.

قالت كادي: "ملابس نومنا هناك، وجميع لوازمنا. كما لو أننا منتقلون إلى منزل آخر".

قالت ديلسي: "ومن الأفضل أن ترتدوها. ساعدي جاسون في فك أزراره".

فكت كادي أزرار جاسون. وشرع في البكاء.

قالت ديلسي: "هل تود أن تُجلَد". سكت جاسون.

نادت أمي من الصالة: "كوينتن".

قالت كوينتن عليها من وراء الحائط: "ماذا هناك". سمعنا أمي وهي تغلق الباب. نظرت في غرفتنا عبر الباب ودخلت وانحنت على السرير، وقبلتني على جبيني.

قالت أمي: بعدما تضعه في فراشه، اطلب من ديلسي- إن لم يكن لديها مانع- أن تعد زجاجة من الماء الدافئ. قل لها إنها لو لم تتمكن من ذلك، فسوف أتصرف بدونها. قل لها إنني أود فقط أن أعرف ردها.

قال لاستر: "حاضر". "هيا، اخلع بنطلونك".

دخل كوينتن وڤيرش. كان كوينتن يشيح بوجهه عنا. قالت كادي:

"علام تبكي"

قالت ديلسي: "هسس. اخلعوا ملابسكم كلكم، الآن. وأنت يا ڤيرش، يمكنك أن تذهب إلى البيت".

خلعت ملابسي ونظرت إلى نفسي، وشرعت في البكاء. قال لاستر: هس. لا جدوي من البحث عنهم. لقد ذهبوا. ولو استمر بك الحال على هذا النحو فلن نقيم لك حفل عيد ميلاد. ألبسني ردائي. سكت، ثم توقف لاستر، ورأسه تتجه نحو النافذة. ثم توجه إلى النافذة ونظر للخارج. عاد وأمسك بذراعي. قال: ها هي قد آتت. عليك أن تلتزم الهدوء، الآن. ذهبنا إلى النافذة ونظرنا إلى الخارج. خرجت من نافذة كوينتن وتسلقت عبرها بالشجرة. رأينا الشجرة وهي تهتز. هبط الاهتزاز أسفل الشجرة، ثم خرجت ورأيناها تبتعد عبر الحشائش. ثم لم نعد نراها. قال لاستر: هيا. الآن. هل تسمع بوقهم. الزم هذا الفراش فيما تقوم قدماي بالتصرف اللازم.

كان هناك سريران. نام كوينتن في السرير الآخر. أدار وجهه نحو الحائط. وضعت ديلسي جاسون معه في الفراش. خلعت كادي ملابسها.

قالت ديلسي: "انظري إلى سروالك. أنت محظوظة لأن أمك لم ترك".

قال جاسون: "لقد وشيت بها".

قالت ديلسي: "أنا متأكدة من ذلك".

قالت كادي: "انظر ماذا كسبت من ذلك، يا نمام".

قال جاسون: "ماذا كسبت"

قالت ديلسي: "لم لا ترتدين ملابس نومك". ذهبت لتساعد كادي في خلع صدريتها وسروالها. "انظري لنفسك فحسب". كورت السروال

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ومسحت به مؤخرة كادي. "لقد نشعت الأوساخ على جسمك. لكنك لن تستطيعي الاستحمام الليلة". ألبست كادي ملابس النوم، وصعدت كادي إلى الفراش، وتوجهت ديلسي إلى الباب ووقفت ويدها على مفتاح النور. قالت: "عليكم جميعا أن تلتزموا الهدوء، هل تسمعونني".

قالت كادي: "لا بأس. فأمي لن تأتي هنا الليلة. فعلينا أن نطيعك".

قالت ديلسي: "أجل، ناموا الآن".

قالت كادي: "أمي مريضة. وجدتي مريضةٌ أيضًا".

قالت ديلسي: "هُس. هيا لتنامي".

عم السواد الحجرة، عدا الباب. ثم أصبح الباب أسود. قالت كادي: "اسكت، يا موري"، وهي تضع يدها عليْ. فبقيتُ ساكتًا. كنا نسمعنا. كنا نسمع الظلام.

انقشع الظلام، ونظر أبي إلينا. نظر إلى كوينتن وجاسون، ثم أتى وقبَّل كادي ووضع يده على رأسي.

قالت كادي: "هل أمي مريضة جدًّا"

قال أبي: "لا. هل ستعتنين جيدًا بموري".

قالت كادي: "حاضر".

توجه أبي إلى الباب ثم نظر إلينا مرةً أخرى. ثم عاد الظلام، وأبي واقف أسودَ في الباب، ثم اسود الباب مرةً أخرى.

احتضنتني كادي، وكنت أسمعنا جميعًا، وأسمع الظلام، وأشم رائحةً ما. ثم رأيت النوافذ، حيث كانت الأشجار تئز. ثم بدأ الظلام يتحول إلى أشكال مشرقة وناعمة، كدأبه على الدوام، حتى عندما كانت كادي تقول إنني نائم.

2 يونيــو 1910

عندما ظهر ظل عارضة الشباك على الستارة، كانت الساعة ما بين السابعة والثامنة، وبالتالي فقد كنتُ في الموعد من جديد، وأنا أسمع صوت الساعة. هي ساعة جدي، وعندما أعطاها لي أبي قال لي أهديك ضريح الآمال والرغبات جميعًا؛ ومن المؤلم أنها كفيلة- حين تستخدمها- بأن تكون شاهدًا على لا جدوى التجربة الإنسانية برمتها، وهي التجربة التي لن تكون فيها تجربتك ملبية لاحتياجاتك الفردية بأفضل مما كان حال تجربته أوتجربة والده. أهديها لك لا لكي تتذكر الزمن، بل لتنساه لبرهة بين حين وآخر، ولا تجهد نفسك في السعي للانتصار عليه. فهي معركة لم يكسبها أحدٌ أبدًا. بل لم يتم خوضها. ولا يكشف ميدانها للإنسان إلا عن حمقه ويأسه، والانتصار فيها وهمٌ من أوهام الفلاسفة والحمقى.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت الساعة مستندة إلى علبة الياقة* وأنا أرقد منصتًا لصوتها. نعم، منصتًا لها. ولا أظن أن هناك من يتعمد الإنصات إلى صوت ساعة اليد أو الحائط. لستَ مضطرًا إلى ذلك. فقد تغفل عن الصوت لأمد طويل، ثم في ثانية عندما تسمع تكتكتة الساعة يمكن أن تخلق ذلك في الذهن عرضًا طويلاً- يتلاشى على نحومضطرد- للزمن الذي لم تسمع صوته. وعلى حد تعبير أبي كأنك ترى يسوع وهو يسير عبر أشعة النور الطويلة والموحشة. والقديس الطيب فرنسيس الذي كان يناجي الموت: "أيتها المنية يا أختي الصغرى"، مع أنه لم يكن له أخت.

سمعت عبر الحائط يايات سرير شريف، ثم صوت احتكاك نعليه بالأرض. نهضت وذهبت إلى خزانة الملابس ومددت يدي فيها ولمست الساعة وقلبتها على وجهها وعدت إلى فراشي. لكن ظل عارضة الشباك كان لا يزال موجودًا، وكنت قد تعلمت أن أستدل منه على الوقت بالساعة وحتى بالدقيقة تقريبًا، فكان عليَّ أن أدير له ظهري، مستشعرًا كما لو أن لي عيونًا متلهفة على النظر له في مؤخرة رأسي كتلك التي توجد في مؤخرة رأس بعض الأنواع من الحيوانات. إن ما سوف تأسف عليه هو عادات الكسل التي تكتسبها. هذا ما قاله أبي. إن ذلك المسيح لم يصلب: بل تبدد بفعل تكتكة التروس الصغيرة دقيقة بدقيقة. أما ذاك فلم تكن له أخت.

وحالما أدركت أنني لم يعد بإمكاني رؤيتها، بدأت في التساؤل كم الساعة. وكان أبي قد قال إن التكهن الدائم بوضع العقارب على ميناء

---

* كان من بين موضات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ارتداء ياقات منفصلة منشاة تحت السترة. والعلبة المقصودة هنا هي علبة حفظ الياقات- المترجم.

الساعة العشوائي الترقيم عَرَض من الأعراض التي تدل على وظيفة العقل البشري. وقال إنه إفراز مثل العرق. وكنت أقول **لا بأس**. تساءل. استمر وتساءل.

ولو كانت السماء غائمة لتمكنت من النظر من النافذة، وأنا أفكر فيما قاله عن العادات الكسولة. وأنا أفكر في أنه كان من الافضل لهم في نيولندن لو كان الجو مستمرًا على هذا النحو. ولم لا؟ إنه شهر العرائس. والصوت اللاهث جرت *خارج المرآة، خارج عبق الروائح الكثيف. ورود. ورود. السيد جاسون ريتشموند كومبسون وحرمه يعلنان عن زواج. ورود. لم تكن عذراء مثل زهور الاقحوان، أو زهور اللبين البيضاء. قلتُ لوالدي لقد ارتكبتُ زنا المحارم. ورود.* محنك وذو طبيعة هادئة. لو التحقت بهارڤارد لمدة عام، ولم تحضر سباق الزوارق، فذلك سيحقق وفرًا من المبلغ المسترد. فليأخذه جاسون. به يلتحق بهارڤارد لمدة عام.

وقف شريف عند الباب، مرتديًا ياقته، ونظارته تبرق بلون وردي، كما لو كان قد غسلها حين غسل وجهه. "هل ستغيب هذا الصباح؟"

"هل تأخر الوقت إلى هذا الحد؟"

نظر إلى ساعته. قال "الجرس سيضرب بعد دقيقتين".

"لم أكن أدري أن الوقت قد فاتني إلى هذا الحد". كان لا يزال ينظر في الساعة، زامًّا شفتيه. قال: "لابد أن أسرع. لا أحتمل غيابًا آخر. قال لي العميد ذلك في الأسبوع الماضي". وضع الساعة مرةً أخرى في جيبه. ثم سكتُّ عن الكلام.

قال: "من الأفضل أن ترتدي بنطلونك وتعجل بالذهاب". وخرج.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نهضتُ وتحركت في الغرفة، مستمعًا إليه عبر الحائط. دخل إلى غرفة الجلوس، واتجه نحو الباب.

قال: "ألم تستعد بعد".

قلت: "ليس بعد. اسبقني. سوف آتي بعدك".

خرج. انغلق الباب. ابتعد صوت خطواته في الممر. ثم سمعت الساعة مرةً أخرى. توقفتُ عن التجول وتوجهت إلى النافذة، وفتحت الستارة، ورأيتهم يجرون إلى الكنيسة، نفس الأشخاص الذين يرتدون معاطف ثقيلة، ويجتهدون للمشي بسرعة، ويحملون نفس الكتب، ويرتدون نفس الياقات، ينجرفون كما لو كانوا حطامًا يجرفه السيل، كما رأيت سبود. هو الذي يدأب على القول عن شريف إنه زوجي. قال شريف دعك منه، فلا هم له سوى الجري وراء الساقطات الصغيرات القذرات. وفي الجنوب يخجل الناس من ألا تكون لهم تجربة جنسية. الأولاد. الرجال. يختلقون الأكاذيب حول ذلك. وحسبما قال أبي فإن العذرية لا تعني الكثير بالنسبة للنساء. قال إن الرجال لا النساء هم الذي اخترعوا العذرية. وقال إنها كالموت: حالة يظل فيها الآخرون على قيد الحياة، فقلت له ولكن أن تعتقد أنها غير مهمة، وقال هذا أمر يؤسف له بالنسبة لأي شيء، لا بالنسبة للعذرية فحسب، فقلت له لماذا لا أكون أنا- لا هي- مَن فقد عذريته، فقال ذلك من أسباب الأسف أيضًا؛ فلا شيء فيه يستحق حتى مجرد تغييره، وقال شريف إنه إنسان مغفل لا هَم له سوف مطاردة الساقطات القذرات الصغيرات فسألته هل كان لك أخت؟ هل كان لك أخت؟ هل كان لك أخت؟

كان سبود بينهم مثل سلحفاة وسط شارع ممتلئ بأوراق الشجر

الميتة، ياقتة مرتفعة حتى أذنيه، ويسير بمشيته المعتادة غير المتعجلة. كان من ساوث كارولينا، وطالب في السنة النهائية. اشتهر في فرقته بأنه لم يسرع خطاه قط إلى الكنيسة، ولم يصلها أبدًا في الموعد المحدد، ولم يتغيب عن الدراسة ليوم واحد على مدى أربع سنوات، ولم يحضر للكنيسة وللمحاضرة الأولى مرتديًا قميصا على ظهره أو جوربا في قدميه. ونحو الساعة العاشرة يحضر إلى مطعم تومسون، ويتناول فنجانين من القهوة، وأثناء جلوسه يخرج جوربه من جيبه، ويخلع حذاءه ويرتديه، فيما تبرد القهوة. وحوالي الظهر تراه مرتديًا قميصه، وياقته، شأن الجميع. يتخطاه الآخرون مسرعين، لكنه لا يسرع خطاه أبدًا. وبعد برهة تكون الساحة خالية.

مال عصفور عبر أشعة الشمس، وحط على إفريز النافذة، ووجَّه رأسه نحوي. كانت عيناه مستديرتين براقتين. في البداية نظر إليَّ بإحدى عينيه، ثم نقر! ونظر لي بعينه الأخرى، وأنفاسه تتلاحق في بأسرع من أي نبض. بدأت الساعة تدق. وكف العصفور عن تبادل النظر إليَّ بعين بعد الأخرى، ونظر إليَّ بثبات بعين واحدة إلى أن انتهت دقات الساعة، كأنه كان هو أيضًا يستمع إليها. ثم قفز من الافريز واختفى.

استغرق الأمر برهةً قبل أن تتلاشى تمامًا أصداء الدقة الأخيرة للساعة. ظلت معلقةً في الهواء لمدة طويلة، تلمسها بأكثر مما تسمعها. مثل كافة الأجراس التي دقت فما تزال دقاتها ملموسة في أشعة النور المحتضرة، وفي المسيح، وفي حديث القديس فرنسيس عن أخته. فلو كان الأمر مجرد الذهاب إلى الجحيم؛ لو كان هذا هو كل ما في الأمر، فإنه يعتبر أمرًا منتهيًا. لو كانت الأمور تنتهي من تلقاء نفسها فحسب. فلم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يكن هناك سوانا أنا وهي. ولو كان بإمكاننا أن نرتكب فعلاً شنيعًا لكانوا جميعًا قد نجوا من الجحيم فيما عدانا. *قلتُ لأبي لقد ارتكبتُ زنا المحارم وأنا من فعلها لا دالتون إيمز*. وعندما وضع دالتون إيمز. دالتون إيمز. دالتون إيمز. عندما وضع المسدس في يدي لم أستخدمه. وذلك سبب عدم استخدامه. لأنه سوف يكون هناك وهي وأنا أيضًا. دالتون إيمز. دالتون إيمز. دالتون إيمز. لو كان بمقدورنا أن نرتكب فعلاً شنيعًا للغاية وقال أبي إن هذا أمر مؤسفٌ أيضًا أن الناس ليس بوسعهم ارتكاب فعل شنيع وليس بوسعهم ارتكاب فعل شنيع للغاية على الإطلاق بل ليس في وسعهم حتى أن يتذكروا في الغد ما بدا أنه فعل شنيع اليوم وقلت: يمكنك أن تتنصل من المسئولية عن كافة الأمور فقال: آه هل يمكنك ذلك. وسأنظر في العمق وأرى عظامي المتذمرة والمياه العميقة التي تشبه الكفن، التي تشبه سقف الكفن، وبعد فترة طويلة لن يستطيعوا حتى تمييز العظام على الرمال الموحشة، التي لم يمسسها أحد. إلى أن يأتي يوم الدينونة ويقول الرب انهضوا فلا يطفو وقتها سوى المكواة*. لا حينما تدرك أن لا شيء يمكنه أن يقدم لك العون- لا الدين، ولا المكانة، ولا أي شيء آخر- بل حين تدرك أنك لا تحتاج إلى أي عون. دالتون إيمز. دالتون إيمز. دالتون إيمز. لو كان لي أن أرى أمه ترفع جسدها عاريةً أمام الأنظار وهي تضحك، فيما أمسك بأبيه بيدي، أحتجزه، وأراه، وأرقبه يموت قبل أن يولد. ***وقفت لمدة دقيقة في الباب***.

---

* من المحتمل أن تكون تلك إشارة للطريقة التي انتحر بها كوينتن باستخدام مكواتين وضعهما في سترته قبل انتحاره في نهر تشارلز بالقرب من حرم جامعة هارفارد- المترجم.

توجهتُ إلى التسريحة، وتناولت الساعة ووجهها مقلوبٌ للأسفل. خبطتُ زجاج الساعة بركن التسريحة، وتلقيت بيدي شظايا الزجاج ووضعتها في منفضة السجائر، وخلعت العقارب ووضعتها في المنفضة. كانت الساعة تتكتك. أدرت وجهها إلى أعلى، وقرص الساعة الخالي ذو التروسَ الصغيرة يتكتك ويتكتك في الوراء، كأفضل مايكون. والمسيح يسير على بحيرة طبرية وواشنطن لا يكذب! وأبي اشترى لجاسون حلية لسلسلة ساعة الجيب من سوق سانت-لويس: منظار أوبرا صغير تنظر فيها بعين واحدة فترى ناطحة سحاب، وعجلة حديدية عنكبوتية الشكل، وشلالات نياجارا على رأس دبوس. كان على ميناء الساعة بقعة دم. وعندما رأيتها بدأ إصبعي يؤلمني. فوضعت الساعة وذهبت إلى غرفة شريف وأحضرت صبغة اليود وضمدت الجرح. وأزلت بقية الزجاج على حافة الساعة بفوطة.

أخرجت طاقمين من الملابس الداخلية، وجوارب، وقمصان، وياقات ورابطات عنق، وحزمتُ صندوق ثيابي. وأنا أضع فيه كافة متعلقاتي، عدا بذلتي الجديدة وبذلة أخرى قديمة، وزوجين من الأحذية وقبعتين وكتبي. حملت الكتب إلى غرفة الجلوس، ورتبتها على المنضدة، البعض الذي أحضرته من المنزل والبعض الذي *كان أبي يقول عنه إن الرجل النبيل كان يعرف في الماضي من كتبه؛ أما في زماننا فإنه يعرف من الكتب التي استعارها ولم يردها لأصحابها* وأغلقت صندوق الثياب وكتبت عليه العنوان. دقت الساعة عند ربع الساعة. توقفت وأصغيت إليها إلى أن توقفت الرنين.

استحممتُ وحلقت. آلم الماء يدي قليلاً، فوضعت عليه صبغة اليود

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مرةً أخرى. لبست بذلتي الجديدة وساعتي، ووضعت البذلة الأخرى وبقية المتعلقات وشفرة الحلاقة والفُرَش في حقيبة يدي، ولففت مفتاح صندق الملابس في ورقة، ووضعته في مظروف كتبت عليه عنوان أبي، وكتبت الرسالتين المقتضبتين ووضعتهما في مظروفين.

لم يكن الظل قد تبدد تمامًا من الرواق. توقفت داخل الباب، أنظر للظل وهو يتحرك. كان يتحرك بصورة محسوسة تقريبًا، زاحفًا إلى الوراء داخل الباب. *كانت تجري بالفعل حين سمعت ذلك. كانت تجري في المرآة قبل أن أعرف ما كان. حيث رفعت ذيل ثوبها فوق ذراعها وجرت خارجةً من المرآة كالسحابة، ووشاحها يُدوِّم في ومضات طويلة على كعبيها الهشين المسرعين، ممسكةً بيدها الأخرى على فستانها إلى كتفها، وهي تجري خارجةً من المرآة الروائح ورود ورود الصوت الذي ضوعت أنفاسه جنة عدن. ثم مرت عبر الشرفة الأمامية كالسحابة، ولم أستطع سماع كعبيها آنذاك في ضوء القمر، وظل الوشاح يجري عبر الحشائش، ليدخل في الضجيج. جرت من فستانها، ممسكةً بثوب عرسها، جاريةً إلى الضجيج، حيث كان تي بي مع بنچي الذي أسرف في احتساء الشراب، ووقف يصخب بعد أن نزل عن الصندوق. وكان أبي يرتدي حلة فضية شبيهة بالدرع على شكل V على صدره وهو يجري.*

قال شريف: "حسنًا، لم تحضر.. ألديك عرس أم عزاء؟"

قلت: "لم أتمكن من الحضور".

قال "بعد ارتداء كل هذه الملابس الفخمة. ماذا جرى؟ هل تظن أن اليوم هو الأحد؟"

قلت: "لا أظن أن الشرطة سوف تقبض عليَّ لارتدائي بذلتي

الجديدة ذات مرة".

"أتحدث عن طلبة الميدان. فهم سيتصورون أنك تذهب إلى هارڤارد. ألا تسمح لك كبرياؤك حتى بحضور المحاضرات".

"أريد أن آكل أولاً". كان الظل في الشرفة قد زال. ودخلت في ضوء الشمس، لأعثر على ظلي مجددًا. نزلت السلالم أمامه مباشرةً. دقت الساعة عند نصف الساعة. ثم توقفت الرنين وتلاشي بعيدًا.

لم يكن الشماس في مكتب البريد. وضعت طابعين على الخطابين، أرسلت واحدة لأبي، ووضعت رسالة شريف في جيبي الداخلي، ثم تذكرت آخر مرة رأيت فيها الشماس. كان ذلك في يوم الذكرى أو عيد تخليد الشهداء، وكان مرتديًا زي جيش الجمهورية إبان الحرب الأهلية، ويتوسط العرض العسكري. وإذا ما انتظرت لمدة كافية في أي منعطف، فسوف تراه في عرض عسكري ما. وكان العرض السابق بمناسبة عيد ميلاد غاريبالدي أو كولمبس أو شخصٍ ما. كان مشاركا أيضًا في عرض قسم الكناسين، مرتديًا قبعة طويلة عليها علم إيطاليا بطول بوصتين، ويدخن سيجارًا وسط المكانس والمجارف. لكن آخر عرض كان هو عرض جيش الجمهورية، لأن شريف قال لي حينها:

"انظر. انظر فقط لما فعل جدك بهذا الزنجي العجوز المسكين".

قلت: "نعم. فبإمكانه الآن أن يمضي اليوم تلو الآخر في العروض العسكرية. فلولا جدي لكان عليه الآن أن يعمل مثل البيض".

لم أره في أي مكان. لكني لا أعرف زنجيًّا عاملاً يمكن أن تجده حين تريده، فما بالك بزنجي يعيش على ما ترزقه به الأرض. أتت سيارة. استقللتُها إلى المدينة وتوجهتُ إلى مطعم باركر، وتناولتُ وجبه إفطار

https://telegram.me/maktabatbaghdad

جيدة. وفيما كنت آكل، سمعت صوت الساعة يدق تمام الساعة. لكني أظن أن الإنسان بحاجة إلى أن يفقد إحساسه بالزمن لمدة ساعة على الأقل، وهو الذي انشغل منذ ما قبل التاريخ بالتعاقب الآلي للزمن.

عندما انتهيت من إفطاري اشتريت سيجارًا. قالت البائعة إن السيجار من فئة الخمسين سنتًا هو الأفضل، فاشتريت واحدًا وأشعلته وخرجت للشارع. وقفتُ هناك، وأخذت نفسين، ثم أمسكته في يدي وتوجهت إلى الناصية. مررت بواجهة محل ساعاتي، لكني أشحت بوجهي عنه في الوقت المناسب. وعند الناصية جاصرني اثنان من ماسحي الأحذية من الجانبين، يصيحان وينعقان كغرابين. أعطيت لأحدهما السيجار، وأعطيت للآخر قطعة نقدية، فتركاني وشأني. وحاول مَن أعطيته السيجار أن يبيعه للآخر مقابل القطعة النقدية.

كانت هناك ساعة، عاليًا في الشمس، وفكرت في الكيفية التي يحتال بها جسمك عليك- حين لا ترغب في فعل شيءٍ ما- لكي تفعل هذا الشيء، لا شعوريًا. وكنت أحس بها بعضلات رقبتي الخلفية، ثم أسمع ساعتي تتكتك في جيبي، وبعد برهة كفت كل الأصوات حولي، فيما عدا صوت الساعة في جيبي. فعدت أدرجي في الطريق إلى واجهة محل الساعاتي. كان صاحب المحل يعمل على المنضدة خلف الواجهة. كان بادي الصلع. كان ثمة عدسة على عينه، كما لو كانت مثبتة في وجهه. ودخلت المحل.

كان المكان حافلاً بالتكتكة، كالزيزان وسط حشائش سبتمبر، وكنت أسمع خاصةً صوت ساعة كبيرة مثبة على الحائط فوق رأسه. رفع رأسه ناظرًا إليّ، وبدت عيناه من وراء الزجاج كبيرتين عليهما غشاوة

وتتحركان بسرعة. أخرجت ساعتي وأعطيتها له.

"لقد كسرتُ ساعتي".

قلبها في يده. قال: "هذا واضح. لا بد أنك دُست عليها".

"أجل، يا سيدي. لقد خبطتها في التسريحة ودست عليها في الظلام. ومع ذلك فما تزال تعمل".

فك الساعة من الخلف ونظر فيها. "يبدو أنها ما تزال تعمل. لكني لا يمكنني أن أخبرك بحالتها إلا بعد أن أفحصها بالكامل. وسأقوم بذلك بعد ظهر اليوم".

قلت: "سأحضرها في وقت لاحق. فهلا قُلت لي إن كانت إحدى الساعات في الواجهة مضبوطة؟"

أمسك ساعتي في راحة يده، ورفع رأسه ناظرًا إليَّ بعينه الغائمة التي تتحرك بسرعة في محجرها.

قلت: "لقد راهنت أحدهم. ونسيت نظاراتي صباح اليوم".

قال: "لا بأس، حسنًا". وضع ساعتي من يده، وقام نصف قومه من كرسيه، ونظر عبر الحاجز. ثم نظر إلى الحائط. قال "إنها عشر..".

قاطعته: "لا تقل لي. من فضلك يا سيدي. قُل لي فقط إن كانت إحداها مضبوطة".

ونظر الساعاتي إليَّ من جديد. وعاود الجلوس على مقعده، ورفع العدسة فوق جبينه. كانت قد تركت دائرة حمراء حول عينه، وعندما أزيلت بدا وجهه كله كأنه عريان. قال: "بم تحتفل اليوم؟ فلن يُقام سباق القوارب إلا في الأسبوع المقبل، أليس كذلك؟"

قلت: "لا، يا سيدي. إنه مجرد خاص. عيد ميلاد. فهل أي من هذه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الساعات مضبوطة؟"

"لا. لم تنتظم وتُضبط بعد. وإن كنت تفكر في شراء إحداها.."

"لا، يا سيدي. لا أحتاج لساعة يد. لدينا ساعة حائط في غرفة الجلوس. وسأصلح هذه الساعة عندما أحتاجها". ومددت يدي.

"من الأفضل أن تتركها الآن".

"سوف أحضرها فيما بعد". ناولني الساعة. وضعتها في جيبي. لم أعد قادرًا على سماعها الآن، وسط أصوات الساعات الأخرى. "أنا ممتن لك كثيرًا. وأرجو ألا أكون قد أضعت وقتك".

"لا بأس. أحضرها عندما تريد. ومن الأفضل أن تؤجل الاحتفال إلى أن نفوز بسباق القوارب".

"أجل، يا سيدي. أفكر في ذلك".

خرجت، وأغلقت الباب على التكتكة. نظرتُ خلفي إلى واجهة المحل. كان يرقبني عبر الحاجز. كان بالواجهة ما يزيد عن عشر ساعات، ما يزيد عن عشر توقيتات، وكل منها يحمل نفس التأكيد الجازم المتناقض الذي تملكه ساعتي، التي بلا عقارب على الإطلاق. متناقضة كل منها مع الأخرى. وسمعت صوت ساعتي، تتكتك في جيبي، بالرغم من أن أحدًا لا يراها، ورغم أنها لن تنبئ أحدًا بشيء حتى لو رآها.

وهكذا قلتُ لنفسي إنني ينبغي أن أحتفظ بهذه. فأبي قال إن الساعات تقتل الوقت. وقال إن الوقت يموت مع كل تكة من رقاص الساعة؛ ولن يعود الوقت للحياة إلا عندما تتوقف الساعة. كانت العقارب ممتدة، مائلةً أفقيًا بزاوية منفرجة كجناحي نورس يطير مائلاً وسط الرياح. ممتلئة بكل ما اعتدت الأسف عليه مثلما يحتجز الهلالُ الماء

في أساطير الزنوج*. انكب الساعاتي على عمله مجددًا، منحنيًا على منضدته، والعدسة تبرز من وجهه. كان شعره مفروقًا من المنتصف. وجزء من الشعر المفروق يغطي صلعته، كمستنقع جاف في ديسمبر.

رأيت محلاً للأدوات المعدنية عبر الشارع. لم أكن أعلم أنكم تشترون المكاوى بالرطل.

قال البائع: "ربما ترغب في شراء مكواة رِجل. فهي تزن عشرة أرطال". كانت أكبر مما أظن. من ثم اشتريت مكواتين أصغر حجمًا زنة كل منها ستة أرطال، لأنهما ستبدوان كزوج أحذية عندما توضعان في لفافة. شعرت أنهما ثقيلتان معًا، لكني تذكرت ما قاله أبي عن لا جدوى التجربة البشرية، وأنا أفكر كيف أن هذه هي الفرصة الوحيدة التي بدت متاحة لي لتطبيق ما تعلمته في هارڤارد. وفكرت في أن تعلم القيام بذلك على نحو سليم ربما يستغرق مني العام القادم، أو ربما يستغرق عامين في المدرسة.

لكن المكواتين كانتا ثقيلتين عند رفعهما في الهواء. أتت سيارة. ركبتها. لم أقرا اللافتة على مقدمتها. كانت مزدحمة بالركاب، معظمهم ممن يبدو عليهم الثراء، ويقرأون الصحف. كان المكان الوحيد الشاغر إلى جوار زنجي. كان يرتدي قبعة من طراز دربي وحذاء لامعًا، ويمسك عقب سيجار مطفأ. كنت أعتقد في الماضي أن أهل الجنوب لابد أن يكونوا دائمًا على حذر في التعامل مع الزنوج. وكنت أعتقد أن ذلك ما

---

* في الأسطورة التي يشير لها كوينتن، يعتقد الزنوج أنه في حالة ما إذا كان طرفا الهلال متجهين لأعلى، فإن الهلال يحتجز الماء أو المطر، بما ينذر بأن يكون العام عام جفاف. المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ينتظره أهل الشمال منهم. وفي بداية مجيئي إلى الشرق، كنت أفكر دائمًا في أنني ينبغي أن أتذكر على الدوام أن أفكر فيهم كملونين لا كزنوج، ولو لم يحدث أن تصادف وجودي مع عدد كبير منهم، لكان عليَّ أن أضيع قدرًا كبيرًا من الجهد والوقت قبل أن أتعلم أن أفضل السبل للتعامل مع كافة الناس، بيضًا أو سودًا، أن تتعامل معهم وفقًا لما يرونه في أنفسهم، ثم تدعهم وشأنهم. كان ذلك عندما أدركت أن الزنجي ليس شخصًا بقدر ما هو نمط في السلوك؛ نوع من انعكاس الوجه الآخر للعملة المتمثل في البيض الذين يعيشون بين ظهرانيهم. لكنني فكرت في البداية أنني ينبغي أن أفتقد وجود الكثيرين منهم حولي، لأنني كنت أظن أن أهل الشمال يرون أنني أفتقدهم، لكني لم أكن أدري أنني افتقدت حقًا روسكوس وديلسي حتى صباح اليوم في ڤيرچينيا. كان القطار متوقفًا عندما استيقظت ورفعت الستارة، ونظرت خارج السيارة. كانت السيارة تسد طريق العبور، حيث كان هناك سياجان ينحدران من تل ثم يتباعدان إلى الخارج والأسفل، كجزء من هيكل على شكل بوق، وثمة زنجي يمتطي بغلاً وسط الأخاديد الجافة ينتظر إلى أن يمر القطار. لا أدري منذ متى وهو هناك، لكنه يجلس مدليًا رجليه على جانبي البغل، ورأسه مربوطة بقطعة من بطانية، كأنهم أقيموا هناك مع السياج والطريق، أو مع التل، منحوتين منه، كعلامة تقول أنت في بيتك من جديد. كان بلا سرج وقدماه متدليتان حتى الأرض تقريبًا. وكان البغل أشبه بأرنب. رفعت زجاج الشباك.

قلت: "أنت، يا عم، هل هذا هو الطريق؟"

قال: "ماذا؟" نظر نحوي، ثم فك قطعة البطانية ورفعها عن أذنه.

قلت: "هدية عيد الميلاد!*"

قال: "حقًا، يا سيدي. لقد أمسكتَ بي، أليس كذلك؟"

قُلت: "سأطلق سراحك هذه المرة". سحبتُ بنطلوني من السرير المعلق وأخرجت منه ربع دولار. "ولكن انتظرني المرة القادمة. فسوف أعود من هنا بعد يومين من العام الجديد، فانتظرني إذن". ألقيت له ربع الدولار من النافذة. "اشترِ لنفسك بعض هدايا عيد الميلاد".

قال: "أجل، يا سيدي". انحنى والتقط ربع الدولار ومسحه في رجله. "شكرًا، يا سيدي الصغير، شكرًا". ثم بدأ القطار في التحرك. ملت برأسي من النافذة- في الهواء البارد- ناظرًا للخلف. كان يقف هناك إلى جانب البغل الشبيه بالأرنب، يبدو عليهما الضعف والسكون وعدم الاستعجال. استدار القطار عند المنحنى، والمحرك ينفث دفعات قصيرة وكثيفة من الدخان، ثم اختفيا بنعومة عن الأنظار بهذه الطريقة، بما يتصفون به من الضعف والصبر الذي لا حدود له في الزمان، والوداعة الساكنة: هذا المزيج من العجز الطفولي الحاضر دائمًا، والاتكالية المتناقضة، التي تحميهم وترعاهم وتحدب عليهم، مزيج يجب خارج كل منطق ويؤدي إلى حرمانهم على نحو مضطرد، متنصلاً من أية مسئولية أو أية التزامات بوسائل من الوقاحة للغاية أن تسمى ذرائع، ويتعامل مع هذا الحرمان والتنصل من المسئولية بذلك الإعجاب التلقائي والصريح

---

* **هدية عيد الميلاد**: لعبة كانت معهودة في الجنوب الأمريكي، يلعبها البيض والسود. ويفوز مَن يسبق بقول تعبير **هدية عيد الميلاد** أولاً، ويقول الآخر: لقد أمسكت بي. وتعد اللعبة من بقايا العبودية في الجنوب. وظلت قائمة حتى الفترة التي كتب فيها فوكنر روايته- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الذي يشعر به الإنسان النبيل تجاه المنتصر عليه في مسابقة تتسم بالنزاهة، وبنوع من الولع أيضًا والتسامح الذي لا يكل مع نزوات البيض، مثلما يتسامح جد مع الأطفال الأشقياء الذين يصعب التنبؤ بتصرفاتهم، وهو تسامح نسيته. وطوال ذلك اليوم- وفيما كان القطار يمر عبر الفتحات المتتالية وعبر الممرات الجبلية حيث تكون الحركة مرتبطةً بصوت احتكاك وحشرجة العجلات تحت وطأة حمل القطار الصاعد، في حين تلوح الجبال الأبدية من بعيد في عنان السماء- كنت أفكر في الوطن، في المحطة الكئيبة والوحل والزنوج وأهل الريف الذين يحتشدون ببطء في الميدان، ومعهم دُمَى القرود والعربات والحلوى في أكياس والألعاب النارية الناتئة، وأحشائي تتحرك مثلما كانت تتحرك في المدرسة حين يرن الجرس.

لم أكن لأبدأ العد إلى أن تدق الساعة الثالثة. عندها أبدأ، وأعد حتى ستين، وأثني إصبعًا، وأفكر في الأربعة عشر إصبعًا التي لم تنثنِ بعد، أو الثلاثة عشر والاثني عشر أو الثمانية أو السبعة، إلى أن أدرك فجأةً أن الصمت والعقول المركّزة، وأقول "أجل، يا سيدتي"، فتسأل المدرِّسة الآنسة لاورا: "اسمك كوينتن، أليس كذلك؟". ثم يعم صمت أكبر مع العقول المركّزة القاسية والأيدي التي تنطلق وسط الصمت. "هنري، قُل لكوينتن مَن اكتشف نهر المسيسيبي". "دي سوتو"*. عندها تنصرف الأذهان عني، وبعد فترة أكون خائفًا من أن أكون قد تباطأت في العَد، وأن عليَّ أن أعد بسرعة وأن أثني إصبعا آخر، ثم تساورني مخاوف من أن أكون قد تسرعتُ في العَد وأن عليَّ أن أُبطئ، ثم ينتابني الخوف من

* هرناندو دي سوتو: مستكشف أسباني اكتشف نهر المسيسيبي عام 1541- المترجم.

جديد من أن قد تسرعت. ولهذا فلم أفلح أبدًا في أن أضبط العَد مع رنة الجرس، وانطلاق الأقدام المتحرر للخروج، فيما أشم رائحة التراب الناتج عن احتكاك الأرجل بالأرضية، ويشبه النهار لوح زجاج تلقى طرقة خفيقة حادة، وتتحرك أحشائي، وأنا جالس في سكون. *تتحرك وأنا جالس في سكون. كانت أحشائي تتحرك من أجلها . كانت قد وقفت لدقيقة في الباب. وبنچي. يبكي. بنچامين ابن شيخوختي يبكي. كادي! كادي !*

سوف أهرب. شرع في البكاء وذهبت إليه وربتت عليه. اسكت لن أهرب. اسكت فسكت. ديلسي.

إنه يشم ما تودين أن تقوليه له عندما يريد ذلك. لا يحتاج إلى يصغي أو يتكلم.

هل يمكنه أن يشم الاسم الجديد الذي أطلقوه عليه؟ هل يمكنه أن يشم سوء الحظ؟

لماذا يقلق بشأن الحظ؟ فالحظ لا يمكنه أن يلحق به أذى.

لماذا إذن غيروا اسمه إن لم يكونوا يسعون لجعل حظه أفضل؟

توقفت السيارة، ثم سارت، ثم توقفت. تحت النافذة، كنت أرى رؤوس الناس تمر مرتدية القبعات الجديدة المصنوعة من الخوص الخام. وكان هناك عدد من النساء ركبن السيارة ومعهن سلال التسوق، ورجال بملابس العمل بدأ عددهم يفوق عدد من يرتدون الأحذية اللامعة والياقات المنشاة.

لمس الزنجي ركبتي. قال: "بعد إذنك". دُرتُ برجليَّ خارج الكرسي لأسمح له بالمرور. كنا نمر بجوار حائط مصمت، وصوت ضجيج في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مؤخرة السيارة، عند النسوة اللاتي وضعن سلال التسوق على ركبهن، وثمة رجل يلبس قبعة مصبوغة وقد ثبت غليونًا بحافتها. كنت أشم رائحة الماء، ورأيت- من خلال فتحة في الحائط- بريق ماء وساريتين، ونورسًا ساكنًا في الجو، كأنه يقف على سلك غير مرئي بين الساريتين، ورفعت يدي، وعبر المعطف تحسست الرسائل التي كتبتها. وعندما توقفت السيارة، نزلت.

كان الجسر مفتوحًا ليسمح بمرور سفينة يجري جرها. كان قارب الجر يسحبها من الخلف، مطلقًا الدخان وراءه، لكن السفينة ذاتها كانت تبدو كأنها تتحرك بقوة لا مرئية. وكان رجل عارٍ حتى وسطه يُدَلي تدريجيًا حبلاً عند مقدمة السفينة. كان جسمه قد لوحته الشمس وأصبح بلون أوراق التبغ. وكان رجل آخر يرتدى قبعة من الخوص بلا سقف ويدير عجلة القيادة. مضت السفينة عبر الجسر، وصواريها بلا أشرعة كشبح يمشي في وضح النهار، وثلاثة نوارس تحوم فوق مقدمتها كثلاثة دُمى مربوطة بخيوط لا مرئية.

عندما أغلق الجسر، عبرتُ إلى الجانب الآخر، واتكأت على السياج الذي يقع فوق عنبر القوارب. كانت العوامة خالية والأبواب مغلقة. فالعاملون في أطقم القوارب في استراحة ما بعد الظهر، قبل مواصلة عملهم. كان ظِل الجسر وظِل أعمدة السياج وظِلي ينعكسون على سطح الماء، وكان من السهل أن أراوغ ظلي حتى لا يفارقني. كان الآن على عمق خمسين قدمًا على الأقل، فلو كان بإمكاني أن أغمره في الماء، وأمسك به إلى أن يغرق، فيما كان ظل اللفافة التي تشبه الحذاءين يرقد على الماء أيضًا. يقول الزنوج إن ظل الغريق يحرسه في الماء طوال الوقت.

كان الظل يومض ويبرق، كتتابع الأنفاس، ويطفو ببطء مثل الأنفاس أيضًا، والحطام نصف المغمور يبرز من البحر، ومن كهوف وأغوار البحر. إن حجم الماء المزاح يساوي كذا من كذا. ولا جدوى من التجربة البشرية، ووزن مكواتين أكبر من وزن مكواة رِجل مما يستخدم الترزية. ولسوف تقول ديلسي يا له من تبذير. وبنچي كان يعلم أن الجدة ماتت. لقد بكى. *إنه يشم الموت. إنه يشم الموت.*

عاد قارب الجر يمخر في الاتجاه العكسي، وهو يشق الماء على شكل اسطوانات تدور، ويرج العوامة في النهاية تحت تأثير صدى المرور، وتمايل القارب تحت تأثير الموجات الاسطوانية مصدرًا صوت بقبقة وصريرًا طويلاً ناشزًا حين انفتح الباب وبرز رجلان يحملان قارب سباق. وضعاه في الماء ثم خرج جيرالد بلاند بعد لحظة، مع المجذافين. كان يرتدي بنطلونًا رياضيًّا وسترة رمادية وقبعة من الخوص المتصلب. لابد أنه هو أو والدته قد قرأ في مكانٍ ما أن طلاب أكسفورد يرتدون البنطلونات الرياضية والقبعات المتصلبة، ومن ثم اشتروا لجيرالد زورق سباق في مستهل مارس، وذهب مرتديًا بنطلونه وقبعته إلى النهر. وشعر العاملون في عنبر القوارب بأن ثمة خطرًا عليه فاستدعوا رجل شرطة، لكنه مضي قُدما على أية حال. وأتت والدته في سيارة أجرة، مرتدية طاقمًا من الفراء يشبه ملابس المستكشفين في القطب الشمالي، وودعته وسط ريح بسرعة خمسة وعشرين ميلاً وثلوج تتراكم كقطيع من الخراف القذرة. منذ ذلك الحين وأنا أومن أن الله ليس نبيلاً ورياضيًّا فحسب؛ بل هو من كنتاكي أيضًا. وعندما ابتعد بقاربه تجولَت في المكان، ثم نزلت إلى جوار النهر مرةً أخرى، وركبت السيارة التي سارت بمحاذاته،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بسرعة بطيئة. ويقال إنك لا يمكنك أن تقول عنهما أنهما شخصان رأيا بعضهما من قبل، كملك وملكة، لا ينظر أيٌّ منهما للآخر، ويسيران جنبًا إلى جنب عبر ماساشوستس في خطوط متوازية، مثل كوكبين.

ركب القارب وجذَّف مبتعدًا. كان يجد التجديف. وكيف لا. يقولون إن أمه حاولت أن تقنعه بأن يتخلي عن التجديف، وأن يختار شيئًا آخر لا يستطيع أحدٌ من زملائه في الدراسة القيام به، أو التفكير في القيام به، لكنه عنيدٌ تمامًا. إن كان بإمكانك أن تصف بالعناد دأبه على الجلوس بسيماء الضجر مثل أمير، بشعره الأصفر المجعد وعينيه ورموشه البنفسجية، وملابس أهل نيويورك، وأمه تخبرنا عن خيل جيرالد وزنوج جيرالد ونساء جيرالد. ولابد أن الأزواج والآباء في كنتاكي قد شعروا بسعادة غامرة عندما أبعدت جيرالد عنهم إلى كامبردج. كانت لديها شقة في المدينة، ولجيرالد شقة أخرى أيضًا، إلى جوار قاعاته بالكلية. وقد وافقَت عل أن أكون من المقربين من جيرالد لأنني كشفتُ على الأقل عن نُبل معدني، طالما أنني وُلدت جنوب خط ماسون وديكسون*، مع عدد قليل آخر ممن توافر فيهم الحد الأدنى من الشروط الجغرافية. ويمكنها أن تتسامح- عل أقل تقدير- أو تتغاضى عن بعض الشروط. لكنها منذ أن قابلت سبود خارجًا من الكنيسة وقال عنها إنها لا يمكن أن تكون سيدة ذات أصل لأنه ليس من شيم تلك السيدات أن يخرجن في ساعة متأخرة من الليل لم تغفر له أبدًا أن ينتحل خمسة أسماء، من بينها أسماء لأسرة دوق إنجليزي حالي. لكنني على يقين من أنها قد عزت نفسها بالاقتناع

---

* خط ماسون وديكسون هو الخط الفاصل بين ميريلاند وبنسلفانيا وينظر إليه تاريخيا على أنه الخط الفاصل بين الشمال والجنوب إبان الحرب الأهلية الأمريكية - المترجم.

بأن بعض المتسيبين من أسرة مينجولت أو أسرة مورتمار كان يختلط مع بابنة البواب. وهو أمر محتمل تمامًا، سواء أكانت هي مَن اخترع ذلك أم لا. فسبود بطل العالم في التسكع، ولا يمنعه مانع ولا يراعي أي اعتبار.

كان القارب يبدو الآن نقطة في الأفق، وتنعكس الشمس على المجذافين في ومضات منتظمة، كما لو كانت تنعكس على القارب من المجذافين ومن المجذافين على القارب. ***ألم تكن لك أختٌ أبدًا. لا ولكن كلهن داعرات. ألم تكن لك أختٌ أبدًا. وقفت لدقيقة. داعرات. ليست داعرة لدقيقة وقفت بالباب.*** دالتون إيمز. دالتون إيمز. قمصان دالتون. كنت أظنها من اللون الكاكي كملابس الجيش، إلى أن رأيتها من الحرير الصيني الثقيل أو من الفانلا الناعمة لأنها كانت تضفي مزيدًا من السمرة على وجهه والزرقة في عينيه. دالتون إيمز. ليس كريم الأصل. إنه ديكور مسرحي. مجرد ورق مقوى، ولكن المسه. آه. بملمس الاسبتوس. ليس البرونز تماما. ***ولكنك لن تراه في المنزل.***

تذكر أن كادي امرأة أيضًا. وهي تتصرف لأسباب نسائية أيضًا.

لماذا لم تحضريه إلى المنزل، يا كادي؟ لماذا كان عليك أن تفعلي ما تفعله النساء الزنجيات في المراعي والخنادق والغابات المظلمة حيث يكن ملتهبات بعنف في الخفاء في الغابات المظلمة.

وبعد برهة، سمعت صوت ساعتي لبعض الوقت، وكنت أشعر بالرسالتين تخشخشان في معطفي، الموضوع على السياج، واتكأتُ على السياج، وأنا أرقب ظلي، وكيف أنني خدعته. سرت بمحاذاة السياج، وكان ثمة سواد على بذلتي أيضًا، ومسحت يدي وأنا أرقب ظلي وكيف أنني خدعته. دخلت به في ظل رصيف الميناء. ثم وليت وجهي شرقًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هارڤارد.. ابني الذي في هارڤارد هارڤارد هارڤارد. ذلك الفتى ذو الوجه المليء بحَب الشباب الذي قابلَته في مسابقات ألعاب القوى وكان يضع أشرطةً ملونة. كان يحوم حول السياج محاولاً أن يصفر لها لتخرج له مثل كلبة. ولأنهم لم يتمكنوا من استدراجه إلى غرفة الطعام ظنت أمي أن بحوزته تعويذة سوف تمارس تأثيرها عليها لو دخل إليها على انفراد. ولكن يا له من نذل. *كان يرقد بجوار الصندوق تحت النافذة وهو يبكي* إلى حد أن يتمكن من أن يأتي في سيارة ليموزين واضعًا زهرة في عروة جاكتته. *هارڤارد. كونتن، هذا هربرت. ابني الذي في هارڤارد. وسوف يكون بمثابة أخ أكبر لك وقد وعد جاسون بوظيفة.*

وجهه بادي الصحة والعافية، كأنه من بلاستيك كطبلة. وجهه ممتلئ بأسنان بيضاء لكن دون ابتسام. *لقد سمعت عنه من قبل. بأسنان ملء الوجه دون ابتسام. هل ستقودين السيارة؟*

اركب يا كوينتن.

هل ستقودين السيارة.

إنها سيارتها ألست فخورًا بأن أختك الصغيرة تملك أول سيارة في البلدة هدية من هربرت. ولويس يعطيها دروسًا كل صباح ألم تصلك رسالتي السيد جاسون ريتشموند وحرمة يعلنان زواج ابنتهما كانديس من السيد سيدني هربرت هيد في الخامس والعشرين من أبريل **1910** في جفرسون ميسيسبي. في المنزل بعد الأول من أغسطس برقم **كذا** شارع **كذا** ساوث بيند انديانا. قال شريف ألن تقوم حتى بفتحها؟ *ثلاثة أيام. ثلاث مرات. السيد جاسون ريتشموند وحرمه* لقد أتى لوخنفار

الشاب* من الغرب لتوه، أليس كذلك؟

أنا من الجنوب. أنت إنسانٌ فَكِه، أليس كذلك.

أجل أعلم أنه كان في مكانٍ ما في الريف.

أنت إنسان فَكِه، أليس كذلك. تستحق الانضمام إلى السيرك.

لقد انضممت. وهذا هو السبب في أن عينَيَّ تلفتا من كثرة البكاء لأروي براغيث الفيل من دموعي. ***ثلاث مرات*** فتيات الريف هؤلاء. لا يمكنك أن تفهمهن، أليس كذلك. حسنًا، وعلى أية حال فلم يحقق بايرون رغبته أبدًا، والحمد لله. ***لكن لا تضرب إنسانًا يرتدي نظارة*** ألن تقوم حتى بفتحها؟ ***كانت موضوعة على المنضدة وشمعة تحترق عند كل ركن من الظرف المربوط برباط وردي ملوث مع زهرتين اصطناعيتين. لا تضرب إنسانًا يرتدي نظارة.***

قرويون بائسون لم يروا سيارة من قبل والكثيرون منهم يطلقون زمارة كانديس لهذا ***تحاشت النظر إليّ*** سيحيدون عن الطريق ***تحاشت النظر إليّ*** وأبوك لن يسره أن تلحق أذًى بأحد منهم أؤكد ببساطة أن على والدك أن يشتري الآن سيارة وإنني لآسفة تقريبًا على أنك أحضرت السيارة يا هربرت واستمتعت بها كثيرًا بالطبع هناك العربة ذات الأحصنة لكني غالبًا كلما رغبت في الخروج فإن السيد كومبسون يجعل السود يقومون بشيء ما يجعلني أجازف برأسي إن قاطعتُها ويصر على أن

---

* **لوخنفار الشاب**: بطل قصيدة ملحمية للسير والتر سكوت، عن شاب يختطف حبيبته إيلين في ليلة عرسها من آخر، وينقذها من الزواج منه. وقد تحولت القصيدة إلى فيلم صامت تحت عنوان "لوخنفار"، مع بعض التعديلات في القصة. ومطلع القصيدة الملحمية: "**لوخنفار الشاب يأتي من الغرب**". المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يكون روسكوس رهن إشارتي طوال الوقت ولكني أعلم ما يعنيه ذلك أعلم كيف أن الناس غالبًا ما يقدمون الوعود لا لشيء إلا لكي يرضوا ضمائرهم فهل ستعامل ابنتي الصغيرة بنفس الطريقة يا هربرت ولكني أعلم أنك لن تفعل إن هربرت يبالغ في تدليلنا يا كوينتن ألم أبلغك بأنه سوف يأخذ جاسون معه في بنكه عندما ينتهي جاسون من الحصول على شهادته الثانوية ولسوف يصبح جاسون مصرفيًا ممتازًا فهو الوحيد بين أبنائي الذي يتمتع بحس عملي ويمكنك أن تشكرني على ذلك فهو يسير على نهج أهلي أما الآخرين فهم يسيرون جميعًا على نهج آل كومبسون *جاسون شاطر. وهو يصنع هو وابن باترسون الطائرات الورق في الشرفة ويبيعان الواحدة بخمسة سنتات. وجاسون أمين الصندوق.*

لم يكن هناك زنوج في هذه السيارة، وقُبعات الخوص الخام تمر تحت النافذة. ومن أجل الذهاب إلى هارڤارد بعنا مرعى بنچي *هو يرقد على الأرض تحت النافذة، يبكي. بعنا مرعى بنچي حتى نرسل كوينتن إلى هارڤارد* أخوك. أخوك الصغير.

ينبغي أن تمتلك سيارة من الخطأ ألا تفكر في ذلك يا كوينتن أنا أدعوه كوينتن دون تكلُّف لكثرة ما سمعته من كانديس عنه.

ولم لا يكون أنني أتمنى دائمًا أن يكون أبنائي أكثر من مجرد أصدقاء نعم كانديس وكوينتن أكثر من مجرد أصدقاء *أبي لقد ارتكبتُ* يا له من أمر يدعو للشفقة ألا يكون لك أخ أو أخت *لا أخت لا أخت* لا تسأل كوينتن ولا السيد كومبسون عن شعورهما بالإهانة إلى حدٍّ ما عندما كانت لدي القدرة بما يكفي للقدوم إلى المائدة أنا أتعافى الآن وسأدفع ثمن ذلك بعد أن ينتهي كل شيء وقد أخذت مني ابنتي الصغيرة

أختي الصغيرة لم يكن لها إذا كان بوسعي القول أمي أمي

لولا أنني قمت بما أغواني القيام به، وأخذتك بدلاً منها فلا أظن أن السيد كومبسون كان بمقدوره اللحاق بالسيارة.

ياي يا هربرت هل سمعتِ ذلك يا كانديس *لم تنظر إليَّ فالفَك العنيد الناعم لا ينظر للوراء* إياك أن تشعري بالغيرة غاية ما في الأمر أنه يتملق امرأة عجوزًا يرضي خاطر ابنة كبيرة متزوجة ولا أصدق ذلك.

هراءٌ تبدين مثل فتاة وأنت أصغر سنًّا بكثير من كانديس فلون خديك يشبه خدي فتاة *وجه لوَّام دامع ورائحة كافور ودموع وصوت باك على الدوام في هدوء خلف الباب الكالح رائحة رحيق عسل بسبيلها للتلاشي. أنزلوا صناديق فارغة من السقيفة العلوية وكانت تبدو مثل توابيت الموتى فرنش ليك**. *ولم يجدوا الموت في الطين المالح.*

قبعاتٌ ليست من خوص خام ولا هي قبعات. على مدى ثلاث سنوات لن أرتدي قبعات. لن أستطيع. كان ذلك في الماضي. فهل ستكون هناك حينئذٍ قبعات وأنا لست موجودًا، وهل ستكون هناك هارڤارد حينئذٍ. حيث أفضل الأفكار ـ على حد تعبير أبي ـ معلقةٌ كاللبلاب الميت على القرميد الميت العتيق. لا وجود لهارڤارد حينذاك. ولا وجود لي، على أية حال. مرةً أخري. أعمق حزنًا مما كان. مرةً أخرى. أعمق الأحزان. مرةً أخرى.

كان سبود يرتدي قميصًا؛ يجب أن يكون الأمر كذلك إذن. عندما

---

* **فرنش ليك**: منتجع يرتاده الأثرياء لصيد الحيوانات البرية من الغزلان والوعول وغيرها. والإشارة هنا إلى رحلة كادي إلى المنتجع لتصيد (أو تميت على حد تعبير كوينتن) عريسًا من الأثرياء ـ المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أتمكن من رؤية ظلي مرةً أخرى إن لم أحتط للأمر بحيث أراوغه وأغرقه في الماء فسوف أدوس بقدمي على ظلي العنيد. لكن لا أخت. وما كان لي أن أفعل ذلك. *لم يكن لي أن أسمح لأحد بأن يتجسس على ابنتي*. ما كان لي أن أسمح.

فكيف يمكنني أن أتحكم في أيٍّ منهم في الوقت الذي علمتهم فيه ألا يحترموني وألا يحترموا رغباتي أعلم أنك تحتقر أهلي ولكن هل هناك أي سبب لتعلم أطفالي أطفالي أنا الذين عانيتُ من أجلهم ألا يبدوا أي احترام كنت أطأ بقدمي بشدة على عظام ظلي على الأرض الأسمنتية وعندها سمعت الساعة، ولمست الرسالتين في معطفي.

لن أسمح لك أو لكوينتن أو لأي أحد بأن يتجسس على ابنتي أيًا كان ما تظنين أنها قامت به.

لكنك على الأقل توافق على أن هناك سببًا لمراقبتها.

ما كان لي ما كان لي. *أعلم أنك ما كان لك لا أقصد أن أتحدث بمثل هذه الحدة لكنهم لا يحترمون بعضهم بعضًا ولا يحترمون أنفسهم*

ولكن لماذا فعلت بدأت الساعة تدق عندما دُست على ظلي، لكنها كانت رُبع الساعة. لم يظهر الشماس في أي مكان. *فكرتُ إن كان لي إن كان بمقدوري*

لم تكن تقصد أن تلك هي الطريقة التي تتصرف بها النساء والسبب أنها تحب كادي

مصابيح الشوارع تنحدر مع التل ثم تصعد صوب المدينة مشيتُ على بطن ظلي. تمكنت من مَد يدي خارجه. *شعرت بأن أبي خلفي فيما وراء ظلمة الصيف وظلمة أغسطس المزعجة مصابيح الشوارع* أنا وأبي

نحمي النساء من بعضهن بعضًا من أنفسهن نساءنا *كأن النساء لا يعرفن أي ناس نحن لأنهن يولدن ولديهن قدرة عملية على الشك تتسم بالخصوبة وتؤتي ثمارها في كثير من الأحيان ومن الصواب عادةً القول إنهن لديهن ميلٌ للشر ولتلبية كل ما يحتاجه الشر ذاته وميلٌ لاجتذاب الشر حولهن بصورة غريزية مثلما تسحب الغطاء عليك وأنت نائم ويخصبن الذهن للشر إلى أن يحقق الشر هدفه سواء كان هناك هدف أم لا* كان قادمًا بين اثنين من طُلاب السنة الأولي في الجامعة. لم يكن قد أفاق بعد من جو العرض، لأنه قام بتحيتي تحية كبار الضباط.

قلت له، مستوقفًا: "أود أن أراك لدقيقة واحدة".

توقف قائلاً: "تراني؟ لا بأس. ألقاكم فيما بعد، يا زملاء"؛ ثم التفت للخلف قائلا: "سعدت بالحديث معكم". إنه الشماس بشحمه ولحمه. كأنك تتحدث مع أخصائي نفسي بالفطرة. يقولون عنه إنه لم يفته قطار منذ مستهل دراسته قبل أربعين عامًا، وإنه يمكنه أن يميز المواطن الجنوبي من لمحة واحدة. لم يخطئ في ذلك، وما إن يسمعك تتكلم حتى يمكنه أن يحدد من أية ولاية أنت. كان يرتدي زيًّا خاصًّا ينتظر به القطارات، تغطيه الرقع، كأنه الزي الذي كانوا يرتدونه في كوخ العم توم*.

ويقول وهو يأخذ حقائبك: "أجل، يا سيدي، من هذا الطريق، يا سيدي الشاب، من هنا، هيا يا فتى، تعال هنا، وخذ هذه الحقائب".

---

* "كوخ العم توم": رواية للكاتب الأمريكي هاريت بيشر ستو Harriet Beecher Stowe، صدرت عام 1852. ومن أولى وأهم الروايات الأمريكية التي تناولت العبودية. وهي الرواية الأكثر مبيعًا في الولايات المتحدة طوال القرن التاسع عشر.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عندئذ يتزحزح جبل من الأمتعة، كاشفًا عن فتي أبيض في نحو الخامسة عشرة من العمر، ويضع الشماس حقيبة أخرى عليه بطريقة أو بأخرى، ويدفعه أمامه. "والآن، إذن، حذار من أن تسقطها وتتلفها. أجل، يا سيدي الشاب، ما عليك سوى أن تعطي لهذا الزنجي العجوز رقم غرفتك، وسوف تجد كل شيء على ما يرام، عندما تصل إليها".

ومن الآن فصاعدًا، وإلى أن يخضعك تمامًا، ستجده دائمًا داخل أو خارج غرفتك، كُلي الحضور وثرثار، رغم أن طبعه ينتقل تدريجيًّا ليكون كأهل الشمال عندما يتحسن ملبسه، إلى أن يستنزفك تمامًا في النهاية، وإلى أن تدرك بشكل أفضل الوضع، فيناديك باسمك كوينتن أو أي اسم آخر، وحين تراه في المرة التالية تجده مرتديًا بذلة مستعملة من محلات بروكس وقبعة عليها شعار نادي برينستون ونسيت الحديث عن حزام أهداه له أحدهم وكان مقتنعًا بيقين وسعادة أنه جزء من الزي العسكري لأبراهام لنكولن. وهناك شخص أشاع حكاية منذ سنوات، حين ظهر لأول مرة في الكلية- ولا يعلم أحد من أين جاء- بأنه خريج كلية اللاهوت. وعندما فطن إلى ما يعنيه ذلك أعجبه الحال إلى حد أن بدأ يروج الحكاية بنفسه، إلى أن اقتنع في النهاية بالفعل أنه كذلك. وعلى أية حال، فقد كان يحكي حكايات طريفة بلا معنى عن أيام ما قبل التخرج، متحدثًا بلا تكلف عن أساتذة راحلين بأسمائهم الأولي، ولم تكن هذه الاسماء عادةً صحيحة. لكنه كان الأستاذ المرشد والمعلم والصديق لعدد لا حصر له من الطلاب المستجدين في الجامعة الذين يتسمون بالبراءة والشعور بالوحدة، وأظن- على الرغم من أكاذيبه الصغيرة ونفاقه- أن رائحته لا تزكم الأنوف أكثر من غيره.

قال، وهو يحدق فيّ وسط هالته العسكرية المبالغ فيها: "لم أرك منذ ثلاثة أو أربعة أيام. هل كنت مريضا؟"

"لا. أنا بخير. كنت مشغولاً في العمل، فيما أظن. وقد رأيتك، مع ذلك".

"رأيتني؟"

"في العرض العسكري منذ أيام".

"العرض العسكري، نعم، كنت فيه. أنا لا أبالي بمثل هذا الأمر كما تعلم، ولكن الفتيان يحبون أن أكون معهم، وقدامي المحاربين. وترغب السيدات في أن يحضر كل المحاربين القدامي العرض، كما تدري. ومن ثم، فلم يكن بوسعي سوى تلبية رغبتهن".

قلت: "ورأيتك في عيد المهاجرين الإيطاليين، أيضًا. لابد أنك ذهبت لمجاملة الاتحاد العالمي للنساء المسيحيات لمكافحة الخمور، على ما أظن".

"لقد ذهبت مجاملةً لصهري. فهو يريد أن يحصل على وظيفة في مجلس المدينة. كنّاس. وقلت له إن كل ما يحتاجه هو الحصول على مكنسة والتروي في الأمر. لقد رأيتني، أليس كذلك؟"

"أجل، في المرتين".

"أقصد، وأنا أرتدي الزي. كيف كان مظهري؟"

"كان مظهرك رائعًا. كان مظهرك أفضل منهم جميعًا. ينبغي لهم أن يجعلوا منك جنرالاً، أيها الشماس".

لمس ذراعي بخفة، بيده الرقيقة المتعبة كأيدي الزنوج. مال عليّ قليلاً متحدثًا بسرعة، وهو ينظر بعيدًا: "اسمع. هذا سر بيننا. ولا أخشى قوله لك لأننا قصارى القول أهل. لقد رتبت أموري منذ الآن. وعليك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الانتظار حتى العام المقبل. فقط انتظر. وسوف ترى أين سيكون مكاني في العرض العسكري. وأنا في غنى عن أقول لك كيف رتبت الأمر؛ كل ما أقوله انتظر، يا بني، وسترى". نظر إليَّ وربت على كتفي بخفة، واعتدل للخلف بحركة مفاجئة، وهو يومئ إليَّ. "أجل، يا سيدي، فأنا لم أنضم للحزب الديمقراطي منذ ثلاثة أعوام عبثًا. فصهرى الآن معينٌ بمجلس المدينة؛ ولولا تحولي للحزب الديمقراطي لما حصل ابن القحبة على عمل.... أما بالنسبة لي: فما عليك سوى الانتظار هناك في هذا الركن بعد عام- ابتداءً من أول أمس- لترى".

قلت وأنا أخرج أحد الخطابين من جيبي: "آمل ذلك. وأنت تستحق ذلك، أيها الشماس. وفيما أفكر في ذلك.. خُذ هذا إلى غرفتي غدًا وأعطه لشريف. وسوف يعطيك شيئًا لك. ولكن تذكر، لا تسلمه إلا في الغد".

أخذ الخطاب وتفحصه. قال "إنه مغلق".

"أجل. وما قلته مكتوب في الخطاب. ولكن لا تسلمه قبل الغد".

"هم"، قال. نظر إلى المظروف وقد زم شفتيه. "هل قلت إنه سيعطيني شيئًا لي؟"

"أجل. هدية مني لك".

كان ينظر إليَّ الآن، ومظروف الخطاب ناصع البياض في يده السوداء تحت الشمس. كانت عيناه بنيتين ورقيقتين كأنهما بلا قزحية، وفجأةً رأيت فيه رسكوس وهو يراقبني من خلف كل هرائه الشبيه بهراء البيض عن الأزياء الرسمية والسياسة وأخلاقيات هارفارد، وهو خجول، كتوم، عاجز عن التعبير، وحزين.

"هل تود أن تجعل من الزنجي العجوز مادة للسخرية؟"

"أنت تعلم أنني لست كذلك. هل تعرضتَ من قبل لمثل ذلك على يد أحد من أهل الجنوب؟"

"أنت على حق. فهم أناس طيبون. ولكن عشرتهم صعبة".

قلت: "هل جربت ذلك من قبل؟". لكن صورة روسكوس كانت قد ذهبت. عاد مرةً أخرى ليكون الشخص الذي عهدناه منذ أن علّم نفسه ذلك.

"سأحقق لك رغبتك، يا بني".

"لا تنس. ليس قبل الغد".

قال: "مؤكد. فهمت ذلك، يا بني. حاضر".

قلت: "أتمنى ذلك". ونظر إليَّ من أعلى، بعمق وإشفاق. مددتُ يدي فجأةً له وتصافحنا، وكان بادي الرزانة في مصافحتة لي من علياء حلمه بالمكانة العسكرية ووضعه في بلدية المدينة. "أيها الشماس، أنت رجل طيب. ولديَّ أمل... وقد ساعدتَ الكثيرين من الشبان، هنا وهناك".

قال: "لقد حاولتُ أن أتعامل مع الناس جميعًا بما يليق. لم أضع أي حدود اجتماعية تافهة. فالإنسان بالنسبة لي هو إنسان، أينما قابلته".

"أتمنى أن تقابل على الدوام الكثير من الاصدقاء كما هو دأبك".

قال، ملوحًا لي بالرسالة: "هم فتية. أشعر تجاههم بالود. وهم لا ينسوني، أبدًا". وضع الرسالة في جيبه وزرر سترته. "أجل، يا سيدي، لي أصدقاء طيبون".

بدأت الساعة تدق من جديد معلنة نصف الساعة. وقفت على بطن ظلي، وأنا أنصت للدقات منتظمةً وهادئةً تحت ضوء الشمس الذي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يتخلل أوراق الشجر الغضة ما تزال والناعمة. كانت الدقات منتظمة وهادئة ووادعة مثل دقات الأجراس في أغسطس شهر العرائس. ***كان يرقد على الأرض وهو يبكي*** نظر إليها نظرة واحدة وعرف. من أفواه الأطفال. ***مصابيح الشوارع*** توقفت الدقات. وعدتُ إلى مكتب البريد، وأنا أطأ ظلي على الرصيف. ***تهبط أسفل التل ثم تصعد صوب المدينة مثل المصابيح المعلقة الواحد منها فوق الآخر على حائط***. قال أبي لأنها تحب كادي فإنها تحب الناس بكل ما فيهم من نقائص. وخالي موري كان يجلس منفرج الساقين أمام النار وعليه أن يبعد يده عنها لمسافة كبيرة ليتمكن من تناول شراب الكريسماس. جرى جاسون، ويداه في جيبيه وسقط على الأرض مثل الفرخ المكتوف إلى أن أوقفه ڤيرش على قدميه. ***لماذا لا تخرج يديك من جيبيك عندما تجري حتى يمكنك أن تقف على قدميك*** مَن أدار رأسه في المهد ساء حظه في الكبر. قالت كادي لجاسون وڤيرش أن السبب في أن عمي موري لا يعمل هو أنه اعتاد على أن يدير رأسه في المهد عندما كان صغيرًا.

كان شريف قادمًا عل الممشي، متهدجًا وبدينًا وعليه سيماء الجد، ونظارته تلمع تحت أوراق الشجر، كبركتين صغيرتين.

"لقد أعطيت الشماس رسالة تتضمن بعض الأمور. وقد لا آتي بعد ظهر اليوم، فلا تعطه شيئًا قبل الغد".

نظر إليَّ: "لا بأس. قُل لي ما الذي ستفعله اليوم، على أية حال؟ تلبس أفخر ثيابك وتهيم على وجهك حالمًا كزوجة هندية بسبيلها لأن تحرق في محرقةِ زوجها الميت. هل حضرت محاضرة علم النفس هذا الصباح؟"

"لن أفعل أي شيء، حتي الغد".

"مالذي معك؟"

"لا شيء. زوج من الأحذية ركبت له نصف نعل عند الاسكافي. لا تنس، ليس قبل الغد. هل سمعتني؟"

"بالتأكيد. لا تقلق. آه، بالمناسبة، هل أخذت الرسالة التي كانت على المائدة هذا الصباح؟"

"لا"

"إنها هناك. مِن سميراميس. أحضرها السائق قبل الساعة العاشرة".

"طيب. سآخذها. وأنا أتساءل ما الذي تريده هي الآن".

"حفل آخر للفرقة الموسيقية، على ما أظن. تمبتي تا تا جيرالد بلاه. نقرة أقوى قليلاً على الطبلة، يا كوينتن. يا إلهي. كم أنا سعيد أنني لست نبيلاً". مضى بعيدًا، وهو يمسك كتابًا، بلا شكل تقريبًا، وبادي البدانة والتصميم. *مصابيح الشوارع* هل تفكر على هذا النحو لأن أحد أسلافنا الأولين كان حاكمًا وثلاثة كانوا جنرالات في حين أن أقارب أمي لم يكونوا كذلك.

أي إنسان حي أفضل من أي إنسان ميت، ولكن ليس هناك إنسان حي أو ميت أفضل من أي إنسان حي آخر أو ميت آخر. *أما في ذهن أمي فقد تم. انتهى. آنئذٍ نحن جميعا فاسدون* أنت تخلط بين الإثم والأخلاق لا تفعل النساء ذلك وأمك تفكر في الأخلاق وسواء كان إثمًا أم لا فإنها لا تفكر في ذلك

سوف أهجركم يا جاسون دع الآخرين معك سوف آخذ جاسون وأذهب به إلى مكان لا يعرفنا فيه أحد ليُتاح له أن يكبر وينسى أن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الآخرين لم يحبوني ولم يحبوا أحدًا أو أي شيء بسبب نزعة الأنانية والتفاخر الكاذب التي تميز آل كومبسون كان جاسون الوحيد الذي يطمئن له قلبي دون خوف

هُراء أن جاسون على ما يرام وأفكر في أنه حالما تشعرين بتحسن أن تذهبي أنت وكادي إلى فرنش ليك

وأترك جاسون هنا ولا أحد معه سوى أنت والسود

سوف تنساه عندئذ وسوف ينتهي الكلام رويدًا رويدًا *لم يجدوا سوى الموت في الأرض السبخة في فرنش ليك*

قد أتمكن من العثور على زوج لها *ليس سوى الموت في الأرض السبخة*

أتت السيارة على الطريق وتوقفت. كانت الساعة ما تزال تدق منتصف الساعة. ركبتها، وسارت مرةً أخرى، وصوتها يغطي دقات منتصف الساعة. لا: ثلاثة أرباع الساعة. ثم ستصبح عشر دقائق على أية حال. كي تترك هارڤارد *حلم أمك الذي بيع بسببه مرعى بنچي*

ماذا جنيت لأرزق بأطفال كهؤلاء بنچامين كان عقابًا كافيًا وهي الآن لم تعد تضعني في اعتبارها أنا أمها التي عانيتُ من أجلها وحلمتُ وخططت وضحيت وتوغلت في الوادي إلا أنها منذ أن تفتحت عيناها لم تفكر فيَّ مرةً واحدة بلا أنانية وحين أنظر إليها مرارًا أتساءل إن كانت ابنتي فيما عدا جاسون فهو يُشعرني بالأسف للحظة واحدة منذ أن وضعته بين ذراعيَّ فأيقنت أنه سوف يكون مصدر فرحي وخلاصي وأظن أن ينجامين تكفيرٌ كاف عن أية جريمة قد أكون ارتكبتها أعتقد أنه كان عقابًا لي لأنني دُست على كرامتي، وتزوجت رجلاً ينظر إلى نفسه

على أنه أرقى مني وأنا لا أشكو أحببته أكثر من الآخرين لأن هذا واجبي فجاسون يسكن قلبي طوال الوقت ولكني أتبين الآن أن ما عانيته لم يكن كافيًا وأن عليَّ أن أدفع ثمن خطاياك مثلما دفعتُ ثمن خطاياي فما الذي جنيتُه وما الخطايا التي ارتكبها أهلك الأكابر ويتعين عليَّ أن أكفِّر عنها لكنك سوف تدافع عنهم وتلتمس الأعذار على الدوام لمن هم من دمك أما جاسون وحده فيمكن أن يرتكب الأخطاء لأنه أقرب لطبع أسرة باسكوم منه لأسرة كومبسون فيما ابنتك وابنتي الصغيرة فتاتي الصغيرة لم تكن بأفضل مني حالاً عندما كنت فتاة كان حظِّي سيئًا فقط لأني كنت من آل باسكوم تعلمتُ أنه ليست هناك مكانة وسط فالمرأة إما أن تكون سيدة بمعنى الكلمة أو لا ولكني لم أحلم أبدًا عندما حملتها بين ذراعيَّ أن أيًّا من بناتي يمكنها أن تُسلم عرضها ألا تعلم أنني يمكنني أن أنظر في عينيها وأقول لك ما تعتقد أنها ستقوله لك ولكنها لا تقول شيئًا فهي كتومة، وأنت لا تعرفها وأنا أعلم أمورًا فعلتها أوثر أن أموت قبل أن أعرفك بها أما الانتقاد المستمر لجاسون واتهامي بأنني طلبتُ منه مراقبتها كما لو كان ذلك جريمة فيما يمكن لابنتك أن تفعل ذلك فأعلم أنك لا تحبه وأنك مستعد لتصديق أية نقائص تُنسب إليه وليست فيك أجل اجعل منه مادةً للسخرية كما تسخر دائمًا من موري لن يكون بوسعك أن تلحق بي من الأذي بأكثر مما ألحق أطفالك بي من أذي بالفعل والآن سوف أموت ولن يكون هناك من يحب جاسون ويحميه من ذلك إنني أتابعه كل يوم خوفًا من أن تظهر عليه طباع آل كومبسون هذه في نهاية المطاف وأخته تنسل خفيةً لترى ذلك الشخص الذي ذكرت اسمه حينئذ هل رأيته هل سمحت لي حتى أن أعرف من هو لم يكن ذلك من أجلي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فأنا لم أكن لأطيق رؤيته بل من أجلك لكي أحميك ولكن مَن بوسعه أن يحمي من الدم الفاسد لم تسمح لي بأن أحاول وجلسنا مكتوفي الأيدي في الوقت الذي لم تكتف فيه هي بأن تمرغ اسمك في الأوحال بل أفسدت الهواء الذي يتنفسه أولادك دعني يا جاسون أمضي لحال سبيلي لا يمكنني احتمال ذلك واترك لي ابني جاسون وأبق الآخرين معك فهم ليسوا من لحمي ودمي مثله هم غرباء عني وأنا أخافهم ويمكنني أن آخذ جاسون وأذهب إلى مكان لا يعلمه أحد ولسوف أركع لله على ركبتَيَّ وأصلي ليخلصني من خطاياي وأن ينجيه من هذه اللعنة وأسعى لنسيان أن هؤلاء الآخرين كانوا موجودين

لو كانت تلك الدقات ثلاثة أرباع الساعة، فإنها لم تتجاوز عشر دقائق الآن. كانت سيارة قد غادرت، وينتظر الناس السيارة القادمة. سألت أحدهم عن ذلك، لكنه لم يكن يعرف إن كانت سيارة أخرى سوف تغادر قبل الظهيرة أم لا لأنك قد تظن أنها سيارات تعمل داخل المدن. هكذا كانت أول مركبة قادمة هي ترولي آخر. ركبته . كان بالامكان أن تشعر أن الوقت هو الظهيرة. وأتساءل عما إن كانوا عمال مناجم في باطن الأرض. ذلك هو السبب في أنها تصدر صفيرًا: لأن الناس تتصبب عرقًا، وإذا ابتعدت عن العَرق لمسافة كافية فلن تسمع الصفير، وبعد ثماني دقائق ستكون بعيدًا عن العرق في بوسطن. قال أبي إن الانسان هو حاصل جمع المصائب التي واجهته. وإن فكرتَ في مصيبتك، ذات يوم، فسوف تتعب، ولكن الزمن عندئذٍ سوف يكون مصيبتك على حد تعبير أبي. هناك في الأفق نورس يتحرك ببطء كما لو كان مشدودًا بسلك لا مرئي. وأنت تحمل رمز إحباطك معك إلى

الأبدية. وعندها يصبح الجناحان أكبر حجمًا ولكن من يمكنه أن يعزف على القيثارة على حد تعبير أبي.

كنت أسمع صوت ساعتي كلما توقفت السيارة، لكنهم لم يتناولوا في الغالب الطعام بعد بالفعل *مَن يعزف على* الطعام وما يفعله في دخيلتك مواقيت وراءها مواقيت والزمن يختلط المعدة تقول الظهيرة والمخ يقول موعد الأكل. حسنًا أتساءل ما هو الوقت الآن وماذا عنه. الناس تنزل من الترولي. والترولي لم يعد يتوقف كثيرًا الآن، يخلو بتآكل الناس فيه.

وصل الترولي إلى المحطة النهائية. نزلت ووقفت داخل ظلي، وبعد برهة أتت سيارة على الطريق وركبتها وعُدت إلى محطة الضواحي. كانت هناك سيارة تستعد للمغادرة، ووجدت فيها مقعدًا بجوار الشباك، ثم بدأت تتحرك، ورأيتها تسير متعبةً بين جنبات صفوف الشقق السكنية المتباعدة، ثم بين جنبات الأشجار. كنت أشاهد النهر بين حين وآخر، وأفكر كم سيبدو الأمر لطيفًا بالنسبة لهم في نيو لندن لو كان الجو صحوًا، وتمكن زورق جيرالد من التقدم المهيب في فترة ما بعد الظهيرة المتألقة وتساءلت عما تريده تلك المرأة العجوز الآن من إرسال تلك الرسالة التي وصلت غرفتي في العاشرة من الصباح. وأية صورة لجيرالد سوف أكون في *دالتون إيمز آه ملمسّ كالاسبستوس أطلق كوينتن النار عليه*. شيءٌ ما فيه فتيات النساء لهن صلة *دائمًا صوته يغطي على اللغط من حوله* لهن صلة بالشر، بالاعتقاد بأن ما من امرأة جديرة بالثقة، لكن بعض الرجال ساذجون إلى حد ألا يمكنهم أن يحموا أنفسهم. فتيات عاديات. بنات عم أو خال من بعيد وصديقات للعائلة تفرض الشهامة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن يتمتعن بحرمات الدم لمجرد كونهن معارف. وهي تجلس هناك لتقول لنا أمامهن أليس من المخجل أن يتمتع جيرالد بكل هذا الجمال الذي تتمناه أية أسرة، لأن الرجل لا يلزمه ذلك ويمكنه أن يكون في أفضل حال بدونه فيما الفتاة بدونه تضيع ببساطة. وتتحدث لنا عن نساء جيرالد بنبرة ***أطلق كوينتن النار على هربرت يطلق النار على صوته عبر أرضية غرفة كادي*** نبرة التفاخر الراضي عن النفس. "عندما كان في السابعة عشرة من عمره قلت له ذات يوم أليس مما يخجل أن يكون لك مثل هذا الفم إنه فم أجدر به أن يكون في وجه فتاة" فهل تتخيل ***كانت الستائر تتمايل في الغسق منسدلة على رائحة شجرة التفاح وكان رأسها قبالة ضوء الغسق وذراعاها خلف رأسها كجناحي امرأة تلبس الكيمونو والصوت هو الصوت الذي ضوعت أنفاسه جنة عدن وثياب على السرير عند الأنف التي شوهدت فوق التفاحة*** ماذا كان رده؟ لا تنسوا أنه كان في السابعة عشرة. قال "أجل، يا أمي، إنه غالبًا كذلك". وهو جالس بسيماء الأمراء يرقب اثنتين أو ثلاثًا منهن من خلال رموشه. كن يتدفقن كسنونوات تنتزع رموشه. قال شريف إنه كان دائمًا ***هل ستعتنين ببنچي وأبيك***

كلما قَل حديثك عن بنچي وبابا يا كادي كان أفضل

عِدني

لستِ بحاجة إلى القلق عليهما وصحتك تتحسن على نحو مضطرد

تعهد لي بذلك إنني انسانة مريضة ويتعين عليك أن تعدني ما يتساءل عمَّن أطلق هذه النكتة لكنه كان آنذاك يقول إن السيدة بلاند امرأة ما زالت تحتفظ بقدر من شبابها رغم كبر سنها وأنها تهيئ جيرالد

لغواية إحدي الدوقات ذات يوم. وكانت تطلق على شريف اسم الفتي الكندي السمين ورتبت مرتين لأن تضع معى زميلاً في الغرفة من اختيارها دون أن تشاورني في الأمر، ورتبت مرةً أخرى لنقلي لغرفة أخرى، ومرةً ثالثة

فتَح الباب في الغسق. كان وجهه يشبه فطيرة القرع العسلي.

"حسنًا، جئت لأودعك وداعًا حارًّا. لقد فرق بيننا قَدَر لا يعرف الرحمة، لكني لن أحب سواك. أبدًا".

"علام تتحدث؟"

"أتحدث عن قَدَر لا يعرف الرحمة متدثر في ثمانية ياردات من الحرير المشمشي اللون والمزخرف بالجنيهات المعدنية بكثرة كما لو كان عبدًا من عبيد السفن يجر أثقالاً من المعادن، والمالك الوحيد بلا منازع للمراحيض المتنقلة منذ عهد الكونفدرالية البائد". ثم أخبرني بالكيفية التي ذهبت بها إلى مراقب الكلية لكي ينقله وكيف أن المراقب أبدى قدرًا من العناد وأصر على استشارة شريف في الأمر أولاً. عندها أشارت عليه بأن يرسل في طلب شريف على الفور وينفذ النقل، لكن شريف رفض، ومنذ ذلك الحين تعامل شريف بجفاء. قال شريف: "أحرص دائمًا على ألا أتحدث بخشونة مع النساء، لكن هذه المرأة لديها من أساليب العواهر ما لا تبزها فيه امرأةٌ في هذه الولايات والمناطق المستقلة". والآن هناك رسالة على المنضدة سُلمت باليد، أمرتُ بأن تكون ملونة وبرائحة زهر الأوركيد بحيث تعلم أنني لو مررت تحت الشباك أدرك أنها هناك فلا يكون من ثم مجالٌ للاعتذار بالقول سيدتي العزيزة لم تُتح لي الفرصة لتلقي اتصال منك ولكني أتوسل إليك مقدمًا بأن أعتذر عن الحضور

https://telegram.me/maktabatbaghdad

اليوم أو أمس أو غدًا أو أن تكون الرسالة التالية عن الكيفية التي دفع بها جيرالد بزنجيه إلى الطابق السفلي وكيف أن الزنجي توسل إليه أن يلتحق بمدرسة اللاهوت ليكون بالقرب من سيد جيرالد وكيف أنه جرى طوال الطريق إلى المحطة بجانب العربة التي يستقلها وهو يبكي لفراق سيد جيرالد وسوف أنتظر اليوم الذي أتلقى فيه الرسالة التي تتحدث عن زوج نشَّار أتى إلى باب المطبخ حاملاً بندقية ونزل جيرالد وكسر البندقية إلى نصفين وأعادها إلى الرجل ومسح يديه في منديل من الحرير وألقى بالمنديل في الفرن وقد سمعت منه هذه القصة مرتين.

أطلق النار عبر رأيتُك هنا فقلت أغتنم الفرصة للتعرف عليك فهل لك أن تدخن سيجارًا

شكرًا لا أدخن

لا بد أن الأمور لم تتغير هناك منذ ذلك اليوم هل تسمح لي بإشعال السيجار

تفضل

شكرًا لقد سمعت الكثير عنك أظن أن والدتك لن تنزعج لو وضعتُ عود الثقاب وراء الستارة أليس كذلك الكثير عنك كانت كانديس تتحدث عنك طوال الوقت ونحن في منتجع ليك وكنت أشعر بنوع من الغيرة وأقول مَن هذا الكوينتن على أية حال لا بد لي أن أرى مثل هذا الحيوان لأنني شعرت بالضيق منك ما إن رأيت الفتاة الصغيرة ولا أكتمك أنها لم تذكر لي أبدًا أن مَن تتحدث عنه هو أخوها الذي ظلت تتحدث عنه كما لو كنتَ الرجل الوحيد في عالم لا يوجد فيه زوج هل غيرتَ رأيك وتود أن تدخن سيجارًا

أنا لا أدخن

في هذه الحالة لن أصر على الرغم من أنه نوعٌ فاخر من السيجار ثمن المئة منه خمسة وعشرون دولارًا بسعر الجملة من صديق في هاڤانا أجل أظن أن الكثير من التغيير قد حدث هناك وكُنت أمني نفسي بأن أقوم بزيارة لها ولكني لم أتمكن من الذهاب إلى هناك نظرًا لكثرة مشاغلي خلال السنوات العشر الماضية ولم أتمكن من الابتعاد عن البنك خلال الدراسة والعادة كما تعلم تغير الكثير من الأمور التي تبدو لمن لم يتخرج بعد من الجامعة أنها مهمة قُل لي ما الذي يجزي هناك

لن أخبر والدك أو والدتك إذا كان ذلك ما تريده

لن تخبر لن آه أنت تعلم أن ما تتحدث عنه لا يهمني أن تخبرهما به أم لا وأمر كهذا من الأمور التي يؤسف لها ولكن ليست هناك جريمة تستدعي الشرطة كل ما في الأمر أنني شخص سيء الحظ في حين أنك قد تكون أحسن مني حظًا

أنت كاذب

تمالك أعصابك فأنا لا أحاول أن أدفعك إلى الحديث عن أمور لا تود الحديث عنها ولا أقصد أن أجرح شعورك بطبيعة الحال فشاب مثلك قد ينظر إلى مثل هذه الأمور بقدر أكبر من الجدية مما يمكن أن ينظر إليها بعد خمس سنوات

لا أدري ولكن هناك طريقة واحدة للنظر للغش والخداع ولا أظن أني سوف أتعلم في هارڤارد طريقة مختلفة عنها

نحن أفضل من مجرد مسرحية تقدمها لمسرح الطلبة حسنًا أنت على حق فنحن في غنى عن أن نخبرهم بذلك عفا الله عما سلف ولا داع لأن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نجعل أمرًا تافهًا كهذا يحول بيننا فأنا أحبك يا كوينتن ومعجب بمظهرك فأنت لا تبدو مثل أولئك الأجلاف الآخرين وأشعر بالسعادة لأنني بدأت أنسجم معك على هذا النحو لقد وعدت والدتك بأن أوظف جاسون ولكني أود أن أمد لك يد العون فجاسون يمكنه أن يكون في أفضل حال هنا ولكن لا مستقبل لشاب مثلك في هذا الجُحر

أشكرك فمن الأفضل أن تتمسك بجاسون لأنه يناسبك أفضل مني

أنا آسف بهذا الشأن ولكن طفلاً مثلي في ذلك الحين لم يكن له أم مثل والدتك لتعلمني هذه الأمور الدقيقة وسوف يكون بلا ضرورة أن تعرف ذلك لأنه سوف يجرح مشاعرها أجل أنت محق لا حاجة لنا بذلك وينطبق نفس الشئ على كانديس

أنا قلت **الأم والأب**

انظر انظر لي إلى أي مدى في ظنك سوف تصمد أمامي

لا أود الصمود طويلاً وإذا كنتَ قد تعلمتَ القتال في المدرسة فحاول لتعرف إلى أي مدى سوف أصمد

أنت أيها الصغير ما الذي تفكر في الوصول إليه

جرِّب لتعرف

يا إلهي السيجار ما الذي ستقوله والدتك إذا وجدت مثل هذا الحرق في عباءتها انظر إلى قبل ضياع الوقت يا كوينتن فنحن بصدد القيام بأمر سوف نندم كلانا بسببه فأنا أحبك أحببتك منذ أول مرة رأيتك فيها فقلت لا بد أنه شخص لطيف وإلا فإن كانديس ما كانت لتُعجب به على هذا النحو استمع إلى فأنا خرجت للدنيا منذ عشر سنوات وهذه الأمور ليست بهذه الأهمية وسوف تكتشف ذلك في المستقبل فليكن ما

يجمعنا أننا من أبناء هارڤارد العريقة وهي مكان ليس هناك مكان مثله في العالم بالنسبة للشبان وسوف أرسل أبنائي لتتاح لهم فرصة لم تكن متوافرة لي انتظر لا تذهب الآن فلنناقش هذا الأمر فالشاب تكون لديه مثل هذه الأفكار وأنا أؤيدها تمامًا لأنها تساعده أثناء الدراسة في تكوين شخصيته فهي تصلح أثناء الدراسة ولكن عندما يخرج للعالم سيكون عليه أن يحقق ما يريد بأفضل السبل لأنه سيجد الجميع يقوم بنفس الشيء فلنتصافح عفا الله عما سلف ودع الماضي لشأنه من أجل والدتك تذكر حالتها الصحية مُد يدك إليَّ انظر إلى يدي تبدو كيد راهبة طاهرة لا تشوبها شائبه ولم تتغضن بعد انظر إليها

إلى الجحيم أنتَ ومالك

لا لا تعال هنا أنا فردٌ من العائلة الآن فأنا أعلم كيف تسير الأمور بالنسبة لأي شاب فله غرامياته ويصعب عليه أن ينتزع المال من أبيه لينفق عليها أنا أعلم ذلك ألم أكن شابًا في وقت ليس بالبعيد غير أني الآن بسبيلي للزواج وكل ذلك متوافر على وجه التحديد تعال هنا ولا تكن عبيطًا وعندما تحين الفرصة للكلام الجاد فإنني أود أن أعرفك بأرملة شابة في المدينة

سمعت ذلك أيضًا واحتفظ بنقودك الملعونة

اعتبرها قرضًا إذن فما إن تغمض عينيك لبرهة صغيرة سوف تجد نفسك في الخمسين

ابعد يديك عني ومن الأفضل أن تبعد السيجار عن العباءة

قُل لهم ذلك ولن تجد منهم آنذاك سوى الانتقاد لتصرفك فلستُ بالشخص المغفل لتتبين إلى أي مدى جعلتهم يرتبطون بي إلى حد لن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يتمكن فيه أخ لم ينضج بعد ويدعي الفروسية من التأثير عليهم لقد حدثتني والدتك عن طبعك وعن عنادك تعال هنا تعال يا عزيزتي لقد بدأتُ أنا وكوينتن في التعارف وتحدثنا عن هارڤارد هل تريدني ألا يمكن الابتعاد عن الرجل العجوز.. هل يمكنها

اخرج لبرهة يا هربرت أود أن أتحدث مع كوينتن

تعالي تعالي نتحدث على راحتنا جميعا ونتعارف كنت أقول لكوينتن هيا يا هربرت اخرج لبرهة أظن أنك تود أن تجلس مع بابا لبعض الوقت

من الأفضل أن تبعد السيجار عن العباءة

أنت على حق كما هي العادة يا بني ويتعين عليَّ أن أخرج وأدعهم يتحكمون فيك حينما يتمكنون من ذلك يا كوينتن وبعد غد سوف يكون يوم مسرة للزوج أليس كذلك ياعزيزتي اعطني قبلة ياحلوتي

كف عن ذلك وأجله لما بعد الغد

أود أن أوليه اهتمامًا ولا تدعي كوينتن يفعل أي شيء لا يمكنه إتمامه وبالمناسبة هل أحكي لكوينتن قصة الرجل صاحب الببغاء وما حدث له إنها قصة حزينة فكريني بذلك وفكر في الأمر بنفسك إلى اللقاء في مجلة الفكاهة

طيب

طيب

ماذا وراءك

لا شيء

أنت تتدخل في شئوني مرةً أخرى ألم تكتف بما فعلته الصيف الماضي

كادي أنت مصابة بحمى *أنت مريضة إلى أي حد أنت مريضة*

أنا مريضةٌ فحسب ولا يمكنني أن أسأل

أطلق النار على صوته عبر الـ

ليس هذا السافل يا كادي

طوال الظهيرة وما بعدها، كان النهر يرسل- بين الحين والحين- ببريق خاطف من خلف الأشياء. والآن بعد مرور فترة طويلة، رغم ما مررنا به كان ما زال يجذف ويسير بقاربه عكس التيار في شموخ أمام الله الآلهة. أفضل. الآلهة. فاستخدام لفظ الله ربما يكون غير مستحسن في بوسطن بماساشوتستس. *أو ربما لا يكون مجرد زوج*. كان المجدافان المبللان يعكسان الضوء على أصابعه الناعمة كأصابع الإناث. متزلف. متزلف لو لم يكن زوجًا فإنه لا يخشى الله. *هذا إنسان حقير يا كادي* وكان النهر يومض خلف المنعطف

أنا مريضة ولابد لك من أن تعاهديني على ذلك

مريضة ما هو مرضك

أنا مريضة فحسب ولا يمكنني أن أطلب من أحد أن يعدني بذلك فتعهدي لي به

إذا كانوا يحتاجون عناية من أحد فإن السبب في ذلك هو أنك مريضة

تحت الشباك سمعنا صوت السيارة وهي تغادر في طريقها للمحطة، لتلحق بقطار الثامنة وعشر دقائق. وتعود حاملة أولاد العم. رؤوس. يزيد نفسه رأسًا وراء الآخر بلا حلاقين بل مزينات. كنا نمتلك ذات يوم حصانًا أصيلا. حصان في الاسطبل، لكنه تحت السرج جرو. *أطلق كوينتن النار على أصواتهم عبر أرضية غرفة كادي*

وقفت السيارة. نزلت منها، في منتصف ظِلي. الطريق يمر عبر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المزلقان. كان ثمة لافتة من الخشب بجوار رجل عجوز يأكل شيئًا من كيس ورقي، ثم اختفي صوت السيارة أيضًا. مضى الطريق بين الأشجار، حيث يكون ظليلاً، لكن أوراق الشجر في يونيو في نيو إنجلاند ليست أكثر كثافة من أوراق الشجر في أبريل في منطقتنا. رأيت مدخنة. استدرت وأعطيتها ظهري وأنا أطأ ظلي في التراب. ***هناك شيءٌ ما مرعب في داخلي يكشر لي عن أنيابه في الليل أحيانًا وكنت أراه عندما تعلو وجوههم التكشيرة في وجهي وقد انتهى ذلك الآن أنا مريض***

كادي

لا تلمسني عِدني فحسب بذلك

إذا كنت مريضة فلن يمكنك

أجل يمكنني عندما أكون في حالة طيبة فلا تقلق تعهد لي بألا تدعهم يرسلونه إلى مستشفي المجانين

أعدك بذلك يا كادي يا كادي

لا تلمسني لا تلمسني

ماذا يشبه يا كادي

ما هو

ذلك الذي يكشر لك عن أنيابه من خلال وجوههم

لا أزال أرى المدخنة. هذا هو المكان الذي سيوجد به الماء ويلتئم مع البحر ومع الكهوف الهادئة. وسوف يسقطان في سلام وعندما يقول الرب "انهضوا" لن ينهض سوى المكواتين. عندما كنا نصيد أنا وڤيرش طوال النهار لم نكن نصطحب معنا غداءنا، وعند الساعة الثانية عشرة كنت أجوع. كنت أشعر بالجوع حتى الساعة الواحدة، ثم أنسي تمامًا أنني

جائع بعد ذلك. *مصابيح الشوارع تنحدر مع التل ثم سمعت السيارة تنحدر مع التل. كانت ذراع الكرسي مستوية وباردة تحت جبيني والكرسي يتخذ هيئة شجرة تفاح تتهدل على شعري فوق ملابس جنة عدن عند الأنف التي شوهدت* أنت محمومةٌ أحسستُ بذلك أمس كما لو أنك بالقرب من فرن.

لا تلمسني.

كادي لا يمكنك القيام بذلك وأنت مريضة . هذا إنسان حقير.

لا بد لي من أن أتزوج من إنسان ما. *ثم قالوا لي إن العظام سوف تُكسر مرةً أخرى*

في النهاية لم أعد أرى المدخنة. وكان الطريق يمر بجوار حائط. والأشجار تميل على الحائط، الذي يتناثر عليه ضوء الشمس. كان الحجر باردًا. ويمكنك أن تشعر ببرودته لدي مرورك بجواره. غير أن بلدنا لا تشبه هذا البلد. كان هناك شيءٌ ما تشعر به بمجرد التجول فيه. نوعٌ من الخصوبة الساكنة والعنيفة التي تُشبع الجوعى. شيءٌ يتدفق حولك ولا يحتضن ويفرخ أحجارًا شحيحة العطاء. مثلما هو الحال هنا حيث الزرقة في السماء تبدو كما لو كانت بديلاً عن الخضرة التي تكسو الأشجار هناك. *قيل لي إن العظام سوف تتكسَّر من جديد وشرعت في داخلي في أن أقول آه آه آه وبدأت أتصبب عرقًا. ما يهمني أن أعلم أن رجلي قد كسرت لن يكون ذلك بالشيء الكثير كل ما عليَّ هو أن أمكث في المنزل وقتًا أطول مما اعتدتُه وعضلات فكي أصابها عندئذٍ الخدر في حين أن فمي كان يقول انتظر انتظر لدقيقة فيما أتصبب عرقًا والآهات تتصاعد من جوفي لعنة الله على هذا الحصان يا أبي انتظر إنها غلطتي. وكان يأتي*

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ويمر بامتداد السياج كل صباح مع سلة نحو المطبخ وهو يجر عصا على امتداد السياج كل صباح وجرجرتُ نفسي بصعوبة للشباك ورميته بقطعة من الفحم وكانت ديلسي تقول سوف تحطم نفسك أليس من الأفضل أن تكون أعقل من ذلك ألم تسقط منذ أيام قليلة وكسرت رجلك. انتظري سوف أعتاد على ذلك بعد وقت قصير انتظري بعد وقت قصير سوف

حتى الصوت يبدو أنه يتبدد سريعًا في الهواء هنا، كما لو أن الهواء قد تعب من كثرة ما حمل من أصوات لأمد طويل. وصوت كلب في الظلام ن أعلى على أيه حال من صوت قطار. وبعض الناس. منهم زنوج. ويس هاتشر الذي اعتاد أن يحمل معه بوقًا لم يستخدمه واستخدم مباحًا قديمًا. قلتُ: "ما هي آخر مرة نظفت فيها هذا المصباح، يا لويس؟"

"لقد نظفته منذ فترة. هل تذكر عندما اكتسح الفيضان الناس هناك؟ لقد نظفته في ذلك اليوم. كنا نجلس أنا وزوجتي العجوز أمام النار في تلك الليلة وسألتني "ما الذي ستفعله- يا لويس- إذا جاء الفيضان إلى هذه المنطقة؟" فقلت لها "أجل، هذا ممكن. وأظن أن من الأفضل أن أنظف هذا المصباح. ونظفته في تلك الليلة".

قلت: "هذا الفيضان الذي ضرب بنسلفانيا. ما كان من الممكن أن يصل إلى هنا".

قال لويس: "هذا ما تقوله أنت. فالماء يفيض في جفرسون مثلما فاض في بنسلفانيا، على ما أعتقد. وهو يلحق الضرر بمن يقولون إن الفيضان لا يأتي إلى هنا ويجعلهم يتعلقون بأسقف منازلهم بعد أن غمرها الماء".

"هل أمضيت الليل أنت وزوجتك مارتا خارج المنزل؟"

"هذا ما فعلناه بالتحديد. نظفت هذا المصباح وقضيت الليل أنا وهي على تلك الهضبة التي تقع خلف المقابر. ولو كنا نعرف مكانًا أكثر ارتفاعًا منها لذهبنا إليه".

"ولم تنظف المصباح منذ ذلك الحين".

"ولماذا أنظفه، وما من داع لذلك؟"

"تقصد ما لم يأت فيضان آخر؟"

"لقد حمانا في تلك المرة".

"لا أكاد أصدق ذلك، يا عم لويس".

"نعم، يا سيدي. أنت لك طريقتك وأنا لي طريقتي. فإن كان كل ما أحتاجه لكي أنجو من الفيضان هو أن أنظف هذا المصباح، فلن أدخل في خصومة مع أحد من أجل ذلك".

قال ڤيرش: " عم لويس لا يصيد شيئًا باستخدم مصباح فهو بإمكانه أن يري".

قال لويس: "كنت أصيد البوسوم في هذه الأرياف عندما كانوا ما يزالون يضعون النفط في رأس أبيك وهو صغير ليصطادوا القمل يا فتى"

قال ڤيرش: "هذا صحيح. أعتقد أن عمي لويس صاد حيوانات بوسوم أكثر من أي رجل في هذه المنطقة".

"أجل، يا سيدي. كنت أستخدم الضوء بكثرة لأرّى البوسوم. فهل شكا أحدهم. بعد أن يسود الهدوء، إنه هناك، هوووي، عليك به، امسكه يا كلبي". كنا نجلس بين الأوراق الجافة التي تهمس مع تنفسنا البطيء ونحن ننتظر والتنفس البطيء للأرض وشهر أكتوبر عديم الرياح،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ورائحة المصباح الكريهة تنتشر في الجو وتلوثه، ونحن ننصت لصوت الكلاب وصدى صوت لويس وهو يتلاشى في البعيد. لم يكن يرفع صوته أبدًا، لكن في هدوء الليل كنا نسمعه من الشرفة الأمامية. وعندما كان يستدعي الكلاب كان يصدر صوتًا أشبه بصوت البوق الذي يعلقه في كتفه ولايستعمله أبدًا، لكنه كان واضحًا ورخيمًا كما لو كان صوته من نسيج الظلام والسكون المخيم يخرج ملتويًا منه ويعود ملتويًا إليه من جديد. مَنذَاااااااااااا. مَنذَاااااااااااا. مَنذَاااااااااااااااااااااااااا. ***لابد لي من الزواج من شخص ما***

هل كانوا كثيرين يا كادي

لم أكن أعرف الكثيرين هل ستعتني ببنچي وأبي

ألا تعرفين من أبوه فهل هو يعرف

لا تلمسني هل ستعتني ببنچي وأبي

بدأت أشعر بالماء قبل أن أصل إلى الجسر. كان الجسر مبنيًّا من حجر رمادي اللون، نمت عليه الطحالب بتأثير الرطوبة. تحته، كان الماء صافيًا وساكنًا في الظل، يهمس ويبقبق على الحجر في موجات تتلاشى في دوامات في السماء. ***كادي هذا*** ..

لابد لي من الزواج من شخصٍ ما حكي لي ڤيرش عن رجل قطع عضوه. ذهب إلى الغابة وفعلها باستخدام موسى للحلاقة، وهو جالس في حفرة. بموسى مكسورة وألقى بهما وراء ظهره دفعةً واحدة كتلةً واحدةً داميةً دون أن يتناثر الدم حوله. لكن ليس هذا هو الموضوع. فليس الموضوع أن تتخلص منه. هي ألا يكون لديك أبدًا فيمكنني عندها القول أنت يا هذا هي لغة صينية وأنا لا أعرف الصينية. وقال أبي إن هذا

لأنك لم تفقد عذريتك: ألا تدرك ذلك. إن النساء لم يكن أبدًا عذراوات. فالطهارة حالة سلبية، ومن ثم فهي تتعارض مع الطبيعة. فما ألحق بك الألم هو الطبيعة، وليس كادي، فقلت إنها مجرد كلمات فقال وهكذا هي البكارةفقلت أنت لا تعرف. أنت لا تعرف فقال أجل. في اللحظة التي ندرك فيها أن هذه المأساة ليست بالجديدة.

في المكان الذي كان يسقط فيه ظل الجسر على الماء كان بإمكاني الرؤية إلى أعماق أبعد، لكن دون الوصول إلى القاع. وعندما تترك ورقة شجر في الماء لمدة طويلة تتحلل أنسجتها وتصبح لينة النسيج بحيث تتماوج فوق سطح الماء كما لو كانت نائمة. والعينان لا تتلامسان مهما كانت درجة الارتباط بينهما، ومهما كانتا ملتصقتين بالعظام في محجريهما. وربما عندما يقول الله "انهضوا" فتطفوان من الأعماق الهادئة ومن نومهما لتتطلعا إلى بهاء الله. وبعد برهة سوف تطفو المكواتان وقد خبأتهما عند طرف الجسر وعُدت واتكأت على السياج الحديدي.

لم يكن باستطاعتي أن أرى القاع، لكن كان بإمكاني الرؤية لعمق كبير في حركة الماء قبل أن تكل العين، ثم رأيت ظلاً معلقًا على شكل سهم سميك متوقف وسط التيار. وكانت حشرات الرعاش* ترفرف داخلةً وخارجةً من ظل الجسر على سطح الماء تمامًا. ***إذا كان الجحيم هو ما يكمن فيما وراء ذلك: فإن اللهب النقي لكلينا نحن الاثنين سيكون أكبر من الموت. عندئذٍ لن يكون لك سواي عندئذٍ ليس سواي عندئذٍ سنكون نحن الاثنين وسط ألسنة اللهيب والرعب فيما وراء اللهب النقي***

---

* **الرعاش**: حشرة طائرة مستطيلة، مدببة الجسم، لها عدة أجنحة طويلة أشبه بالطائرة وذات ألوان وأنواع مختلفة- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

انتفخ ظل السهم في الماء وهو بلا حراك، وفي حركة التفافية مفاجئة التقمت سمكة السلمون إحدى الحشرات الرعاشة إلى ما تحت السطح بتلك الدقة العملاقة التي يتلتقط بها فيل حبة من الفول السوداني. وانجرفت الدوامة المتلاشية بعيدًا أسفل المجرى ثم رأيت السهم مرةً أخرى، وأنفه في التيار، متمايلاً برقة مع حركة الماء الذي تحوم فوقه الرعاشات مائلةً مرفرفة. ***ستكون أنت وأنا وحدنا عندئذٍ وسط اللهيب والرعب الذي يحيط بهما اللهب النقي***

كانت سمكة السلمون الرقطاء معلقةً رهيفةً بلا حراك بين الظلال المتمايلة. أتى إلى الجسر ثلاثة صبية يحملون السنانير واتكأنا جميعًا على السياج الحديدي ونحن ننظر إلى سمكة السلمون. كانوا يعرفون السمكة. فهي من الشخصيات المعروفة في هذه الناحية.

"إنهم يحاولون اصطياد سمكة السلمون هذه منذ خمسة وعشرين عامًا. وهناك محل في بوسطن يعرض سنارة بمبلغ خمسة وعشرين دولارًا هي التي يمكنها أن تصطادها"

"لماذا لم تصيدوها جميعًا، إذن؟ هل ترغبون في شراء سنارة الخمسة وعشرين دولارًا؟"

قالوا: "نعم". واتكأوا على السياج، وهم ينظرون إلى السمكة. قال أحدهم: "بالتأكيد أنا أرغب في ذلك".

قال الآخر: "لن آخذ السنارة. سوف آخذ النقود بدلاً منها".

قال الأول: "لن يرضوا بذلك. بل سيعطونك السنارة".

"إذن سأبيعها".

"لن تبيعها بخمسة وعشرين دولارًا".

"سأبيعها بالمبلغ الذي يمكنني الحصول عليه، إذن. فيمكنني أن أصيد عدة سمكات بهذه السنارة، مثلما يمكنني أن أصيد بسنارة الخمسة وعشرين دولارًا".

ثم بدأوا يتحدثون عما سيفعلونه بالخمسة والعشرين دولارًا. كانوا يتحدثون في نفَس واحد، وكانت أصواتهم مُلحة ومتضاربة ونافدة الصبر، محولةً غير الواقع إلى أمر ممكن، ثم أمر محتمل، ثم حقيقة لا رجوع عنها، كما يفعل الناس عندما تتحول رغباتهم إلى كلمات.

قال الثاني: "سوف أشتري عربة وحصانًا".

قال الآخران: "أجل، أيمكنك ذلك؟"

"سوف أتمكن من ذلك. يمكنني أن أشتري واحدة بخمسة وعشرين دولارًا. فأنا أعرف البائع".

"مَن هو؟"

"حقًا. بإمكاني أن أشتريها بخمسة وعشرين دولارًا".

قال الآخران: "نعم. إنه لا يعرف شيئًا. هو يتحدث لا أكثر".

قال الصبي: "هل تظن ذلك؟" واصلا التهكم عليه ولكنه لم يرد عليهم. اتكأ على السياج، وهو ينظر إلى سمكة السلمون التي أنفق ثمنها مسبقًا، وفجأةً تلاشت من أصواتهم نبرة الخصام والنزاع، كما لو أن الأمر بالنسبة لهما أيضًا أنه قد اصطاد السمكة واشترى حصانه وعربته، فهم يشاركون الكبار في سمة إبداء الاقتناع بأي شيء بالتظاهر بالصمت الذي ينم عن التعالي. وأرى الناس، الذين يستخدمون بأنفسهم ومع بعضهم البعض الكثير من الكلمات، متسقين على الأقل حين يعزون الحكمة لفضيلة الصمت، وقد شعرت لبعض الوقت أن الصبيين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الآخرين كانا يتعجلان السعي إلى وسيلة للتفوق عليه وحرمانه من حصانة وعربته.

قال الأول: "لن يمكنك الحصول على خمسة وعشرين دولارًا مقابل هذه السنارة. وأراهن بأي شيء أنك لن تتمكن من ذلك".

قال الثالث فجأةً: "لم يتمكن من اصطياد سمكة السلمون بعد".

صاحا سويًّا: "ألم أقل لك؟ ما هو اسم ذلك الرجل؟ أتحداك أن تقول اسمه. لا وجود لمثل هذا الرجل".

قال الثاني: "آه، اسكت. انظر. لقد عادت مرةً أخرى". اتكأوا على السياج، بلا حراك، متماثلين، وسنانيرهم النحيلة تميل على الماء تحت الشمس في وضع متماثل تمامًا أيضًا. نهضت سمكة السلمون الرقطاء بلا استعجال، وظِل متماوج بوهن يكبر؛ ومرةً أخرى اختفت الدوامة الصغيرة ببطء تحت التيار.

قال أحدهم: "لن نحاول اصطيادها مرةً أخرى. ولنرقب أهل بوسطن حين يأتون ويحاولون ذلك".

"هل هي السمكة الوحيدة في هذا الماء؟"

"أجل. فقد طردت الأسماك الأخرى. إن أفضل مكان للصيد هناك عند الدوامة الصغيرة".

"أبدًا. الأفضل بالضِّعف المنطقة الواقعة عند معمل بيجلو". ثم تجادلوا لبعض الوقت حول أفضل مكان للصيد ثم سكتوا فجأةً ليرقبوا سمكة السلمون التي ظهرت من جديد وقامت بحركة التفافية مفاجئة لتلقم رزقًا من السماء. سألتُهم عن أقرب بلدة من هنا، فقالوا لي ما هي.

قال الثاني، وهو يشير إلى الناحية الأخرى: "لكن أقرب خط

للحافلات هو مِن هذا الطريق. إلى أين أنت ذاهب؟"

"لن أذهب إلى مكان معين. مجرد القيام بنزهة".

"هل أنت من الكلية؟"

"أجل. هل هناك أية مصانع في هذه البلدة؟"

قالوا، وهم ينظرون نحوي: "مصانع؟"

قال الثاني: "لا. ليس في هذه الناحية". نظروا إلى ملابسي. "هل تبحث عن عمل؟"

قال الثالث: "ماذا عن معمل بيجلو؟ إنه مصنع".

"غير معقول. إنه يسأل عن مصنع حقيقي".

قلت: "مصنع يطلق صفارة. لم أسمع صفارة الواحدة ظهرًا هنا".

قال الثاني: "أجل. هناك ساعة في برج الكنيسة. يمكنك أن تعرف الوقت منها. ألا توجد معك ساعة في هذه السلسلة؟"

قلت، وأنا أريهم ساعتي: "لقد كسرتها صباح اليوم". تفحصوها جيدًا.

قال الثاني: "لا تزالت تعمل. كم ثمن ساعة كهذه؟"

قلت: "إنها هدية أهداها لي أبي عندما أنهيت دراستي الثانوية".

قال الثالث، وكان شعره أحمر: "هل أنت كندي؟"

"كندي؟"

قال الثاني: "إنه لا يتحدث مثلهم. لقد سمعتهم وهم يتكلمون. إنه يتحدث مثل الممثلين في العروض الفكاهية التي تقلد الزنوج".

قال الثالث: "ألا تخشى أن يضربك؟"

"يضربني؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"أنت تقول إنه يتحدث مثل الملونين".

قال الثاني: "كُف عن ذلك. بوسعك أن ترى البرج عندما تصعد إلى هذا التل هناك".

شكرتهم: "أتمنى لكم حظًا سعيدًا. أرجوكم ألا تصيدوا هذه السمكة العجوز. فهي تستحق أن تترك وشأنها".

قال الأول: "وهل يمكن لأحد أن يصيد هذه السمكة". مالوا على السياج، وهم ينظرون إلى الماء، وسنانيرهم الثلاثة تبدو مثل خيوط مائلة من النيران الصفراء تحت ضوء الشمس. سرتُ على ظلي، وأنا أطأه عندما دخل في ظل الأشجار التي تتخلل الشمش أوراقها. كان الطريق يسير منحنيًا صاعدًا بعيدًا عن الماء. عبَرَ التل ثم انحدر متعرجًا وهو يحمل الذهن والعين على النظر للأمام تحت نفق من الخضرة الساكنة، ولاحت القبة المربعة وميناء الساعة المستدير من فوق الأشجار لكن عن بُعد كبير. جلست على جانب الطريق. كانت الحشائش كثيفة وتغطي الكاحل. وكانت الظلال على الطريق ساكنة كما لو كان ضوء الشمس قد رسمها بمسطرة. لم يكن هناك سوى قطار، تلاشى بعد برهة خلف الأشجار، مع صوته المديد، وعندئذ سمعت صوت ساعتي وتلاشي القطار، كأنه يجري في شهر آخر أو صيف آخر في مكانٍ ما مبتعدًا تحت جناحي النورس المتوقف في سكون في السماء، وكأن كل الأشياء كانت تجري. فيما عدا جيرالد. فهو سيبدو مهيبًا أيضًا، وهو يجذف وحده في الظهيرة، مندفعًا بنفسه إلى خارج الظهيرة، مرتقيًا الأثير المشرق الشاسع كما لو كان قد صعد إلى مرتبة الألوهية، صاعدًا إلى مستوى اللا نهاية الناعس، حيث كان هو والنورس أحدهما يقف ثابتًا بلا حراك على نحو

يبعث الرهبة في النفس، والآخر يجذف بثبات وبحساب كما لو جزءًا لا يتجزأ من القصور الذاتي ذاته، ويتضاءل العالم أمام ظلهما الذي يمتد حتى الشمس. ***كادي هذا إنسان حقير إنسان حقير يا كادي***

سمعت أصواتهم قادمة عبر التل، ورأيت سناراتهم الثلاث النحيلة التي تشبه خيوطًا مرفوعة من النيران المتسارعة. نظروا إليّ لدى مروري، لكنهم لم يبطئوا الخطى.

قلت: "حسنًا. أنا لا أراها".

قال الأول: "لم نحاول صيدها. ليس بوسع أحد أن يصيد هذه السمكة".

قال الثاني، وهو يشير بيده: "الساعة هناك. يمكنك أن تعرف منها الوقت لو اقتربت منها".

قُلت: "أجل. لا بأس بذلك". ونهضت. "هل أنتم ذاهبون إلى المدينة؟"

قال الأول: "نحن ذاهبون عند الدوامة لنصيد السمك".

قال الثاني: "أنت لا تستطيع صيد شيء عند الدوامة".

"أظن أنكم تودون الذهاب إلى المعمل، حيث يوجد الكثيرون الذين يرشون بعضهم بعضًا بالماء، ويفزعون السمك، فيهرب بعيدًا".

"أنت لا تستطيع صيد أية سمكة عند الدوامة".

قال الثالث: "لن نصيد شيئًا، إذا لم نذهب إلى هناك".

قال الثاني: "لا أفهم لماذا تصر على الحديث عن الدوامة. فأنت لا تستطيع صيد أي شيء هناك".

قال الأول: "لستَ ملزمًا بالذهاب. فلستَ مقيدًا بي".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال الثالث: "لنذهب عند المعمل ونسبح".

قال الأول: "أنا ذاهب عند الدوامة لأصيد السمك. ويمكنك أن تفعل ما يحلو لك".

قال الثاني للثالث: "قل لي منذ متى سمعتَ عن أن أحدًا قد صاد سمكًا عند الدوامة؟"

قال الثالث: "هيا بنا نذهب عند المعمل لنسبح".

بدأت القبة تختفي ببطء وراء الأشجار، وبدأ ميناء الساعة المستدير يبتعد لمسافة كافية. دخلنا في منطقة ظليلة تتخللها الشمس من بين أوراق الشجر. ووصلنا إلى بستان يجمع بين اللونين الأبيض والوردي، وبه أسراب كثيرة من النحل التي كنا نسمع صوت أزيزها بوضوح.

قال الثالث: "هيا نذهب عند المعمل ونسبح". كان هناك طريق فرعي صغير إلى جوار البستان. وتباطأ الصبي الثالث في مشيه ثم توقف. وواصل الصبي الأول المشي، وكانت بقع صغيرة من ضوء الشمس تتساقط على سنارته وكتفة وقميصه من الخلف. قال الصبي الثالث: "هيا بنا". وتوقف الصبي الثاني أيضًا. ***لماذا يا كادي يتعين عليك أن تتزوجي شخصًا ما***

هل تريدني أن أقولها وهل تظن أنني لو قلتها فلن تحدث

قال: "هيا بنا نذهب عند المعمل. هيا".

واصل الصبي الأول المشي. كانت قدماه الحافيتان لا يصدر عنهما أي صوت، وتطآن الأرض الترابية بنعومة أرق من سقوط أوراق الشجر. في البستان، كان صوت النحل يشبه صوت ريح تستجمع قواها، صوت متواصل، ولا يبلغ ذروته، كما لو أن تعويذة سحرية

تكبحه عن الارتفاع. وكان الطريق الفرعي يسير بجوار الحائط، ويتقوس مرتفعًا عنه، وتتناثر عليه الأزهار، ويغيب وسط الأشجار. ويسقط ضوء الشمس عليه مائلاً متناثرًا ولاسعًا. والفراشات الصفراء تتناثر في الظل مثلما يتناثر ضوء الشمس.

قال الصبي الثاني: "لماذا تريد الذهاب عند الدوامة؟ يمكنك أن تصيد عند المعمل إن شئت".

قال الصبي الثالث: "دعه يذهب". تابعا الصبي الأول بالنظر. وكانت بقع من ضوء الشمس تتتابع على كتفيه وهو يمشي، وتتحرك على سنارته كما لو كانت نملاً أصفر اللون.

قال الصبي الثاني: "يا كيني". ***قلها لوالدك هل ستقولها سوف أقولها أنا أنا من أنجبتُ له ذرية أنا من جددتُه جددتُ نسله قلها له لا لأنه سوف ينفي ذلك عنك وعني فلن ينفيه لأنه محب للنسل***

قال الصبي الثالث: "آه، هيا بنا. إنهم يسبحون هناك". ونظرا إلى الصبي الأول. قالا فجأةً "ياه. اذهب إذن، يا ابن أمك. إذا نزل الماء سوف تبتل رأسه وسيعطونه علقة". استدارا إلى الطريق الفرعي ومضيا، وطارت الفراشات حولهما على امتداد الظل.

ذلك يرجع إلى أنه لا يوجد سوى ذلك لكني أعتقد أن هناك شيئًا آخر ولكن ربما لا يوجد سوى ذلك وعندها فإنني فستجد أنه حتى الظلم ليس أهلاً إلا فيما ندر لما تعتقد أنت نفسك بأنك هو لم يعرني اهتمامًا، وأشاح بوجهه عني، واستدار وجهه قليلاً بعيدًا تحت قبعته المطوية.

قلت: "لماذا لا تذهب للسباحة معهما؟" ***هذا إنسان حقير يا كادي***

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هل سعيت لأن تفتعل مشاجرةً معه هل سعيت لذلك

إنه كذاب ونذل يا كادي لقد طردوه من عضوية ناديه لأنه كان يغش في ورق اللعب وطردوه لأنهم ضبطوه يغش في امتحان نصف العام وفصلوه

حسنًا ما الذي يهمني في ذلك أنا لست ذاهبة إليه لألعب الورق معه

قلت: "هل تحب الصيد أكثر من السباحة؟" خفت صوت النحل إلا أنه ظل متواصلاً مع ذلك، كما لو أنها بدلاً من أن تصمت زاد الصمت فيما بيننا مثلما يمتد الماء. انحني الطريق مرةً أخرى وأصبح شارعًا يمر بين مروج ظليلة تتوسطها بيوت بيضاء.

كادي هذا إنسان حقير فكري في بنچي وأبي وليس فيَّ

ما الذي كان بوسعي أن أفكر فيه غير ذلك ما الذي فكرت فيه غير ذلك حاد الصبي عن الشارع. تسلق سياجًا منخفضًا دون أن ينظر خلفه وعبَر المساحة الخضراء ليصل إلى شجرة، ووضع السنارة على الأرض، وتسلق إلى غصون الشجرة وجلس هناك، وظهره للطريق وسقطت بقع الشمس بلا حراك في النهاية على قميصه الأبيض. *فكرتُ في شيء آخر ولم يكن بوسعي حتى أن أصرخ لقد مت في العام الماضي وقلت لك إنني مت ولكني لم أكن أعلم حينها ما أعنيه بذلك لم أعلم معنى ما أقوله* في أوخر أغسطس تكون بعض الأيام في بلدنا شبيهة بذلك، يكون الهواء مخلخلا ولاذعًا مثلما هنا، يشوبه نوع من الحزن والحنين للماضي والألفة. قال أبي إن الإنسان حصيلة تجاربه المناخية. الإنسان حصيلة ما تشاء. مسألة تتألف من صفات قذرة ويكون حلها دائمًا وعلى نحو يبعث على الضجر صفرًا لا يتغير: معضلة من التراب والشهوة. *لكني الآن*

أعلم أنني ميتة كما قلت لك

ذلك هو السبب في أنكِ لابد أن تسمعي بإمكاننا أن نهرب أنا وأنت وبنچي إلى مكان لا يعلم به أحد حيث مرت عربة يجرها حصان أبيض، كانت حوافره تترك آثارها على تراب الطريق الناعم؛ وعجلات العربة العنكبوتية تصدر صوتًا خفيضًا ورتيبًا، صاعدةً التل تحت رداء متموج من أوراق الشجر. دردار. لا: دردار. دردار.

بسبب ماذا بسبب مصاريف دراستك المصاريف التي باعوا المرعى من أجلها حتى تتمكن من الالتحاق بهارفارد ألا ترى أن عليك أن تنتهي من دراستك الآن لأنك لو لم تنته منها فلن يحصل على شيء

باعوا المرعى كان قميصه بلا حراك في الغصن، في الظل المتقطع. وكانت عجلات العربة عنكبوتية الشكل. وأسفل العربة كانت حوافر الحصان تتحرك بانتظام وسرعة مثلما تتحرك يد امرأة تقوم بالتطريز، متلاشيةً بلا تقدم مثل شخص يجري على آلة التدريب بسرعة دون أن يخرج من مكانه. التف الشارع مرةً أخرى. رأيت القبة البيضاء والساعة الحمقاء المصرة على الظهور. *باعوا المرعى*

يقولون إن أبي سوف يموت في غضون عام إذا لم يتوقف عن تناول الخمور وهو لن يكف عن ذلك وليس بمقدوره أن يتوقف عن تناول الخمور منذ كنتُ منذ الصيف الماضي ثم سيرسلون بنچي إلى مستشفى الأمراض العقلية لا يمكنني البكاء لا يمكنني البكاء حتى لدقيقة واحدة كانت تقف في فتحة الباب وفي الدقيقة التالية كان يتشبث بفستانها ويبكي وأصداء صوته ترن جيئةً وذهابًا بين الجدران في موجات وانكمشَت بجوار الحائط ثم انكمشَت ثم انكمشَت بوجهها الأبيض وعيناها في وجهها كما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لو كانتا حفرتين حُفرتا بإبهامين فيه إلى أن دفعها خارج الحجرة وصوته يرن جيئةً وذهابًا كما لو أنه لم يعد هناك مجال للبكاء في صمت

عندما فتحت الباب هناك جرس يرن، لكن رنة واحدة عالية وواضحة وقصيرة في العتمة الشديدة فوق الباب، كما لو أن الجرس قد تم ضبطه وخفضه بحيث يُصدر هذا الصوت الوحيد الواضح حتى لا يبلى الجرس سريعًا أو لتوفير الطاقة في استعادة الصمت الشديد، عندها انفتح الباب على رائحة طازجة للخبز الدافئ؛ وعلى فتاة قذرة وطفلة صغير قذرة تشبه عيناها عيني لعبة على شكل دُب ذي ضفيرتين من الجلد اللامع.

"مرحبًا، يا أختاه". كان وجهها أشبه بكأس من الحليب الممزوج بقليل من القهوة في الخواء الدافئ والعذب. "هل هناك أحدٌ هنا"

لكنها اكتفت بالنظر إليَّ إلى أن انفتح باب وأتت السيدة. ظهرت من خلف الواجهة الزجاجية التي رُصت عليها أشكال من المقرمشات بوجهها الممل الحزين وشعرُها مشدودٌ وغير كثيف فوق جمجمتها الكالحة، مرتدية نظارة ذات حواف رمادية مثبتة على ذراعين أشبه بالسلك، وزجاجها مستطيل كفتحات علبة حفظ النقود المربعة في المحلات. بدت أشبه بأمينة مكتبة. بدت كشيء يرقد مجففًا في سلام وسط الأرفف المتربة التي تضم يقينيات مرتبة منفصلة عن الواقع منذ أمد بعيد، مثل نسمة من الهواء تعد شاهدًا على ما وقع من ظلم

"قطعتان من تلك، من فضلك، يا سيدتي".

من تحت المنضدة قطعت قصاصة مربعة من ورق الجرائد ووضعتها على المنضدة وأخرجت الفطيرتين الصغيرتين. نظرت إليهما الفتاة

الصغيرة بتركيز وعينين لا ترمشان، أشبه بحبتين من زبيب عائمتين في كأس من القهوة الخفيفة من "أرض اليهودي وبيت الإيطالي". كنت أرقب الفطير، ويديها النظيفتين، ودبلة من الذهب عريضة في إصبع السبابة اليسري، وفوقها محبس لونه أزرق.

"هل تصنعين الخبز بنفسك، يا سيدتي؟"

قالت: "سيدي؟" شيء كهذا. سيدي؟ كما لو كانت تمثل على المسرح. "خمسة بنسات. أية خدمة أخرى؟"

"شكرًا، يا سيدتي. لا أحتاج شيئًا، ولكن هذه السيدة تحتاج إلى شيءٍ ما". لم تكن طويلة بما يكفي لكي تراها من وراء الواجهة، فتوجهت عند طرفها حتى تتمكن من رؤية الفتاة الصغيرة.

"هل أدخلتها معك هنا؟"

"لا، يا سيدتي. كانت هنا عندما أتيت".

قالت: "أنتِ، أيتها الخطافة الصغيرة". خرجت من وراء المنضدة، غير أنها لم تلمس الفتاة الصغيرة. "هل وضعت أي شيء في جيوبك؟"

قلت: "ليس لديها جيوب. ولم تفعل أي شيء. كانت تقف هناك فحسب، في انتظارك".

حدقت فيَّ بغضب: "لماذا لم يدق الجرس، إذن؟" لم يكن ينقصها سوى مجموعة من العصي وسبورة خلفها مكتوب عليها 2 X 2 = 5. "سوف تخبئ الأشياء تحت ولن يعرف به أحد. أنت، يا فتاة، كيف دخلتِ إلى هنا؟"

لم ترد الفتاة الصغيرة. كانت تنظر إلى المرأة، ثم نظرت إليَّ نظرة خاطفة، ثم أعادت النظر إلى المرأة. قالت المرأة: "هُم أجانب. كيف

https://telegram.me/maktabatbaghdad

دخلتِ دون أن يرن الجرس؟"

قلت: "دخلت عندما فتحتُ الباب. فرن الجرس رنة واحدة لكلينا. وليس بإمكانها أن تطول أي شيء هنا، على أية حال. فضلاً عن ذلك، فلا أظنها كانت ستفعل. هل كنت ستفعلين ذلك، يا أخت؟" نظرت الفتاة الصغيرة إليَّ بنظرة متحفظة ومتأملة. "ماذا تريدين؟ خبزا؟"

مدت قبضة يدها. فتحتها عن قطعة نقدية، رطبة وقذرة، قذارة رطبة كانت محفورة في لحم يدها. كانت قطعة النقد متعرقة ودافئة. وكنت أشم رائحتها، المعدنية الخفيفة.

"من فضلك يا سيدتي، هل لديك رغيف بخمسة سنتات؟"

قطعت قصاصة مربعة من ورق الصحف من أسفل المنضدة، ثم وضعتها عليها، ولفت رغيفا فيها. وضعتُ القطعة النقدية وقطعة أخرى على المنضدة. "وواحدة أخرى من هذه الفطائر، يا سيدتي".

أخرجت فطيرة أخرى. قالت "اعطني هذه اللفافة". أعطيتها لها ففتحتها ووضعت فطيرة ثالثة ولفتها من جديد، وأخذت قطعتي النقد وبحثت في مريلتها عن سنتين أعطتهما لي. أعطيتهما للفتاة الصغيرة. أطبقت عليهما أصابعها المبللة الدافئة، كالديدان.

قالت المرأة: "هل ستعطيها هذه الفطيرة؟"

قلت: "أجل. أظن أن رائحة مخبوزاتك تروق لها مثلما تروق لي".

أخذتُ اللفافتين وأعطيت الخبز للفتاة الصغيرة، وكانت المرأة الكالحة اللون تنظر إلينا من خلف الواجهة بنوع من اليقين البارد. قالت: "انتظر لحظة". ذهبت إلى الجزء الخلفي من المحل. انفتح الباب مرةً أخرى وانغلق. كانت الفتاة تنظر إليَّ، وهي تحتضن الخبز على فستانها القذر.

قلت: "ما اسمك؟" كفت عن النظر لي، لكنها كانت ما تزال بلا حراك. بل كانت تبدو كأنها لا تتنفس. وعادت المرأة. كان بيدها شيء غريب الشكل أشبه بفأر ميت.

قالت: "انظري". نظرت الفتاة إليها. قالت وهي تنخس الفتاة به "خذيه. إنه غريب الشكل فقط. وأظن أنك لن تشعري باختلاف عندما تأكليه. خذي. لا يمكنني أن أقف هنا طول النهار". أخذته الفتاة، وهي ما تزال ترمقني. مسحت المرأة يدها في مريلتها، وقالت: "لا بد لي من إصلاح هذا الجرس". وتوجهت نحو الباب وهزته وفتحته. دق الجرس الصغير مرة واحدةً، ضعيفة لكنها واضحة ولا تلفت الأنظار. توجهنا نحو الباب والمرأة تحملق فينا من الخلف.

قلت: "شكرًا على الكعكة".

قالت، وهي تنظر في العتمة حيث رن الجرس: "هم أجانب. واسمع نصيحتي أيها الشاب، وابتعد عنهم".

قلت: "حاضر. هيا، يا أخت". خرجنا: "شكرًا، ياسيدتي".

هزت الباب، وفتحته بقوة ثانيةً، لتدفع الباب إلى إصدار رنته الصغيرة الوحيدة. قالت، وهي تنظر إلى الجرس: "أجانب".

مضينا. قلت: "حسنًا، ما رأيك في أن نتناول بعض الآيس كريم؟" كانت تأكل الكعكة المشوهة. "هل تحبين الآيس كريم؟" نظرت إليَّ بنظرة ساكنة وعابسة، وهي تمضغ الكعكة. "هيا بنا".

وصلنا إلى محل للمرطبات وأخذنا آيس كريم. لكنها لم تترك الرغيف. قلت: "لماذا لا تضعي الرغيف حتى يمكنك الأكل على نحو أفضل؟"، عارضًا عليها أن أحمله عنها. لكنها تشبثت به، وهي تمضغ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الآيس كريم كأنه "طوفي". كانت الكعكة المقضومة موضوعة على المنضدة. واصلت أكل الآيس كريم، ثم عادت لالتهام الكعكة من جديد، وهي تنظر إلى واجهات المحلات. انتهيت من أكل الآيس كريم وخرجنا.

قلت: "أين تعيشين؟"

عربة، كانت العربة ذات الحصان الأبيض. غير أن الطبيب بيبودي كان سمينًا. ثلاثمئة رطل. وعندما يركب الأطفال العربة من الخلف وهو فيها، فإن المشي يكون أسهل من التشبث بها أعلى التل *ألم ترى الطبيب حتى الآن ألم ترَي يا كادي*

ليس من الضروري فليس في وسعي أن أسأل الآن ولكن فيما بعد سوف يكون ذلك أمرًا لا بأس به ولن يكون ذا بال

قال أبي إن النساء غامضات للغاية لأنهن رقيقات للغاية. والتوازن الدقيق والرقيق هو الرصيد المتبقي من قذارة الحيض بين قمرين. وعندما يكون القمر بدرًا مكتملاً وأصفر مثل بدر الحصاد فإنه يشبه ردفيها. وخارج خارج تلك الفترات فإنه يكون دائمًا لكن. أصفر. يشبه إخمص قدم ماشية. وما إن يعلمن أن هناك رجلاً فإن كل هذا الغموض والصلف يتم إخفاؤه. بكل ذلك تتشكل رقة ظاهرية تنتظر لمسة. عفن سائل كعفن الكائنات التي تغرق ثم تطفو مثل مطاط شاحب رخو ممتلئ مختلط برائحة زهرة العسل*، وكل ذلك مختلط وممتزج مع بعضه البعض.

"من الأفضل أن تأخذي خبزك معك إلى المنزل، أليس كذلك؟"

---

* نبات من نباتات الزينة، له رائحة زكية، ويتهافت النحل على رحيقه- المترجم.

نظرت إليْ. كانت تمضغ بهدوء وانتظام، وعلى فترات منتظمة تبتلع ما مضغته. فتحت لفافتي وأعطيتها فطيرة. قلت: "إلى اللقاء".

مضيت. ثم نظرت خلفي. وجدتها تسير ورائي. "هل تسكنين في هذا الاتجاه". لم ترد. سارت بجواري، تحت كوعي تقريبًا، وهي تأكل. مشينا. كان المكان هادئًا وخاليًا من الناس تقريبًا ***مختلطة الروائح برائحة زهر العسل كان عليها أن تخبرني ألا أجلس على السُّلم لأسمع بابها وهو يوصد عند الغسق وأسمع بنچي الذي كان يبكي وحان موعد طعام العشاء وكان عليها أن تنزل فاختلطت فيها الروائح برائحة زهر العسل*** ووصلنا عند المنعطف.

قلت: "حسنًا، لابد أن أسير في هذا الاتجاه. وداعا". توقفت هي أيضًا. ابتلعت آخر لقمة من الكعكة، ثم بدأت تأكل الفطيرة، وهي ترقبني عبرها. قلت: "وداعًا". استدرت ودخلت في الشارع وسرت، لكني ذهبت إلى المنعطف التالي، قبل أن أتوقف.

قلت: "في أي اتجاه تسكنين. هل في هذا الاتجاه؟" أشرتُ إلى الشارع. اكتفت بالنظر إليَّ. قلت: "هل تسكنين في هذا الاتجاه؟ لا بد أنك تسكنين بالقرب من محطة القطار، حيث توجد القطارات. هل تعيشين هناك؟" اكتفت بالنظر إليَّ، هادئةً، غامضةً وهي تمضغ. كان الشارع خاليًا من الناس في الاتجاهين، وثمة مساحات خضراء يلفها الهدوء، ومنازل تقف في أناقة وسط الاشجار، لكن لا أحد هناك سوى من تركناهم وراءنا. استدرنا عائدين. كان هناك رجلان يجلسان على كرسيين أمام أحد المحلات.

"هل تعرفون هذه الفتاة الصغيرة؟ فهي تسير ورائي أينما مشيت،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ولا أعرف أين تسكن".

تحول نظرهما عني إليها.

قال أحدهما: "لا بد أنها إحداهم، العائلات الإيطالية الجديدة". كان يرتدي معطفًا قصيرًا بنيًّا ضاربًا إلى الحمرة. "لقد رأيتها من قبل. ما اسمك، يا صبية؟" نظرت إليهما ببلاهة لبرهة، وفكّاها يواصلان الحركة بانتظام. ابتلعت دون أن تكف عن المضغ.

قال الآخر: "ربما لا تعرف اللغة الإنجليزية".

قلت: "أرسلوها لشراء خبز. لابد أنها تتحدث بلغةٍ ما".

قال الأول: "ما اسم بابا؟ بيت؟ جو؟ اسمه جون، هه؟" قضمت قضمة أخرى من الفطيرة.

قلت: "كيف أتصرف معها؟ فهي تتبعني. وعليَّ أن أعود إلى بوسطن".

"هل أنت طالب في الكلية؟"

"أجل، يا سيدي. وعليَّ أن أعود إلى هناك؟"

"واصل السير في هذا الشارع، وسلمها إلى قائد الشرطة آنس. هناك عند اسطبل تأجير الخيول".

قلت "أعتقد أن هذا ما يجب أن أقوم به. فلا بد أن أتصرف في أمرها. فأنا مضطر لذلك بشدة. هيا، يا أختي".

سرنا في الجانب الظليل من الشارع، حيث كان ظل الواجهة المتقطعة قد بدأ يزحف ببطء على الشارع. وصلنا إلى اسطبل تأجير الخيول. لم يكن قائد الشرطة هناك. كان هناك رجل متكئ على كرسي في الباب الواسع والمنخفض للاسطبل، ورائحة النشادر تهب من جهة

مرابط الخيل المتلاصقة. لم يعرفها الرجل أيضًا. وأشار عليَّ بالذهاب إلى مكتب البريد.

"إنهم أجانب. ولا يمكنني أن أميز أحدهم من الآخر. وعليك أن تأخذها عبر الدروب إلى حيث يعيشون، فقد يتعرف عليها أحدهم".

ذهبنا إلى مكتب البريد. كان المكتب في الاتجاه الذي قدمنا منه. وكان الرجل الذي يرتدي معطفًا بنيًّا يبسط بين يديه صحيفة.

قال "إن آنس ركب سيارة واتجه إلى خارج البلدة. وأعتقد أن من الأفضل أن تذهب إلى المنطقة الواقعة وراء المحطة، وأن تتوجه إلى منازلهم المجاورة للنهر. فسوف يتعرف عليها أحدهم".

قلت: "أعتقد أنها فكرة صائبة. هيا بنا، يا أختي". دفعت بآخر لقمة من الفطيرة في فمها وابتلعتها. قلت: "هل تريدين واحدةً أخرى؟" نظرت إليَّ وهي تمضغ، بعينين سودواوين ثابتتين وودودتين. أخرجت الفطيرتين المتبقتين وأعطيتها واحدة، وشرعتُ في أكل الثانية. سألت احدهم عن مكان المحطة، فأوضح لي كيف أذهب. "هيا بنا، يا أختي".

وصلنا إلى المحطة وعبرنا القضبان، إلى حيث النهر. كان هناك جسر على النهر، وشارع تتناثر فيه المنازل الخشبية في فوضى بعد النهر وظهرها له. شارع متهالك، لكن مظهره حافل بالتنوع والحيوية أيضًا. وفي الوسط منه مساحة من الأرض خالية من أية زخارف، يحيط بها سور من الأعمدة الخشبية المكسرة، وبه الكثير من الفراغات، تقف فيها عربة قديمة ومتهالكة تميل على جنبها، ومنزل أبلته عوامل التعرية، يتدلى من شباك بأعلاه ثوب وردي زاهي اللون.

قلت: "هل هذا يشبه منزلك؟" نظرت إليَّ وعينها على الفطيرة. قلت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وأنا أشير إلى المنزل: "هل هو هذا؟" غير أنها واصلت المضغ، ولكن بدا لي أنني لمحت ردًّا إيجابيًّا كنوع من الموافقة، وإن كان غير واضح. قلت: "هو هذا؟ هيا، إذن". دخلتُ من البوابة المكسورة. نظرتُ إليها في الوراء. قلت "هنا؟ هل يشبه منزلك؟"

أومأت برأسها بسرعة، وهي تنظر إليَّ، ملتهمةً نصف رغيف الخبز الطري. سرنا. ممشى مرصوف ببلاط مكسر، نمت بين فواصله حشائش شائكة، ويفضي إلى رواق مهدم. لم يكن بالمنزل أية حركة، والثوب الوردي يتدلى من النافذة العلوية في هواء ساكن. كان هناك جرس يدوي له مقبض من البورسلين، متصل بسلك طوله نحو ستة أقدام، لكني لم أستخدمه وقرعت الباب. كانت الفتاة الصغيرة تقضم رغيف الخبز من جانبه.

فتحت امرأةٌ الباب. نظرت إليَّ، ثم تحدثت بالإيطالية إلى الفتاة الصغيرة، وكانت الكلمات تندفع من فمها بسرعة كبيرة، وبلهجة حادة ثم بلهجة هادئة، فيها نوع من الاستفهام. م تحدثت إليها مرةً أخرى، والفتاة تنظر إليها من خلف طرف الرغيف، وهي تدفعه في فمها بيد قذرة.

قلت: "تقول إنها تعيش هنا. لقد قابلتها في وسط البلدة. هل هذا خبزكم؟"

قالت بلغة إنجليزية ركيكة: "أنا لا أتحدث". تحدثت إلى الفتاة مرةً أخرى. لم تفعل الفتاة سوى النظر إليها.

قلت، وأنا أشير إلى الفتاة، ثم إليها، ثم إلى الباب: "ألا تعيش هنا؟" هزت المرأة رأسها. كانت تتحدث بسرعة. أتت إلى حافة الرواق،

وأشارت إلى الطريق، وهي تتكلم.

أومأت بحدة أيضًا. قلت: "تعالي وأريني". أخذتها من ذراعها، ملوحًا بيدي الأخرى نحو الطريق. تكلمت بسرعة، وهي تشير. قلت: "تعالي وأريني"، محاولاً أن أهبط بها السلالم.

قالت وهي تتراجع، وهي تدلني: "لا، لا". أومأت برأسي مرةً أخرى.

"شكرًا. شكرًا. شكرًا". نزلت على السُّلم واتجهت إلى البوابة، ولم أكن أجرى، لكني كنت أسير بخطى متعجلة. وصلت إلى البوابة وتوقفت ونظرت إليها لبرهة. كان الرغيف قد اختفى الآن، وكانت تنظر إليَّ بنظرتها الغامضة الودية. كانت المرأة واقفة على الشرفة ترقبنا.

قلت: "هيا بنا، إذن. سوف نجد المكان الذي نبحث عنه، إن عاجلاً أو آجلا".

سارت إلى جواري تحت كوعي. واصلنا السير. بدت المنازل جميعًا خالية. لا أثر لأحد أمام ناظريك. منازل تنطوي على نوع من انقطاع الأنفاس. ولكن لا يمكن أن تكون جميعها خالية. لو كان بوسعك أن تنزع الحوائط عن مختلف الغرف فجأةً. سيدتي، من فضلك، هذه ابنتك. لا. سيدتي، بالله عليك، هذه ابنتك. كانت تسير بجواري بمحاذاة مرفقي تمامًا، وضفيرتاها المشدودتان تلتمعان، ثم وصلنا إلى آخر منزل وانعطف الشارع إلى خارج المنطقة بجوار حائط، بمحاذاة النهر. كانت المرأة قد خرجت من البوابة المكسورة، مرتديةً وشاحًا على رأسها، وهي تمسك به تحت ذقنها. انعطف الطريق مرةً أخرى، خاويًا. عثرت على قطعة من النقد، أعطيتها للفتاة الصغيرة. ربع دولار. قلت: "إلى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

اللقاء، يا أختي". ثم جريت.

جريت بسرعة، دون أن أنظر خلفي. قبل أن ينعطف الطريق مباشرةً نظرت خلفي. كانت واقفة في الطريق، كدمية صغيرة تتشبث برغيف الخبز على فستانها الصغير القذر، وعيناها ثابتتان وسوداوان لا ترمشان. فواصلت الجري.

تفرعت حارة عن الطريق. دخلت فيها، وبعد فترة أبطأت في الجري. كانت الحارة تمر بين مبان خلفية- منازل غير مدهونة منشور على حبالها ملابس ذات ألوان شبابية وزاهية، ومخزن للغلال مهدم السقف، يبلى في هدوء وسط صف من الأشجار في بستان مهمل، غير مشذب الأغصان، ونمت فيه الحشائش بكثافة بألوان وردية وبيضاء وبأشكال متعددة، ويعج بنور الشمس وأسراب النحل. نظرت خلفي. كان مدخل الحارة خاليًا. فأبطأت المشي أكثر، وظلي يسير معي، وتتحرك رأسه بين الحشائش التي اختفى بينها السياج.

التفّت الحارة إلى الوراء لتنتهي عند بوابة ذات قضبان، مخنوقة وسط الحشائش، لتنتهي إلى مجرد ممر يكاد يختفي تحت بقع الحشائش الجديدة. تسلقتُ البوابة إلى حرش صغير فعبرته إلى حائط آخر، تتبعته، وظلي خلفي الآن. كان هناك الكثير من الدوالي والنباتات المتسلقة التي عهدنا في بلدنا أن يكون بينها زهر العسل. يظهر باطراد خاصةً عند الغسق حين تمطر السماء، فيختلط زهر العسل بالمطر، كما لو كان ذلك لا يكفي، يكفي لحد لا يطاق *لماذا سمحت له بتقبيل بتقبيل*

لم أسمح له بل أنا الذي أثرته فماذا تظن في ذلك؟أثر أحمر ليدي منطبع على خدها كأنك قد أضأت نورًا وتحت يدي أشرقت عيناها

لم أصفعك بسبب التقبيل. مَرافق فتاة في الخامسة عشرة قال أبي مالك تبتلع طعامك كما لو كانت شوكة سمكة محشورة في زورك ما خطبك ولم تنظر كادي الجالسة أمامي إلى المائدة نحوي. لأنكِ سمحتِ بذلك لهذا الشخص التافه الملعون ابن المدينة صفعتُك سوف سوف أظنك ستقولين الآن مجرد لعب صبياني. كانت آثار أصابع يدي حمراء على وجهها. ماذا تظنين في تلك التي تمرغ رأسها في الحشائش والصرخات التي تتردد أصداؤها في اللحم وتصيب المرء بالقشعريرة وهي تمرغ رأسها. قولي لعب صبياني قوليها

لم أقبل فتاة قذرة مثل ناتالي على أية حال امتد الحائط في الظل، وغطى على ظلي، وراوغت ظلي مرةً أخرى. نسيت أن النهر ينحني بمحاذاة الطريق. تسلقت الحائط. فرأتني وأنا أقفز إلى أسفل، وهي متشبثة بالرغيف على فستانها.

وقفت وسط الحشائش، ونظر كل منا للآخر لبرهة.

"لماذا لم تقولي لي إنك تعيشين في هذه الناحية، يا أختي؟"

كان الرغيف يبلي بالتدريج ورقة الصحيفة؛ وكان يستلزم ورقة جديدة. "حسنًا، هيا بنا ودليني على المنزل". *ليست فتاة قذرة مثل ناتالي. كانت السماء تمطر وكنا نسمع صوت قطراتها على سطح المنزل، متنهدًا في الفراغ العذب الشاهق لمخزن الغلال.*

هنا؟ وهو يتحسسها

لا ليس هنا

هنا؟ لم يكن المطر غزيرًا لكننا لم نكن نسمع أي صوت سوى صوت السقف أو نميز إن كان دمها أو دمي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

دفعتني أسفل السلم وجرت بعيدًا وتركتني كادي هل

أكان هذا الموضع ما يؤلمك عندما هربت كادي أكان هذا الموضع

أواه كانت تمشي تحت مرفقي، وقمة رأسها الجلدية اللامعة، والرغيف يتهدل من ورقة الصحيفة.

"إذا لم تعودي للمنزل حالاً فسوف يبلى منك هذا الرغيف. وماذا ستقول ماما إذن عن ذلك؟" *أراهنك أنني أستطيع أن أرفعك عاليًا*

لن تستطيع فأنا ثقيلةٌ جدًا

هل رحلت كادي هل ذهبت إلى المنزل لا يمكنك أن ترى مخزن الغلال من منزلنا فهل حاولت ذات مرة أن ترى المخزن منه

كانت غلطتها أنها دفعتني وهربت

بإمكاني أن أرفعك انظري كيف يمكنني

أواه أهو دمها أم دمي أواه سرنا على الطريق الترابي الناعم، وأقدامنا صامتة كمطاط في التراب الناعم حيث أشعة الشمس الشبيهة بالأقلام مائلة من بين أغصان الشجر. وكنت أحس بالمياة تجري بسرعة مرة أخرى خفية وفي هدوء في الظل الخفي.

"أنت تعيشين في منطقة بعيدة، أليس كذلك. أنت تتمتعين بذكاء خارق أن تذهبي بعيدًا إلى المدينة وحدك". *كأنك ترقص وأنت جالس فهل رقصت يومًا وأنت جالس؟ كنا نسمع صوت المطر، وجرذ في الكوخ، وكانت الحظيرة الخاوية خالية من الخيول. كيف تضع يديك حول شريكك في الرقص هل تضع يديك بهذه الطريقة*

أوه

تعودت أن أضع يدي بهذه الطريقة هل تعتقدين أنني لست قويًا بما

فيه الكفاية هل تعتقدين ذلك

أوه أوه أوه أوه

أتمسك باستخدامها بهذه الطريقة أعني هل تسمعين ما قلتُ ما قلتُ

أوه أوه أوه أوه

كان الطريق يمضي، خاليًا وساكنًا، وازداد ضوء الشمس ميلاً أكثر فأكثر. وكانت ضفائرها الصغيرة المشدودة مربوطة في نهايتها بشريط من القماش القرمزي. انفتح جانب من اللفافة قليلاً مع سيرها، وبرزت أنف الرغيف عارية. فتوقفت.

"انظري. هل تسكنين في مكانٍ ما في هذا الاتجاه من الطريق؟ نحن لم نمر ببيت خلال ميل تقريبًا".

نظرت إليّ نظرة غامضة ومتحفظة وودودة.

"أين تسكنين، يا أختي؟ هل تسكنين في منطقة وراءنا في المدينة؟"

كان هناك طائرٌ في مكان ما بين الأشجار، فيما وراء ضوء الشمس المتقطع والأكثر ميلاً.

"سوف يقلق عليك والدك. ألا تخافين أن يضربك علقة لتأخرك في العودة للمنزل بالخبز؟"

صفر الطائر مرةً أخرى، غير مرئي، صوتًا بلا معنى وعميقًا وخاليًا من المشاعر، متوقفًا فجأةً كما لو كان قد قُطع بضربة سكين، ثم صفر من جديد، وذلك الإحساس بالمياه المنسابة بسرعة وسكينة فوق أماكن خفية، كان محسوسًا، غير مرئي وغير مسموع.

"آه، اللعنة، يا أختي". كان نحو نصف الورقة قد تمزق. "لم تعد لهذه فائدة الآن". مزقتها وألقيتها بجانب الطريق. "هيا بنا. علينا أن نعود إلىّ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المدينة. سوف نعود بمحاذاة النهر".

غادرنا الطريق. بين الطحالب نمت زهور صغيرة وشاحبة، والإحساس بالماء صامت وغير مرئي. *أتمسك بأن أستخدمها بهذه الطريقة أعني تعودت أن أستخدم يدي بهذه الطريقة وقفت بالباب وهي تنظر إلينا ويداها على ردفيها*

أنت الذي دفعتني إنها غلطتك وقد آذاني ذلك كثيرًا

كنا نرقص جالسين وأراهن أن كادي لا يمكنها أن ترقص وهي جالسة

كُف عن ذلك كُف عن ذلك

كنت أنفض فحسب القذارة من فستانك من الخلف

أبعد يديك القذرتين عني لقد كانت غلطتك فقد دفعتني لأسفل وأنا غاضبة منك

لا أبالي نظرت إلينا فابقي غاضبة رحلت بدأنا نسمع الصيحات، والتراشق بالمياه؛ رأيت صبيًا أسمر يبرق للحظة.

ابقي غاضبة. كل قميصي يبتل وشعري. عبر السقف كنت أسمع صوت السقف عاليًا الآن رأيت ناتالي وهي تمضي عبر الحديقة تحت المطر. فتبللي أتمنى أن تصابي بالتهاب رئوي امضي إلى بيتك يا شبيهة البقرة. وقفزت بكل ما في استطاعتي من قوة فسقطت وسط روث الخنازير كان لون الروث أصفر ورائحته كريهة وغطاني حتي وسطي وظللت أغوص إلى أن غطاني وتمرغتُ فيه "هل تسمعينهم وهم يسبحون، يا أختي. تمنيت لو سبحتُ معهم". لو كان لديَّ وقت. حين يكون لديَّ وقت. أسمع صوت ساعتي. *كان الطين أكثر دفئًا من ماء*

المطر ورائحته كريهة. أدارت ظهرها لي فدرت حولها لأصبح أمامها. هل تعلمين ما كنت أفعل؟ أدارت ظهرها لي فدُرتُ حولها لأصبح أمامها ومياه المطر التي تتغلغل في الطمي تلصق صدريتها بفستانها وكانت رائحته مرعبة. كنت أحتضنها هذا ما كنت أفعله. أدارت ظهرها لي فدُرت حولها لأصبح أمامها. وأقول لك إنني كنت أحتضنها.

لا يهمني ما كنت تفعله

لا تهتمي لا تهتمي سوف أجعلك تهتمين. ضربت يدي وأبعدتها فلطختها بالطين بيدي الأخرى لم أشعر بصفعة يدها المبللة مسحتُ الطين من رجليَّ ولطخت به جسمها المبتل الهائج بشدة وأنا أسمع أصابعها وهي تهوي على وجهي لكني لم أكن أشعر بها حتى عندما بدأ مذاق المطر يصبح حلوًا على شفتي.

كانوا هم من رأونا أولاً من الماء، حيث لم يكن يظهر منهم سوي رؤوسهم وأكتافهم. صرخوا ونهض أحدهم وقفز بينهم. كانوا يبدون كالقنادس، يشقون الماء بذقونهم، صارخين.

"أبعد هذه الفتاة من هنا ما الذي ترغب فيه من إحضار فتاة هنا؟ انصرفا بعيدًا".

"لن تؤذيكم. كل ما في الأمر أنها تود أن تتفرج عليكم قليلاً".

جلسوا في الماء. تقاربت رؤوسهم وهم يتحفزون لنا، ثم تفرقوا وانطلقوا في اتجاهنا، وقذفونا بالماء بأيديهم. وابتعدنا بسرعة.

"انتظروا، يا شباب؛ فهي لن تؤذيكم".

قال الصبي الثاني، وهو الصبي الذي تمني أن يشتري حصانًا وعربة عند الجسر: "ابتعد، يا ابن هارڤارد".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"رشوهم، يا زملاء!"

قال آخر: "هيا نخرج ونلقي بهم في الماء. أنا لا أخاف من أية فتاة".

"رشوهم بالماء! رشوهم بالماء!" اندفعوا نحونا، ورشونا بالماء كثيرًا. تراجعنا. وكانوا يصرخون: "ابتعدوا! ابتعدوا!".

ابتعدنا. وتجمعوا تحت ضفة النهر مباشرةً، وكانت رؤوسهم صقيلة الشعر تشكل صفا إزاء الماء المتلألئ. سرنا. "ليس لنا شأن في ذلك، أليس كذلك". مالت الشمس لتصل إلى الطحالب هنا وهناك، بصورة متساوية. "يا للطفلة المسكينة، ليست إلا مجرد فتاة". كانت زهور صغيرة تنمو بين الطحالب، أصغر مما رأيته من قبل. "لستِ إلا مجرد فتاة. طفلة مسكينة". كان هناك ممر يسير بانحناء بمحاذاة الماء. وكان الماء عندئذٍ ساكنًا مرةً أخرى، معتمًا وساكنًا وسريعًا. "لستِ إلا مجرد فتاة، يا أختي الصغيرة". *رقدنا على العشب المبتل لاهثين والمطر يشبة طلقات باردة على ظهري. هل تهتمين الآن هل تهتمين*

يا إلهي نحن في ورطة انهض. حيثما لمست الأمطار جبيني بدأت أشعر بوخز وعادت يدي حمراء تحمل عروقًا وردية في المطر. هل يؤذيك ذلك بالطبع يؤذيني ماذا تظنين

لقد حاولت أن أفقأ عينيك يا إلهي مؤكدٌ أن رائحتنا كريهة من الأفضل أن نحاول الاغتسال في الترعة "نحن في المدينة مرةً أخرى، يا أختي. لابد أن تعودي إلى المنزل الآن. أما أنا فسوف أعود للكلية. هل تدركين كم تأخر الوقت. سوف تذهبين للبيت الآن، أليس كذلك؟" لكنها اكتفت بالنظر إليّ نظرة غامضة ومتحفظة وودية، وهي تمسك بالرغيف نصف المكشوف على صدرها بقوة. قلت، وأنا أخرج منديلي

وأحاول تجفيف الرغيف: "لقد ابتل. أظن أننا عدنا في الوقت المناسب". لكن وجه الرغيف بدأ في التساقط، ولذا توقفت عن ذلك. "لنتركه ليجف وحده. امسكيه بهذه الطريقة". أمسكت به بالطريقة التي عرفتها بها. وبدا الرغيف كما لو أن فأرًا قد أكل منه. ***والماء يعلو ويعلو ليغطي الظهر المقرفص وطين المستنقعات ينفث رائحته الكريهة نحو السطح وينشرها على سطح الماء الذي يبقبق مثلما يصدر الدهن صوتًا حين يلقَى على نار حامية. قلت لك إنني سأجعلك***

لا يهمني البتة ما تفعله

ثم سمعنا صوت جري، ووقفنا ننظر خلفنا، ورأينا رجلاً وهو يأتي من الطريق جاريًا، والظل المنبسط ينعكس على رجليه.

"إنه مستعجل. وعلينا.." ثم رأيت رجلاً آخر، رجلاً عجوزًا يجري بتثاقل، ممسكًا بعكاز، وولدًا نصفه الأعلى عار، وهو يمسك ببنطلونه وهو يجري.

قالت الفتاة الصغيرة: "ها هو جوليو"، فرأيت وجهه الإيطالي وعينيه وهو يقفز عليَّ. سقطنا على الأرض. كانت يداه تلكمان وجهي، وكان يقول شيئًا ما، ويحاول عضي، على ما أعتقد، ثم أبعدوه عني وأمسكوا به، وهو يحاول الإفلات والاندفاع نحوي صارخًا، فأمسكوا بذراعيه، فحاول أن يركلني إلى أن جروه بعيدًا عني. كانت الفتاة الصغيرة تبكي بصوت مرتفع وهي تقبض على الرغيف بذراعيها الاثنتين. وكان الصبي نصف العاري يقفز ويندفع للأمام وهو يمسك ببنطلونه، ورفعني أحدهم عن الأرض في الوقت المناسب لأرى شخصًا آخر عاريًا تمامًا قادمًا من المنعطف الهادئ وهو يجري، ثم غير اتجاهه بعد أن هدَّأ خطاه، وقفز بين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأشجار، وهو يسحب وراءه ثوبين جامدين كما لو كانا مصنوعين من الورق المقوّى. كان جوليو ما يزال يتعارك. وقال الرجل الذي رفعني عن الأرض: "والآن، أمسكنا بك". كان يرتدي جاكيت طويلاً بلا معطف، عليه كان يعلق شارة معدنية، ويمسك في يده بعصا ذات عُقل لامعة.

قلت: "أنت آنس، أليس كذلك؟ كنت أبحث عنك. ما الأمر؟"

قال: "أحذرك من أن أية أقوال ستدلي بها سوف تستخدم ضدك. أنت مقبوض عليك".

وقال جوليو بانجليزية ركيكة: "سوف أقتله". وواصل المجاهدة. وكانت الفتاة الصغير ما تزال تبكي بشدة، وهي ممسكة بالرغيف. وقال جوليو: "لقد سرقت أختي. خلوا سبيلي، يا سادة".

قلت: "سرقت أخته؟ لماذا، أنا.."

قاطعني آنس: "اسكت. يمكنك أن تقول ذلك للمحقق".

قلت: "سرقت أخته؟" أفلت جوليو من الرجال الذين يمسكون به، وانقض عليَّ مرةً أخرى، لكن الشرطي واجهه واشتبكا، إلى أن أمسك الشخصان الآخران بذراعيه مجددًا، فتركه آنس وهو يلهث.

قال آنس: "أنت أجنبي. وأفكر في القبض عليك أيضًا، بتهمة التعدي والضرب". ثم التفت إليَّ مرةً أخرى: "هل ستأتي معنا بهدوء، أم أضع القيود في يديك؟" قلت: "بل آتي بهدوء". قلت: "ما هذا؟ هل إذا كان بالإمكان أن أجد شخصًا وأفعل شيئًا من أجله أكون قد سرقت أخته.. سرقت.. ".

قال آنس: "لقد حذرتك. إنه يريد أن يتهمك بالتعدي الجنائي عن عمد. أنتم، هناك، هلا جعلتم هذه الفتاة تكف عن هذه الضوضاء التي

تصدرها".

قلت: "ياه". ثم شرعت في الضحك. خرج صبيان آخران شعرهما مدهون بالفازلين بكثافة، وممشط للوراء، من بين الأشجار، وهما يزرران قمصانهما التي كانت مبتلة عند الأكتاف والذراعين، وحاولت أن أكف عن الضحك، ولكني لم أتمكن من ذلك.

"أعتقد أنه مجنون، يا آنس. احترس منه".

قلت وأنا أضحك: "سـ ـ وف أكـ ـ أكف. سوف أكف عن الضحك بعد دقـ.. دقيقة واحدة. قبل قليل قيل آه آه آه. دعوني أجلس لبعض الوقت". جلست، وهم ينظرون إليَّ، وإلى الفتاة التي تركت الدموع آثارها على وجهها وعلى الرغيف المقضوم، والماء يجري سريعًا بهدوء تحت الممر. بعد برهة، توقفتُ عن الضحك. غير أن بعض الضحكات كانت تحاول الخروج من حلقي، مثل الرغبة في القيء بعد فراغ المعدة.

قال آنس: "والآن، عليك أن تتحكم في نفسك".

قلت: "أجل"، وأنا أُحكِم حلقي. كان ثمة فراشة صفراء أخري، تشبه بقع الشمس، قد انطلقت. وبعد فترة، لم أعد بحاجة للتحكم في حلقي. نهضت وقلت: "أنا جاهز الآن. إلى أين نتجه؟"

سرنا على الممر، وقام الشخصان الآخران بمراقبة جوليو والفتاة الصغيرة والصبية الآخرين الذين كانوا في المؤخرة. كان الممر محاذيًا للنهر ويفضي إلى الجسر. عبرنا الجسر والدروب، والناس تطل من الأبواب لكي ترانا، وأتي المزيد من الصبية من حيث لا نعلم، إلى أن دخلنا في الشارع الرئيس فأصبحنا وسط مسيرة. أمام محل المرطبات، كان ثمة سيارة، سيارة كبيرة، لكنني لم أتعرف على راكبيها إلا عندما سمعت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

صوت السيدة بلاند تقول:

"عجبًا، كوينتن! كوينتن كمبسون!" ثم رأيت جيرالد وسبود في المقعد الخلفي ساندًا رقبته على الكرسي من الخلف. ورأيت شريف. لكني لم أتعرف على الفتاتين.

قالت السيدة بلاند: "كوينتن كومبسون!"

قلت، وأنا أرفع لها قبعتي: "مساء الخير. أنا رهن الاعتقال. آسف على أنني لم أتسلم رسالتك. هل أبلغك شريف بذلك؟"

قال شريف: "رهن الاعتقال؟ اسمحوا لي". رفع نفسه بصعوبة وتخطى أقدامهم وخرج من السيارة. كان يرتدي سروالي المصنوع من الفانلا كأنه مفصل عليه. ولا أذكر أنني نسيت ذلك. كما لا أذكر كم لُغدًا لدى السيدة بلاند. وكانت أجمل الفتاتين تجلس مع جيرالد في المقعد الأمامي. كانتا تنظران إليّ من خلف وشاحهما بنوع من الرعب الرقيق.

قال شريف: "مَن هو الموضوع رهن الاعتقال؟ ما هذا ياسيدي؟"

قالت السيدة بلاند: "ابعد هؤلاء الناس، يا جيرالد. وادخل في هذه السيارة، يا كوينتن".

خرج جيرالد. لكن سبود لم يتحرك.

قال: "ماذا فعل، يا كابتن؟ هل سرق عشة دجاج؟"

قال آنس: "أنا أحذرك. هل تعرف المسجون؟"

قال شريف: "أعرفه. انظر.."

"يمكنك أن تأتي إذن إلى المحقق. أنت تعوق العدالة. هيا". وهز ذراعي.

قلت: "حسنًا، مساءًا سعيدًا. سعيد برؤيتكم جميعًا. وآسف لعدم

التمكن من الذهاب بصحبتكم".

قالت السيدة بلاند: "أنت، يا جيرالد".

قال جيرالد: "انظر، يا سيدي آلمفتش".

قال آنس: "أحذرك أنت تتدخل في عمل رجل مسئول عن تنفيذ القانون. إذا كانت لديك أقوال، فيمكن أن تأتي إلى المحقق لتتعرف على المسجون". مضينا. اكتملت المسيرة الآن، وكنت أنا وآنس في المقدمة. وكنت أسمعهم يخبروهم بما حدث، وكان سبود يسأل عدة أسئلة، ثم قال جوليو شيئًا بالإيطالية بلهجة عنيفة، فنظرتُ خلفي ورأيت الفتاة الصغيرة تقف عند الناصية، وهي تنظر لي بنظرتها الودية الغامضة.

صاح جوليو فيها: "اذهبي إلى البيت. سوف أضربك علقة ساخنة".

سرنا في الشارع، ودخلنا إلى رقعة من الأرض الحشيش، في نهايتها مبني من الطوب من طابق واحد، مزخرف الحواف باللون الأبيض. وبعيد عن الشارع. صعدنا ممرًّا حجريًا إلى الباب، حيث احتجز آنس الجميع فيما عدانا، وطلب منهم البقاء خارج المبنى. دخلنا غرفة خالية من الأثاث تقريبًا، تفوح فيها رائحة التبغ الرخيص. كان هناك فرن من الصفيح في وسط إطار خشبي مملوء بالرمل، وخريطة باهتة وضائعة المعالم معلقة على الحائط، وخريطة تفصيلية متسخة لحي سكني. وخلف منضدة حافلة بالخدوش، ومبعثرة المحتويات، جلس رجل صفف شعره الأشيب على شكل غُرة، وكان بادي الشراسة وهو يطل علينا من وراء نظارته المصنوعة من الصلب.

قال: "قبضت عليه إذن، يا آنس؟"

"نعم، قبضت عليه، يا حضرة المحقق".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فتح دفترًا تعلوه طبقة كبيرة من الأتربة ووضعه أمامه، وهو يغمس ريشة متسخة في محبرة ممتلئة بما يشبه تراب الفحم.

قال شريف: "اسمع، يا سيدي".

قال المحقق: "اسم السجين؟". أخبرته باسمي. كتبه ببطء في الدفتر، والريشة تصدر صريرًا وهو يسطر الإسم بأناة مؤلمة.

قال شريف: "اسمعني، من فضلك، يا سيدي. نحن نعرف هذا الشخص. ونحن.."

قال آنس: "النظام في حضرة العدالة".

قال سبود: "اسكت، يا أخي. دعه يتم عمله. فهو سيتمه على أي حال".

قال المحقق: "السن؟" أخبرته به. كتب ما قلته، وفمه يتحرك وهو يكتب.

"المهنة". قلت له. قال: "طالب في هارفارد. ياه". رفع عينيه وهو ينظر لي وقد حنى رقبته إلى الأمام قليلاً ليحدق فيَّ من خلال النظارة. كانت عيناه صافيتين وباردتين مثل عيني تيس. "ما هو هدفك من المجيء إلى هنا لاختطاف الأطفال؟"

قال شريف: "إنهم مجانين، يا سيدي المحقق. أيًا مَن يقول إن مثل هذا الرجل ممن يختطفون الأطفال.."

اندفع جوليو بعنف، وهو يقول: "مجانين؟ ألم نمسك به؟ ألم نره بأم أعيننا، وهو.."

قال شريف: "أنت كاذب. أنت لم.."

قال آنس، بصوت مرتفع: "النظام.. النظام".

قال المحقق: "اسكت، يا فتي. وإذا لم يلتزم الهدوء، أخرجه من هنا، يا آنس".

التزموا جميعًا الهدوء. نظر المحقق إلى شريف، ثم إلى سبود، ثم إلى جيرالد. وسأل سبود: "هل تعرف هذا الشاب؟"

قال سبود: "نعم، يا حضرة المحقق. هو فتي من الأرياف يدرس في الجامعة هنا، وهو لا يقصد أي ضرر. وأعتقد أن مفتش الشرطة سوف يجد أن هناك خطأ ما، فوالده قس في الأبرشية".

قال المحقق "هممم. ماذا كنت تفعل على وجه التحديد؟" حكيت له ما فعلت، وهو يرقبني بعينيه الباردتين المصفرَّتين. قال: "ما رأيك في ذلك، يا آنس؟"

قال آنس: "ربما يكون ذلك صحيحًا. فهم أجانب".

قال جوليو: "أنا أمريكي. ومعي أوراق تثبت ذلك".

"أين الفتاة؟"

قال آنس: "لقد أرسلها إلى البيت".

"هل كان يبدو عليها الفزع، أو أي شيء من هذا القبيل؟"

"لم يكن يبدو عليها شيء من ذلك، إلى أن قفز جوليو على السجين. كانوا يتمشون على الممر المحاذي للنهر في اتجاه المدينة، وأبلغنا بعض الصبية الذين يسبحون عن مكان وجودهم".

قال سبود: "إنها غلطته، يا سيدي المحقق. فكثيرًا ما يتعلق به الأطفال والكلاب على هذا النحو. وهو لا يمكنه أن يكف عن ذلك".

تنحنح المحقق وشرد ببصره خارج النافذة، ونحن نرقبه. وسمعت جوليو وهو يهرش. نظر المحقق إلينا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"هل أنت مقتنع بأن الفتاة لم يلحق بها أذى هناك؟"

قال جوليو، ووجه مكفهر: "ما من أذًى حتى الآن".

"هل تركت عملك للبحث عنها؟"

"نعم. تركت عملي. كنت أجري وأجري بسرعة، وأنا أبحث هنا وأبحث هناك، إلى أن قال لي رجل أنه رآه وهو يعطيها طعامًا، وأنها ذهبت معه".

قال: "حسنًا، يا بني. أعتقد أنك ينبغي أن تعطي جوليو ما يعوضه عن تركه للعمل".

قلت: "موافق، يا سيدي. كم أعطيه؟"

"دولار، في تقديري".

أعطيت جوليو دولارًا.

قال سبود: "إذا كان هذا هو كل ما في الأمر، فإنني أعتقد أنه ستُخلى ساحته يا حضرة المحقق".

لم ينظر إليه المحقق. قال: "ما هي المسافة التي توليتم البحث فيها عنه، يا آنس؟"

"ميلان على الأقل. وأمضينا نحو ساعتين قبل أن نمسك به".

تنحنح المحقق، واستغرق في التفكير لبعض الوقت. كنا ننظر إليه، وخصلة شعره منتصبة ونظارته تتدلى على أنفه. وكان اللون الأصفر المنبعث من النافذة قد بدأ يزحف على أرضية الغرفة، ومنها إلى الحائط، وذرات الغبار تسبح في الأشعة المائلة. "ستة دولارات".

قال شريف: "ستة دولارات مقابل ماذا؟"

قال المحقق: "ستة دولارات". نظر إلى لشريف للحظة، ثم نظر إليْ.

قال شريف: "انظر".

قال سبود: "اسكت. اعطيها إياه، يا فتى، ودعونا نخرج من هنا. فالسيدات ينتظرننا بالخارج. هل معك ستة دولارات؟"

قلت: "نعم". أعطيته الدولارات الستة.

قال: "القضية انتهت".

قال شريف: "خذ إيصالاً. خذ إيصالاً موقعًا بالمبلغ".

نظر المحقق إلى شريف بنظرة لا يبدو أنها غاضبة. وقال دون أن يرفع صوته: "القضية انتهت".

قال شريف: "لا بد من.."

قال سبود، وهو يمسك بذراعه: "تعال هنا. مساء طيبًا، سيدي القاضي، شكرًا جزيلاً". ولدى مرورنا خارجين من الباب، سمعنا صوت جوليو مرتفعًا، ثم بلهجة عنيفة، ثم لم نعد نسمعه. قال سبود- وكانت عيناه العسليتان تحملان نظرة باردة متسائلة وساخرة- "حسنًا، يا فتى. أرى أن من الأولى أن تطارد الفتيات في بوسطن، بعد الآن".

قال شريف: "أنت أهبل. ما الذي تريده من الصراع مع هؤلاء الأجانب؟"

قال سبود "هيا بنا. لا بد أنهن قد فرغ صبرهن".

كانت السيدة بلاند تتحدث معهن. وهما الآنسة هولمز والآنسة دينجرفيلد، وكفا عن الإنصات إليها، ونظرتا إليّ مرةً أخرى بذلك الفزع الرقيق والفضولي، ووشاحاهما يغطيان أنفيهما البيضاوين الصغيرتين، وعيناهما تتهربان من النظر إليّ ويشوبهما نوع من الغموض تحت الوشاح.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت السيدة بلاند: "ماذا ستقول والدتك، يا كوينتن كومبسون. من الطبيعي أن الشاب قد يتورط في مشكلة، لكن أن يُلقي القبض عليه شرطي من الأرياف بلا سبب. ما الذي ظنوا أنه فعله، يا جيرالد؟"

قال جيرالد: "لا شيء".

"هراء. ماذا كان الأمر، يا سبود؟"

قال سبود: "كان يحاول أن يختطف تلك الفتاة الصغيرة القذرة، ولكنه أمسكوا به في الوقت المناسب".

قالت السيدة بلاند: "هراء"، لكن صوتها كان خفيضًا ويكاد أن يتلاشى، وحدقت فيَّ لدقيقة، وشهقت الفتاتان بصوت خفيض، وفي وقت واحد. قالت السيدة بلاند، دون تردد: "هراء. هذا تصرف يليق بأهل الشمال الجهلة المنحطين. اركب السيارة، يا كوينتن".

جلسنا أنا وشريف على كرسيين صغيرين من النوع الذي يُطوى. أدار جيرالد السيارة بذراع التدوير من الأمام، ثم ركب وبدأنا نسير.

قالت السيدة بلاند: "والآن، قل لي يا كوينتن، فيم كانت كل هذه الحكاية السخيفة". حكيت لهم الحكاية. وكان شريف يجلس منحنيًا وهو يتميز غيظًا، فيما وضع سبود مؤخرة رأسه على مسند المقعد الخلفي من جديد، بجوار الآنسة دينجرفيلد.

قال سبود: "والنكتة في ذلك أن كوينتن استغفلنا طوال الوقت. كنا نعتقد- طوال الوقت- أنه ذلك الشاب الخلوق الذي يمكن لأي انسان أن يستأمنه على أخته، إلى أن كشفته الشرطة بعد أن ارتكب فعلته الشائنة".

قالت السيدة بلاند: "كُف عن ذلك، يا سبود". وسارت السيارة في الشارع، وعبرنا الجسر، ومررنا بالمنزل الذي يتدلى منه الثوب الوردي

من النافذة. قالت السيدة سبود: "هذا جزاءٌ لك على عدم قراءة رسالتي. لماذا لم تأتِ، وتتسلمها؟ لقد قال لي السيد ماكتزي أنه أبلغك بأنها هناك".

"أجل. كنت أنوي ذلك. ولكني لم أعد للغرفة".

"لولا السيد ما كتزي، لكنا انتظرناك إلى ما لا نهاية. فعندما قال إنك لم تعد، أصبح لدينا مكان خالٍ، لذا طلبنا منه أن يأتي معنا. نحن سعداء بصحبتك، على أية حال، يا سيد ماكتزي". لم ينطق شريف ببنت شفة. كانت ذراعاة مطويتين وهو يحملق في الأفق، من وراء قبعة جيرالد، وهي قبعة يرتديها خصيصًا مَن يتولون قيادة السيارات في انجلترا، كما قالت لنا السيدة بلاند. وما إن تخطينا هذا المنزل، ومنازل ثلاثة بعده، حتى رأينا الفتاة الصغيرة تقف بجوار البوابة. لكن الرغيف لم يكن معها الآن، وكان وجهها يبدو كما لو أن عليه آثار سوداء لتراب الفحم. لوحتُ لها بيدي، لكنها لم ترد عليَّ، وأدارت رأسها فحسب ببطء، عندما مرت السيارة وهي تتبعنا بنظرتها التي لا ترمش فيها عيناها. ثم سارت السيارة بجوار الحائط، وظلالنا تجري بامتداد الحائط، وبعد فترة مررنا بمزقة من ورق الجرائد ملقاة على جانب الطريق، وشرعت في الضحك مرةً أخرى. شعرت الضحك في حلقي، وكنت أنظر خارج السيارة للأشجار التي تنعكس عليها شمس الأصيل بصورة مائلة، وأنا أفكر في الأصيل وفي الطائر وفي الصبية الذين كانوا يسبحون. ومع ذلك، فلم أستطع التوقف عن الضحك، ثم أدركت أنني لو حاولت منعه قسرًا فسوف أبكي، وفكرت أنه لا يمكنني أن أظل محتفظًا بعذريتي مع وجود مثل هذا العدد الكبير منهن، اللاتي يتمشين في الظل ويهمسن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بأصواتهن النسائية الناعمة، ويتسكعن في الأماكن الظليلة، وتأتي إليك الكلمات والروائح الطيبة، ويمكن للعين أن تحس بها لا أن تراها، ولكن لو كان الأمر يمكن القيام به بمثل هذه البساطة، فإنه لا يعني شيئًا، وإذا كان لا يعني شيئًا، فماذا أكون، وعندئذٍ قالت السيدة بلاند: "كوينتن؟ هل هو مريض، يا سيد ماكتري؟" عندها لمست يد شريف السمينة ركبتي، وشرع سبود في الحديث، ولم أحاول أن أمنعه.

"إذا كانت تلك السلة تضايقه، يا سيد ماكتري، فانقلها إلى جانبك. لقد أحضرت هذه السلة من النبيذ لأنني أعتقد أن السادة الشباب ينبغي أن يشربوا نبيذًا، على الرغم من أن والدي، جد جيرالد.." ***كان يفعل ذلك على الدوام هل كنت تفعلين ذلك على الدوام في العتمة الرمادية ففي الضوء الخافت كانت يداها معقودتين***

قال سبود: "هم يشربونه، عندما يمكنهم أن يحصلوا عليه. أليس كذلك، يا شريف؟" ***ووجهها وركبتاها ينظرون إلى السماء ورائحة زهر العسل على وجهها وفي حلقها***

قال شريف: "والبيرة أيضا". ولمست يده ركبتي مرةً أخرى، فأبعدتها مرةً أخرى. ***كان حديثها عنه مطليًا بطبقة رقيقة من اللون الوردي يجعله***

قال سبود: "أنت لست من السادة" ***يجعله حاضرًا بيننا إلى حد يجعل شكلها غائمًا بيننا لا بفعل الظلام***

قال شريف: "لا أنا كندي" ***متحدثةً عنه والمجذافان يغمرانه بالأضواء المبهرة كما يغمران القبعة المصنوعة في انجلترا خصيصًا لقيادة السيارات بالأضواء المبهرة دائمًا وتختلط الأضواء المبهرة وتمتزج لتكون***

أكثر إبهارًا مما لو كان في الجيش وقتل الكثيرين من الرجال

قالت الآنسة دينجرفيلد: "أنا أعشق كندا، وأعتقد أنها رائعة".

قال سبود: "هل شربت ذات يوم عطرًا". *رفعها بيد واحدة على كتفه وجرى بها كان يجرى يجرى*

قال شريف: "لا. *يجري بها ليصبحا وحشًا له ظهران واختفت معالمها في إبهار الجدافين يجري بها خنزير يوبيليوس راعي الخنازير عند باب الجحيم وهو ملتحم بها كم كان عددهم يا كادي*

قال سبود: "ولا أنا شربت عطرًا" *لم أعرف كثيرين هناك شيء شنيع داخلي شنيع داخلي يا أبي وقد اقترفته هل اقترفت ذلك لم نقترف ذلك لم نقترف ذلك*

"وكان جد جيرالد يجمع على الدوام نعناعه بنفسه قبل الإفطار، في الوقت الذي يكون الندى ما يزال عليه. لم يكن يسمح حتى لخادمه العجوز ويكي حتى بأن يلمسه هل تتذكر ذلك يا جيرالد فقد كان يحرص على الدوام على أن يجمعه بنفسه، وعلى أن يعد بنفسه شرابه المعطر بالنعناع. كان غريب الأطوار في اهتمامه المفرط بشرابه، مثل عانس، حيث كان يعده بمقادير محددة حسب وصفة كان يحتفظ بها في سره، وكان هناك شخص واحد هو الذي أعطاه هذه الوصفة وكان ذلك..." *ما فعلناه كيف لا تعلمين به إذا تمهلتِ فحسب فسوف أخبرك كيف كان ذلك كان تلك جريمة لقد ارتكبنا جريمة شنعاء وليس في الامكان إخفاؤها هل تتصورين أن بالامكان ذلك انتظري فحسب يا كوينتن المسكين أنت لم تفعل ذلك هل فعلته وسوف أقول لك كيف كان ذلك وسوف أحكي ذلك لوالدي وعندها يتعين عليكِ لأنك تحبين*

https://telegram.me/maktabatbaghdad

والدك أن تهربي وسط التلميحات والرعب من النيران التي سأشعلها ولسوف أجعلك تقولين إننا فعلنا ذلك فأنا أقوى منكِ وسوف أحملك على أن تعلمي أننا فعلناها أنت تظنين أنهم هم من فعلوها ولكن اصغي لي لقد خدعتك طوال الوقت وكنت أنا مَن فعلها أنت تظنين أنني كنت في المنزل عندما كان يفوح زهر العسل اللعين وأنا أحاول ألا أفكر في الأرجوحة وأشجار الأرز وانفلات العواطف الدفينة والأحضان اللاهثة والأنفاس المتتابعة والارتواء والتأوهات المتتالية أجل أجل أجل أجل

"لم يكن هو نفسه يشرب النبيذ، لكنه كان يقول دائما إن السلة قُل لي يا جيرالد في أي كتاب قرأتَ أن طاقم النبيذ جزء لا غني عنه من سلة رحلات السادة المحترمين" *هل كنت تحبينهم يا كادي لقد كنت أوشك على الموت عندما كان أحدهم يلمسني*

وقفَت لدقيقة هناك وفي الدقيقة الثانية كان يبكي وهو متشبث بفستانها وتوجها إلى الصالة وصعدا السلم وهو يصرخ ويدفعها لتصعد السلم لتصل إلى باب الحمام وتقف هناك وظهرها للباب ويداها على وجهها وهو يحاول أن يدفعها داخل الحمام عندما كانت آتية للعشاء وتي بي كان يطعمه وبكى ثانيةً وكان بكاؤه في البداية نشيجًا ثم تحول إلى صراخ ما إن لمسته ووقفت هناك وكانت عيناها مثل فأرين حُوصرا في ركن وكنت أجري في العتمة الرمادية ورائحة المطر تفوح والهواء الرطب الساخن يعطره عبق الزهور وحشرات الجدجد تحفر الأرض بين الحشائش وتضبط إيقاع خطوي أنا وواحة الصمت الصغيرة المحيطة بي وفانسي ترقبني عبر السياج ببقعه اللونية التي تشبه لحافًا منشورًا على حبل وأظن أن الزنجي اللعين نسي أن يعلفها مرةً أخرى جريت أسفل الهضبة

في ذلك الفراغ الذي تحتله الجداجد مثل نسمة تمر أمام مرآة وكانت ترقد في الماء ورأسها على لسان رملي والماء يتدفق حول ردفيها وهناك قبس من النور في الماء وتنورتها نصف مشبعة بالماء تتهدل على جنبيها مع حركة الماء في موجات كبيرة تذهب إلى حيث تجدد نفسها بفعل حركتها ووقفت على الضفة وكنت أشم رائحة زهر العسل فوق هذه البقعة من الماء وشعرت كما لو أن رذاذًا من عبق زهر العسل ينتشر في الهواء ومع صرير حشرات الجدجد يمكنك أن تشعر بشيءٍ ما ملموس

في اللحم

هل بنچي لا يزال يبكي

لا أعرف أجل لا أعرف

بنچي مسكين

جلستُ على الضفة وكان العشب قصيرًا للغاية وألفيتُ حذائي مبتلاً

اخرجي من هذا الماء هل أنت مجنونة

لكنها لم تحرك ساكنًا وبدا وجهها أبيض شاحبًا وسط إطار من شعرها من بين الرمال الشاحبة

اخرجي الآن

جلست ثم رفعت تنورتها التي تهدلت عليها والماء يتصبب منها وصعدت إلى الضفة بملابسها الملتصقة بها ثم جلست

لماذا لا تجففيها هل تريدين أن تصابي بالبرد

نعم

كان اللسان الرملي يمتص الماء والماء ينز فيه وعلى الرمال في الظلام بين أشجار الحور عبر المياه الضحلة وكانت المياه تتماوج كما لو كانت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قطعة قماش تهفهف وهي تعكس قبسًا من النور مثل قبس النور في الماء لقد عبر كافة المحيطات في العالم بأسره

ثم تحدثت عنه وهي تعقد يديها على ركبتيها المبللتين ومالت بوجهها للخلف في النور الرمادي ورائحة زهر العسل وكان هناك ضوء في غرفة أمي وفي غرفة بنچي حيث كان تي پي يضعه في فراشه

هل تحبينه

ظهرت يدها ولم أتحرك وتحسستُ ذراعي وأمسكت يدي ووضعتها على صدرها وكان قلبها يدق

كلا كلا

هل فعلها معك هل فعلها معك هل سمحتِ له بذلك هو أقوي منك إذن سوف أقتله في الغد أقسم إنني سوف أقتله ولا داع لأن يعرف أبي بذلك إلا فيما بعد وبعد هذا يمكننا وهذا سر فيما بيننا أن نأخذ النقود التي حصلتُ عليها لدراستي ونلغي طلب التقديم الذي قدمته للجامعة كادي أنت تكرهينه تكرهينه أليس كذلك

أخذت يدي ووضعتها على صدرها وكان قلبها يدق فاستدرتُ وأمسكت بذراعها

كادي أنت تكرهينه أليس كذلك

رفعت يدي عند حلقها وكان صوت دقات قلبها مسموعًا بقوة

يا لكوينتن المسكين

كان وجهها شاخصًا صوب السماء التي كانت خفيضة خفيضةً جدًّا إلى حد أن كل أصوات الليل وروائحه بدت كما لو أنها محتشدة تحت خيمة مسدلة لا سيما رائحة زهر العسل التي تخللت أنفاسي وكسَت

وجهها ورقبتها كما لو كانت طلاءً له وكان دمها ينبض بقوة تحت يدي وكنت مستندًا على ذراعي الآخر فبدأ يهتز وينتفض وتلاحقت أنفاسي لالتقاط نسمة من الهواء تخرجني من عبق زهر العسل الرمادي الكثيف

نعم أنا أكرهه وأموت من أجله وقد مت من أجله من قبل وسوف أموت من أجله في كل مرة

عندما رفعتُ يدي شعرت كما لو أن حزمة من العشب والحطب تحترق في راحة يدي

يا لكوينتن المسكين

مالت للخلف بذراعيها ويداها معقودتان على ركبتيها

أنت لم تفعل ذلك من قبل هل فعلته

فعلت ماذا

ذلك الذي فعلته

أجل أجل مرات كثيرة مع كثير من الفتيات

وعندها بكيت ولمستني بيدها مرةً أخرى وكنت أبكي على بلوزتها المبتلة ثم نظرتُ من وراء رأسي إلى السماء وكنت أري بياض عينيها تحت القزحية وفتحت سكيني هل تذكرين يوم ماتت جدتي عندما كنت تجلسين بسروالك في الماء

نعم

وضعت شفرة السكين على رقبتها

لن يستغرق الأمر ثانية مجرد ثانية لأقوم بذلك بنفسي يمكنني أن أقوم بذلك بنفسي إذن

هل يمكنك أن تطعن نفسك بنفسك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نعم فالنصل طويل بما فيه الكفاية هل ذهب بنچي إلى الفراش الآن؟

أجل

لن يستغرق الأمر أكثر من ثانية سوف أحاول ألا يؤلمك ذلك

لا بأس

حسنا اغمضي عينيك

ليس بهذه الطريقة ينبغي أن تدفع السكين بقوة

المسيها بيدك

لكنها لم تغمض عينيها كانتا مفتوحتين على اتساعهما وهي تنظر من فوق رأسي إلى السماء

كادي هل تذكرين الضجة التي أحدثتها ديلسي لأن سروالك كان ملطخًا بالطين

لا تبك

أنا لا أبكي يا كادي

ادفعها ألن تدفعها

هل تريدينني أن أفعل ذلك

أجل ادفعها

المسيها بيدك

لا تبك يا كوينتن المسكين

ولكني لم أتمكن من التوقف فأمسكت برأسي ووضعتها على صدرها المبتل وكنت أسمع قلبها يدق بثبات ولكن ببطء الآن ولا يدق بعنف وكانت المياه تصدر خريرًا بين شجر الحور في الظلام وموجات من رائحة زهر العسل تهب في الهواء والتوت ذراعي وكتفي تحتي

ما هذا مالذي تفعله

وشدت عضلاتها وجلست

إنها سكيني لقد سقطت مني

جلست

كم الساعة الآن

لا أعرف

نهضت على قدميها وكنت أفتش الأرض

أنا ذاهبة دعها في مكانها

إلى المنزل

كنت اشعر بها هناك وأشم رائحة ملابسها المبللة وأشعر بها هنا

هي هنا في مكانٍ ما

دعها يمكنك أن تجدها غدًا هيا بنا

انتظري دقيقة سوف أجدها

هل تخشى من

ها هي كانت هناك طوال الوقت

هل كانت هيا بنا

نهضت وتبعتها وصعدنا إلى الهضبة وكانت الجداجد صامتة أمامنا

إنه لأمر يبعث على الضحك أن تجلس ويسقط منك شيء ثم تبحث عنه في كل مكان بعيدًا عنك

رمادية كانت رمادية كانت السماء الرمادية تنعكس مائلةً على قطرات الندى والأشجار خلفها

اللعنة على رائحة زهر العسل أتمني أن تتوقف

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لقد تعودت على أن تحبها

عبرنا القمة ومضينا في اتجاه الأشجار ومشت في اتجاهي ثم توقفت لبرهة وكانت الحفرة تبدو كما لو كانت بقعة سوداء وسط الحشائش الرمادية مشت في اتجاهي مرة أخرى ونظرت لي ثم توقفت ووصلنا إلى الحفرة

دعنا نسير في هذا الاتجاه

من أجل ماذا

لنرى إن كانت عظام الكلبة نانسي ما تزال هناك، أنا لم أنظر في الحفرة منذ فترة طويلة هل نظرت في الحفرة

نمت عليها حصيرة من النباتات المفترشة والأشواك وجعلتها مظلمة

كانت العظام في هذا المكان بالتحديد هل يمكنك أن تخبرني إن كنت تراها أم لا

كف عن ذلك يا كوينتن

تعالي

وضاقت الهوة ثم ضاقت فاتجهت صوب الأشجار

كف عن ذلك يا كوينتن

كادي

توجهت لأكون أمامها من جديد

كف عن ذلك

وأمسكت بها

أنا أقوى منك

لم تتحرك وكانت متصلبة وغير مستسلمة وثابتة

لن أقاتل كُف عن ذلك من الأفضل أن تكُف

كادي لا تفعلي ذلك يا كادي

لا جدوى من ذلك ألا تعلم ذلك دعني أمضي

كانت رائحة زهر العسل تنتشر كالرذاذ ويتزايد عبقها وكنت أسمع صوت الجداجد التي ترقبنا واستدارت وأدارت وجهها صوب الأشجار

هل تعود للمنزل ألا يلزمك الذهاب

واصلت السير

لماذا لا تعود للمنزل

اللعنه على رائحة زهر العسل

وصلنا إلى السياج وزحفت منه كما زحفت أنا وعندما كنت أهم بالنهوض جاء من بين الأشجار في العتمة واتجه صوبنا طويلاً وبدينًا وثابتًا حتى أنه كان يتحرك كما لو أنه لا يتحرك فذهبت إليه

هذا هو كوينتن أنا مبتلة مبتلة بالكامل ليس عليك أن تقوم بشيء ما لم تكن تريد ذلك

أصبح ظلهما ظلاً واحدًا وكانت ترفع رأسها فبدت أعلى من رأسه ليس عليك أن تقوم بشيء ما لم تكن تريد ذلك ثم أصبحت الرأسان رأسًا واحدة ورائحة الحشائش وأوراق الشجر المبتلة تفوح في العتمة ولون العتمة الرمادي ينزل مثل رذاذا الأمطار ورائحة زهر العسل تنهال في موجات رطبة وكنت أرى وجهها غائمًا على كتفه وكان يحملها بذراع واحدة كما لو كانت طفلة صغيرة ومد يده

تشرفنا بمعرفتك

تصافحنا ووقفنا هناك وكان ظلها عاليًا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وقبالة ظله كان هناك ظل

ماذا ستفعل يا كوينتن

سوف أتمشى أعتقد أنني سوف أمر بين الأشجار لأصل إلى الطريق وأعود عبر البلدة

واستدرت لأمضي

طابت ليلتكم

كوينتن

توقفت

ماذا تريدين

تعال هنا يا كوينتن

عدت ولمست كتفي ومال ظلها لأسفل وكان وجهها الغائم يميل بانحناء من وراء ظله المرتفع فرجعت للوراء

خذي حذرك

أذاهب أنت إلى المنزل

لا أريد النوم سأتمشى قليلاً

سوف ألحق بك حالاً انتظرني هل ستنتظر

لا سوف أسير عبر الغابة

لم أنظر خلفي ولم تعرني ضفادع الأشجار اهتمامًا وكان الضوء المعتم يشبه الطحالب في الأشجار حيث كان ما يتساقط رذاذًا ولكنها لم تمطر بعد وبعد فترة عدت إلى حافة الغابة وما إن وصلت إلى هناك حتى بدأت أشم رائحة زهر العسل مرةً أخرى وكنت أرى الأضواء في ساعة المحكمة وأضواء المدينة وميدان سكاي وأشجار الحور المعتمة على جانب الترعة

والضوء المنبعث من نوافذ غرفة أمي والضوء في غرفة بنچي وانحنيت لأمر عبر السياج ودخلت إلى المرعى وأنا أجري كنت أجرى على الحشائش الرمادية اللون بين الجداجد وكانت رائحة زهر العشل تزداد قوةً باضطراد وكذلك رائحة الماء ثم رأيت الماء ولون زهر العسل الرمادي على الضفة ووضعت وجهي على الأرض حتى لا أشم رائحة زهر العسل ولم أعد أشمه عندئذٍ ورقدت هناك وأنا أشعر بالتراب يتغلغل في ملابسي وأنصت لصوت الماء وبعد فترة لم أعد أتنفس بصعوبة شديدة وكنت أرقد وأنا أفكر بأنني لو لم أحرك وجهي فلن أتنفس بصعوبة وأشم الروائح ثم لم أعد أفكر في أي شيء على الإطلاق وأتت على ضفة الترعة ووقفت ولم أتحرك

عليكِ أن تذهبي للبيت فالوقت متأخر

ماذا

لقد تأخر الوقت عليك أن تعودي للبيت

لا بأس

كانت ملابسها تصدر حفيفًا ثم توقفت عن الحفيف

هل ستذهبين كما قلت لك

لم أسمع شيئًا

كادي

سوف أذهب إذا كنت تريد مني ذلك

جلست وكانت تجلس على الأرض ويداها معقودتان حول ركبتها

اذهبي إلى المنزل كما قلت لك

أجل سأفعل كل ماتريده أي شيء تريده

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ولم تكن تنظر لي وأمسكت بكتفها وهززته بقوة

اخرسي

وهززتها

اخرسي اخرسي

أجل

رفعت وجهها ثم عندئذ تبينت أنها لم تكن حتى تنظر إليّ على الإطلاق ورأيت تلك الهالة البيضاء في عينيها

انهضي

رفعتها بقوة وكانت قواها متهالكة فأوقفتها على قدميها

اذهبي الآن

هل كان بينچي ما يزال يبكي عندما غادرت المنزل

اذهبي

عبرنا الترعة ورأينا سطح المنزل ثم بدأنا نرى النوافذ في الطابق العلوي

إنه نائم الآن

وكان عليَّ أن أقف لكي أغلق البوابة أما هي فقد مضت في الضوء المعتم ورائحة المطر ولم تكن الدنيا قد أمطرت بعد وبدأت رائحة زهر العسل في الانتشار من سياج الحديقة ثم بدأت

دخلت في الظل وكنت أسمع وقع قدميها

كادي

وقفت عند السلم ولم أسمع وقع قدميها

كادي

سمعت صوت قدميها عندئذٍ ولمستها يدي ولم تكن دافئة ولم تكن باردة كانت ملابسها لا تزال مبللةً قليلاً

هل تحبينه الآن

لم تتنفس سوى ببطء كما لو كان النفَس قادمًا من بعيد

كادي هل تحبينه الآن

لا أدري

خارج الضوء الخافت كانت ظلال الأشياء تشبه الأشياء الميتة في المياه الراكدة

ليتك تموتين

هل تتمنى ذلك ادخل الآن

هل تفكرين فيه الآن

لا أدري

قولي لي فيم تفكرين قولي لي

كُف عن ذلك يا كوينتن كُف عن ذلك

اخرسي اخرسي هل تسمعينني اخرسي اخرسي

لا بأس سوف أتوقف نحن نصدر الكثير من الضجيج

سوف أقتلك هل تسمعينني

دعنا نخرج عند الأرجوحة فسوف يسمعون صوتك هنا

أنا لا أبكي هل تقولين إنني أبكي

لا لم أقل اسكت الآن سوف يستيقظ بنچي على صوتنا

ادخلي البيت هيا ادخلي الآن

أنا لا أبكي أنا فتاة سيئة وليس لك ذنب في ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هناك لعنة حلت بنا وليس ذلك ذنبنا هل لنا ذنب في ذلك
اسكت اذهب الآن إلى فراشك
ليس في وسعك أن تجبريني على ذلك هناك لعنة حلت علينا
رأيته في نهاية المطاف وكان على وشك الدخول إلى محل الحلاق وكان ينظر في حذر فذهبت إلى هناك وانتظرت
أبحث عنك منذ يومين أو ثلاثة
هل تريد أن تراني
أود مقابلتك
لف السيجارة بسرعة بحركتين من يده ثم أشعل الكبريت بإبهامه
لا يمكننا أن نتحدث هنا فهل تقترح أن نتقابل في مكان ما
سوف آتي إلى غرفتك في الفندق
لا ليس هذا بالمكان المناسب هل تعرف ذلك الجسر على الترعة
نعم لا بأس به
في الساعة الواحدة موافق
نعم
واستدرتُ مبتعدًا عنه
أنا ممتن لك
اسمع
توقفت وأنا أنظر خلفي
هل هي بخير
وبدا كما لو كان قميصه الكاكي مصنوعًا من البرونز
هل تحتاجني الآن في أي شيء

سوف أكون هناك في الساعة الواحدة

سمعتني وأنا أطلب من تي پي أن يحضر لي الحصان برنس في الساعة الواحدة وظلت ترقبني وتوقفت عن الأكل ثم أتت عندي

ما الذي تنوي فعله

لا شيء أود أن أتنزه بالحصان

أنت تنوي القيام بشيءٍ ما ما هو؟

ليس ذلك من شأنك يا عاهرة يا عاهرة

كان تي پي قد أحضر الحصان أمام الباب الجانبي

لا أريده سوف أمشي على رجلي

سرت في الممر وبعد أن خرجت من البوابة انعطفت في الطريق الفرعي ثم جريت وقبل أن أصل إلى الجسر رأيته يستند على السياج وقد ربط حصانه بين الشجر والتفت ونظر من فوق كتفه ثم أدار ظهره ولم يرفع نظره إلا عندما أتيت على الجسر وتوقفت وكانت في يديه قطعة من لحاء الشجر وكان يكسر قطعًا منها ويرميها في الماء من فوق السياج

جئتُ لأقول لك إن عليك أن تغادر المدينة

كسر قطعة من اللحاء ورماها عن عمد بعناية في الماء وراقبها وهي تطفو مبتعدة

لقد قلتُ إن عليك أن تغادر المدينة

نظر إليّ

هل هي التي أرسلتك لي

قلت إنك ينبغي أن تغادرها ولم يقل ذلك والدي أو أي شخص آخر استمع لي دعك من هذا الآن وأود أن أعرف منك إن كانت هي بخير

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هل ضايقها أحد هناك

هذا ليس من شأنك ثم سمعت نفسي أقول إنني أمهلك حتى غروب الشمس لتغادر المدينة

كسر قطعة من لحاء الشجر ورماها في الماء ثم وضع لحاء الشجرة على السياج ولف سيجارة بتلك الحركتين السريعتين من يده وأشعل الكبريت فوق السياج

ماذا ستفعل لو لم أغادر

سوف أقتلك وأنت لا تظن أن ذلك سيحدث لأنني أبدو كصبي في عينيك

تدفق الدخان من منخريه وصعد أمام وجهه

كم عمرك

بدأت أرتجف وكانت يدي على السياج وفكرت في أنني لو أخفيتهما فسوف يعرف السبب في ذلك

أنا أمهلك حتى الليلة

اسمع يا بني ما اسمك بنچي اسم الفتى المعتوه أنت هو

كوينتن

نطقها فمي ولم أكن قد نطقتها من قبل

كوينتن

نفض رماد السيجارة بحرص على السياج وقام بذلك ببطء وعناية كما لو كان يبري قلم رصاص وكفت يداي عن الارتعاش

اصغ لي من السخف أن يؤلمك هذا الأمر على هذا النحو ليست غلطتك يا فتى فهو خطأ شخص آخر

هل كانت لك أخت هل كانت لك أخت

لا ولكن كلهن قحاب

رفعت يدي بقوة لأصفعه على وجهه بقوة لكن يده تحركت بسرعة مثل يدي ووقعت السيجارة على السياج فعاجلته بيدي الأخرى فأمسك بها قبل أن تسقط السيجارة في الماء وأمسك بيدي من الرسغين بيد واحدة وامتدت يده الأخرى تحت إبطه وتحت معطفه كانت أشعة الشمس تسقط مائلةً وثمة طائر يغرد خارج دائرة الشمس ونظر كل منا إلى الآخر وكان الطائر يغرد ثم أطلق يدي

انظر هناك

أخذ قطعة اللحاء من على السياج ورماها في الماء فغاصت ثم برزت من الماء وانجرفت مع التيار وكان يضع يده على السياج وهو يمسك مسدسه بإهمال وانتظرنا

هل يمكنك أن تضربها الآن

لا

كانت قطعة اللحاء تسير وهي طافية مستقرة وفي الغابة سمعت صوت الطائر مرةً أخرى ثم سمعت صوت الماء بعد ذلك وانطلق المسدس ولم يكن يركز عينيه عليه ليصوب واختفت قطعة اللحاء ثم طفت قطع منها وانتشرت حولها فضرب قطعتين أخريين لا يزيد حجم الواحدة منها عن حجم قطعة نقد معدنية

أعتقد أن ذلك كاف

فتح خزانة المسدس ونفخ في الماسورة فخرج منها دخان ووضع ثلاث طلقات في المسدس ثم ناولني المسدس من مقبضه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لماذا أنا لن أحاول أن أضرب هذه

سوف تحتاجه فبناءً على ما قلته أعطيه لك، لأنك رأيت ما يمكنه أن يفعل

إلى الجحيم أنت ومسدسك

ضربته وكنت أحاول ضربه بعد فترة من إمساكه برسغي ولكني كنت ما أزال أحاول ثم بدا لي كما لو أنني أنظر إليه من وراء لوح من الزجاج الملون كنت أسمع صوت دمي ثم تمكنت من رؤية السماء مرةً أخرى والأغصان إزاءها والشمس مائلة خلالها وكان يمسك بقدمي

هل ضربتني

لم أتمكن من السماع بوضوح

ماذا

أجل بماذا تشعر الآن

أنا بخير اتركني

تركني واتكأت على السياج

هل أنت بخير

دعني وشأني أنا بخير

هل يمكنك الذهاب إلى المنزل على ما يرام

امض إلى حال سبيلك واتركني وشأني

من الأفضل ألا تمشي خذ حصاني

لا امض الآن

بإمكانك أن تضع اللجام على السرج وتتركه وسوف يعود للاسطبل

دعني وشأني وامض إلى حال سبيلك دعني وشأني

ملتُ على السياج وأنا أنظر إلى الماء وسمعته وهو يفك الحصان ويركبه ويمضي وبعد فترة لم أعد أسمع شيئًا سوى صوت الماء ثم سمعت الطائر مرةً أخرى وتركت الجسر وجلست مستندًا على شجرة وملت برأسي على الشجرة وأغلقت عيني وتغلغلت قطعة من الشمس إلى عيني وتحركت قليلاً حول الشجرة وسمعت مجددًا صوت الطائر والماء ثم شعرت بأن كل ما حولي يبتعد عني ولم أعد أشعر بشيء على الإطلاق وشعرت بالارتياح إلى حدٍّ ما بعد كل هذه الأيام والليالي التي يأتيني فيها عبق زهر العسل من الظلام ويقتحم حجرتي عندما أحاول النوم حتى عندما علمت بعد فترة أنه لم يضربني وأنه كان يختلق الأكاذيب من أجلها وأنني قد أُغمي عليَّ مثل فتاة لكن كل ذلك لم تعد له أهمية الآن وجلست إلى جوار الشجرة وندف الشمس تتساقط على وجهي مثل أوراق شجر صفراء وأنا أنصت إلى الماء ولا أفكر في أي شيء على الإطلاق وحتى عندما سمعت الحصان وهو يأتي مسرعًا جلست هناك وعيناي مغمضتان وسمعت أرجله وهي تضرب في الرمل الناعم وتبعثره وسمعت أقدامًا تجري ويديها المتعجلتين

أيها الأحمق أيها الأحمق هل أصابك أذى

فتحت عيني وكانت يداها تمسحان بسرعة على وجهي

لم أعرف الطريق إلى أن سمعت صوت المسدس لم أكن أعرف المكان الذي ذهبت إليه أنت وهو خلسةً لم يخطر ببالي أنه سوف

أمسكت بوجهي بين يديها وهي تخبط رأسي بالشجرة

توقفي عن ذلك توقفي

أمسكتُ برسغيها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كُفي عن ذلك كُفي عن ذلك

كنت أعلم أنه لن كنت أعلم أنه لن

حاولت أن تخبط رأسي بالشجرة مرةً أخرى

قلت له لا تكلمني مرةً أخرى قلت له ذلك

حاولت أن تنتزع رسغيها

دعني

كُفي عن ذلك أنا أقوى منك كُفي عن ذلك الآن

دعني أذهب لألحق به دعني أذهب يا كوينتن من فضلك اتركني دعني أذهب

فجأةً كفت عن ذلك وارتخى رسغاها

أجل بإمكاني أن أقول له بإمكاني أن أجعله يصدق ما أقول بإمكاني ذلك

كادي

لم تكن قد ربطت الفرس برنس وربما يكون قد عاد للبيت لو خطر له ذلك

هو يصدقني في كل مرة

هل تحبينه يا كادي

عما تسأل

نظرت إليّ وعيناها لا تعبران عن شيء كانتا كعيني تمثال خاليتين وصافيتين ولا تبصران

ضع يدك على رقبتي

أخذت يدي ووضعتها مفرودة على رقبتها

والآن اذكر اسمه

دالتون إيمز

شعرت بأول اندفاع للدم في رقبتها وتسارع نبضاتها

اذكره ثانيةً

كان وجهها متجهًا نحو الأشجار حيث كانت أشعة الشمس تسقط مائلةً وحيث يوجد الطائر

اذكر اسمه مرةً أخرى

دالتون إيمز

كان الدم يندفع بانتظام ونبضها يتسارع ويتسارع تحت يدي

استمر نزيف الدم لفترة طويلة، بل كان وجهي باردًا، كما لو كان وجه ميت، وكانت عيني تؤلمني ألمًا شديدًا، وكذلك الجرح في إصبعي. سمعت شريف وهو يستخدم المضخة، ثم عاد وفي يده طاسة وكان ضوء شمس الأصيل ينعكس على الماء فيها ويترجرج، وكانت الطاسة ذات حافة صفراء وتبدو أشبه ببالون في الأفق البعيد، ورأيت صورتي فيها. حاولت أن أرى وجهي.

سألني شريف: "هل توقف النزيف؟" قال وهو يمد يده لأخذ المنديل من يدي: "اعطني هذه الخرقة".

قلت: "احترس. يمكنني أن أقوم بذلك. فالنزيف يوشك أن يتوقف الآن". غمست المنديل في الماء مرةً أخرى، وبدا كما لو أن البالون انكسر. ابتل المنديل بالماء: "ألا يوجد منديل أنظف من هذا".

قال شريف: "تحتاج عينك إلى شريحة من اللحم النيء لعلاج هذه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الكدمة* .. سوف يتسع سواد هذه الكدمة بالتأكيد. ابن الكلبة".

قلت، وأنا أنتزع المنديل لأنظف الدم على صدريتي: "هل أصبته بأي أذى؟"

قال شريف: "لن يمكنك أن تنظفها بهذه الطريقة. عليك أن ترسلها لمحل تنظيف الملابس. هيا ضع المنديل على عينك، لماذا لا تضعه"

قلت: "يمكنني أن أزيل بعضه". غير أني لم أنجح كثيرًا في ذلك. "هل هناك دم على ياقتي؟"

قال شريف: "لا أدري. ضع المنديل على عينك. هنا".

قلت: "اسمع، هل ألحقت أي أذًى به؟"

"ربما تكون قد ضربته. وربما كنتُ أنظر بعيدًا عندئذٍ، أو أنني أغمضت عيني لبرهة. غير أنه أوسعك لكمًا وضربك بقبضته في كل موضع من جسمك. ما الذي كنت تريده من ضربك إياه بقبضتك؟ أنت أحمق. كيف تشعر الآن؟"

قلت: "أنا بخير الآن. وأود أن أسأل إن كان بالإمكان أن أجد ما أنظف به الصدرية".

"ياه. اتركك من ملابسك اللعينة. هل تشعر بألم في عينك؟"

قلت: "أشعر بأنني بخير". كان اللون البنفسجي يصبغ الأشياء من حولي، وبدت الأشياء ساكنةً لا تتحرك، والسماء لونها ضاربٌ للخضرة المشوبة باللون الذهبي وراء جمالون المنزل، وريشة من الدخان تخرج من

---

* كان هناك اعتقاد شعبي لدى بعض الأمريكيين بأن الكدمة حول العين- من أثر لكمة على سبيل المثال- يمكن علاجها بوضع شريحة من لحم البقر النيء على منطقة العين- المترجم.

المدخنة والهواء ساكن. سمعت صوت المضخة مرةً أخرى. كان هناك رجل يملأ دلوًا بالماء، وكان ينظر إلينا عبر كتفه، وهو يضخ الماء من المضخة. وعبرت امرأة من الباب، لكنها لم تنظر إلينا. وكان صوت بقرةٍ ما يأتي من مكانٍ ما.

قال شريف: "هيا. دعك من موضوع ملابسك، وضع هذا المنديل على عينك. وأول شيء سأقوم به غدًا هو أن أرسل ملابسك لتنظيفها".

"لا بأس. يؤسفني أنني لم أنزف بعض الدم على ملابسه، على الأقل".

قال شريف: "هو ابن كلبة". خرج سبود من المنزل، وكان يتحدث إلى المرأة على ما أظن، وعبر فناء المنزل. نظر إليَّ بعينيه الباردتين الساخرتين.

قال: "حسنًا، يا فتى. أنت لا تتورع عن فعل أي شيء طلبًا لمتعك. خطف، ثم شجار. ماذا ستفعل في أيام عطلتك؟ هل تحرق البيوت؟"

قلت: "أنا بخير. ماذا قالت السيدة بلاند؟"

"لقد عنفت جيرالد بشدة لأنه ضربك حتى نزفت دمًا. وسوف تعنفك عندما تراك، لأنك سمحت له بذلك. فهي لا تعترض على الشجار، لكنها تشعر بالضيق عندما ترى الدم. أعتقد أنك فقدت قدرًا من الاعتبار لديها، لأنك لم تحقن دمك. كيف حالك الآن؟"

قال شريف: "بالتأكيد. فلو لم تكن من آل بلاند، فإن أفضل شيء بالنسبة لك- بعد ذلك- هو أن تنكح واحدًا منهم، أو أن تشرب الخمر وتسكر وتصارعه، وفقًا للأحوال".

قال سبود: "سليم تمامًا. ولكني لم أكن أعلم أن كوينتن سكران".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال شريف: "لم يكن سكرانًا. فهل عليك أن تشرب وتسكر، لو كنت تريد أن تضرب هذا الشخص، ابن الكلبة؟"

"حسنًا. أعتقد أنني لابد أن أكون سكرانًا ومفرطًا في السكر لو حاولت ذلك، بعد أن رأيت ما جرى لكوينتن. فأين تعلم الملاكمة؟"

قلت: "إنه يذهب يوميًّا عند مايك الذي يسكن عند طرف المدينة".

قال سبود: "كان يفعل ذلك، وكنت تعلم ذلك، عندما ضربته؟"

قلت: "لا أدري. أظن ذلك. أجل".

قال شريف: "عليك أن تبلل المنديل مجددًا. هل تحتاج لبعض الماء؟"

قلت: "لا بأس بذلك". غمست المنديل مرةً أخرى، ووضعته على عيني. قلت: "كنت أتمنى لو أنني كان لديَّ شيء لتنظيف صدريتي". كان سبود لا يزال يرقبني.

قال: "قُل لي، لماذا ضربته؟ ماذا قال؟"

"لا أدري. لا أدري لماذا ضربته؟"

"كان أول شيء أدركته هو أنك قفزت فجأةً وقلت: "هل كانت لك أخت؟ هل كانت لك أخت؟" وعندما قال لا، ضربته. وكنت ألاحظ أنك كنت تركز نظرك عليه، بل بدا لي أنك لم تكن تعير اهتمامًا لم يقوله الآخرون إلى أن قفزت، وسألته إن كان له أخت".

قال شريف: "كان يتفاخر كعادته بعلاقاته النسائية. كما تعلمون طريقته: عندما يتحدث أمام الفتيات عن ذلك، بحيث لا يمكنهن أن يعرفن على وجه الدقة ما يتحدث عنه، مستخدمًا أسلوب الغمز واللمز والكذب. وهي أحاديث خالية من المعنى. وكان يحدثنا عن فتاه شابة واعدها أثناء مقابلته لها في صالة للرقص في أتلانتك سيتي، وتركها

وذهب إلى الفندق، حيث نام في غرفته، وكيف أنه رقد هناك وهو يشعر بالأسف لانتظارها إياه عند مرسي القوارب، دون أن يذهب إليها ليحقق لها ما تشتهيه. وكان يتحدث عن مفاتن الجسد، وما تجلبه من حسرة ومدى قسوة النساء اللاتي يتمتعن بها، واللاتي لا يفعلن سوى الاستلقاء على ظهورهن. مثل ليدا التي تكمن بين الأحراش، وهي تتأوه وتتنهد لذكر الأوز*. رأيتم. ابن الكلبة. لسوف أضربه بنفسي. ولو كنت مكانك لألقيت عليه سلة نبيذها".

قال سبود: "يا سلام. يا نصير النساء. أنت يا فتي لا تثير الإعجاب فحسب، بل أيضًا الرعب". ونظر إليّ نظرة باردة تنم عن السخرية. وقال: "سبحان الله".

قلت: "أنا آسف لضربه. فهل أبدو سيئًا إلى حد أن أعود وأتصالح معه؟"

قال شريف: "تعتذر، فليذهبوا إلى الجحيم. أما نحن، فسنذهب إلى المدينة".

قال سبود: "ينبغي أن يعود، حتى يعلموا أنه قاتل كرجل شريف، تعرض للهزيمة، ذلك ما أقصد".

قال شريف: "على هذا النحو؟ بملابسه الملطخة كلها بالدم؟"

قال سبود: "لماذا. لا بأس. أنت أعلم مني".

قال شريف: "لا يمكنه أن يتجول بقميصه. فهو ليس طالبًا في السنة النهائية بعد. هيا بنا، فلنعد إلى المدينة".

---

* ليدا: ابنة حاكم نستاس، وزوجة حاكم سبرطة، في الميثولوجيا الإغريقية. أعجب بها زيوس، وتمثل لها في صورة ذكر أوز، وأغواها. أنجب منها هيلين طروادة- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قلت: "لا حاجة لأن تأتي معي. سوف تعود إلى النزهة".

قال شريف: "فليذهبوا إلى الجحيم. هيا بنا".

قال سبود: "ماذا أقول لهم؟ هل أقول إنك وكوينتن تشاجرتما أيضًا؟"

قال شريف: "لا تقل لهم شيئًا. قل لها إن دعوتها انتهت مع مغيب الشمس. هيا بنا، يا كوينتن . سوف أسأل هذه المرأة عن أقرب محطة لأتوبيس الضواحي".

قلت: "لا. لن أذهب إلى المدينة".

توقف شريف، وهو ينظر إليّ. عند التفاته بدت عدستا نظارته كما لو كانتا قمرين صغيرين أصفرين.

"ماذا ستفعل؟"

"لن أعود الآن إلى المدينة. اذهب معهم في الرحلة. قل لهم إنني لم أتمكن من الحضور لأن ملابسي متسخة".

قال: "اسمع. ماذا تنوي القيام به؟"

قلت: "لا شيء. أنا بخير. عُد أنت وسبود. وسوف أراكم غدًا".

سرتُ عبر الفناء نحو الطريق. قال شريف: "هل تعرف مكان المحطة؟"

"سوف أجدها. أراكم غدًا. أبلغ السيدة بلاند أسفي على إفساد حفلتها". وقفا يرقبانني. سرت حول المنزل. كان هناك ممر صخري يفضي إلى الطريق. وقد نمت الورود على جانبيه. مضيت عبر البوابة إلى الطريق. كان الطريق ينحدر إلى أسفل التل في اتجاه الغابة، وتمكنت من رؤية السيارة وهي تقف على جانب الطريق. صعدت أعلى التل. تزايدت الأضواء كلما صعدت، وقبل أن أصل الى قمة التل سمعت صوت سيارة. كانت تصدر صوتًا عن بُعد عبر الغسق، وتوقفت وأصغيتُ إلى

صوتها. لم أعد أميز السيارة بوضوح، لكن شريف كان يقف في الطريق أمام المنزل، وهو ينظر أعلى التل. خلفه كان الضوء الأصفر يبدو كطلاء على سطح المنزل. رفعتُ لهم يدي وتوجهت إلى أعلى التل، منصتًا إلى صوت السيارة. ثم اختفى المنزل، ووقفت وسط الضوء الأصفر الضارب للخُضرة، وسمعت صوت السيارة يزداد عُلوًّا، ويعلو ثم بدأ في الانخفاض إلى أن تلاشى تمامًا. انتظرت إلى أن بدأ الصوت من جديد. ثم مضيت في طريقي.

مع هبوطي، بدأ الضوء يتضاءل تدريجيًّا، لكنه ظل نفس الضوء دون تغيير كيفي، كما لو أنني لا الضوء هو مَن يتغير ويتضاءل، حتى عندما دخل الطريق بين الأشجار كان بإمكانك أن تقرأ صحيفة. وسرعان ما وصلتُ إلى طريق فرعي، دخلت فيه. كان أكثر ضيقًا وظُلمة من الطريق الرئيسي، لكني عندما وصلت إلى محطة الترولليـ التي يوجد عندها لافتة خشبيةـ كان الضوء على حاله بلا تغيير. وبعد الطريق الفرعي، بدا أكثر سطوعًا، كما لو أنني كنت أسير في الليل في الطريق الفرعي، ثم خرجت للصبح من جديد. وسرعان ما أتت السيارة. ركبت فيها، والتفت ركابها ونظروا إليَّ في عيني، ووجدت مقعدًا في الجانب الأيسر.

كانت أنوار السيارة مضاءة، ومن ثم فلم أكن أرى أي شيء عندما كانت تمر بين الأشجار فيما عدا وجهي وامرأة عبر الممر داخل السيارة تكبس على رأسها مباشرةً قبعة، ذات ريشة مكسورة، لكن ما إنْ خرجت السيارة من بين الأشجار حتى رأيت ضوء الشفق من جديد، سمة الضوء تلك التي تبدو كأن الزمن قد توقف بالفعل لبرهة، مع

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الشمس معلقة أسفل الأفق تمامًا، ثم مررنا بلافتة محطة أخرى، حيث كان الرجل العجوز يأكل فيها شيئًا ما من الكيس، والطريق يمضي تحت الغسق، إلى غسق وإحساس بماءٍ آمن وسريع في الوراء. ومضت السيارة في طريقها، وتزايد تيار الهواء البارد باضطراد في باب السيارة المفتوح إلى أن أصبح يمر بانتظام في السيارة حاملاً روائح الصيف والظلام، فيما عدا رائحة زهر العسل. كانت رائحة زهر العسل هي أكثر الروائح حزنًا في اعتقادي، وأنا أذكر الكثير من روائح زهر العسل. من بينها رائحة زهر العسل البنفسجي المعروف بالوستاريا. ففي الأيام الممطرة، التي كانت أمي لا تشعر فيها بتدهور حالتها الصحية، وكان بإمكانها أن تطل من النافذة، كنا نلعب تحت ظل الوستاريا. وعندما كانت أمي تلازم الفراش كانت ديلسي تُلبسنا ملابس قديمة وتتركنا نخرج تحت المطر، لأنها كانت تعتقد أن المطر لا يضر الأطفال الصغار. لكن في وجود أمي، كنا نبدأ اللعب على الدوام في الشرفة الأمامية، إلى أن تشكو من أننا نصدر ضوضاء شديدة، وعندها كنا نخرج لنلعب تحت عريشة الوستاريا.

كان ذلك هو المكان الذي رأيت فيه النهر آخر مرة صباح اليوم، أو هو مكان قريب منه. كنت أشعر برائحة الماء فيما وراء الغسق. وعندما كانت الأزهار تظهر في الربيع، وهي تمطر، كانت الرائحة تنتشر في كل مكان، وهو أمر لا تشعر به في أي وقت آخر، ولكن عندما كانت تمطر كانت الرائحة تبدأ في الهبوب داخل المنزل عند الغسق، سواء أكان ذلك بسبب سقوط أمطار غزيرة في الغسق، أو أن هناك شيئًا ما يحدث في الضوء ذاته، لكن الرائحة تكون على الدوام في أقوى كثافة لها إلى أن أرقد في الفراش وأنا أفكر في الوقت الذي ستتوقف فيه. والتيار البارد

القادم من الباب مشوبٌ برائحة الماء، كأنه نفَس متواصل ورطب. وفي بعض الأحيان، كنت أنوِّم نفسي بترديد ذلك عدة مرات إلى أن يمسي ذلك- بعد اختلاط زهر العسل به تمامًا- رمزًا لليل والقلق، وعندها كنت أبدو راقدًا بين النوم واليقظة، وأنا أنظر في دهليز من العتمة الرمادية تمسي فيه كل الأشياء الثابتة غائمة ومتناقضة مع كل ما فعلته، وتلقي بظلالها على كل ما شعرت به وعانيته، وتتخذ شكلاً ملحوظًا من السخرية التي تتسم بعدم السواء والشذوذ الكامنة فيها، والتي تقترن بإنكار المعنى الذي كان ينبغي أن تؤكده، مفكرًا أنني كنتُ لم أكُن مَن كان ومَن لم يكن مَن.

كنت أشم الروائح المنبعثة من منحنيات النهر فيما وراء الغسق، وكنت أرى الضوء الأخير ساكنًا وهادئًا على موجات المياه الهادئة كأجزاء من مرآة مكسورة، ثم في الوراء بدأت الأضواء في الهواء الصافي الشاحب مرتعشة قليلاً مثل فراشات تحوم من بعيد. بنچامين ابن. كيف اعتاد على الجلوس أمام هذه المرآة. ملاذ لا يخيب الظن فيه يخف فيه الصراع ويهدأ وينحل. بنچامين ابن شيخوختي أخذوه رهينةً في مصر. إيه، يا بنچامين. قالت ديلسي إن ذلك كان بسبب أن أمه أصابها الغرور بشدة حين أنجبته. إنهم يتدخلون في حياة البيض على هذا النحو منتزعين قطرات سوداء تعزل بعض الوقائع في حياة البيض، ويعتبرونها حقائق لا جدال فيها، كما لو كانت هذه القطرات يتم تحليلها تحت مجهر. أما في بقية وقتهم، فإنهم يكونون مجرد أصوات تضحك، وتبحث عما يضحكون عليه، فلا تجد ما يستدعي الضحك، كما أنهم يبكون عندما لا يكون هناك ما يستدعي البكاء. ويتراهنون على عدد المعزين في جنازة، إن كان عددًا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فرديًا أم زوجيًا. وهناك ماخور في ممفيس يترددون عليه بكثرة، وقد أخذتهم حالة من النشوة الدينية فيه، فانطلقوا عرايا في الشارع. ويستلزم الأمر ثلاثة من رجال الشرطة للسيطرة على واحد منهم. نعم يا يسوع إيه يا يسوع الطيب يا للرجل الطيب.

وقفت السيارة. نزلت منها، معهم وهم ينظرون إليّ في عيني. ولما جاء الترولي كان مزدحمًا. وقفت على المكان المرتفع في خلفية الترولي.

قال الكمساري: "هناك مقاعد خالية في الجزء الأمامي". نظرت في الترولي. لم أجد مقاعد خالية في الجانب الأيسر.

قلت: "مسافتي قريبة. سأقف هنا".

عبرنا النهر. أقصد الجسر، وكان مرتفعًا بانحناء في الفضاء، بين الصمت واللاشيء، حيث ترتعش الأضواء الصفراء والحمراء والخضراء في الجو الصافي، وهي تتكرر نفسها.

قال الكمساري: "من الأفضل أن تذهب إلى الجانب الأمامي لتجلس على كرسي". قلت: "سوف أنزل في مكان قريب. بعد تقاطعين".

نزلت قبل أن نصل إلى مكتب البريد. لا بد أنهم يجلسون الآن في مكانٍ ما ويتسامرون، ثم سمعت بعد ذلك صوت ساعتي، وبدأت أنصت لدقات الساعة، وتحسستُ رسالة شريف في جيب معطفي، والظلال المتكسرة لشجر الدردار تتدفق على يدي. ثم ما إن دخلت الفناء حتى بدأت دقات الساعة، واستمرت أصداؤها تجلجل كما لو كانت موجات تهز سطح بحيرة، وتغمرني وهي تتواصل معلنةً عن رُبع الساعة، لا بأس. ربع الساعة على ماذا؟

كانت نوافذنا مظلمة. وكان المدخل خاليًا. مشيت لصق الحائط

الأيسر عند دخولي، لكن لم يكن هناك أحد: ليس سوى درجات سُلم يصعد منعطفًا وهو يفضي إلى الظلال وأصداء أقدام الأجيال الحزينة أشبه بغبار ناعم على الظلال، توقظها قدماي مثل الغبار، لتستقر من جديد بخفة من جديد.

رأيت الرسالة قبل أن أضيء النور، وهي مسنودة على كتاب على المنضدة، حتى أتمكن من ملاحظة وجودها.

كان يُسميه زوجي. ثم قال سبود إنهم سيتوجهون إلى مكانٍ ما، ومن ثم فلن يعودوا إلا في وقت متأخر، وسوف تحتاج السيدة بلاند إلى مرافق آخر. لكنني رأيته، ولن يكون بمقدوره أن يركب سيارةً أخرى لمدة ساعة، لأنها تجاوزت السادسة.

خلعتُ ساعتي، وسمعتها وهي تتكتك عن بُعد، ولا أدري إن كانت عاجزة حتى عن الكذب. ثم وضعتها على المنضدة ووجهها لأعلى، وتناولت رسالة السيدة بلاند ومزقتها، ووضعت الورق الممزق في سلة المهملات، ثم خلعت معطفي والصديري، ثم الياقة وربطة العنق والقميص. كانت ربطة العنق ملوثة أيضًا، لكنها سوداء. ربما هي رسمٌ من الدم يمكن أن يستدعي ما كان يرتديه المسيح. عثرت على البنزين في غرفة شريف، وضعت الصديري على المنضدة، وبسطته عليها، ثم فتحت إناء البنزين.

أول سيارة في البلدة لفتاة يا فتاة هذا هو السبب في أن جاسون لا يمكنه تحمل رائحة البنزين التي تشعره بالغثيان ومن ثم جُن جنونه على نحو لم يسبق له مثيل لأن فتاة فتاة لا أخت لها إلا بنچامين بنچامين ابن أحزاني لو كانت لي أم لكان بوسعي أن أنادي أماه يا أماه استخدمتُ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كمية كبيرة من البنزين، ومع ذلك لا يمكنني القول إن كانت البقعة ما تزال كما هي أم أنها هي البنزين. تسبب ذلك في أن أشعر بالألم في جرحي من جديد، ولذا عندما توجهت للاغتسال علقت الصديري على كرسي، وأنزلت سلك الإضاءة بحيث يساعد المصباح على تجفيف البقعة. غسلت وجهي ويدي، ومع ذلك كنت أشم رائحة البنزين مع رائحة الصابون، وهي تلسع الأنف وتهيجه إلى حدٍّ ما. ثم فتحت الحقيبة وأخرجت منها قميصًا وياقة وربطة عنق، ووضعت الملابس المتسخة بالدم مكانها، وأغلقت الحقيبة ولبست ملابسي. وحين كنت أمشط شعري، دقت الساعة معلنة نصف الساعة. بل كان هناك حتى ثلاثة أرباع الساعة على أية حال إلا على فرض ***أنه لا يرى في الظلمة المنتشرة إلا وجهه فحسب ولا يرى ريشة مكسورة ما لم يكن قد رأى اثنين منهما لكنهما لا يشبهان الاثنين المتوجهين إلى بوسطن في نفس الليلة ومن ثم أصبح وجهي وجهه للحظة حين انطلقت من الظلام نافذتا ضوء مرتين بسرعة وقوة وبعد أن زال الضوء المباشر والخاطف اختفى وجهي ووجهه ولا أرى سوى رأيتُ هل رأيت لا وداع السرادق الخالي من الطعام والطريق الخالي في الظلام في الصمت والجسر المقوَّس في الظلمة والصمت وينيم المياه الوادعة والسريعة بلا وداع***

أطفأت النور وتوجهت إلى غرفة نومي، مبتعدًا عن رائحة البنزين، لكني ما أزال أشمها مع ذلك. وقفتُ في النافذة وتحركت الستارة ببطء من الظلام لتلمس وجهي، كما لو كان هناك من يتنفس وهو نائم، يتنفس ببطء في الظلمة ليترك هذه اللمسة. ***بعد أن صعدوا السُّلم كانت أمي مستندة على ظهرها في كرسيها، واضعةً منديلها المشبع بالكافور على***

فمها. وكان والدي جالسًا بلا حراك بجوارها وهو يمسك بيدها في يده والبكاء تتردد أصداؤه بعيدًا كما لو كان لا مكان له في الصمت عندما كنت صغيرًا كانت هناك صورة في واحد من كتبنا، لمكان مظلم يمر فيه مائلاً شعاعٌ وحيد خافت من الضوء على وجهين طالعين من الظل. *هل تعرف ماذا أفعل لو كنت ملكًا؟* لم تكن تتمنى أن تكون ملكةً أو جنيَّةً بل كانت دائمًا تتمنى أن تكون ملكًا أو عملاقًا أو جنرالاً *لاقتحمت ذلك المكان وأخرجتهما عنوةً وضربتهما علقةً ساخنة* لقد تمزقت هذه الصورة، وتهالكت. وكنت سعيدا بذلك. ولقد كنت أعود إليها إلى أن تحولت أمي نفسها إلى سجن لنا وأبي إلى أعلى في الضوء الخافت ممسكًا بيدها ونحن ضائعون في مكانٍ ما في الأسفل دون حتى شعاع واحد من الضوء. ثم دخلته رائحة زهر العسل. حالما أطفأتُ النور، وحاولتُ أن أنام، بدأت الرائحة تهب على الغرفة في موجات متصاعدة متصاعدة إلى أن بدأت ألهث وأحاول أن ألتقط نفَسًا، إلى أن يكون عليَّ أن أستيقظ وأتحسس طريقي مثلما كنت أفعل وأنا صبي صغير *يمكن لليدين أن تريا اللمس في العقل مشكلتين بابًا لا مرئي باب لا يمكن لليدين الآن أن تريا شيئًا* كانت أنفي ترى البتزين، والصديري على المنضدة، والباب. وكان الممر خاليًا من كافة أقدام الأجيال الحزينة الساعية للمياه. *ومع ذلك فإن العينين لا تريان وتغمضان بل تعضان بقوة مثل الأسنان حين تكز وهي غير مصدقة وتنتابها الشكوك حتى مع غياب الألم في الذقن والكاحل والركبة والتدفق الطويل وغير المرئي لسياج السلم حيث كانت عثرة مفعمة بالنوم في العتمة حيث كانت أمي وأبي وكادي وجاسون وموري والباب لم أكن أخشى فحسب من أن تكون أمي وأبي وكادي*

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وجاسون قد غرقوا في النوم فسوف أنام بسرعة عندما أجد بابًا باب باب كانت دورة المياة خالية أيضًا، المواسير، والبورسلين، والحوائط المبقعة، ثم المقعد عرش التأملات. نسيت الكوب لكن يمكنني *يمكن للأيدي أن ترى الأصابع الرطبة وهي تمسك الصنبور المخفي الشبيه برقبة الأوزة الذي يفجر الماء مثل عصا موسى التي فجرت الماء من الصخر والملمس الزجاجي غير مستقر لا بسبب الطرق الخفيف على الرقبة الباردة المحنية فعند الطرق الخفيف على المعدن تمتلئ الكأس عن آخرها وعندما تبرد الأصابع الزجاج يهدأ التدفق مخلفًا مذاق الاحتلام في الصمت الطويل للرقبة* عدتُ إلى الممر، موقظًا الأقدام الضائعة في كتائب هامسة في الصمت، إلى البنزين، والساعة تنطق بأكذوبتها الزاعقة على المنضدة الداكنة. ثم هبت الستارة كنسمة من الظلام على وجهي، تاركة النسمة على وجهي. ما يزال هناك رُبع ساعة. بعدها لن أكون موجودًا. أكثر الكلمات سلامًا. أكثر الكلمات سلامًا *لم أكن موجودًا. موجود. كنت موجودًا. لم أعد موجودًا.** في مكان ما، سمعتُ صوت الأجراس ذات مرة. ميسيسي أم ماساشوستس. كُنت. لستُ. ماساشوستس أم ميسيسي. كانت لدى شريف زجاجة في صندوق ملابسه *ألن تفتحها* السيد جاسون ريتشموند كومبسون وحرمه يعلنان *ثلاث مرات. ثلاثة أيام. ألن تفتحها* زواج ابنتهما كانديس *هذا النوع من الخمور يعلمك كيف تخلط الوسيلة بالغاية* أنا موجود. أشرب. لم أكن. فلنبع مرعى بنچي حتي يلتحق كوينتن بهارڤارد وقد أخبط عظامي بعضها بالبعض الآخر. سوف أكون ميتًا في. قالت كادي

---

* باللاتينية في الأصل: Non fui. Sum. Fui. Non sum ـ المترجم.

ألم يكن عامًا واحدًا. شريف لديه زجاجة في صندوق ملابسه. سيدي لن أحتاج لما لدى شريف، فقد بعتُ مرعى بنچي، ويمكنني أن أموت في هارڤارد، قالت كادي في كهوف البحر ومغاراته التي تعابثها في دعة موجات المد والجزر نظرًا لأن هارڤارد جميلة إلى هذا الحد فإن أربعين فدانًا ليست بالثمن الباهظ لمثل هذا الصوت الجميل. صوت ميت جميل سوف نقايض مرعى بنچي بصوت جميل ميت. ولسوف يستمر ذلك بالنسبة له لمدة طويلة، لأنه لن يتمكن من سماعه، إن لم يتمكن من شَمه حالما *كان يشرع في البكاء حين كانت تأتي إلى الباب* كنت أظن طوال الوقت أنه واحد من سكان المدينة التافهين الذين كان والدي يغريها بهم إلى أن. لم ألق له بالاً أكثر مما كنت أهتم بأي طبال آخر غريب أو خيال مآته إلى أن أدركت فجأةً أنه لا يفكر فيَّ على الإطلاق على أنني أمثل مصدر أذى محتمل بل كان يفكر فيها هي عندما كان ينظر إليَّ وأنه عندما كان ينظر إليَّ إنما كان ينظر إليها من خلالي مثما ينظر المرء من خلال قطعة من الزجاج الملون *لماذا تتدخل في شئوني ألا تدري ألا جدوى من ذلك كنت أظن أنك تركت ذلك لأمي وجاسون*

هل دفعت أمي جاسون للتجسس عليك لم أكن لأفعل ذلك.

تستخدم المرأة قواعد الشرف لدى الشعوب الأخرى وذلك لأنها تحب كادي ماكثةً في الطابق السفلي حتى عندما تكون مريضة حتى لا يسخر أبي من خالي موري أمام جاسون وكان أبي يقول إن خالي موري معلوماته في الدراسات الكلاسيكية ضعيفة للغاية بحيث لن ينافس حتى على الصبي الأعمي الخالد* وهو يفضل جاسون لأن جاسون يرتكب

---

* الصبي الأعمى الخالد تعبير كان يطلق على كيوبيد- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نفس الحماقات التي يرتكبها الخال موري شخصيًا كما أنه لن يجعل أحدًا يلكمة في عينه وابن باترسون أصغر من جاسون أيضًا وكانا يبيعان الطائرة الورقية بربع دولار إلى أن واجه جاسون مشاكل مالية فبحث عن شريك أصغر سنًا صغير بما فيه الكفاية لأن تي پي قال إن جاسون ما يزال أمين الصندوق ولكن أبي قال لماذا يتعين على خالي موري أن يعمل إذا كان أبي بإمكانه أن يعول خمسة أو ستة من الزنوج لا يفعلون شيئًا سوى الجلوس أمام الفرن لتدفئة أقدامهم فمن المؤكد أنه يمكنه أن يعول خالي موري وأن يتكفل بمصروفاته ويقرضه بين حين وآخر بعض المال الأمر الذي يؤكد على إيمانه بأنه ينحدر من أسره عريقة في شرفها وعندها تبكي أمي وتقول إن أبي يعتقد أن أسرته ذات أصول أكثر شرفًا من أسرتها وأنه يهزأ بخالي موري ولتعلمنا الدرس الذي ترى أن أبي لم يعلمنا إياه وهو أن كافة البشر ليسوا إلا ركامًا من الدُّمَى المحشوة بنشارة الخشب وأنها انجرفت من أكوام القمامة التي ألقيت فيها كافة الدُّمى السابقة بعيدًا وأن النشارة الناعمة تتدفق من أي جرح في أي جانب من الدمية لم يمت حسبما كنت أعتقد ذلك. ولقد كنت في ذلك الحين أعتقد أن الموت رجل يشبه جدي إلى حدٍّ ما وصديق له عسكري من رتبة صغيرة أو صديق من نوعٍ ما له وكنا نؤمن بأن مكتب جدي لا ينبغي لأحد أن يلمسه أو حتى أن يتحدث بصوت مرتفع في الغرفة التي كان يوجد بها وكنت أعتقد على الدوام أنهم في مكانٍ ما ينتظرون في مكان مرتفع وراء أشجار السدر الكولونيل سارتوريس الذي يوجد في مكان أكثر ارتفاعًا وهو ينظر إلى شيءٍ ما بعيد وأنهم ينتظرون أن ينتهي من تحديقه في هذا الشيء البعيد وينظر إليهم وأن جدي كان يرتدي ملابسه

العسكرية وكنا نسمع همهمة أصواتهم من وراء أشجار السدر وكانوا يتحدثون على الدوام كما أن جدي كان على صواب في كلامه على الدوام.

بدأت الساعة ترن معلنةً ثلاثة أرباع الساعة. كانت الرنة الأولي تتردد محسوبةً وهادئة، بصفاء قاطع، مفسحة السبيل- في الصمت المتواني- للدقة التالية، وهذا هو الصواب لو كان بوسع الناس أن يحل كل منهم محل الآخر إلى الأبد على هذا النحو ويمتزجون سويًّا مثلما تمتزج ألسنة اللهب لترتفع للحظة ثم تتبدد في الظلمة الأبدية الباردة، بدلاً من الرقاد هناك ساعين ألا يفكروا في تغير الأحوال إلى أن تصدر عن كافة أشجار السدر رائحة الموت العنيفة التي كان بنچي يكرهها أيضًا. وبمجرد تخيل مجموعة الأشجار تبدي لي أنني يمكنني أن أسمع سر الهمسات وهو ينبثق، وأن أشم نبض الدماء الساخنة تحت اللحم العاري الجامح، وأنا أرقب من خلال جفوني الملتهبة الخنازير وهي تندفع دون رابط أو كابح أزواجًا وراء أزواج وتجامع بعضها بعضًا في البحر وهو علينا أن نظل منتبهين وأن نرى الشر يحدث لبعض الوقت وإن كان لا يحدث دائمًا وأقول لا ينبغي أن يكون كذلك على هذا النحو لأمد طويل لإنسان يتمتع بالجسارة ويقول هل تعتبر ذلك شجاعة وأقول نعم يا سيدي ألست أنت وهو وكل إنسان هو الحكَم على فضائله وسواء ما إن كنت تعتبره عملاً شجاعًا أم لا فإن ذلك أكثر أهمية من الفعل ذاته أكثر من أي فعل وإلا فإنك لا تكون جادًّا وقلت ألا تعتقد أنني جاد ويقول أعتقد أنك جاد للغاية عندما توضح لي أي سبب للفزع الذي لم تشعر به هو الذي دفعك لأن ترى أن من المناسب أن تخبرني بأنها ارتكبت زنا المحارم خلاف ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فقلت إنني لم أكن أكذب لم أكن أكذب فقال أنت كنت ترغب في أن تعلي من شأن عمل صغير من أعمال الحماقة البشرية إلى مرتبة البشاعة ثم تتخلص منه بالصدق فقلت كان ذلك كي أعزلها بعيدًا عن العالم الصاخب بحيث ينجينا ذلك من الضرورة ومن ثم من صخبه كما لو أنه لم يكن موجودًا فقال هل حاولت مرةً أن تجعلها تفعل ذلك فقلت كنتُ أخشى أن أجعلها ترتكب ذلك كنت أخشى كنت أخشى أنها قد تفعل ذلك وما كان ذلك ليكون خيرًا ولكن لو أمكنني أن أُعرفك أننا قد ارتكبنا ذلك فإن الصخب سوف يملأ العالم فقال والآن فإن هذا لا تكذب فيه الآن أيضًا ولكنك لا تزال لا ترى ما في دخيلة نفسك بالنسبة لهذا الجانب من الحقيقة العامة المتمثلة في تعاقب الأحداث الطبيعية ومسبباتها الذي يلقي بظلاله على ذكاء كل إنسان حتى المعتوهين من أمثال بنچي فأنت لا تفكر في الفناء بل في أن النفس تنتقل إلى عالم الخلود وهي الحالة التي من شأن العقل أن يكون فيها على درجة من التناسق تعلو على الجسد ويكون واعيًا فيها في الوقت ذاته بنفسه وبالجسد هذه الحالة لا تنفيك تمامًا بل إنك حتى لا تموت فيها فقلت بشكل مؤقت فقال لن يكون بوسعك تحمل التفكير بأن الموت لن يضرك على هذا النحو وحين تفكر في الأمر على هذا النحو فإنك تعتبر الموت على ما يبدو مجرد تجربة من شأنها أن تجعل شعر رأسك يشيب بين عشية وضحاها إذا صح القول دون أن يتغير مظهرك ولن تسعى للموت في ظل هذه الظروف لأن ذلك يُعد من قبيل المقامرة والأمر الغريب هو أن الإنسان الذي حملت به أمه بالصدفة والذي يُعد كل نفس يصدر عنه مجرد رمية جديدة لنرد تقربه من الرمية النهائية للنرد التي يعرف سلفًا

نتيجتها ويعلم ألا فكاك له من مواجهتها دون أن يحاول اللجوء لمختلف الأعذار من العنف وحتى السفسطة التي لا تنطلي حتى على طفل إلى أن يأتي يومٌ ما يخاطر فيه بقرف بكل شيء بقلبة عشوائية لورقة لعب ولن يقوم إنسان بذلك بدافع من أول نوبة من الشعور باليأس أو الندم أو الفجيعة بل يقوم بذلك فحسب عندما يتأكد من أنه حتى اليأس أو الندم أو الفجيعة أمور لم تعد لها أهمية خاصة له أي بالنسبة لرامي النرد الغامض فقلت هو شعور مؤقت فقال من الأمور التي يصعب تصديقها أن تفكر بأن علاقة حب أو تعاطف سندٌ يشتريه المرء دون قصد وينتهي أجله شئنا ذلك أم أبينا ويتم استرداده دون سابق إنذار لنستبدله بأي إصدار آخر تصادف أن الآلهة تطرحه في ذلك الوقت كما أنه من الصعب تصور أنك لن تفعل ذلك إلا إذا توصلت إلى اعتقاد أنه حتى هي ربما لا تستحق اليأس فقلت لن أفعل ذلك وليس هناك مَن يعرف ما أعرفه فقال أعتقد أن من الأفضل أن تذهب إلى كامبردج على الفور ومن الممكن أن تذهب إلى ولاية مِين لتقضي شهرًا هناك وهذا أمر يمكنك القيام به بقدر من الحرص في النفقات وربما يكون من الأفضل لك أن تدرك أن المال داوى من الجراح أكثر من الجراح التي داواها المسيح فقلت لنفرض أنني صدقت ما تؤمن به فلن يدوم ذلك أكثر من الأسبوع القادم أو الشهر المقبل فقال عليك عندئذٍ أن تتذكر أن الذهاب إلى هارڤارد كان حلم أمك منذ أن ولدتك وليس من طبع أحد من آل كومبسون أن يخيب أمل امرأة فقلت سوف يكون ذلك من الأفضل بالنسبة لي وبالنسبة لنا جميعًا فقال كل إنسان هو الحكَم الأخير على فضائله وليس لإنسان أن يحدد للآخرين ما يصح أن يقوموا به فقلت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مؤقتًا فقال هذه الكلمة هي أكثر الكلمات إثارة للأسى فلا شيء خلاف ذلك في العالم فلن يكون هناك يأس ما لم يكن في الزمان ولا يكون الزمان زمانًا إلا بعد أن ينقضي

دقت الرنة الأخيرة. توقفت الأصداء في النهاية وحل الظلام مرةً أخرى. دخلتُ إلى غرفة الجلوس وأضأت النور. ارتديت الصديري. كانت رائحة البنزين قد خفت الآن، ولا تكاد تشعر بها، ولم تكن البقعة ظاهرة في المرآة. ليس كشأن الكدمة على عيني على أية حال. ارتديت معطفي. كانت الرسالة التي كتبتها لشريف تصدر خشخشة في ملابسي، فأخرجتها وألقيت نظرة على العنوان، ووضعتها في جيبي الجانبي. ثم حملت الساعة إلى غرفة شريف ووضعتها في درجه، وتوجهت إلى غرفتي وأحضرت منديلاً نظيفًا، وتوجهت إلى الباب، وأطفأت الضوء في الغرفة. ثم تذكرت أنني لم أنظف أسناني، وكان عليَّ أن أفتح الحقيبة مرةً أخرى. عثرت على فرشاة الأسنان، وأخذت بعض معجون الأسنان من أنبوبة شريف، وقمت بتنظيف أسناني. عصرت الفرشاة قدر المستطاع ووضعتها في الحقيبة، وأغلقتها، ثم توجهت إلى الباب مرةً أخرى. وقبل أن أغلق النور نظرت حولي لأرى إن كنت قد نسيت شيئًا آخر وأدركت أنني قد نسيت قبعتي. كان عليَّ أن أتوجه إلى مكتب البريد، ومن المؤكد أنني سأقابل أحدهم، وسيعتقدون أنني أحد الطلاب الذين يمرون في ميدان هارڤارد، والذين يتظاهرون أنهم في السنة النهائية. وقد نسيت أن أنظف القبعة بالفرشاة أيضًا، لكن شريف كان لديه فرشاة، ومن ثم لم يعد يلزمني أن أفتح الحقيبة مرةً أخرى.

6 أبريـــل 1928

أقول إن من تكون فاجرةً مرةً تكون فاجرةً على الدوام. وأقول أنتِ محظوظة لو كان كل ما يقلقك هو تهربها من المدرسة. وأقول يتعين عليها أن تكون هنا في هذا المطبخ الآن، وعلى الفور، بدلاً من الجلوس في غرفتها في الطابق العلوي لتضع الأصباغ على وجهها، وتنتظر ستة من الزنوج- الذين لا ينهضون من على كرسي ما لم يحصلوا على وعاء ممتلئ بالخبز واللحم ليعيد لهم توازنهم- ليعدوا لها إفطارها.

"لكن أن أجعل المسئولين في المدرسة يظنون أنني لا يمكنني السيطرة عليها، ذلك ما لا أستطيع.."

قلت: "طيب. هل يمكنك السيطرة عليها؟ هل في وسعك ذلك؟ أنتِ لم تحاولي على الإطلاق أن تقومي بأي تصرف معها من قبل. فكيف تتوقعين أن تشرعي في ذلك في هذا الوقت المتأخر، بعد أن أصبح سنها سبعة عشر عاما؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فكرت أمي في ذلك لبعض الوقت.

قالت: "ولكن أن أجعلهم يظنون أن.. بل إنني لم أعلم حتى أن لها شهادة بأعمال السنة. فقد قالت لي في الخريف الماضي إنهم لم يعودوا يصدرون مثل هذه الشهادات في العام الحالي. والآن يتصل بي الأستاذ جونكين تليفونيًا ليبلغني أنها لو غابت مرة أخرى، فسوف يفصلونها من المدرسة. فكيف تفعل ذلك؟ وأين تذهب؟ أنت تذهب إلى وسط البلدة طوال النهار، ولابد أنك رأيتها تتسكع في الشوارع".

قلت: "أجل. هذا لو كانت تتسكع في الشوارع. ولكني لا أظن أنها تتهرب من الذهاب للمدرسة لتفعل شيئًا على الملأ".

قالت: "ماذا تقصد؟"

قلت: "لا أقصد شيئًا. ولكني أرد على سؤالك فحسب". فشرعت عندئذٍ في البكاء مرةً أخرى، وهي تقول كيف أن أناسا من لحمها ودمها يجلبون لها اللعنة.

قلت: "أنت سألتني".

قالت: "لا أقصدك. فأنت من دونهم جميعًا لا تتسبب في أي لوم لي".

قلت: "من المؤكد أنني لم تتح لي الفرصة للذهاب إلى هارفارد، أو أن أعكف على الإفراط في تناول الخمر. لقد تعين علي أن أعمل. ولكن إذا كنت تودين أن أراقبها، وأن أعرف ما تقوم به، فيمكنني أن أترك العمل في المحل، وأعمل في وظيفة ليلية. ومن ثم، أتمكن من مراقبتها خلال النهار. ويمكنك أن تستخدمي بن لمراقبتها بالليل".

قالت، وهي تبكي على الوسادة: "أعرف أنني مصدر متاعب لك وعبء عليك".

قلت: "أعلم ذلك. فقد كررتِه على مسامعي على مدى ثلاثين عامًا. ولابد أن بن يعرف ذلك الآن. هل تودين أن أحدثها في هذا؟"

قالت: "هل ترى جدوى من ذلك؟"

قلت: "لا. إذا كنت سوف تتدخلين عندما أبدأ في ذلك. فإذا كنت تودين أن أسيطر عليها، فكل ما عليك هو أن تقولي ذلك، ولا تتدخلي في الأمر. فكل مرة أحاول فيها ذلك تتدخلين، لتجعليها تسخر مني ومنك".

قالت: "لا تنس أنها من لحمك ودمك".

قلت: "بالتأكيد. هذا ما أفكر فيه.. لحم. وقليل من الدم أيضًا، إذا ما مضيت في طريقي. وعندما يتصرف الناس مثلما يتصرف الزنوج، فليس المهم مَن هم، والأمر الوحيد الذي يتعين القيام به هو معاملة أي منهم مثل أي زنجي".

قالت: "أخشى أن تنفلت أعصابك عند التعامل معها".

قلت: "حسنًا. لم يحالف الحظ أسلوب تعاملك معها. فهل تريدين أن أفعل شيئًا ما في هذا الصدد، أم لا؟ عليك أن توضحي ذلك بشكل أو بآخر، حيث يتعين عليَّ الذهاب للعمل".

قالت: "أعرف أنك تكد طول حياتك من أجلنا. وأنت تعلم أنني لو كان الأمر بيدي لفتحت لك مكتبًا لتعمل فيه، عمل يليق برجل من آل باسكوم. لأنك تنتمي لأسرة باسكوم، بصرف النظر عن اسمك. وأدرك أنه لو كان بوسع والدك أن يتوقع.."

قلت: "حسنًا. أعتقد أن من حقه مثل كافة البشر أن يخطئ بين حين وآخر في توقعاته، مثله في ذلك مثل هذا أو ذاك من الناس".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

شرعت في البكاء مرةً أخرى.

قالت: "كيف تتحدث بمثل هذه المرارة عن المرحوم والدك".

قلت: "لا بأس عليك. لا بأس. افعلي ما تشائين. ولكن بما أنني لا أمتلك مكتبًا، فعليَّ أن أتصرف بما تحت يدي. هل تودين أن أقول لها أي شيء؟".

قالت: "أخشي ألا تتمالك أعصابك معها".

قلت: "حسنًا. لن أقول شيئًا، إذن".

قالت: "لكن لابد من عمل شيءٍ ما. فهل أدع الناس يظنون أنني أسمح لها بأن تتهرب من الذهاب للمدرسة، وتتسكع في الشوارع، أو يظنون أنني لا يمكنني أن أمنعها من ذلك.. يا جاسون. كيف يكون في مقدورك يا جاسون أن تتركني أتحمل هذا الأعباء وحدي".

قلت: "لا بأس. أنت تسببين في إمراض نفسك. لماذا لا تغلقين الباب عليها طوال النهار، أو تتركيها لي ولا تشغلي نفسك بها؟"

قالت باكية: "إنها لحمي ودمي".

لهذا قلت: "لا بأس. سوف أتدبر أمرها. وكُفي الآن عن البكاء".

قالت: "تمالك أعصابك عندما تتحدث معها. وتذكر أنها مجرد طفلة".

قلت، وأنا أغلق الباب خلفي: "لا. لن أفقد أعصابي".

نادت: "يا جاسون". لم أرُد. نزلت عبر الردهة. وسمعت صوتها من وراء الباب: "جاسون". نزلت على السُّلم .لم يكن هناك أحدٌ في غرفة الطعام، ثم سمعت صوتها في المطبخ. كانت تطلب من ديلسي كوبًا آخر من القهوة. فدخلت إلى المطبخ.

قلت: "أعتقد أن ما ترتدينه هو زي المدرسة، أليس كذلك؟ أم أن اليوم ربما عطلة؟"

قالت: "نصف كوب فحسب يا ديلسي، من فضلك".

قالت ديلسي: "لا، لن أعطيك. كفاك كوب منها، فأنت فتاة في السابعة عشر من العمر، فضلاً عما يمكن أن تقوله السيدة كارولين. هيا اذهبي والبسي ملابس المدرسة، لتركبي مع جاسون وتذهبي إلى المدينة، هل تريدين أن تتأخري مرةً أخرى".

قلت: "لا، لن تفعل ذلك. وسوف نتدبر ذلك على الفور". نظرت إليَّ، والكوب في يدها. مشطت شعرها الذي كان منسدلاً على وجهها إلى الوراء، وكان الكيمونو متهدلاً من فوق كتفها. قلت: "ضعي هذا الكوب من يدك، وتعالي هنا في دقيقة".

قالت: "لماذا؟"

قلت: "تعالي. ضعي الكوب في الحوض، وتعالي هنا".

قالت ديلسي: "ماذا ستفعل يا جاسون، الآن؟"

قلت: "قد تظنين أنك يمكنك أن تتخطيني مثلما تفعلين مع جدتك ومع الآخرين. لكنك ستكتشفين أن الأمر على خلاف ذلك. أمهلك عشر ثوان لوضع هذا الكوب، كما قلت لك".

ابتعدت بنظرها عني. نظرت إلى ديلسي. قالت: "كم الساعة الآن، يا ديلسي؟ عندما تمر عشر ثوان، صفِّري لي. اعطيني فقط نص كوب من القهوة. ديلسي، من فضـ...".

جذبتها من ذراعها. أسقطت الكوب. انكسر على الأرضية وتراجعت إلى الوراء، وهي تنظر إليَّ، لكني قبضتُ على ذراعها. هبت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ديلسي واقفة من كرسيها.

قالت: "انتظر، يا جاسون".

قالت كوينتن: "اتركني. وإلا صفعتك على وجهك".

قلت: "تصفعينني، حقًا؟ تصفعينني، حقًا؟" مدت يدها لتصفعني. أمسكت يدها هذه أيضًا، وأمسكت بها كقطة متوحشة. قلت: "تصفعينني، حقًا؟ أتظنين أنك ستفعلينها؟"

قالت ديلسي: "اهدأ، يا جاسون". جرجرتها إلى غرفة الطعام. انفتح الكيمونو، وانزلق من عليها، وأصبحت شبه عارية. جاءت ديلسي وهي تعرج. دفعت الباب برجلي وأغلقته في وجهها.

قلت: "لا تأتي إلى هنا".

كانت كوينتن تتكئ على المائدة، وهي تزرر الكيمونو. نظرت إليها.

قلت: "الآن. أريد أن أعرف ما الذي ترمين إليه، حين تتهربين من المدرسة، وتكذبين على جدتك، وتزورين إمضاءها على شهادة درجاتك المدرسية، وتزعجينها إلى حد المرض. ما الذي تقصدينه من ذلك؟"

لم ترد بشيء. كانت تزرر الكيمونو حتى وصلت إلى ذقنها، وأحكمته حول جسدها، وهي تنظر إليّ. لم تكن قد وضعت الأصباغ على وجهها بعد، وبدا كما لو أنه يلمع بعد تنظيفه بخرقة مبللة بالزيت. توجهت إليها، وقبضت بيدي على رسغها. قلت: "ماذا تقصدين من ذلك؟"

قالت: "لا شأن لك بذلك. اتركني".

دخلت ديلسي من الباب. قالت: "تمهل، يا جاسون".

قلت لها، دون أن ألتفت خلفي: "اخرجي من هنا، كما قلت لك. أريد أن أعرف أين تذهبين بعد أن تهربي من المدرسة. أنت تبتعدين عن الشوارع، وإلا لكنت رأيتك. مع مَن تهربين؟ هل تختبئين في الغابة مع واحد من أولئك الفتية المائعين الذين يصففون شعرهم بالزيت؟ هل هذا هو المكان الذي تذهبين إليه؟"

قالت: "أنت.. أنت عجوز ملعون". حاولت أن تقاوم، لكني أحكمت الإمساك بها. فقالت: "عليك اللعنة".

قلت: "سوف أريكِ. قد يكون بوسعك أن تصيبي امرأة عجوزًا بالفزع، لكني سوف أريك مَن ذا الذي يتحكم فيكِ الآن". أمسكتها بإحدى يدَيَّ، فكفت عن المقاومة ونظرت إليَّ، وعيناها تتسعتان وتكفهران.

قالت: "ماذا ستفعل؟"

قلت، وأنا أفك حزامي: "انتظري إلى أن أفك هذا الحزام، وسوف أريكِ". أمسكت ديلسي بذراعي.

قالت: "جاسون. أنت، يا جاسون! ألا تخجل من نفسك؟"

صرخت كوينتن: "ديلسي. ديلسي".

قالت ديلسي: "لن أتركه. لا تقلقي، يا حبيبتي". وتشبثت ديلسي بذراعي. انفلت الحزام، وخلصت ذراعي منها، ودفعتها بعيدًا. وقعت على المائدة. كانت قد طعنت في السن، ولا تكاد تتحرك إلا بالكاد. لكن لا بأس: فنحن نحتاج إلى أحدهم في المطبخ ليلتهم الطعام الذي يعجز الشبان عن التهامه. أتت ديلسي متعثرةً لتفصل بيننا، محاولةً أن تمسك بي مرةً أخرى. قالت: "اضربني أنا، إذن. إذا كان لابد لك من أن تضرب

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أحدًا. اضربني أنا".

قلت: "أتظنين أنني لن أضربك؟"

قالت: "لا أستبعد أن تقوم بأي عمل شيطاني". ثم سمعت صوت أمي وهي تصعد السُّلالم. وربما كنت أدرك أنها لن تلتزم بالبقاء خارج الموضوع. أطلقت يد كوينتن. تراجعت متعثرة إلى الحائط، ممسكةً بالكيمونو حتى لا ينفتح.

قلت: "لا بأس. سوف نؤجل ذلك لبعض الوقت. ولكن لا تظني أن يوسعك أن تفلتي مني. فأنا لست بامرأة عجوز، ولا بزنجية عجوز توشك على الموت، أيتها الفاجرة الصغيرة الملعونة".

قالت: "ديلسي. أريد أمي، يا ديلسي".

ذهبت ديلسي إليها، وقالت: "اهدئي، اهدئي. لن يضربك وأنا هنا". أتت والدتي من أعلى السلم.

قالت: "أنت، يا جاسون. أنت، يا ديلسي".

قالت ديلسي لكوينتن: "اهدئي، اهدئي. لن أدعه يمسك". وضعت يدها على كتفها. دفعت يدها من فوق كتفها.

قالت: "أنت زنجية عجوز ملعونة". وجرت نحو الباب.

قالت أمي، وهي أعلى السلم: "أنتِ، يا ديلسي". ركضت كوينتن إلى أعلى السلالم، مارةً بها. قالت أمي: "كوينتن. أنت، يا كوينتن" واصلت كوينتن الجري. سمعتها حين وصلت إلى الطابق العلوي، ثم إلى الصالة. ثم انصفق الباب.

توقفت أمي. ثم دخلت. قالت: "ديلسي".

قالت ديلسي: "حسنًا. أنا قادمة. اذهب أنت وجهز السيارة الآن،

وانتظر حتى يمكنك أن تصحبها معك إلى المدرسة".

قلت: "لا تقلقي. سوف آخذها إلى المدرسة وسأتأكد أنها دخلتها وباقية فيها. لقد بدأتُ هذا الامر، وسوف أواصل القيام به".

نادت أمي من السلالم: " يا جاسون".

قالت ديلسي، وهي متجهة صوب الباب: "اذهب الآن. هل تريد أن تزعجها هي أيضًا؟ أنا قادمة، يا سيدة كارولين".

خرجْت. كنت أسمعهما على السلالم. كانت ديلسي تقول: "عودي إلى فراشك الآن. ألا تعرفين أنك لستِ حتى الآن على ما يُرام بما يكفي لمغادرة الفراش؟ عودي الآن. وسوف أجعلها تذهب إلى المدرسة في الموعد المحدد".

توجهتُ خلف المنزل كي أحضر السيارة، وكان عليَّ أن أدور حول المنزل لأصل إلى الواجهة، حيث وجدتهم هناك.

قلت: "أعتقد أنني قلت لك أن تبدل الإطار الخلفي للسيارة".

قال لاستر: "لم يكن لديَّ وقت. لم يكن هناك مَن يرعاه، إلا بعد أن انتهت أمي من عملها في المطبخ".

قلت: "أجل. فأنا أطعم مطبخًا لعينًا بكامله يعج بالزنوج الذين لا يقومون بشيء سوى رعايته، ولكن إذا أردت تبديل إطار سيارة، فلابد أن أقوم بذلك بنفسي".

قال: "لم أجد أحدًا لأتركه معه". ثم بدأ بنچي يبكي ويريل.

قلت: "خذه معك خلف المنزل. لماذا تريد إبقاءه هنا، بحيث يمكن للناس رؤيته؟" عملت على إبعادهما، قبل أن يبدأ في البكاء بصوت مرتفع. فهذا أمر سيئ للغاية في أيام الآحاد، حين يكون هناك الكثير من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الناس في هذا الملعب لا يشغلهم شاغل، ولا يتحملون عبء إطعام ستة من الزنوج، وكل ما يفعلونه هو أنهم يتقاذفون كرة صغيرة. وعندها تجده يجري ذهابًا وجيئةً حول السياج، وهو يبكي كلما رآهم إلى أن ينتابني الظن أنهم سوف يفرضون علينا رسوم لعب الجولف، وعندها سيكون على أمي وديلسي أن يحضرا مقبضي باب كروبين وعكازين لتلعبا الجولف، إن لم ألعب الجولف في الليل على ضوء فانوس. عندها، يعلم الله، قد يرسلوننا إلى مستشفى المجانين، ويحتفلون بأسبوع لم الشمل* بعد ذلك.

عدت إلى الجراج. كان هناك الإطار، مسنودًا إلى الحائط، لكن اللعنة على ذلك لأنني سوف أقوم باستبداله. عُدت بالسيارة للخلف ثم استدرت للتوجه للناحية الأخرى. كانت تقف عند الطريق الخصوصي.

قلت: "أعلم أنك لا تحملين كتبًا: لكن أود فحسب أن أسأل ماذا فعلتِ بها، إذا كان لي أن أتدخل في هذا الشأن. وبالطبع فليس من حقي أن أسأل عن ذلك. لكني الشخص الذي دفع 11.65 دولارًا ثمنًا لها في سبتمبر الماضي".

قالت: "أمي هي مَن يشترى لي الكتب. ولست مدينةً لك بسنت واحد. فأنا أفضل أن أموت جوعًا قبل ذلك".

---

* أسبوع لم الشمل: احتفال يقام على فترات زمنية في انحاء متفرقة من الولايات المتحدة، تدعو إليه المجالس المحلية في المدن والبلدات عادة أبناء البلدة الذين ولدوا وترعرعوا فيها قبل أن يغادروها، واستضافتهم للم شملهم مع أسرهم التي لم تغادر المدينة أو البلدة؛ وتقام فيه المآدب والاحتفالات الموسيقية والعروض الفنية تعبيرا عن الحفاوة بهم ـ المترجم.

قلت: "هكذا؟ قولي ذلك لجدتك ذلك، وَاسمعي ما ستقوله. لا تبدين عاريةً تمامًا، بل إن المساحيق التي تضعينها على وجهك تخفي أكثر مما تخفي هذه الملابس منك".

قالت: "هل تظن أن هذه دُفع فيها سنت واحد من مالك أو مالها؟"

قلت: "اسألي جدتك. اسأليها عن مصير تلك الشيكات. لقد رأيتِها وهي تحرق واحدًا منهم، على ما أذكر". لم يكن يبدو أنها تصغي إليَّ، ووجهها ملطخ بالأصباغ وعيناها قاسيتان كعيني كلب شرس.

قالت، وهي تضع يدها على فستانها: "هل تعلم ما كنت سأفعله لو أن هذا قد دفعتَ أنت فيه أو هي حتى لو سنتًا واحدًا؟"

قلت: "ماذا كنت ستفعلين؟ هل كنت ستلبسين برميلا؟"

قالت: "كنت سأمزقه على الفور، وألقي به في الشارع. ألا تصدقني؟"

قلت: "مؤكدٌ أنك كنت ستفعلين ذلك. فأنت تفعلينه طوال الوقت".

قالت، وهي تمسك بياقة فستانها كما لو كانت ستمزقه: "سأريك إن كنت سأفعل ذلك".

قلت: "لو مزقتِ هذا الفستان، فسوف أعطيك هنا علقة على الفور لن تنسيها طوال حياتك".

قالت: "سنرى إن كنت لن أفعل ذلك". بعدها، تبينت أنها تحاول بالفعل أن تمزق فستانها، أن تمزقه عن جسدها. عندها أوقفت السيارة، وأمسكت بيديها، وكان نحو عشرة أشخاص ينظرون إلينا. جُن جنوني لبرهة وغشت غشاوة عيني.

قلت: "لو فعلتِ شيئًا كهذا مرةً أخرى، سوف أجعلك تندمين على

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أنك وُلدت".

قالت: "أنا آسفة الآن". توقفت عما كانت تقوم به، ثم أصبح شكل عينها غريبًا إلى حدٍّ ما، وقلت لنفسي لو بكيتِ في هذه السيارة، في الشارع، فسوف أضربك. سأمحوك. ولحسن حظها، لم تبك، فأطلقت معصميها، وواصلت قيادة السيارة. من حسن الحظ أيضًا أننا كنا قُرب إحدى الحارات، حيث تمكنت عبرها من الوصول إلى شارع خلفي، متجنبًا الميدان. كانوا قد نصبوا خيمة في ساحة بيردس. وقد أعطاني إيرل تصريحين لواجهتي عرض تابعتين لنا. كانت تجلس وهي تشيح بوجهها، وتعض على شفتيها. قالت: "أنا آسفة الآن. لست أدري السبب في أنني ولدتُ أصلاً".

قلت: "وأنا أعرف شخصًا آخر على الأقل لا يفهم كل ما يعلمه عن ذلك". توقفتُ أمام المدرسة. كان الجرس قد رن، وآخر التلميذات يدخلن. قلت: "لقد وصلتِ في الموعد لمرة واحدة، على أية حال. فهل ستدخلين وتظلين في الداخل، أم أنه يتعين عليَّ آتي معك لأُدخلك؟" خرجت من السيارة، وصفقت الباب. قلت: "تذكري ما قلته. فأنا أعني ما أقول. فلا تجعليني أسمع مرةً أخرى أنك تنسلين من المدرسة لتتسكعي في الحواري مع واحد من هؤلاء الفتية الملاعين".

استدارت وقالت: "أنا لا أهرب من المدرسة. وأتحدى أن يعرف أحد ما أفعله".

قلت: "الجميع يعرفون ما تفعلين. وأهل هذه المدينة جميعًا يعرفون من أنت. ولكني لن أسمح بذلك بعد الآن، أتسمعينني؟ لا يعنيني أنا نفسي ما تفعلين. لكن لي مركزًا في هذه المدينة، ولن أسمح بأن يتصرف

أحد من أسرتي مثل عاهرة زنجية. هل تسمعين ما أقول؟"

قالت: "لا يهمني. أنا فتاة سيئة، وسأذهب إلى الجحيم، ولا يهمني. وأفضل أن أكون في الجحيم عن أن يجمعني أي مكان معك".

قلت: "لو سمعت مرةً أخري أنك تهربت من المدرسة فسوف أجعلك تتمنين الجحيم". استدارت وجرت عبر فناء المدرسة. قلت: "أذكرك بما قلت، مرةً أخرى". لكنها لم تلتفت إليّ.

توجهتُ إلى مكتب البريد، وأخذت بريدنا، ثم سرت بالسيارة إلى المحل، وركنت السيارة. نظر إيرل إليّ عندما دخلت. لقد منحته فرصة أن يقول شيئًا ما عن تأخري، لكنه قال:

"تلك المعازق الآلية وصلت. ومن الأفضل أن تساعد العم جوب في تجميعها".

توجهت إلى الجزء الخلفي من المحل، حيث كان جوب العجوز يخرجها من الصناديق، بمعدل ثلاثة مزاليج في الساعة.

قلت: "كان من الأفضل أن تعمل لديَّ. فكل زنجي خامل في المدينة يأكل من مطبخي".

قال: "أنا أعمل بما يرضي الرجل الذي يدفع لي أجري كل ليلة سبت. وحين أفعل ذلك، لا يبقى لي المزيد من الوقت لإرضاء غيره". فك جوب صامولة. قال: "هل هناك من يعمل بهمة في هذه البلدة في أيامنا هذه سوى دودة القطن".

قلت: "لعله من دواعي سرورك أنك لست دودة قطن تقف دون عمل على هذه المعازق. فعليك أن تستميت في العمل قبل أن يصبحوا على استعداد للاستغناء عنك".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "هذا صحيح. إن دودة القطن تواجه أوقاتًا عصيبة. فهي تعمل طوال أيام الأسبوع تحت الشمس الحارقة، في المطر أو الصحو. وليس لديها مظلة تجلس تحتها وهي تراقب البطيخ ينمو، كما أن أيام السبت لا تعني شيئًا بالنسبة لها".

قلت: "لن يكون لأيام السبت معنى بالنسبة لك أيضًا، لو كنت أنا الذي يعطيك أجرك. أخرج هذه الأدوات من صناديقها الآن، وأحضرها للداخل".

كانت رسالتها هي أول رسالة أفتحها، وأخرجت منها الشيك. تمامًا كدأب النساء. ستة أيام تأخير. ومع ذلك، فإنهن يحاولن أن يوهمن الرجال أنهن قادرات على إدارة الأعمال. كيف يمكن لرجل أعمال يعتقد أن الشهر يبدأ في اليوم السادس منه، ويستطيع أن يصمد في عمله. ومن المحتمل تمامًا، عندما يرسلون كشف حساب البنك، أنها تود أن تعلم السبب في أنني لم أودع مرتبي أبدًا حتى اليوم السادس من الشهر. إن أمورًا كتلك لا تخطر على بال امرأة.

"لم أتلق ردًّا على رسالتي حول فستان عيد الفصح الخاص بكوينتن. فهل وصلت الرسالة في موعدها؟ ولم يصلني رد كذلك على الرسالتين الأخيرتين اللتين كتبتهما لها، على الرغم من الشيك المرسل في الرسالة الثانية لها تم صرفه مع الشيك الآخر. فهل هي مريضة؟ عرفني بذلك في الحال، وإلا فسوف أحضر لأراها بنفسي. لقد وعدتني أنك سوف تبلغني عندما تحتاج هي إلى أي شيء. سأنتظر رسالة منك قبل العاشر من الشهر. لا من الأفضل أن ترسل لي تلغرافا على الفور. أنت تفض رسائلي

إليها. أعلم ذلك كما لو كنت أراك بعيني. فمن الأفضل أن ترسل لي تلغرافًا عن حالتها على العنوان التالي".

عند ذاك سمعت إيرل وهو يُعنف جوب بصوت مرتفع، فوضعت الرسائل جانبًا وذهبت إلى جوب لأستحثه على العمل. إن ما تحتاجه هذه البلاد هو العامل الأبيض. وليَتضور هؤلاء الزنوج الملعونون الكسالى جوعًا لمدة عامين، وعندها سوف يدركون أنهم لن يصمدوا على كسلهم.

حوالي الساعة العاشرة خرجتُ أمام المحل. كان هناك سمسار. وقبل الساعة العاشرة إلا دقيقتين، دعوته لشرب الكوكاكولا في مكان قريب. تحدثنا عن المحاصيل.

قُلت: "الأمر في غاية البساطة. فالقطن هو المحصول الذي يفضله المضاربون. فهم يستدرجون المزارعين لزراعة مساحات كبيرة وجني محصول وفير، لكي يتلاعبوا بهم في السوق، ويقصوا ريش السذج في الأسواق. هل تظن أن المزارع يحصل على شيء من ذلك سوى استغفاله وحل وسطه؟ وهل تظن أن الانسان الذي يعرق في زراعة الأرض يحصل على ما يزيد عن سد رمقه؟ فإذا جنى محصولاً وفيرًا يجد أنه لا يسد حتى تكلفة جَنيه، وإن جنى محصولاً قليلاً فإنه لا يمتلك ما يكفي لحلجه، فما الفائدة التي تعود عليه؟ ثم يأتيه عددٌ من اليهود الشرقيين، وأنا هنا لا أتحدث عمن يؤمنون بالدين اليهودي، فأنا أعرف بعض اليهود، وهم مواطنون صالحون. وأنت واحد منهم".

قال: "لا. أنا أمريكي".

قلت: "لا غضاضة في ذلك. فأنا أعطي كل ذي حق حقه، بغض

https://telegram.me/maktabatbaghdad

النظر عن دينه أو أي أعتبار آخر. وأنا لا أكره اليهود كأفراد. فالأمر يتعلق بالعرق، على وجه التحديد. فأنت توافق معي على أنهم لا ينتجون شيئًا. فهم يلاحقون المستوطنين الجدد في المستعمرات الجديدة، ليبيعوا لهم الملابس".

قال: "لعلك تقصد الأرمن. هل تقصد ذلك. فالمستوطنون الجدد لا يستخدمون الملابس الجديدة".

قلت: "لا تؤاخذني. فأنا لا أعترض على دين أحد".

قال: "أكيد. أنا أمريكي. وأهلي من أصول فرنسية، وهذا هو السبب في أن أنفي بهذا الشكل. ولكني أمريكي تمامًا".

قلت: "وأنا كذلك. لم يتبق منا سوى قلة. إن من أتحدث عنهم هم هؤلاء الناس الذين يجلسون في نيويورك، ويستغفلون المقامرين السذج".

قال: "كلامك صحيح. فلا فائدة من المقامرة للإنسان الفقير. وينبغي أن يصدر قانون بمنعها".

قلت: "هل ترى أن ما أقوله صائب"

قال: "أجل. أعتقد أنك على صواب. فالمزارع يقع فريسة في حله وترحاله".

قلت: "أنا أعلم أنني على صواب. فهذه المقامرات لعبةٌ لاستغفال الناس، ما لم تكن قد حصلت على معلومات سرًّا من أحد العليمين ببواطن الأمور. وأنا أعرف أناسًا يعملون هناك. وهم لديهم مستشار يُعد واحدًا من أمهر مَن يلعبون بالبيضة والحجر. وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه"

قال: "أن لا أراهن بمبلغ كبير في المرة الواحدة. ومَن يستغفلونه هو

ذلك الشخص الذي يظن أنه يمكنه بالرهان بثلاثة دولارات أن يكسب ثروة طائلة. وهذا هو السبب في أن تجارتهم رابحة".

دقت الساعة العاشرة. توجهت إلى مكتب التلغراف. كان مفتوحًا قليلاً، كما قالوا تمامًا. دخلت إلى إحدى الزوايا وأخرجتُ البرقية مرةً أخرى، على سبيل التأكد. وعندما كنت أراجعها، ورد نبأ عن صعود بنقطتين، وكانوا جميعًا يشترون. وأنا أقول ذلك استنادًا لما كانوا يقولون. فالجميع يماشي الركب. كأنهم لا يعلمون أنه يسير في اتجاه واحد، كما لو أن هناك قانونًا أو شيئًا من هذا القبيل بعدم القيام بشيء إلا الشراء. حسنًا، أظن أن هؤلاء اليهود الشرقيين لابد لهم من وسيلة لكسب عيشهم أيضًا. ولكن اللعنة إن لم نصل إلى مأزق حين يمكن لأي أجنبي لعين- لم يستطع كسب عيشه في البلد الذي وضعه الله فيه- أن يأتي إلى هذا البلد ويأخذ النقود مباشرةً من جيوب الأمريكيين. ثم كان هناك ارتفاع بمقدار نقطتين. أربع نقاط. لكنه الجحيم، فقد كانوا هناك ويعلمون ما يجري. ولو أنني لم أذهب لهم لآخذ مشورتهم، فلماذا كنت أدفع لهم عشرة دولارات كل شهر. خرجت، ثم تذكرت، فعدت لإرسال البرقية. "الجميع بخير. ك سوف تكتب اليوم".

قال موظف التلغراف: "ك؟"

قلت: "أجل. ك. ألا تعرف أن تتهجى ك؟"

قال: "أردت أن أتأكد فحسب".

قلت: "أرسلها كما كتبتُها، وسأضمن أنك متأكد من ذلك. مع تحصيل الأجرة من المرسل إليه".

قال دوك رايت، وهو ينظر من فوق كتفي: "ماذا ترسل، يا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

جاسون؟ هل هي رسالة مشفرة لكي تشتري؟"

قلت: "حسنًا. ذلك صحيح. أنتم أيها الفتية تعتمدون على حصافتكم. وأنتم تعلمون عن ذلك أكثر مما يعلمه القوم في نيويورك".

قال دوك: "حسنًا. هذا ما يتعين عليَّ أن أفعله. لقد وفرت نقودًا هذا العام وهي تكسب سِنتين لكل جنيه".

جاءت تقرير آخر. انخفضت الأسعار بمقدار نقطة واحدة.

قال هوبكينز: "إن جاسون يبيع. انظر إلى وجهه".

قلت: "لا بأس بما أفعله. فأنتم فتية تتصرفون وفقًا لما تمليه عليكم حصافتكم. وأولئك اليهود الأغنياء في نيويورك لابد لهم من أن يكسبوا عيشهم مثل سائر الناس".

عُدت إلى المحل. كان إيرل مشغولاً أمام الواجهة. توجهت خلف الطاولة لأقرأ رسالة لورين. "حبيبي الغالي، تمنيت لو كنت معي. فليس للحفلات طعم دون أن تكون في المدينة. أفتقدك بشدة ياحبيبي الجميل". أظن أنها تفتقدني. في المرة الأخيرة أعطيتها أربعين دولارًا. منحتها لها. وأنا لا أعد امرأة بشيء، كما لا أعرفها بما سأعطيه لها. هذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل معهن، أن تتركهن يضربن أخماسًا في أسداس. وإذا ما أعجزتك الحيلة في مفاجأة إحداهن، فلتكسر لها فكها.

مزقت الرسالة وأحرقتها في المبصقة*. وقد وضعت قاعدة ألا أحتفظ بأية قصاصة من الورق تحمل كتابةً بخط امرأة، وألا أكتب لأية امرأة على الإطلاق. وكانت لورين تلح على الدوام لكي أراسلها، لكني أقول

---

* المبصقة: وعاء معدني كان يوضع قديمًا على الأرض في المحلات والأماكن العامة، ليبصق رواد المكان فيه، حفاظًا على نظافة المكان- المترجم.

لها إن أي شيء نسيت أن أقوله لك سوف أحتفظ به إلى أن آتي إلى ممفيس مرةً أخرى، ولكن بوسعك أن تراسليني بالبريد العادي، ولكن لا تحاولي أن تتصلي بي هاتفيًّا، فلو فعلتِ لن أترك لك أثرًا في ممفيس. أقول إنني عندما أكون هناك أكون واحدًا من الجماعة، ولكني لن أدع امرأة تتصل بي هاتفيًّا. هكذا قلت لها، وأنا أعطيها أربعين دولارًا. إذا سكرتِ وخطر ببالك أن تتصلي بي هاتفيًّا فتذكري ما قلته لك، وعِدي لعشرة قبل أن تفعلي ذلك.

قالت: "متى سيحدث ذلك؟"

قلت: "يحدث ماذا؟"

قالت: "متى تأتي ثانية؟"

قلت: "سوف أخبرك بذلك". وحاولت أن تشتري زجاجة بيرة، فمنعتها من ذلك. قلت لها: "وفري نقودك. اشتري فستانًا لك بها". وأعطيت الخادمة أيضًا خمسة دولارات. ففي نهاية المطاف، كما أقول، فإن المال بلا قيمة؛ وقيمته تكمن فحسب في الطريقة التي تنفقه بها. وهو ليس مالاً لأحد، فلماذا نكنزه. فهو ملكٌ فقط لمن يحصل عليه ويحتفظ به. هناك رجلٌ في جفرسون جمع مالاً وفيرًا من بيع بضائع فاسدة للزنوج، وكان يعيش في غرفة أعلى المحل في حجم حظيرة خنزير، ويطبخ طعامه بنفسه. ومنذ أربع أو خمس سنوات مرض. فأصابه هلع شديد، وعندما شُفي من المرض التحق بالكنيسة، وتكفل بنفقة مُبشِّر في الصين، بمبلغ خمسة آلاف دولار في السنة. وكنت كثيرًا ما أفكر في أن هذا الرجل سوف يجن جنونه عندما يموت ويكتشف ألا وجود لأية جنة، ويفكر في أنه أنفق خمسة آلاف دولار من أجل ذلك. وأقول أنه من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأفضل أن يموت الآن ويوفر المال.

بعد أن احترقت الرسالة تمامًا كنت على وشك أن أضع الرسائل الأخرى في جيب معطفي، عندما حدثتني نفسي بأن أفتح رسالة كوينتن، قبل أن أذهب إلى البيت، ولكن إيرل صاح في هذا الوقت مناديًا لي من أمام المحل، فوضعت الرسائل جانبًا، وذهبت وانتظرت من أجل فلاح أبيض- لعنة الله عليه- خمسة عشر دقيقة لكي يقرر ما إذا كان سيشتري مقودًا للحصان بعشرين سنتًا أم مقودًا آخر بخمسة وثلاثين سنتًا.

قلت: "من الأفضل أن تشتري هذا النوع الجيد. كيف بكم أيها الناس أن تتقدموا، وأنتم تستعملون المعدات الرخيصة؟"

قال: "لو كان هذا نوعًا رديئًا، فلماذا تعرضونه للبيع؟"

قلت: "لم أقل إنه رديء، بل قلت إنه أقل جودة من الآخر".

قال: "كيف عرفت أنه أقل جودة. هل جربت استخدام واحد من هذا النوع؟"

قلت: "لأنهم لا يطلبون خمسة وثلاثين سنتًا ثمنًا له. لذا عرفت أنه أقل جودة".

أمسك بالمقود من فئة العشرين سنتًا، وأخذ يقلبه بين يديه. قال: "أعتقد أنني سأشتري هذا". عرضت عليه أن ينتظر لألفه له، لكنه لفه بعضه بالبعض الآخر ووضعه في جيبه. ثم أخرج من جيبه كيس تبغ، وفكه بصعوبة في نهاية المطاف، وأخرج منه قطعة نقد معدنية من فئة الربع دولار، وأعطاها لي في يدي. قال: "سوف أشترى بالفرق بينهما- خمسة عشر سنتًا- طعامًا للعشاء".

قلت: "لا عليك. فأنت صاحب الرأي الأخير. ولكن لا تأت لي في العام المقبل، لتشتكي عندما تشتري مقودًا جديدًا".

قال: "لم يحن بعد أوان جني المحصول الجديد". أخيرًا تخلصت منه، لكن كلما أخرجت الرسالة يجدُّ جديد. فالناس جميعًا في المدينة لحضور عرض السيرك، يأتون زُرافات لينفقوا نقودهم على شيء لا يعود بالنفع على المدينة، ولا يفيد إلا أولئك المرتشين في هيئة البلدية الذين يتقاسمون الرشَى فيما بينهم. وكان إيرل يتحرك بسرعة ذهابًا وجيئةً مثل دجاجة في قفص، وهو يقول: "نعم، يا سيدتي، السيد كومبسون سيلبي طلباتك. يا جاسون، اعرض على السيدة فرَّازًا للألبان، أو اعرض على هذه السيدة سلسلة نيكل".

حسنًا، أقول إن جاسون يحب العمل على أية حال. وأنا لم أحصل على تعليم جامعي، لأنهم في هارفارد يعلمونك كيف تسبح في الليل دون دراية بالسباحة، في حين أنهم في جامعة سيواني لا تتعلم شيئًا حتى عمَّا هو الماء. قلت لها يمكنك أن ترسليني إلى جامعة الولاية؛ فقد أتعلم كيف أوقف ساعتي باستخدام رشاش الأنف، ويمكنك أن ترسلي بن إلى القوات البحرية أو قوات الفرسان، فهم يستخدمون الأحصنة المخصية في سلاح الفرسان. وعندما أرسلوا كوينتن لي لكي أطعمها أيضًا، قلت لا بد أن ذلك عين الصواب، فبدلاً من أن أذهب إلى الشمال لأبحث عن وظيفة، أرسلوا لي الوظيفة في بلدي، وعندها شرعت أمي في البكاء، وأنا لا أعترض على أن الوظيفة أتت لي، فارضاءً لك أن مستعد حتى للتخلي عن عملي لرعايتها، وأن أدع لك ولديلسي أن تملآ كيس الطحين عن آخره، أو بطن بن عن آخرها. يمكنكم أن تؤجروه للملاهي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فلابد أن هناك مَن هو مستعد لأن يدفع عشرة بنسات للفُرجة عليه، وعند ذلك ارتفع صوت بكائها وهي تقول يا طفلي المصاب المسكين، فقلت لها أجل سوف يكون عونًا كبيرًا لك عندما يكتمل نموه، لا سيما أن قامته الآن قدر قامتي مرةً ونصفًا، فقالت إنها سوف تموت قريبًا ونرتاح جميعًا، فقلت لا بأس، كما تشائين. إنها حفيدتك، التي يمكنك أن تقولي بيقين إنها حفيدتك المؤكدة بأكثر من أية حفيدة أخرى. وما أود أن أقوله إنها مسألة وقت فحسب. فإذا كنت تصدقين أنها سوف تفعل ما قالته، ولم تحاولي أن تتبيني ذلك، فإنك تخدعين بذلك نفسك، لأنها المرة الأولي التي تردد فيها الأم القول حمدًا لله أنك لست من آل كومبسون إلا بالاسم فقط، لأنك كل ما تبقى لي الآن أنت وموري، فقلت حسنًا يمكنني ألا أجشم خالي موري عناءً بهذا الصدد، بعدها أتوا وقالوا إنهم مستعدون للخروج. وتوقفت أمي عن البكاء عندئذٍ. أسدلت وشاحها على وجهها ونزلنا السلالم. وخرج خالي موري من غرفة الطعام واضعًا منديله على فمه. كانوا يشكلون ما يشبه صفًا، وخرجنا من الباب في لحظة أن رأينا ديلسي وهي تبعد بن وتي پي نحو الناصية. خرجنا من السلالم وركبنا العربة. وظل خالي موري يردد القول يا لأختي الصغيرة المسكينة، يا لأختي الصغيرة المسكينة، وهو يلوك في فمه شيئًا ما، ويربت على يد أمي، كما كان يتحدث عن أمور شتى.

قالت أمي: "هل وضعتَ شريطك؟ لماذا لم يخرجوا قبل أن يأتي بنچامين ويحدث ضوضاء. يا لابني المسكين. لا يدري بشيء ولا يعرف حتى ما يدور حوله".

قال خالي موري، وهو يربت على يدها "لا بأس، لا بأس. دعيه لا

يشعر باليتم إلى أن ياتي الوقت الذي يفهم فيه معنى ذلك".

قالت أمي: "الأمهات ينجبن الأطفال ليكونوا سندًا لهن في مثل هذه الأوقات".

قال خالي: "لديكِ جاسون وأنا".

قالت أمي: "إنه لأمر بشع بالنسبة لي أن أفقدهما هكذا في أقل من عامين".

قال خالي: "لا بأس. تماسكي". وبعد فترة وجيزة وضع يده خلسة على فمه وألقى شيئًا من الشباك. هنا أدركت ما كان يلوكه في فمه بعد أن شممت رائحته. كان يلوك أعواد قرنفل. وأعتقد أن هذا أقل ما يمكنه القيام به في جنازة أبي، أو ربما يكون قد تعثر عندما فكر في أبي حين مر بالبوفيه ووجد القرنفل. وكنت أرى أنه لو كان عليه أن يبيع شيئًا لكي يرسل كوينتن إلى هارفارد- وكنا عندها سنكون أيسر حالاً- لكان هذا الشيء الذي يبيعه هو هذا البوفيه، ليشتري لنفسه بجزء من النقود قميصًا طويل الأكمام، من ذلك النوع الذي يوجد في مستشفى المجانين. وأعتقد أن السمات التي تميز آل كمبسون لم تنتقل لي، كما تقول أمي، لأنه تشربها جميعًا، ولم يُبق منها شيئًا لينتقل إليْ. ولم أسمع أنه عرض في يومٍ ما أن يبيع شيئًا ليعلمني في هارفارد.

راح يربت على يدها، وهو يقول: "يا لأختي الصغيرة المسكينة"، يربت على يدها وهو يرتدي القفاز الأسود الذي دفعنا فاتورته بعد ذلك بأربعة أيام، لأننا كنا في السادس والعشرين من الشهر، ولأنه نفس اليوم الذي ذهب فيه أبي قبل شهر إلى هناك، وأحضر الطفلة إلى المنزل، ولم يقل أي شيء عن مكان أمها، أو عن أي شيء على الإطلاق وكانت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أمي تبكي وهي تقول: "لم تره، أو حتى تسعى لأن تحصل منه على مال لإعالة هذه الطفلة؟" وقال أبي: "لا. فهي لن تمد يدها إلى ماله، ولن تأخذ منه حتى سنتًا واحدًا" وقالت أمي: "يمكن إرغامه بدفع المال بقوة القَانون. فهو لا يمكنه أن يثبت أي شيء، اللهم إلا.. أنت يا جاسون كومبسون، هل كنت من الغباء بحيث أخبرته.."

قال أبي: "اسكتي، يا كارولين"، ثم أرسلني لأساعد ديلسي في إنزال المهد القديم من السقيفة العلوية،

قلت: "حسنًا، لقد جاءوا بالوظيفة حتى باب بيتي، هذه الليلة" لأننا تشبثنا بالأمل في أن تستقيم الأوضاع بينهم، وأنه سوف يبقيها معه لأن أمي دأبت على القول إنها يتعين عليها أن تحترم وضع العائلة، وألا تخاطر بضياع فرصتي، بعد أن حصلت هي وكوينتن على فرصهما.

قالت ديلسي: "إلى مَن تنتسب إذن لغيرنا؟ مَن رباها غيري؟ ألم أقم بتربيتكم جميعا؟"

قلت: "يا لها من وظيفة جيدة تقومين بها، على أية حال. سوف يصبح لديها الآن ما تقلق عليه". وأحضرنا المهد من السقيفة العلوية، ونصبته ديلسي في غرفتها. بعدها انخرطت أمي في البكاء بصوت مسموع فقالت لها ديلسي:

"هدئي من روعك، يا سيدة كارولين، فسوف توقظينها من النوم".

قالت أمي: "أتضعينها هنا في هذا الجو لتُصاب بالعدوى؟ فسوف يكون ذلك صعبًا للغاية، نظرا لما ورثته عن أمها".

قال أبي: "اسكتي. لا تكوني سخيفة".

قالت ديلسي: "لم لا تنام هنا في نفس الغرفة التي كنت أضع فيها

أمها في سريرها كل ليلة، إلى أن أصبحت كبيرة بما يسمح بأن تنام وحدها".

قالت أمي، وهي تنظر إلى المولودة كوينتن: "أنتِ لا تعلمين كيف أن زوج ابنتي تخلى عنها. يا للطفلة الصغيرة المسكينة. ولن تعرفي المعاناة التي تتسببين فيها".

قال أبي: "اسكتي، يا كارولين".

قالت ديلسي: "لماذا تمنيتِ أن تواصلي ذلك بالنسبة لجاسون؟"

قالت أمي: "حاولت أن أحميه. حاولت على الدوام أن أحميه من ذلك أو- على أقل تقدير- يمكنني أن أبذل أقصى ما في وسعي لحمايتها".

قالت ديلسي: "وكيف يمكن للنوم في هذه الغرفة أن يلحق بها ضررًا، أود أن أعرف ذلك".

قالت أمي: "أعلم أنني امرأة مزعجة، لا حيلة لي في ذلك. وليس في وسع من يستهين بشرائع الله أن يفلت من العقاب".

قال أبي: "هراء. انقلي المهد إلى غرفة السيدة كارولين، إذن، يا ديلسي".

قالت أمي: "يمكنك أن تقول عن ذلك إنه هراء. ولكن لا ينبغي أن تعلم هي بذلك، ولا ينبغي أبدًا أن تعرف حتى هذا الاسم. أنا أمنعكِ يا ديلسي من أن تنطقي بهذا الاسم في حضورها. ولو شبت عن الطوق، وهي لا تعلم أن لها أمًا، فسوف أحمد الله على ذلك".

قال أبي: "لا تكوني حمقاء".

قالت أمي: "أنا لم أتدخل أبدًا في الأسلوب الذي تربيهم به. ولكني لا يمكنني أن أتحمل ذلك بعد الآن. وعلينا أن نحسم هذا الأمر الليلة، إما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن هذا الاسم لا يتلفظ به أحدٌ أمامها، أو تذهب هي من هنا، أو أذهب أنا. عليك بالاختيار".

قال أبي: "هدئي من روعك. غاية ما في الأمر أنك تشعرين بالإحباط. ضعي المهد هنا، يا ديلسي".

قالت ديلسي: "وأنت أيضًا تبدو متعبًا. تبدو كأنك شبح. اذهب إلى سريرك وسوف أعد لك كأسًا من التودي حتي يمكنك النوم. لابد أنك لم تذق النوم طوال الليلة التي غادرت فيها".

قالت أمي: "لا. ألا تعرفين ما قاله الطبيب؟ لماذا تشجعيه على شرب الخمر؟ هذه حالته الآن. استمعي لي، أنا أيضًا مريضة. ومع ذلك فأنا لست من الضعف بحيث أقتل نفسي بشرب الويسكي".

قال أبي: "كلام فارغ. ما الذي يعرفه الأطباء؟ فالأطباء ينصحون الناس بما لا يفعلونه هُم، ولا يعرفون أكثر مما يعرفه الجميع عن القرد المشوه. في المرة القادمة، سوف تأتينني بقس ليمسك بيدي ويرشدني".

آنئذٍ انخرطت أمي في البكاء، وخرج. نزل السلالم، وبعد ذلك سمعت صوت حركة في البوفيه. استيقظت وسمعته ينزل مرةً أخرى. كانت أمي قد نامت أو ما لا أدري، لأن الهدوء عم المنزل أخيرًا. كان يعمل على أن يلتزم الهدوء أيضًا، لأنني لم أسمع له صوتًا، ولم أر منه سوى الجزء الأسفل من بيجامته ورجليه الحافيتين أمام البوفيه.

أعدت ديلسي المهد وخلعت ملابس الطفلة، ووضعتها فيه. ولم تكن الطفلة قد استيقظت منذ أن أحضرها للمنزل.

قالت ديلسي: "يبدو المهد صغيرًا عليها. نامي الآن. سوف أفرش مرتبة على أرض الصالة، حتى لا تُضطري لأن تستيقظي لها في الليل".

قالت أمي: "لن أنام. اذهبي إلى بيتك. لا يهمني. وسوف يسعدني أن أهبها بقية حياتي، لو كان بيدي أن أمنع فحسب.."

قالت ديلسي: "هدئي من روعك، الآن. سوف نعتني بها". ثم وجهت حديثها لي: "وأنت اذهب إلى فراشك أيضًا. فعليك أن تذهب غدا إلى المدرسة".

هكذا خرجت، فنادت عليَّ أمي، واحتضنتني باكية لبرهة.

قالت: "أنت الأمل الوحيد المتبقي لي. إنني أحمد الله كل ليلة لأنه وهبك لي".

بينما كنا ننتظرهم للتحرك قالت لي الحمد لله أنه عندما اختار أبقى عليك، ولم يبق على كوينتن. حمدًا لله أنك لا تتصف بطباع آل كمبسون فلم يتبق لي سواك أنت وخالك موري، فقلت لا أود أن أكلف خالي موري عناءً في هذا الصدد. وواصل خالي موري التربيت على يدها مرتديًا قفازه الأسود، وكان يبعد فمه عنها وهو يتحدث. وخلع خالي القفاز عندما أتي دوره ليهيل التراب بالمجراف. تقدم إلى المقدمة فيما كانوا يقفون تحت مظلاتهم، وهم يضربون الأرض بأقدامهم بين حين وآخر، لينفضوا الطين عن أحذيتهم، وكان كل منهم يمسك بمجراف منتظرًا دوره ليهيل الترّاب، الذي يصدر صوتًا أشبه بالنقر على وعاء معدني، لدي سقوطه على التابوت في القبر، وحين خطوت للخلف عند حصان العربة رأيت خالي خلف شاهد قبر، وهو يرتشف جرعة من زجاجة في يده. ظننت أنه لن يكف عن ذلك، وكنت أرتدي بذلتي الجديدة، ولكن عندما رأت أمي بعض الطين على عجلات العربة قالت إنني ليس لديَّ بذلة أخرى فقال خالي موري: "لا عليك، لا تقلقي. فأنا موجودٌ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لتعتمدي عليَّ دائما".

اعتمدنا عليه. دائمًا. وكانت الرسالة الرابعة منه. لم تكن هناك أية ضرورة لفتحها. فأنا أحفظها عن ظهر قلب، ويمكنني أن أتلوها من الذاكرة، وأراهن على ذلك بعشرة دولارات. وانتابني شعور غامض بالنسبة للرسالة الأخرى. انتابني إحساس بأنه قد حان الوقت الذي يمكن أن تمارس فيها بعض حيلها من جديد. فقد أصبحت أكثر حذرًا بعد تلك المرة الأولى. واكتشفت مبكرًا أنني من نوعية من البشر مختلفة عن نوعية والدي.

وبعد أن امتلأ القبر بالتراب إلى أعلاه، شرعت أمي في البكاء بصوت مرتفع، ولهذا ركب خالي موري السيارة معها وسار بها. يقول لي أن بإمكاني أن آتي مع أحدهم؛ وسوف يقومون بذلك بكل سرور. فعليَّ أن أُبعد والدتك من هنا، وفكرت في أن أقول له كان عليك أن تحضر زجاجتين بدلاً من واحدة، ولكني تذكرت أن ذلك لا يليق بالمكان، وتركتهما يذهبان. لم يكترثا كثيرًا بأن ملابسي مبتلة تمامًا، وإلا لكانت أمي قد مارست هوايتها في الإعراب عن خشيتها من أن أصاب بالتهاب رئوي.

كنت أفكر في الأمر وأنا أشاهدهم وهو يهيلون التراب في القبر، كيفما اتفق، كما لو كانوا يعدون مونة للبناء أو يبنون سورًا، وبدأ ينتابني إحساس بالدهشة، ولهذا قررت أن أتمشى حول المكان لبعض الوقت. وفكرت في أنني لو تمشيت في اتجاه المدينة فسوف يلحقون بي، ويحاولون أن يدفعوني إلى ركوب إحدى السيارات معهم، ولذا توجهت في الطريق العكسي نحو مقبرة الزنوج. وقفت تحت بعض أشجار السدر، حيث لم

يهطل المطر كثيرًا، بل يقطر فحسب بين الحين والحين، حيث كنت أستطيع رؤيتهم وهم ينتهون من عملهم وينصرفون. وبعض برهة، مضوا جميعًا إلى حال سبيلهم، وانتظرت للحظة ثم خرجت من مكاني.

كان عليَّ أن أتوجه إلى الممر حتى لا أسير على العشب المبتل، ولهذا فلم أرها إلا عندما اقتربتُ تمامًا منها، وهي تقف هناك مرتدية معطفًا أسود وهي تنظر إلى الزهور. عرفتُ مَن تكون على الفور، قبل أن تستدير وتنظر إليَّ، وترفع وشاحها عن وجهها.

قالت، وهي تمد يدها: "أهلاً، يا جاسون". وتصافحنا.

قلت: "ماذا تفعلين هنا؟ أظن أنك وعدتِها بألا تعودي إلى هنا. وأعتقد أنك أعقل من أن تقومي بذلك".

قالت: "صحيح؟". نظرت مرةً أخرى إلى الزهور. لا بد أنها تساوي خمسين دولارًا. كما أن بعضهم وضع باقة من الزهور على قبر كوينتن. قالت: "هل اعتقدتَ ذلك؟"

قلت: "لم أفاجأ مع ذلك. فأنا أتوقع منك القيام بأي شيء. أنت لا تأبهين بأحد. لا تكترثي بأحد بالمرة".

قالت: "أوه. تقصد تلك الوظيفة". نظرت إلى القبر. "أنا آسفة لذلك يا جاسون".

"أنا متأكد من ذلك. أنت تتحدثين الآن بلطف شديدٍ. ولكن لم يكن من الضروري أن تعودي إلى هنا. فهو لم يترك أي شيء. واسألي خالي موري، إن كنت لا تصدقينني".

قالت: "لا أريد شيئًا". نظرَت إلى القبر. قالت: "لماذا لم تبلغوني؟ لم أعرف ذلك إلا من صفحة الوفيات بالصحيفة، بمحض الصدفة".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لم أرد. وقفنا هناك، ننظر إلى القبر، ثم رجع بي تفكيري إلى وقت أن كنا صغارًا، وتذكرت أمرًا ثم آخر، وشعرت بالدهشة من جديد، بنوع من الجنون أو شيء من هذا القبيل، وأنا أفكر في أن لدينا الآن خالي موري يقيم معنا في المنزل طوال الوقت، ويدير الأمور بطريقة تشبه يوم أن تركني أعود بنفسي إلى المنزل تحت المطر.

قلت: "من الجيد أنك تبدين اهتمامًا، وتنسلين عائدةً إلى هنا بعد وفاته. لكن ذلك لن يعود عليك بأية فائدة. لا تظني أنك يمكنك أن تنتهزي هذه الفرصة للعودة متسللة. وكما يقولون مَن لا يقدر على الثبات فوق حصانه فعليه بالمشي. هل تدركين ذلك؟ نحن لا نعرف شيئًا عنك حتى اسمك. وكان من الأفضل أن تموتي معه، ومع كوينتن. هل تعرفين ذلك؟"

قالت: "أعلم ذلك". ثم قالت، وهي تنظر إلى القبر: "اسمع، يا جاسون، إذا رتبت لي فرصةً لأراها، فسوف أعطيك خمسين دولارًا".

قلت: "ليس معك خمسين دولارًا".

قالت، وهي تنظر بعيدًا عني: "هل ستفعل ذلك؟"

قلت: "أريني إياها. فأنا لا أصدق أنك تملكين خمسين دولارًا".

رأيت يدها تتحرك تحت معطفها، ثم أخرجتها. كانت ممتلئة بالنقود. رأيت ما بين ورقتين أو ثلاث من اللون الأصفر.

قلت: "ألا يزال يعطيك نقودًا؟ كم من المال يرسله لك؟"

قالت: "سوف أعطيك مئة. هل تقوم بذلك؟"

قلت: "لمدة دقيقة واحدة. وكما قلت لك توًّا. لن أجعلها تعلم ذلك حتى مقابل ألف دولار".

قالت: "أجل. قُم بذلك، كما قلت. سوف أراها لمدة دقيقة واحدة فقط. ولن أتوسل لك أو أفعل أي شيء آخر. بل سأمضي إلى حال سبيلي".

قلت: "هاتي النقود".

فقالت: "سأعطيك النقود فيما بعد".

قلت: "ألا تصدقينني؟"

قالت: "لا. أنا أعرفك. وقد تربينا سويًّا".

قلت: "أنت آخر من يتكلم عن الثقة في الناس. حسنًا، سوف أذهب بعيدًا عن المطر. وداعًا". هممت بالذهاب.

نادت: "جاسون". توقفتُ.

قلت: "نعم؟ عجلي بالأمر. فقد ابتلت ملابسي".

قالت: "لا بأس. خذها". لم يكن هناك أحد هناك في مرمى النظر. عدت وأخذت النقود. كانت ما تزال تمسك بها. قالت، وهي تنظر من وراء الوشاح: "سوف تقوم بذلك. هل تعدني بذلك؟".

قلت: "دعيني أذهب. هل تريدين أن يأتي أحد ويرانا؟".

تركتني أذهب. وضعت النقود في جيبي. قالت: "سوف تفعل ذلك، يا جاسون؟ لو كانت هناك طريقة أخرى لما طلبت منك".

قلت: "اللعنة لأنك على صواب من عدم وجود طريقة أخرى. أؤكد لك أنني سأفعل ذلك. قلت لك أنني سأفعل، ألم أقل لك؟ وعليكِ فحسب أن تتصرفي كما قلت لك".

"حسنًا. سأفعل". واتفقت معها على المكان، وتوجهت إلى اسطبل تأجير الخيول. أسرعت ووصلت هناك في اللحظة التي كانوا يحلون فيها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الحصان. وسألتهم إن كانوا قد دفعوا أجرة العربة، فقالوا لا فقلت إن السيدة كومبسون نسيت شيئًا وتريد العربة مرةً أخرى، فأعطوني العربة. كان السائق هو مينك. اشتريت له سيجارًا، ومن ثم تسكعنا بالعربة إلى أن حل الظلام في الشوراع الخلفية، بحيث تصعب الرؤية، فقال مينك إن عليه أن يعود فوعدته بأن أشتري له سيجارًا آخر وسرنا في الحارة وسرت عبر الفناء إلى المنزل. توقفت في الصالة إلى أن سمعت صوت أمي وخالي موري في الطابق العلوي، فتوجهت من الخلف إلى المطبخ. كانت هي وبن هناك مع ديلسي. قلت إن أمي تريدها وأخذتها إلى داخل المنزل. عثرت على معطف المطر الخاص بخالي موري ووضعته حولها وحملتها وعدت إلى الحارة وركبت العربة. قلت لمينك أن يتوجه إلى موقف الحافلات. قال إنه يخشى أن يمر بالاسطبل، فكان علينا أن نسير في طريق خلفي فرأيتها عند الناصية تقف تحت عمود النور فطلبت من مينك أن يسير بالقرب من الممشى وعندما أقول لك هيا اضرب الحصانين بالسوط. عند ذلك أخرجتها من معطف المطر وأبرزتها لها من نافذة العربة، ورأتها كادي وكادت أن تقفز للأمام.

قلت لمينك: "هيا، يا مينك". وضربهما مينك ومررنا سريعًا وتخطيناها بسرعة عربة الإطفاء. قلت لها: "اركبي الآن ذلك القطار مثلما وعدتني". كنت أراها وهي تجري وراءنا من النافذة الخلفية للعربة. قلت: "اضرب الأحصنة مرةً أخرى. ولنعد للبيت". وعند انعطافنا إلى الشارع، عند الناصية، كانت لا تزال تجري.

في هذه الليلة، قمت بِعَد النقود مرة أخرى ووضعتها في مكان بعيد، وتراءى لي أنها مبلغ لا بأس به. وقلت لنفسي أظن أن ذلك

سيُجلي لك الأمر، وأظن أنكِ الآن تعلمين أنك لا يمكنك أن تضيعي عليَّ الوظيفة وتفلتي دون عقاب. ولم يخطر ببالي على الإطلاق أنها لن تفي بوعدها وتركب ذلك القطار. لكني لم أكن أعلم الكثير عنهم في ذلك الحين؛ ولم يكن لديَّ الكثير من الحصافة حين صدقت ما يقلن، لأنها في صباح اليوم التالي أتت إلى المحل مباشرةً، غير أنها احتاطت للأمر تمامًا بوضع الوشاح على وجهها، وعدم الحديث مع أحد. كان صباح يوم السبت، لأنني كنت في المحل، وأتت مباشرةً وبسرعة إلى ما وراء المنضدة التي كنتُ وراءها.

قالت: "أنت كاذب. كاذب".

قلت: "هل أنت مجنونة؟ ما الذي تقصدينه بمجيئك هنا على هذا النحو؟" حاولت الدخول إلى المحل، لكني منعتها. قلت: "لقد ضيعتِ عليَّ وظيفة؛ فهل تريدين أن أفقد أيضًا وظيفتي الحالية؟ إذا كان لديك ما تقولينه لي فسوف أقابلك في مكانٍ ما بعد حلول الظلام. ما الذي تودين أن تقولينه لي؟ ألم أفعل ما قلته؟ لقد قلت لك أنكِ سترين الطفلة لمدة دقيقة، ألم أفعل ذلك؟ ألستِ أنت مَن قال؟" اكتفت بالوقوف وهي تحدق فيَّ، وهي ترتعش كما لو كانت قد أصيبت بحمَّى، ويداها منقبضتان ترتعشان. قلت: "لقد نفذت ما قلته. أما الكاذب فهو أنتِ. ألم تعديني بأنك ستركبين القطار، ألم تقولي ذلك؟ إذا كنت تظنين أن بإمكانك أن تستعيدي النقود، فحاولي ذلك إذن. حتى لو كنتِ قد دفعتِ ألف دولار، فإنك لا تزالين مدينة لي بعد المخاطرة التي قمتُ بها. وإذا اتضح لي أو سمعت أنك ما تزالين في البلدة، بعد قيام رحلة القطار 17، فسوف أبلغ أمي وخالي موري. ساعتها سيكون عليك أن تحبسي أنفاسك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إلى أن تريها من جديد". اكتفت بالوقوف وهي تحدق فيَّ، مشبكةً يديها.

قالت: "عليك اللعنة. عليك اللعنة".

قلت: "طيب. ذلك لا بأس به أيضًا. تذكري ما قلته، الآن. فبعد قطار 17، سوف أبلغهم".

شعرت بارتياح بعد أن ذهبت. قلت أعتقد أنك سوف تفكرين مرتين قبل أن تحرميني من الوظيفة التي وعدتِني بها. لقد كنت صبيًّا في ذلك الحين. وكنت أصدق ما يقول الناس إنهم سيفعلونه. لكن مداركي اتسعت منذ ذلك الحين. فضلاً عن ذلك، أقول إنني أظن أنني لستُ بحاجة إلى معونة أي شخص لأقف على قدميَّ فيمكنني الوقوف على قدمَيَّ بنفسي مثلما أفعل دائمًا. ثم خطر ببالي فجأةً ديلسي وخالي موري. فكرتُ في كيف أنها قد تحوم حول ديلسي كما أن خالي موري مستعد للقيام بأي شيء مقابل عشرة دولارات. وها أنذا، لا يمكنني حتى أن أغادر المحل لكي أحمي أمي. ومثلما قالت فإن كان لا بد أن يختار الله واحدًا منا، فإنها تشكر الله لأنه أبقاني لها لأنها يمكنها أن تعتمد عليَّ وقلتُ لنفسي إنني لا أعتقد أن بإمكاني أن أبتعد أبدًا عن المحل لأكون بعيدًا عن متناول يدك. فعلى المرء أن يتمسك بالقليل الذي بين يديه، على ما أعتقد.

حالما عدت للبيت كذبتُ على ديلسي. قلت لها إنها مصابة بمرض الجذام وأحضرت لها الكتاب المقدس وقرأتُ لها الموضع الذي يؤدي فيه هذا المرض إلى تحلل لحم الإنسان وتساقطه وقلت لها إنها لو نظرت إليها أو إلى بن أو إلى كوينتن فإن العدوى ستنتقل إليهم أيضًا. ومن ثم ظننت أن الأمر انتهى عند هذا الحد إلى أن جاء يوم عُدت فيه إلى البيت وسمعت

بن يبكي بشدة. ارتفع صراخه ولم يتمكن أحد من تهدئته. قالت أمي لديلسي هاتي له الشبشب إذن. وتظاهرت ديلسي بأنها لم تسمعها. وأعادت أمي ما قالته وقلت سوف أمضي من هنا فلا يمكنني تحمل مثل هذه الضوضاء اللعينة. وكما أقول دائمًا بوسعي أن أتحمل الكثير فأنا لا أنتظر شيئًا منهم ولكني إذا كنتُ أعمل طوال النهار في هذا المحل اللعين أفلا أستحق أن أن أتناول عشائي في جو هادئ. ومن ثم قلتُ سوف أخرج من هنا وسارعت ديلسي قائلةً "جاسون!"

على الفور، أدركت ما كان يجري، ولكي أتأكد ذهبت وأحضرت الشبشب وعدت به، وكما توقعت تمامًا، صرخ صرخة يظن مَن يسمعها أن هناك من بسبيله لقتله. ولهذا حملتُ ديلسي على أن تقر بما جرى، ثم أبلغت والدتي بذلك. كان علينا أن نأخذها إلى فراشها في الأعلى عندئذٍ، وبعد أن هدأت الأمور قليلاً سعيت لأن أقنع ديلسي بأن تخشى الله في تصرفاتها. بقد ما تستطيع، مع زنجي. وتلك هي المشكلة مع الخدم الزنوج، فبعد أن يخدموك لمدة طويلة يشعرون بأهميتهم وبأنهم عليهم اللعنة يستحقون ذلك. ويظنون أن بإمكانهم أن يتولوا إدارة شئون الأسرة كلها.

قالت ديلسي: "أريد أن أعرف ما هو الضرر في أن ندع تلك المرأة ترى طفلتها. فلو كان السيد جاسون ما يزال على قيد الحياة، لاختلف الأمر".

قلت: "لكن السيد جاسون ليس معنا الآن. وأعرف أنك لا تهتمين بما أقول، ولكني أعتقد أنك تفعلين ما تقوله أمي. لكنك تتسببين لها بالقلق بهذه الطريقة إلى أن ترسليها إلى القبر أيضًا، وعند ذلك ستملئين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أركان المنزل كله بالصعاليك والأوباش. لماذا تريدين أن ندعها تراها؟".

قالت: "أنت إنسان بلا قلب، لو أنك إنسان أصلاً. وأحمد الله أن جعل بين جنباتي قلبًا يخفق، حتي لو كان قلبًا أسود".

قلت: "أنا على أقل تقدير إنسان بما يكفي لأن أملأ كيس الطحين عن آخره. ولو تصرفتِ مرةً أخرى على هذا النحو فلن تأكلي منه أبدًا".

لذلك أبلغتها في المرة التالية أنها لو لجأت إلى ديلسي مرةً أخرى، فإن أمي سوف تطرد ديلسي من البيت، وترسل بن إلى مستشفي المجانين، وتأخذ كوينتن وترحل بها إلى مكان بعيد. نظرت إليَّ لبرهة. لم يكن هناك مصباح للإضاءة في الشارع قريبًا منا ولم أستطع أن أتبين ملامح وجهها جيدًا. لكني شعرت أنها تنظر إليْ. عندما كنا صغارًا حين كانت تستشيط غضبًا أو تعجز عن القيام بأي شيء كانت شفتها العليا تندفع لأعلى. وكل مرة تندفع فيها كانت تكشف عن أسنانها، وفي كل الأحيان كانت تقف بلا حراك كما لو كانت عمودًا، وما من عضلة تتحرك فيها عدا شفتها التي كانت ترتعش كاشفةً عن أسنانها. لكنها لم تقل شيئًا، واكتفت بالقول:

"لا بأس. كم تريد؟"

قلت: "حسنًا، إذا ما كانت نظرة واحدة من نافذة العربة تساوي مئة". بعد ذلك تصرفت على نحو جيد، وطلبت مني في إحدى المرات فقط أن تري كشف حساب البنك.

قالت: "أعرف أنها تحمل توقيعات أمي عليها. لكني أود أن أرى كشف حساب البنك. أود أن أتحقق بنفسي من الوجهة التي تذهب إليها هذه الشيكات".

قلت: "هذا شأن يخص أمي. وإذا كان من حقك التدخل في شأنها الخاص فسوف أبلغها بأنك تعتقدين أن هذه الشيكات تُصرف في غير أوجهها، وأنك تريدين أن يدقق أحد المحاسبين الحساب، لأنك لا تثقين فيها".

لم تنبس ببنت شفة أو تحرك ساكنًا. وسمعتها تقول همسًا عليك اللعنة آه عليك اللعنة آه عليك اللعنة.

قلت: "أفصحي عما تقولين. فليس سرًّا رأيك في أو رأيي فيك. لعلك تودين استرجاع النقود".

قالت: "اسمع، يا جاسون. لا تكذب عليَّ الآن. فيما يخصها. أنا لا أطلب أن أرى أي شيء. فإذا لم يكن ذلك كافيًا، فسوف أرسل المزيد من المال كل شهر. فقط، عِدني بأنها سـ.. بأنها.. أنت يمكنك فعل ذلك. أن تقوم ببعض الأشياء لها. أن تكون رحيمًا بها. بعض الأشياء الصغيرة التي لا أستطيعها، التي يمنعونني منها.. لكنك لن تفعل. فأنت لا تملك قطرة دم دافئ داخلك. اسمع. إذا تمكنتَ من إقناع والدتي بأن تعيدها لي، فسوف أعطيك ألف دولار".

قلت: "ليس لديكِ ألف دولار. أعرف أنك تكذبين الآن".

قالت: "نعم، معي. سأدبر المبلغ. بوسعي أن أدبره".

قلت: "وأنا أعرف الطريقة التي ستدبرينه بها. هي نفس الطريقة التي حصلتِ بها على طفلتك. وعندما تكبر بما يكفي.." هنا ظننتُ أنها بسبيلها أن تصفعني، بعدها لم أعد أدري ماذا ستفعل. فقد تصرفت لوهلة كما لو كانت لعبة أدير زمبركها أكثر من المطلوب، وتوشك أن تنفلت وتتفتت إلى شظايا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت: "ياه، أنا مجنونة. لقد فقدت صوابي. فلا أستطيع أن آخذها. فلتحتفظ بها. ذلك ما أفكر فيه، يا جاسون". قالت، وهي تمسك بذراعي، وكانت يدها ساخنة كما لو كانت محمومة: "أود منك أن تعدني بأن تعتني بها، أن.. فهي قريبتك؛ لحمك ودمك. أرجوك أن تعدني، يا جاسون. أنت تحمل اسم أبي: هل تظن أنني كنت سأطلب منه ذلك مرتين؟ أو حتى مرة واحدة؟".

قلت: "هو كذلك. لقد ترك لي شيئًا ما. فما الذي تريدين مني أن أفعله؟ هل أشتري مريلةً وعربة طفل؟ أنا لم أورطك أبدًا في هذا الوضع. وأنا أجشم نفسي متاعب أكثر منك، لأنك ليس لديك ما تخسرينه. لذا فإذا كنت تتوقعين.."

قالت: "لا". ثم بدأت في الضحك، وحاولت أن تكتمه في الوقت نفسه. قالت: "لا. ليس لديَّ ما أخسره". وعندما شعرت بأن صوتها أصبح عاليًا، وضعت يدها على فمها. قال: "لا. لا. لا شيء".

قلت: "انتبهي. كُفّي عن ذلك!".

قالت، وهي تضع يدها على فمها: "أحاـأحاول ذلك. آه يا إلهي، آه يا إلهي".

قلت: "سوف أنصرف الآن. لا يمكن أن يراني أحد هنا. وأنت عليكِ ان تغادري المدينة الآن، هل تسمعينني؟"

قالت، وهي تمسك بذراعي: "انتظر. لقد توقفت. ولن أفعله ثانية. هل تعدني، يا جاسون". قالت، وأنا أشعر بعينيها كأنها تلامسان تقريبًا وجهي: "هل تعدني؟ أمي.. أن.. نقود إذا ما احتاجت أحيانًا إلى شيءٍ ما.. إذا أرسلت شيكات من أجلها لك، شيكات أخرى إلى جانب

تلك، هل ستعطيها لها؟ ألن تشي بذلك؟ سترى أنها بحاجة إلى بعض الأشياء مثل سائر الفتيات؟".

قلت: "بالتأكيد. طالما أنك تتصرفين على النحو الذي قلته لك".

كان ذلك عندما جاء إيرل في الجزء الأمامي من المحل، وقال: "أنا ذاهب إلى محل روجرز لتناول وجبة خفيفة. ليس لدينا وقت للذهاب الى البيت لتناول الغداء، فيما أظن".

قلت: "لماذا ليس لدينا وقت لذلك؟"

قال: "بسبب هذا السيرك. إنهم سيقدمون عرضًا فيما بعد الظهيرة أيضًا، والكل يريد أن ينتهي من عمله ليحضره. فالأفضل أن نسرع إلى محل روجرز".

قلت: "وهو كذلك. إنها معدتك. وإذا كنت تريد أن تكون عبدًا لعملك، فلا بأس بذلك بالنسبة لي".

قال: "أظن أنك لن تكون أبدًا عبدًا لأي عمل".

قلت: "إلا إذا كان عمل جاسون كومبسون".

لهذا، فعندما عدت وفضضت الغلاف كان ما أدهشني أنه ليس شيكًا، بل حوالة بريدية. أجل، يا سيدي. لا يمكنك أن تثق في واحدة منهن. فبعد كل ما تجشمته من مخاطر، المخاطرة بأن تكتشف أمي أنها أتت إلى هنا مرةً أو مرتين في السنة في بعض الأحيان، وأنني أكذب على أمي في هذا الشأن. ذلك هو العرفان. حوالة لا أستبعد عليها أن تُبلغ مكتب البريد ألا يصرفها إلا لها. وكيف يمكن أن يعطى مبلغ خمسين دولارًا لطفلة. وأنا لم أمسك بيدي خمسين دولارًا إلا بعد ما بلغت الواحدة والعشرين من العمر، وأنا الذي يعمل على الدوام في المحل فيما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لا يعمل أقراني إلا في الفترات المسائية، ولا يعملون أيام السبت. وأقول كيف يتوقعون من أحد أن يتحكم في سلوكها، في حين أنها تعطيها النقود من وراء ظهورنا. إنها تعيش في نفس البيت الذي عشتُ فيه، مع نفس التربية. وأعتقد أن أمي يمكنها أن تكون أقدر على الحكم على ما تحتاجه منك، أنت التي لا تملكين بيتًا. قلت: "إن كنت تريدين أن تعطيها مالاً، فأرسلي المال إلى أمي، ولا تعطيه لها. وإذا ما كان عليَّ أن أتحمل المخاطرة في هذا الشأن كل بضعة أشهر، فيجب عليكِ أن تتصرفي على النحو الذي أقول، وإلا وضعتُ نهاية لذلك".

وفي الموعد المحدد تمامًا استعددتُ للشروع في العمل، لأن إيرل سوف يكون أحمق تمامًا لو ظن أنني سوف أندفع في الشارع لألتهم على حسابه وجبة ثمنها خمسة وعشرون سنتًا وتورثك سوء الهضم. فأنا لا أجلس على منضدة واضعًا قدمي على منضدة من الماهوجني بل يُدفَع لي مقابل ما أفعله داخل هذا المبنى وإذا ما استطعتُ تدبير العيش بصورة متحضرة خارجه فسوف أذهب إلى المكان الذي يمكنني الذهاب إليه. ويمكنني أن أقف على قدمي ولا أحتاج إلى منضدة خشبية من أي إنسان لتسندني. ولذا ففي الوقت المحدد تمامًا كنت مستعدًّا للبدء وتعين عليَّ أن أترك ما في يدي وأسرع لكي أبيع لفلاح أبيض جاهل مسامير أو شيئًا من هذا القبيل بعشرة سنتات، وكان إيرل في طريق عودته إلى المحل وهو يقضم سندويتشًا، ثم اكتشفت أن السدادات المعدنية قد نفدت من المحل، وتذكرت أنني كنت أنوي إحضار المزيد منها، لكن الوقت الآن أصبح متأخرًا للقيام بذلك، ورفعت رأسي لأجد أن كوينتن قد أتت إلى المحل. عند الباب الخلفي. سمعتها تسأل جوب العجوز عما إن كنت

موجودًا. وكان لديَّ وقت كاف لأضع الرسائل في الدرج وأغلقه عليها.

أتت عند المنضدة. نظرتُ إلى ساعتي.

قلت: "هل تناولت غداءك؟ الساعة الثانية عشر تمامًا؛ لقد سمعتها لتوي تدق. لا بد أنك طرت من البيت إلى هنا".

قالت: "لم أذهب إلى البيت للغداء. هل جاءتني رسالة اليوم؟"

قلت: "هل تنتظرين رسالة من أحد؟ هل لك حبيب يكتب لك؟"

قالت: "من أمي. هل جاءتني رسالة من أمي"، وهي تنظر إليّ.

قلت: "لقد وصلت رسالة منها إلى أمي، ولم أفتحها. فعليك بالانتظار إلى أن تفتحها هي، وسوف تطلعك عليها، على ما أظن".

قالت، دون اهتمام: "من فضلك، يا جاسون، هل جاءتني رسالة؟"

قلت: "ما الأمر؟ لم أرك متلهفة على أحد هكذا. لابد أنك تنتظرين منها نقودًا".

قالت: "هي قالت إنها.. من فضلك، يا جاسون، هل جاءتني رسالة؟"

قلت: "لا بد أنك توجهت إلى المدرسة اليوم، أو إلى مكانٍ ما علموك فيه أن تقولي من فضلك. انتظريني لدقيقة واحدة لألبي لهذا الزبون طلبه".

توجهتُ إلى الزبون ولبيتُ طلبه. عندما استدرت لأعود لها كانت مختفية خلف المنضدة. أسرعت. جريت حول المنضدة وأمسكت بها، فأخرجت يدها من الدرج. انتزعت الرسالة من يدها، بعدما ضربت أصابعها على المنضدة إلى أن أفلتتها.

قلت: "ها أنتِ تفعلينها، أليس كذلك؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت: "اعطني الرسالة. لقد فتحتَها. فاعطها لي. من فضلك، يا جاسون. إنها لي. قرأت اسمي عليها".

قلت: "سوف أربطك بحبل حول رقبتك. هذا ما سوف أعطيه لك. تعبثين بأوراقي".

قالت، وهي تحاول الوصول إليها: "هل بها نقود؟ قالت إنها سوف ترسل لي بعض النقود. وعدتني بذلك. فاعطني الرسالة".

قلت: "ماذا ستفعلين بالنقود؟"

قالت: "هي قالت إنها سوف ترسلها. فاعطني الرسالة. من فضلك، يا جاسون. ولن أطلب منك أي شيء مرةً أخرى، إذا أعطيتها لي هذه المرة".

قلت: "سوف أعطيها لك، إذا أمهلتني بعض الوقت". أخرجت الرسالة والحوالة البريدية وأعطيتها الرسالة. مدت يدها لتأخذ الحوالة، وهي لا تكاد تنظر للرسالة. قلت: "ينبغي أن توقعي عليها أولاً".

قالت: "كم المبلغ؟"

قلت: "اقرئي الرسالة. أعتقد أنها ستقول ذلك".

قرأتها على عجل، في نظرتين.

قالت، وهي ترفع نظرها: "لم تقل كم المبلغ". ألقت بالرسالة على الأرض. "كم المبلغ؟"

قلت: "عشرة دولارات".

قالت، وهي تحملق فيّ: "عشرة دولارات؟"

قلت: "كان لابد لطفلة في مثل سنك أن تفرح بالحصول على مثل هذا المبلغ. لماذا أنت متلهفة للحصول على النقود فجأةً؟"

قالت، كما لو كانت تتكلم وهي نائمة: "عشرة دولارات؟ عشرة دولارات فقط؟". خطفت الحوالة.

قالت: "أنت تكذب. لص! لص!".

قلت، وأنا أخطف الحوالة منها: "لا تفعلي ذلك".

قالت: "اعطني إياها. إنها رسالة لي. أرسلتها لي. ولا بد أن أراها. لابد".

قلت، وأنا أمسك بها: "لابد أن تريها؟ كيف تفعلين ذلك؟"

قالت: "دعني أرها فقط، يا جاسون. أرجوك. ولن أطلب منك أي شيء مرةً أخرى".

قلت: "أنت تظنين أنني أكذب، أليس كذلك؟ ولهذا فلن أريها لك".

قالت: "ولكن عشرة دولارات فحسب؟ هي أبلغتني أنها.. هي أبلغتني.. جاسون، أرجوك أرجوك أرجوك. أنا أحتاج للحصول على بعض النقود. أنا في حاجة لها. اعطني الحوالة، جاسون. وسأفعل أي شيء إذا ما أعطيتها لي".

قلت: "قولي لي فيم تحتاجين إلى النقود".

قالت: "أنا أحتاجها". كانت تنظر إليْ. ثم فجأةً تمامًا كفت عن النظر إليَّ دون أن تحول نظرها عني تمامًا. علمت أنها بسبيلها لأن تكذب عليْ. قالت: "أنا مدينةٌ بها. وعليَّ أن أقوم بسدادها. عليَّ أن أقوم بسدادها اليوم".

قلت: "مدينةٌ بها لمن؟" عقدت يديها. راقبتها وهي تحاول التفكير في كذبة تقولها. قلت: "هل اشتريتِ شيئًا بالدين من المحلات مرةً أخرى؟ لا تتعبي نفسك بأن تقولي لي ذلك. فلو كان هناك من يعطيك شيئًا بالدين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

في هذه المدينة، بعد أن نهيتُهم عن ذلك، فسوف آكل هذا الشيء".

قالت: "إنها فتاة. إنها فتاة. اقترضتُ من فتاة بعض المال. ويتعين أن أسدد المبلغ. جاسون، أعطني الحوالة. من فضلك. ولن أفعل أي شيء. أنا بحاجة لذلك. وسوف تدفع أمي لك. سوف أكتب لها أن تدفع لك، ولن أطلب منها نقودًا مرةً أخرى. ويمكنك أن ترى الرسالة. من فضلك، جاسون. أنا بحاجة للمبلغ".

قلت: "قولي لي ماذا ستفعلين به، وسأفكر في الأمر. قولي لي". وقفت هناك بلا حراك، ويداها تعبثان بفستانها. قلت: "لا بأس. إذا كانت الدولارت العشرة مبلغًا زهيدًا للغاية بالنسبة لك، فسوف آخذ الحوالة إلى والدتي، وأنت تعلمين ما سيحدث بعدئذٍ. وإذا كنت بطبيعة الحال غنية فلن تحتاجي للدولارات العشرة.."

وقفت هناك، وهي تنظر إلى الأرض، بنوع من التمتمة لنفسها. "لقد قالت إنها سوف ترسل لي مالاً. قالت إنها ترسله إلى هنا، وأنت تقول إنها لم ترسل شيئًا. قالت إنها أرسلت مبلغًا كبيرا إلى هنا. قالت إنه لي. وهو ما يعني أن أحصل على بعضه. وأنت تقول إنها لم ترسل أي نقود".

قلت: "أنت تعرفين ذلك مثلما أعرفه. لقد رأيتِ ما حدث لهذه الشيكات".

قالت، وهي تنظر إلى الأرض: "أجل. ولكن عشرة دولارات. عشرة دولارات".

قلت: "والأفضل أن تشكري حظك على أنها عشرة دولارات". قلت لها، وأنا أضع الحوالة ووجهها على المنضدة، ويدي موضوعة

عليها: "هنا، وقِّعي هنا".

قالت: "هل ستسمح لي بقراءتها؟ سوف أقرأها فحسب. أيًّا كان ما فيها. ولن أطلب منك سوى عشرة دولارات. ويمكنك أن تأخذ الباقي. أود فقط أن أراها".

قلت: "لن تريها بعد الطريقة التي تصرفتِ بها. وعليك أن تتعلمي شيئًا واحدًا، وهو أنني عندما أقول لك أن تفعلي شيئًا، فعليكِ أن تفعليه. وقعي اسمك في هذا السطر".

أمسكت بالقلم، ولكن بدلاً من التوقيع، وقفت محنية الرأس هناك، والقلم يرتعش في يدها. تمامًا كأمها. قالت: "آه، يا إلهي، آه، يا إلهي".

قلت: "أجل. هذا شيء لابد أن تتعلميه، حتى لو لم تتعلمي غيره. وقعي الآن، وانصرفي من هنا".

وقعت. قالت: "أين هي النقود؟" تناولت الحوالة وجففتها بالنشاف ووضعتها في جيبي. ثم أعطيتها الدولارات العشرة.

قلت: "والآن، عليك بالعودة إلى المدرسة بعد الظهر، هل تسمعينني؟" لم تجب. كرمشت الورقة النقدية في يدها كما لو كانت خرقة قديمة أو شيئًا ما، ثم خرجت من الباب الأمامي في الوقت الذي وصل فيه إيرل أمام المحل.

أتى مع إيرل أحد الزبائن ووقفا أمام المحل. جمعت الأشياء، ولبست قبعتي، وتوجهت إليهما.

قال إيرل: "هل لديك الكثير من المشاغل؟"

قلت: "ليس الكثير". نظر خارج المحل.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "هل السيارة التي تقف هناك سيارتك؟ من الأفضل ألا تذهب للمنزل لتناول الغداء. فمن المحتمل أن يكون هناك الكثير من الزبائن قبل افتتاح عرض السيرك. تناول غداءك عند محل روجرز، وضع بطاقة في الدرج".

قلت: "ممتن لك كثيرًا. ما يزال بمقدوري على ما أعتقد أن أتدبر مسألة غذائي".

مكث هناك، وهو يراقب الباب مثل الصقر، إلى أن دخلتُ منه مرةً أخرى. حسنًا، سوف يراقب الباب لبعض الوقت؛ وكنت أنجز أقصي ما يمكنني إنجازه. في المرة السابقة، قلت إن هذا هو الشيك الأخير الآن؛ وعليك أن تحضر المزيد من الشيكات على الفور. ولكن مَنذا الذي يمكنه أن يتذكر كل هذا في خضم هذا الضجيج. والآن لا يأتي هذا السيرك اللعين إلا في اليوم الذي أبحث فيه في كافة أنحاء المدينة عن شيك فارغ، فضلاً عن الأمور الأخري التي يتعين عليَّ القيام بها لأحافظ على سير أمور المنزل، وإيرل يراقب الباب كالصقر.

ذهبتُ إلى المطبعة وقلت لصاحبها إنني أود أن أحصل على ما يمكنني من أن أعد مقلبًا لصديق، لكنه لم يكن لديه أي شيء. ثم قال لي إن بإمكاني أن ألقي نظرةً على دار الأوبرا القديمة، حيث أن هناك شخصًا يحتفظ بكثير من الأوراق والأشياء القديمة من بنك التجار والمزارعين حين أفلس، فسرت في بعض الأزقة البعيدة حتى لا يراني إيرل، وفي النهاية وجدتُ رجلاً كهلاً يُدعى سيمونز وأخذت منه المفتاح وصعدت للمبني وبحثت. عثرت في النهاية على دفتر شيكات لبنك سانت لويس. وبطبيعة الحال فإنها سوف تختار هذا الشيك هذه المرة لتفحصه عن قرب.

حسنًا، لا بد من القيام بذلك. فليس لديَّ الآن وقت لأضيعه.

عدتُ إلى المحل. قلت: "نسيت بعض الأوراق التي تحتاجها أمي لتذهب للبنك". عدت إلى المنضدة وحررتُ الشيك. قلت لنفسي، وأنا أحاول أن انتهي من الأمر بسرعة، إن من حسن الحظ أن نظرها يذوي، ومع تلك العاهرة الصغيرة بالمنزل، فثمة امرأة مسيحية صابرة كأمي. قلت لها أنت تعلمين كما أعلم ما ستكون عليه هذه الفتاة عندما تكبر ولكني قلت لها أيضًا إن كنت تودين أن تبقيها في المنزل، وتقومي على تربيتها اكرامًا لأبي، فإن هذا شأنك. عندها شرعت في البكاء وقالت إنها لحمها ودمها فبادرت إلى القول لا بأس. كما تشائين. يمكنني أن أتحمل ذلك مادمتِ تتحملين.

أعدتُ الرسالة إلى وضعها ولصقتها من جديد وخرجت.

قال إيرل: "حاول ألا تتأخر قدر الطاقة".

قلت: "وهو كذلك".

توجهتُ إلى مكتب التلغراف. وكان الفتية الشطار جميعًا هناك.

قلت: "هل كسب أي منكم المليون حتى الآن؟"

قال دوك: "ومَن يمكنه أن يكسب في سوق كهذه".

قلت: "كيف حال السوق؟" دخلت واستطلعت الأمر. كان هناك انخفاض بمقدار ثلاث نقاط عن الأسعار في بدء التعامل. قلت: "أنتم أيها الفتية هل تتركون شيئًا تافها مثل بورصة القطن تغلبكم، أتتركونها؟"

قال دوك: "أذكياء جدًّا. لقد انخفضت الأسعار بمقدار اثنتي عشرة نقطة بحلول الساعة الثانية عشرة. وأفلست تمامًا".

قلت: "اثنتي عشرة نقطة؟" وقلت للموظف: "لماذا لم يبلغني أحد؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لماذا لم تُعرفوني؟"

قال: "أنا استقبلها كما تأتيني. ولا أدير مكتب سمسرة".

قلت: "أنت رجل شاطر، أليس كذلك؟ ويبدو لي أن بإمكانك أن تعطيني جزءًا من وقتك وتتصل بي، نظرًا لما أصرفه من نقود معك. أم أن شركتك الملعونة تتواطأ مع هؤلاء الحيتان في الشرق".

لم يرد. تظاهر بأنه مشغول.

قلت: "أنت تتجاوز حجمك. وأول شيء ينبغي أن تعلمه أنك تعمل من أجل عيشك".

قال دوك: "ما خطبك؟ ما تزال متقدمًا بثلاث نقاط".

قلت: "أجل. لو حدث أنني بعت. ولم أقل ذلك بعد، فيما أظن. لقد خسرتم تمامًا ياشباب".

قال دوك: "لقد خسرت مرتين. وتحركت في اللحظة المناسبة".

قال آي. سنوبس: "لقد اخترت عن طريق الحظ؛ وأعتقد أن الحظ سوف يختارني في إحدى المرات".

هكذا تركتهم يبيعون ويشترون فيما بينهم بسعر خمسة سنتات لكل نقطة. ولقيت زنجيًّا أرسلته ليحضر سيارتي ووقفت أنتظر عند الناصية. لم أتمكن من رؤية إيرل وهو يبحث في الشارع، وينظر في الساعة، لأني لم أستطع رؤية الباب من هنا. وبعد نحو أسبوع عاد الزنجي بالسيارة.

قلت: "أين كنت؟ هل قمت بجولة بالسيارة كي تراك المومسات؟"

قال: "لقد جئتُ مباشرة قدر استطاعتي. كان عليَّ أن أبتعد عن الميدان، نظرا للزحام الشديد للسيارات".

لم أصادف في حياتي حتى الآن زنجيًّا تعجزه الحيلة في أن يقدم لك

عذرًا يصعب الجدال فيه أيًا كان ما يقوم به. فما إن تترك له سيارة حتى ينطلق بها ليستعرض أمام الناس. ركبت السيارة وسرت بها حول الميدان. لمحت إيرل من بعيد- عبر الميدان- وهو أمام باب المحل.

توجهتُ إلى المطبخ مباشرةً وطلبت من ديلسي أن تسرع بالغداء.

قالت: "كوينتن لم تعد للبيت حتى الآن".

قلت: "وماذا بعد؟ سوف تبلغينني في المرة المقبلة أن لاستر ليس مستعدًا لتناول الطعام بعد. كوينتن تعرف مواعيد الوجبات في هذا المنزل. أسرعي بإحضار الطعام الآن".

كانت أمي في غرفتها. أعطيتها الرسالة. فتحتها وأخرجت الشيك، وجلست وهي تمسك به في يدها. ذهبت وأحضرت جاروفًا من الركن وأعطيتها ثقابًا. قلت: "هيا. انتهي من ذلك. فسوف يغلبك البكاء بعد دقيقة".

أخذت الثقاب، لكنها لم تشعله. ظلت في مكانها، وهي تنظر إلى الشيك. تمامًا كما توقعت من قبل.

قالت: "أكره القيام بذلك. فأن أزيد عبئك بإضافة كوينتن.."

قلت: "أعتقد أننا سنقوم بالأمر. هيا. انتهي من الأمر".

لكنها ظلت جالسة هناك، وهي تمسك بالشيك.

قالت: "هذا الشيك من بنك مختلف. وحسابهم في أحد بنوك انديانابوليس".

قلت: "نعم. يُسمح للنساء بأن يفعلن ذلك".

قالت: "يفعلن ماذا؟"

قلت: "أن يكون لهن حسابات في بنوك مختلفة".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت: "ياه". نظرت إلى الشيك لبرهة. قالت: "أنا سعيدة بأن أعرف أن لديها مثل هذا.. إن لديها الكثير.. ويشهد الله أنني لا أفعل إلا ما هو صائب".

قلت: "هيا. لننه هذا الأمر. ولتنتهي من هذه التسلية".

قالتك "تسلية؟ عندما أفكر .."

قلت: "أعتقد أنك تحرقين هاتين المائتي دولار كل شهر على سبيل التسلية. هيا، الآن. هل تودين أن أشعل لك الثقاب؟"

قالت: "بوسعي أن أتقبل ذلك. مِن أجل أطفالي. فلم تعد لي كرامة".

قلت: "أنت لا تكتفين. أنت تعلمين ذلك. لقد اتفقتِ على ذلك ذات مرة، فلنبق على هذا الاتفاق. ويمكننا أن نواصل الأمر".

قالت: "إنني أترك لك التصرف في كافة الأمور. لكني أحيانًا أخشى أنني- عندما أفعل ذلك- أحرمك من أمور هي من حقك. وربما سأحاسب على ذلك. وإذا شئت، فإن بوسعي أن أتنازل عن كرامتي وأقبل المال".

قلت: "ما جدوى أن تشرعي في ذلك الآن، في حين أنك تحرقينها على مدى خمسة عشر عامًا؟ فإذا واصلتِ ذلك فلن تخسري شيئًا، أما إذا بدأتِ بقبولها الآن فسوف تخسرين خمسة آلاف دولار. ونحن نُسير أمورنا بها الآن، أليس كذلك؟ وأنتِ لم تذهبي بعد إلى ملجأ للفقراء".

قالت: "أجل. نحن آل باسكوم لا نحتاج إحسانًا من أحد. لا سيما ممن ارتكبت خطيئة".

أشعلت عود الثقاب، وأشعلت النار في الشيك، ووضعته في الجاروف، ثم أشعلت النار في المظروف، وهي ترقبهما وهما يحترقان.

قالت: "أنت لا تعلم ما هو شعور الأم. حمدًا لله أنك لا تشعر بذلك".

قلت: "هناك الكثير من النساء في العالم لسن بأفضل حالاً منها".

قالت: "ولكنهن لسن بناتي. لا يتعلق الأمر بي. فأنا على استعداد لأن تعود رغم خطاياها، فهي لحمي ودمي. ولكن ما يهمني هو كوينتن".

حسنًا، كان بوسعي أن أقول إنه لا أحد لديه فرصة لأن يلحق الضرر بكوينتن، ولكني كما قلت من قبل لا أنتظر شيئًا من أحد أكثر من أن آكل وأنام دون ازعاج من امرأتين تبكيان وتتشاجران في المنزل.

قالت: "وهي تنتمي إليك. وأنا أعرف مشاعرك نحوها".

قلت: "بقدر ما يتعلق الأمر بي، دعيها تعود".

قالت: "لا. احترامًا لذكرى والدك".

قلت: "لكنه كان يسعى طوال الوقت لأن يقنعك بأن تتركيها تعود للبيت، بعد أن طردها هربرت".

قالت: "أنت لا تفهمني. أعلم أنك لا تقصد أن تزيد من متاعبي. ولكن واجبي هو أن أعاني من أجل أولادي. وبوسعي أن أتحمل ذلك".

قلت: "يخيل لي أنك تجشمين نفسك متاعب لا لزوم لها للقيام بذلك". كانت الأوراق قد احترقت عن آخرها. حملتها إلى البوابة وتركتها هناك. قلت: "يبدو لي أن من المؤسف حرق نقود جيدة".

قالت: "لا أود أن أرى اليوم الذي يقبل فيه أولادي ذلك، أجر الخطيئة. إنني أفضل حتى أن أراك ميتًا في قبرك قبل أن يحدث ذلك".

قلت: "على راحتك. هل سنتناول غداءنا حالاً أم لا؟ لأنني لابد لي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن أعود إلى العمل. لدينا الكثير من العمل اليوم". نهضت. قلت: "لقد طلبت منها أن تعد الغداء. يبدو أنها تنتظر كوينتن أو لاستر أو شخصًا ما. انتظري، سوف أناديها". لكنها ذهبت إلى أعلى السلم ونادت عليها.

قالت ديلسي: "كوينتن لم تأت بعد".

قلت: "حسنًا، عليَّ أن أعود الآن. ويمكنني أن أتناول سندويتشًا في المدينة. لا أريد أن أتدخل في ترتيبات ديلسي". حسنًا، أثارها ذلك مرةً أخرى، وهي تتحرك متعثرة جيئةً وذهابًا وهي تدمدم بكلام غير مفهوم.

قالت: "حسنًا. سوف أعد الغداء بأسرع ما يمكنني".

قالت أمي: "إنني أحاول أن أرضيكم كلكم. أحاول أن أجعل الأشياء- بالنسبة لكم- أسهل ما يمكنني".

قلت: "أنا لم أتذمر، هل تذمرت؟ هل قلتُ سوى أنني سوف أعود للعمل؟"

قالت أمي: "أعلم ذلك. أعلم أنك لم تتح لك الفرصة التي أتيحت للآخرين، وأنك مضطر لأن تدفن نفسك في محل ريفي صغير. كنت أتمني أن تكون في وضع أفضل. وأعرف أن والدك لم يكن يدرك أنك الوحيد الذي يمتلك ملَكة تجارية، وبعد ذلك عندما خاب كل شيء. كنت أعتقد أنها عندما تزوجت، وهربرت.. بعد وعده.."

قلت: "حسنًا. من المحتمل أنه كان يكذب أيضًا. وربما لا يمتلك أيضًا بنكًا. ولو كان يمتلكه، فلا أظن أنه كان سيجشم نفسه عناء القدوم على كل هذا الطريق إلى مسيسيبي ليأخذ رجلا ليعمل فيه".

أكلنا لبرهة. كنت أسمع صوت بن في المطبخ، حيث كان لاستر يطعمه. وكما قلت فإذا كُتب علينا أن نطعم فمًا آخر وهي لا تريد أن

تأخذ المال، فلماذا لا ترسله إلى مستشفى المجانين. سيكون أكثر سعادة هناك، مع أناس على شاكلته. وقلت في نفسي إن الله يعلم أن هذه الأسرة ليس لديها إلا القليل لتفخرَ به، فليس مما يعتبر مدعاةً للفخر أن ترى رجلاً في الثلاثين من عمره يلعب في الفناء مع صبي زنجي، ويجرى نحو السياج جيئةً وذهابًا وهو يعوي مثل البقرة، عندما يلعبون الجولف خلف السياج. وكنت أقول لنفسي لو أنهم أرسلوه إلى مستشفى المجانين منذ البداية، لكنا أيسر حالاً الآن. وأظن أنك أديت واجبك نحوه؛ لقد قُمت بكل ما يمكن لأي إنسان أن يتوقعه منك، وأكثر مما يمكن لمعظم الناس أن يقوموا به، فلماذا لا ترسلينه إلى المستشفي، وتستفيدي من تخفيضات الضرائب التي ندفعها. وعند ذلك تسمعها تقول: "إنني سوف أرحل قريبًا وأنا أعلم أنني عبء على كاهلكم"، وأقول "لقد رددتِ ذلك مرارًا لدرجة أنني بدأت أصدقك"، وأكتفي بالقول إن من الأفضل أن تكوني متأكدة من ذلك ولا تعرفيني برحيلك، لأنني من المؤكد أنني سوف أضعه في تلك الليلة في القطار رقم 17، وأقول أعتقد أنني أعلم أيضًا مكانًا سوف يأخذونها هي أيضًا إليه واسمه لن يكون شارع العسل أو طريق اللبن. وعندها تشرع في البكاء وأقول لها لا بأس لا بأس فأنا أيضًا أشعر بفخر كبير بأهلي مثل أي إنسان آخر رغم أنني لا أعلم أصلهم.

أكلنا لبرهة. أرسلت أمي ديلسي إلى الجزء الأماميَ من البيت لتبحث مرةً أخرى عن كوينتن.

قلت: "إنني أكرر لك أنها لن تأتي لتناول الغداء".

قالت: "إن مداركها أكبر من ذلك. فهي تعلم أنني لن أسمح لها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بالتسكع في الشوارع ولا تعود إلى البيت في موعد الغداء. هل بحثتِ عنها جيدًا، يا ديلسي؟"

قلت: "لا تسمحي لها بذلك، إذن".

قالت: "وماذا بوسعي أن أفعل. فكلاكما لا يسمع لي كلمة على الدوام".

قلت: "لولا تدخلك، لجعلتها تطيعك. ولن يستغرق الأمر مني سوى يوم واحد لتسير على الصراط المستقيم".

قالت: "سوف تقسو عليها. فطبعك شبيه بطبع خالك موري".

ذلك ما ذكرني بالرسالة. أخرجتها من جيبي وناولتها لها، وأنا أقول: "لا لزوم لأن تفتحيها. فسوف يبلغك البنك بالمبلغ هذه المرة".

قالت: "إنها مرسلة لك".

قلت: "هيا افتحيها". فتحتها وقرأتها ثم أعطتها لي:

"ابن اختي العزيز،

أزف لك خبرًا سوف يسرك هو أنني أتيحت لي فرصة لن أخوض في تفاصيلها إلى أن تسنح لي فرصة لأن أكشفها لك على نحو أكثر أمنًا، وذلك لأسباب سوف أوضحها لك. لقد علمتني خبرتي في مجال الأعمال ألا أفشي أمرًا ذا طبيعة سرية بأية وسيلة ملموسة أخرى غير الكلام، ولسوف يكشف لك حذري الشديد في هذه الحالة عن مدى قيمة هذ الفرصة. وغني عن البيان أنني انتهيت من دراسة مستفيضة لها من كافة جوانبها، ولا أتردد في أن أقول لك إنها من ذلك النوع من الفرص الذهبية التي لا تعن للمرء سوى مرة واحدة في حياته، وأري الآن أمامي بوضوح

ذلك الهدف الذي سعيت له دون كلل طوال حياتي: أي جمع شتات أعمالي بحيث يمكنني أن أكون في الوضع الصحيح الذي يليق بأسرتي التي أشرف بأن أكون الذكر الوحيد المتبقي من سلالتها؛ تلك الأسرة التي ضمنتُها السيدة والدتك وأولادها.

وتشاء الظروف ألا أكون في وضع يمكنني من أن أنتفع بهذه الفرصة بالكامل إلا إذا لجأت إلى تلك الأسرة كي أتمكن من ذلك، وأنا بسبيلي اليوم لأن أسحب من حساب والدتك في البنك المبلغ الصغير اللازم لاستكمال استثماراتي الأولية، وقد أرفقت طيه على سبيل استكمال الشكليات إقرارًا بالدين بفائدة سنوية قدرها ثمانية في المئة. وغني عن البيان أن هذا من قبيل الشكليات، لضمان حق والدتك في حالة حدوث أي ظرف من الظروف التي يكون المرء فيها مجرد ألعوبة في يد الأقدار. وبطبيعة الحال فسوف أوظف هذا المبلغ كما لو كان مالي الخاص لأتيح لوالدتك الاستفادة من هذه الفرصة التي أثبتت تحرياتي الشاملة أنها سوف تكون فرصة ذهبية نجني فيها- حسب التعبير العامي- أنقى الجواهر وأصفاها.

وهذا سر فيما بيننا، ستدرك ذلك، يفضي به رجل أعمال إلى رجل أعمال؛ سوف نجني منه مكاسب كبيرة، أليس كذلك؟ ونظرًا لأني أعلم أن صحة والدتك معتلة وأنها تحس بطبيعتها بالرهبة من الأعمال التجارية التي تحسها سيدات الجنوب اللاتي نشأن نشأة مرهفة، ونظرا لميلهن الأخاذ لأن يكشفن دون قصد عن هذه الموضوعات في الأحاديث بينهن، فإنني أقترح عليك ألا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تذكر لها شيئًا عن هذا الموضوع على الإطلاق. وأشدد عليك النصح بألا تفعل ذلك. فقد يكون من الأفضل أن أعيد المبلغ إلى حسابها في المستقبل، ولنقل عند سداد مبلغ كبير من المال من الديون التي أدين بها لها. فلا تقل لها شيئًا عن ذلك أبدًا. فهو واجبنا أن نحميها من عالم الماديات الصرف قدر الإمكان.

خالك المحب

موري ل. باسكوم".

قلت لها، وأنا ألقي بالرسالة على المائدة: "ما الذي تودين عمله بهذا الشأن؟"

قالت: "أعلم أنك تكره أن أعطيه شيئًا".

قلت: "إنه مالك. ولو شئتِ أن ترميه حتى للطير، فهذا شأنك".

قالت: "هو أخي. إنه المتبقي لي من آل باسكوم. وعندما نموت لن يبق من الأسرة أحد".

قلت: "هذا أمر يصعب على أي إنسان، على ما أعتقد. لا عليك، لا عليك. إنه مالك. فافعلي به ما يحلو لك. هل تودين أن أبلغ البنك بأن يصرف له المبلغ؟"

قالت: "أعلم أنك لا تحبه. وأدرك العبء الملقى على كاهلك. وعندما أموت سوف تكون الأمور أيسر عليك".

قلت: "يمكنني أن أهون الأمر على نفسي من الآن. لا بأس، لا بأس، لن أتحدث عن ذلك مرةً أخرى. يمكنك أن تنقلي مستشفي المجانين بكاملها إلى هذا البيت، إن شئت".

قالت: "إنه أخوك. حتى لو كان معتلاً".

قلت: "سوف آخذ دفتر التوفير. سوف أصرف شيكي اليوم".

قالت: "لقد أخرك ستة أيام. فهل أنت متأكد من أن عملكم لا خوف عليه؟ فمن الغريب أن عملاً تجاريًّا رابحًا يعجز عن دفع رواتب موظفيه على الفور".

قلت: "هو رجل لا بأس به. آمنٌ مثل بنك. أنا الذي قلت له ألا يهتم بدفع مرتبي إلى أن يتم تصفية حساب المحل كل شهر. هذا هو السبب في أنه يتأخر في الدفع أحيانًا".

قالت: "لا يمكنني فحسب أن أحتمل أن تفقد القليل الذي استثمرته من أجلك. وكثيرًا ما يرد إلى ذهني أن إيرل ليس برجل أعمال ناجح. وأرى أنه لا يطلعك على أسرار العمل إلى حد يتناسب مع استثمارك في المحل. ولسوف أتحدث معه في ذلك".

قلت: "لا. دعيه وشأنه. فهذه أعماله".

"ألست تملك ألف دولار فيه".

قلت: "دعيه وشأنه. أنا منتبه لهذه الأمور. ومعي توكيلك الرسمي. وكل شيء سيكون على مايرام".

قالت: "أنت لا تعلم إلى أي مدًى تمثل عزاءً لي. لقد كنتَ لي على الدوام مبعث فخر وفرحة، لكن عندما أتيت من تلقاء نفسك وأعربت عن إصرارك على أن تودع مرتبك كل شهر في حسابي، حمدت الله على أن أبقاك بعد أن حرمني من الآخرين".

قلت: "كانوا أناسًا لا بأس بهم. وهم بذلوا ما في وسعهم، على ما أعتقد".

قالت: "عندما تتحدث على هذا النحو، أدرك أنك تتألم لذكرى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

والدك. وهذا من حقك. ولكن قلبي ينفطر عندما أسمعك".

نهضتُ. قلت: "إذا كنت ستبكين، فمن الأفضل أن تبكي وحدك، لأنني مضطر لأن أعود. سوف آخذ دفتر التوفير".

قالت: "سأحضره لك".

قلت: "لا تتحركي. سوف آتي به".

صعدتُ السلالم، وأحضرت دفتر التوفير من مكتبها، وعدت إلى المدينة. توجهت إلى البنك، وأودعت الشيك والحوالة وعشرة دولارات أخرى، ومررت بمكتب التلغراف. كان المؤشر مرتفعًا بمقدار نقطة عن سعر الافتتاح. لقد خسرت ثلاث عشرة نقطة، وذلك كله بسبب أنها أتت وهي تصيح هناك في الساعة الثانية عشرة، مما أثار قلقي بشأن تلك الرسالة.

قلت: "متي وصل هذا التقرير؟"

قال: "منذ نحو ساعة".

قلت: "منذ نحو ساعة؟ لماذا ندفع لك إذن؟ مقابل تقارير أسبوعية؟ فكيف تتوقع من إنسان أن يفعل شيئًا؟ فسقف الأسعار يمكن أن ينفجر ونحن لا نعلم عن ذلك شيئًا".

قال: "لم أكن أتوقع أن تفعل شيئًا. فقد عدلوا القانون الذي كان يسهل للناس التلاعب في سوق القطن".

قلت: "هل فعلوا ذلك؟ لم أسمع بذلك. لابد أنهم أرسلوا الخبر من خلال الوسترن يونيون".

عدت إلى المحل. ثلاثون نقطة. اللعنة عليَّ لو صدقتُ أن أحدًا يعلم شيئًا عن ذلك فيما عدا أولئك الذين يجلسون في المكاتب في نيويورك

يترقبون قدوم السذج من الأرياف ليتوسلوا إليهم أن يأخذوا منهم نقودهم. حسنًا، إن رجلا يقتصر ما يقوم به على مجرد الاتصال يكشف عن أنه لا يثق بنفسه، وأقول إن لم تسع للمشورة، فما جدوي أن تدفع مالاً في مقابل الحصول على مشورة. وفضلاً عن ذلك، فإن هؤلاء الناس موجودون هناك على الأرض؛ إنهم يعرفون كل ما يدور هناك. تحسستُ التلغراف في جيبي. وليس عليَّ سوى أن أبرهن على أنهم يستغلون شركة التلغراف في الغش. وهو ما يشكل مكتب سمسرة. ولن أتردد لمدة طويلة، بعد ذلك. فأنا على يقين من أن شركة كبيرة وغنية مثل ويسترن يونيون تحصل على تقرير السوق في الوقت المناسب. بنصف السرعة التي يرسلون بها برقية لك يقولون فيها "حسابك أغلق". ولكن ما الداعي لأن يهتموا بالناس. إن علاقتهم سمنٌ على عسل مع أولئك القوم في نيويورك. والجميع يدرك ذلك.

عندما وصلت إلى المحل نظر إيرل في ساعته. لكنه لم يتكلم إلا بعد أن غادر الزبون. عندها قال:

"هل ذهبت للبيت للغداء؟"

قلت: "اضطررت لأن أذهب إلى طبيب الأسنان". قلت له ذلك لأنه ليس من شأنه أن يعلم أين أتناول طعامي، لكنني كان يتعين أن أكون معه في المحل في فترة ما بعد الظهر. وعندما يتوجه لي باللوم فإنني- مع ذلك- أواجهه. وبيني وبين نفسي، أقول أنت أخذت محلاً ريفيًا صغيرًا بطول أربعة أمتار في مترين، ويمكن للمرء أن يأخذه بخمسمائة دولار، ولكي يقلق المرء عليه فلابد أن يكون ثمنه خمسين ألف دولار.

قال: "كان من الواجب أن تبلغني بذلك. فقد توقعتُ أن تأتي على

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الفور".

قلت: "أنا على استعداد لأن أتبادل معك سنتي مقابل سنتك، وأدفع فرقًا عشرة دولارات. لقد اتفقنا على أن هناك ساعة للغداء، وإذا لم تكن طريقتي تعجبك، فأنت تعرف ما يمكنك أن تفعله بشأن ذلك".

قال: "أعلم ذلك منذ فترة. ولولا والدتك لقمت بذلك قبل الآن، أيضًا. إنها سيدة أشعر بالتعاطف معها، يا جاسون. ومن المؤسف أن آخرين أعرفهم لا يقولون بقولي هذا".

قلت: "إذن، فوفِّر تعاطفك على نفسك. وعندما تحتاج لتعاطف فسوف أخبرك بذلك، قبلها بوقت طويل".

قال: "لقد حميتك في هذه التجارة لأمد طويل، يا جاسون ".

قلت: "حقًّا؟". تركته ليكمل كلامه. لأستمع لما سيقوله قبل أن أخرسه.

قال: "أعتقد أنني أعلم من أين أتت هذه السيارة بأكثر مما تعلمه هي".

قلت: "هل تظن ذلك؟ فمتي ستنشر الأخبار بأنني سرقتها من أمي؟"

قال: "لا أقول شيئًا في ذلك. إنني أعلم أن لديك توكيلاً منها. وأعلم أنها ما تزال تعتقد أن هناك ألف دولار تُستثمر في هذا المحل".

قلت: "لا بأس. وطالما أنك تعلم الكثير، فأود أن أضيف إلى علمك شيئًا آخر: فلتذهب إلى البنك لتسألهم عن الحساب الذي أودع فيه كل شهر مئة وستين دولارًا أول كل شهر، على مدى اثني عشر عامًا".

قال: "لا أقول شيئًا في ذلك. كل ما أطلبه منك أن تتوخى الحذر بقدر أكبر بعد ذلك".

لم أقل شيئا بعد ذلك. فما جدوى الكلام. فقد توصلت إلى أنك عندما تجد إنسانًا يلزم نفسه بأسلوب معين في التصرف لا يحيد عنه، فإن أفضل شيء أن تتركه في حاله. وعندما يتراءى لأحدهم أنه يقول لك إن هذا لصالحك، فقل له "مساء الخير". ومن دواعي سروري أن ضميري لا يسمح لي بأن أدلل مثل هذا الجرو المريض طوال الوقت. وعليَّ أن أكون حريصًا بالنسبة لأي شيء مثلما هو حريص على أن يحشد الكثير من البضائع في دكانه الصغير بما يحرمه من أن يكسب أكثر من ثمانية في المئة. ويبدو لي أنه يظن أنهم سيطبقون عليه قانون الربا لو حقق ربحًا صافيًا يتجاوز ثمانية في المئة. فأية فرصة ملعونة تتاح للمرء هنا عندما يتقيد ببلدة مثل هذه وعمل كهذا. ماذا لو توليت أمر متجره لمدة عام وأدبره بحيث لا يُضطر لأن يعمل مرةً أخرى، وكل ما يمكنه فعله حينئذٍ هو أن يتبرع به للكنيسة أو لشيء من هذا القبيل. وإذا كان هناك من يضايقني فهو الإنسان المنافق، عليه اللعنة. إنسان يظن أن أي شيء لا يفهمه بالكامل لابد أن يكون عملاً من أعمال النصب، وأنه ما إن تسنح أول فرصة حتى يرى أنه مُلزمٌ أخلاقيًا بأن يبلغ بها طرفًا ثالثًا ليس من شأنه أن يبلغه بها. وأقول إنني لو اعتقدت على الدوام أن أي إنسان قام بعمل لا يلم بكافة جوانبه هو إنسان نصابٌ بالضرورة، فلن يكون من الصعب عليَّ أن أعثر على شيء في تلك الدفاتر التي لا نفع من فتحها وأبلغ به أحد الناس الذين أعتقد أنهم ينبغي أن يعلموا به، في حين أنني أعلم أنهم جميعًا قد يعلمون عن هذا الموضوع بأكثر مما أعلم، وإذا لم يكونوا يعلمون فليس هذا من شأني وقال: "دفاتري مفتوحةٌ للجميع. وأي إنسان لديه مزاعم أو يعتقد أن لديها مطالب من المحل فيمكنه أن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يرجع لها بكل سرور".

قلت: "من المؤكد أنك لن تبلغها. لا يمكنك أن تفعل ذلك وأنت مرتاح الضمير. بل سوف تتركها فحسب هنا، وتتركها تكتشف الأمر بنفسها. ولن تقول لها ذلك بنفسك".

قال: "أنا لا أحاول التدخل في شئونك. أعرف أنك ارتكبت أخطاء مثلما ارتكب كوينتن. ولكن والدتك عرفت حياة تعيسة أيضًا، وإذا أتت إلى هنا وسألتني عن السبب في أنك تركت العمل، فسوف أبلغها. ولا يرجع ذلك إلى موضوع الألف دولار. تعلم ذلك. لكن لأن المرء لن ينجح إذا كان سجل حساباته غير متفق مع الواقع. ولن أكذب على أحد، سواء في أمر يخصني أو يخص غيري".

قلت: "حسنًا، إذن. يخيل لي أن ضميرك موظفٌ لديك أكثر أهمية مني؛ ولا يلزمه أن يذهب للبيت للغداء، ولكن لا تدع ذلك يفقدني شهيتي". قلت ذلك لأنني كيف يمكنني أن أفعل أي شيء صواب في مثل هذه العائلة الملعونة، كما أنها لا تبذل أي مجهود للسيطرة عليها أو التحكم في أي منهم مثلما حين تصادف- في ذلك الحين- أن رأت أحدهم يقبل كادي فأمضت اليوم التالي كله مرتدية ملابس الحداد السوداء ووشاحها ولم يتمكن حتى أبي من أن ينتزع منها كلمة واحدة سوى البكاء والقول إن ابنتها الصغيرة قد ماتت وكادي في الخامسة عشرة من العمر آنذاك وخلال ثلاث سنوات فحسب سوف ترتدي الملابس المنشاة والمحشوة بالشعر التي تبرز أنوثتها. وقلت هل تظنين أنني يمكن أن أتحمل أن تتسكع في الشوراع مع كل طبَّال يأتي إلى المدينة، ويبلغ كل طبَّال منهم الطبَّال الجديد الذي يأتي إلى جفرسون عن المكان الذي يمكن أن

يجد فيه الفتيات الشهيات. ليس لي أن أفخر بأن لي كرامة. كما أنني لا أطيق عبء إطعام مطبخ ممتلئ بالزنوج وحرمان ملجأ الولاية من نجمه الطالع الجديد. وقلت لدينا ذوو قربى وجنرالات وحكام ولايات الحمد لله أننا ليس لدينا في أسرتنا ملوك أو رؤساء؛ وإلا لكنا الآن في مستشفي المجانين نجري وراء الفراشات. وأقول لو كان ذلك الدم دمي لكان أمرًا بالغ السوء؛ ولكنت على يقين- على أقل تقدير- من أنه غير شرعي، والآن فربما حتى الله لا يعلم ذلك عن يقين.

بعد فترة سمعت صوت الفرقة الموسيقية تبدأ، ثم شرعوا في الانصراف. توجهوا إلى السيرك، كل واحد منهم. كانوا يساومون في ثمن سير حصان من فئة العشرين سنتًا ليشتروه بسعر مخفض خمسة عشر سنتًا، لكي يعطوه لمجموعة الوافدين من الشمال الذين قد يدفعون عشرة دولارات للفوز به. خرجت إلى خلف المحل.

قلت: "حسنًا. إذا لم تنتبه، فإن هذه الصامولة سوف تنغرس في يدك. وساعتها سوف أحضر بلطة لأنتزعها منها. ماذا تظن أن تأكله دودة القطن إذا لم تنته من تركيب هذه المعازق وتجهزها لكي تنتج المحصول؟ هل تأكل الحلفاء؟"

قال: "هؤلاء القوم يحسنون العزف على الأبواق. لقد سمعت أن رجلاً في هذا العرض يعزف على المنشار، ويخرج نغمات مثل أنغام القيثارة".

قلت: "اسمعني. هل تعرف كم سينفق هذا العرض في هذه المدينة؟ نحو عشرة دولارات. وهي الدولارات العشرة التي وضعها في جيبه الآن باك توربين".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "لماذا يعطون السيد باك عشرة دولارات؟"

قلت: "مقابل استغلالهم الأرض لإقامة العرض عليها. ويمكنك أن تقارن بنفسك بين ما ينفقون وما سيربحونه".

قال: "هل تعني أنهم يدفعون عشرة دولارات مقابل أن يعرضوا هنا؟"

قلت: "هذا كل ماينفقون. فكم في اعتقادك.."

قال: "غريب. هل تعني أنهم يأخذون منهم رسمًا ليعرضوا هنا؟ هذه الدولارت العشرة سأدفعها- لو استلزم الأمر- لأشاهد هذا الرجل الذي يعزف على المنشار. رغم أن أجري الذي سآخذه صباح الغد هو تسعة دولارات وخمسة وسبعون سنتًا".

مع ذلك، فإن أهل الشمال يصدعون رأسك بأحاديث عن أن الزنوج يتقدمون. وأنا أقول لهم دعوهم يتقدمون. ولن تعثروا على واحد متقدم منهم جنوب لويزفيل حتى لو استخدمتم الكلاب البوليسية. لأنني عندما عرفته بأنهم سوف يحزمون أمتعتهم في ليلة السبت حاملين معهم ألف دولار على الأقل، حصلوا عليها من أهل هذه المنطقة، قال:

"حلال عليهم. ويمكنني أن أتحمل 25 سنتًا لأري هذا العرض".

قلت: "لن يقتصر الأمر على الخمسة والعشرين سنتًا. هذا ما تدفعه في البداية فحسب. فماذا عن البنسات العشرة أو الخمسة عشر التي ستدفعها ثمنًا لعلبة حلوى ثمنها بنسان أو شيء من هذا القبيل. وماذا عن الوقت الذي ستضيعه في الاستماع إلى الفرقة".

قال: "هذا هو الواقع. ولو كُتبت لي الحياة الليلة فسوف يكسبون خمسة وعشرين سنتًا إضافية".

قلت: "إذن فأنت عبيط".

قال: "لن أجادلك في ذلك. لكن لو كان العبط جريمة لما اقتصر نزلاء سجون الأشغال الشاقة على السود".

تصادف في هذه اللحظة أن رأيتها وأنا أنظر نحو الزقاق. وعندما رجعت للخلف ونظرت في ساعتي، لم أنتبه للشخص الذي كان معها لأنني كنت أنظر للساعة. كانت الساعة الثانية والنصف تمامًا، قبل خمس وأربعين دقيقة من الوقت الذي يتوقع فيه أي شخص فيما عداي أن تكون خارج المنزل. ولذا فعندما نظرت من الباب كان أول ما رأيته هو رباط العنق الأحمر الذي يرتديه وفكرت أي نوع من الناس هذا الذي يرتدي رباط عنق أحمر. لكنها كانت تتسلل عبر الزقاق، وهي ترقب الباب، ولذا لم أفكر فيه إلا بعد أن مرا. كنت أتساءل إلى أي مدًى تستهين بي، فهي لا تتهرب من المدرسة فحسب في الوقت الذي أبلغتها فيه بألا تقوم بذلك، بل تمر أمام المحل، ظنًّا منها أنني لا أراها. وهي لا يمكنها أن ترى مَن بالباب لأن انعكاس ضوء الشمس كان مبهرًا، بما يشبه النظر في ضوء كشاف سيارة. هكذا توقفتُ هناك وأنا أرقبها وهي تمر، والمساحيق على وجهها أشبه بالمساحيق على وجه بهلوان لعين، وكان شعرها مجدولاً ومشبعًا بالزيوت، وتلبس فستانًا قصيرًا لا يغطي ساقيها بل يكشف عن مؤخرتها، ولو أن امرأة كانت تلبس مثل هذه الملابس في شارع جايوسو أو شارع بيل في صباي لزجوا بها في السجن. ومثل هؤلاء النسوة حين يلبسن على هذا النحو فإنهن كما لو كن يغرين أيًّا من الرجال المارين بأن يمد يده ويداعبهن. وكنت أفكر أي نوع من الناس هذا الذي يرتدي ربطة عنق حمراء، وفجأةً عرفت أنه واحد من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أولئك العاملين في السيرك كما لو كانت قد لمحت لي في كلامها لذلك. أجل، يمكنني أن أتحمل كثيرًا، ولو لم أتحمل لوقعتُ في ورطة. ولذا فعندما دخلا في منعطف قفزتُ للحاق بهما. وأصبح عليَّ في حر الظهيرة أن أطاردهما حاسر الرأس في الحارات والأزقة احترامًا لسمعة أمي. وقلت في نفسي ليس في وسعك أن تفعل شيئًا مع امرأة من هذا النوع، لو كان ذلك دأبها وكان متأصلاً فيها. وكل ما يمكنك فعله هو التخلص منها بأن تتركها لحال سبيلها لتعيش مع من هم على شاكلتها.

ذهبتُ إلى الشارع، لكنهما غابا عن نظري. وهناك، بلا أية قبعة، كنت أبحث مثل المجنون. ومن الطبيعي أن يفكر المرء في أن أحدهم معتوه والثاني انتحر غرقًا والثالثة ألقى بها زوجها إلى الشارع، فلم لا تكون بقية العائلة من المجانين أيضًا. وطوال الوقت كان يتراءى لي أنهم يراقبونني مثل الصقر، في انتظار أن تسنح الفرصة لأن يقول أحدهم حسنًا لا غرابة في أنني توقعت على الدوام أن تكون هذه العائلة بكاملها من المجانين. فقد باعوا الأرض ليرسلوه إلى هارڤارد، ودفعوا الضرائب لدعم جامعة الولاية على الدوام، تلك الجامعة التي لم أرها غير مرتين حين حضرت مباريات البيسبول، وهي عائلة لا تسمح لأحد بأن يتلفظ باسم ابنتها في المنزل، إلى أن انتهي المطاف بأبي- بعد فترة- إلى أن امتنع عن الذهاب للمدينة، واكتفي بالجلوس في البيت طوال النهار، وهو يعاقر الخمر، وكنت أرى أطراف قميص نومه متدليةً على ساقيه العاريتين، وأسمع صوت زجاجة الخمر وهي ترن لدى اصطدامها بالكأس حين يصب فيها الخمر، إلى أن انتهي المطاف بأن يقوم تي پي بصب الخمر له، وأمي تقول أنت لا تحترم ذكرى أبيك، وأقول لها لا

أدري السبب في أنه ليس من المؤكد أن تكون في الحفظ والصون إلى الأبد لو كنتُ أنا أيضًا مجنونًا مثل الباقين، ويعلم الله ما الذي سأفعله حيال ذلك، فأنا إنسان يُصاب بالدوار لمجرد النظر للماء، وحين أشرب كأسًا من الويسكي أشعر كأني أشرب كأسًا من البنزين، وكانت لورين تقول لهم ربما هو غير معتاد على شرب الخمر، ولكن إذا كنتم لا تصدقون أنه رجل، فيمكنني أن أعرفكم بالطريقة التي يمكنكم بها اكتشاف ذلك، ثم تقول لو رأيتك تعابث واحدةً من تلك العاهرات، فأنت تعلم كيف سأتصرف في الأمر؟ سوف أضربها علقة وأمسك بها وأظل أضربها قدر استطاعتي أينما صادفتها، وكنت أقول إذا كنتُ لا أشرب فهذا شأن يخصني، ولكنك لن تجديني مقصرًا أبدًا وأقول لك إنني سوف أشتري ما يكفي من البيرة لأن تستحمي فيه إن شئت ذلك، لأنني أكن كل احترام لأية عاهرة طيبة وأمينة، ولأني مع اعتلال صحة أمي والموقف الذي أتمسك به بأن أحملها ـ رغم أنها لا تحترم كثيرًا ما أسعى للقيام به بالنسبة لها ـ على ألا تجعل اسمها واسمي واسم والدتي مضغة في الأفواه في البلدة.

زاغت مني في مكانٍ ما. فعندما رأتني قادمًا، زاغت إلى حارة أخرى، متسكعةً في الحواري هنا وهناك مع هذا الشخص الحقير الذي يعمل في السيرك، ويلبس ربطة عنق حمراء، تلك الربطة التي سينظر إليها الجميع ويفكرون أي نوع ملعون من البشر يلبس ربطة عنق حمراء كهذه. حسنًا، ظل الصبي يتحدث إليّ ومن ثم أخذت البرقية دون أن أدري أنني أخذتها، ولم أتمكن من التحقق من فحواها إلى أن وقعتُ باستلامها، وفتحت البرقية ولم أعبأ حتى بمضمونها، فأنا أعلمه طوال الوقت على ما أظن، ولا شيء خلاف ذلك يمكن أن يحدث لا سيما وأنا أمسك بها إلى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن يتم تسجيل المبلغ المدون في الشيك في دفتر التوفير.

وأنا لا أفهم كيف يمكن لمدينة مثل نيويورك أن تتسع لهذا العدد الكبير من الناس الذين يسلبوننا نحن الريفيين السذج أموالنا. فنحن نشقى طوال النهار كل يوم ونرسل نقودنا لهم ليعطونا في مقابلها قصاصة صغيرة من الورق مكتوب عليها *حسابك بلغ 20.62 عند الإقفال*. ويغرونك دائمًا، فتراكم أرباحًا طفيفة على الورق، ثم يعود *حسابك 20.62 عند الإقفال*. وإذا لم يكن ذلك كافيًا، فادفع عشرة دولارات في الشهر لأحدهم ليُعرفك كيف تخسرهم بأسرع ما يمكن، وإما أنه لا يعلم شيئًا عن الموضوع أو يكون متواطئًا مع شركة التلغراف. وقد أنهيت علاقتي بهم. فقد استغفلوني في المرة الأخيرة. فحتى أي أبله- عدا مَن لم يعد يملك أي عقل إلى حد أن يصدق ما يقوله اليهود في ذلك- يمكنه أن يقول لك إن السوق في صعود على الدوام، لأن المياه غمرت الدلتا اللعينة كلها مرةً أخرى، واكتسحت زراعات القطن واقتلعتها، كما حدث في العام الماضي. فلتكتسح الفيضانات محاصيل الناس عامًا تلو الآخر، فيما ينفق القوم هناك في واشنطن خمسين ألف دولار في اليوم لتُرابط قواتهم في نيكاراجوا أو ما شابه. وبطبيعة الحال، فستأتي الفيضانات من جديد، وعندها سيصبح سعر رطل القطن ثلاثين سنتًا. حسنًا، كل ما أريده هو أن أتخلص منهم دفعةً واحدةً، وأبقي على مالي في جيبي. ولا أرغب في قتل أحد؛ غاية ما في الأمر هو أنني أود أن يخرج هؤلاء المقامرون من تلك البلدة، وأود أن أحتفظ بنقودي التي يأخذها هؤلاء اليهود الحقراء مقابل معلومات سرية مضمونة. وبعد أن يحدث ذلك؛ يمكنهم أن يُقبلوا رجلي كلما حصلوا على سنت واحد أحمر مني.

عُدت إلى المحل. كانت الساعة الثالثة والنصف تقريبًا. لم يعد هناك سوى القليل من الوقت للقيام بشيء في المحل، ولكني تعودت على ذلك. ولم يكن عليَّ أن ألتحق بهارڤارد لأعرف ذلك. كانت الفرقة قد توقفت عن العزف. ذهبوا جميعًا إلى داخل السيرك، ولم تعد هناك حاجة لأن ينفخوا في الهواء بلا جدوى.

قال إيرل: "هل وجدك، أليس كذلك؟ لقد جاء بها منذ برهة. كنت أظن أنك في مكان قريب من المحل".

قلت: "أجل. أخذتها. فلم يكن بوسعهم أن يبعدوها عني طوال فترة ما بعد الظهر. فالبلدة صغيرة للغاية. عليَّ أن أذهب إلى البيت لدقيقة. ويمكنك أن تخصم ذلك من الأجر إذا كان ذلك يريحك".

قال: "فلتذهب. ويمكنني أن أقوم بالعمل هنا وحدي. آمل أن تكون الأنباء سارة".

قلت: "سيكون عليك أن تذهب إلى مكتب التلغراف، وأن تستطلع الأمر. ولديهم الكثير من الوقت ليطلعوك عليه. أما أنا، فليس لديَّ وقت".

قال: "قصدت السؤال فحسب. والسيدة والدتك تعلم أنها يمكنها أن تعتمد عليَّ".

قلت:"هي تقدر لك ذلك. لن أتأخر".

قال: "خذ راحتك. يمكنني أن أدير المحل الآن. هيا اذهب إلى هناك".

ركبت السيارة وتوجهت للمنزل. ذهبت للمنزل مرةً في الصباح، ومرتين عند الظهيرة، والآن مرةً أخرى، ثم ذهبت لملاحقتها وتعين عليَّ أن الاحقها في كافة أنحاء البلدة، كما تعين عليَّ أن أتوسل إليهم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ليعطوني قليلاً من الطعام الذي أدفع ثمنه. في بعض الأحيان يخطر ببالي أن لا جدوى من أي شيء. وبعد السابقة التي وضعتها فلابد أن أكون مجنونًا لو دأبت على ذلك. وأظن أنني سوف أتوجه إلى البيت في الوقت المناسب بعد أن قُدت السيارة لمسافة طويلة بحثًا عن سلة من الطماطم أو شيء من هذا القبيل، ثم يتعين عليَّ أن أعود للمدينة والروائح تنبعث مني كما لو كنت معملاً للكافور لكيلا ينفجر رأسي فوق كتفي. وأقول لها مرارًا إن الأسبرين ليست به أية مواد فعالة، عدا الدقيق والماء لمن يتوهم المرض. وأقول لها أنت لا تعرفين ما هو الصداع. وأقول هل تظنين أن أزعج نفسي بهذه السيارة اللعينة لو كان الأمر يتوقف عليَّ. فيمكنني أن أصرف أموري بدونها بعد أن تعلمت أن أصرف أموري بدون الكثير من الأشياء، ولو كنت ترغبين في المجازفة بحياتك حين تركبين هذه العربة المتهالكة التي يقودها صبي زنجي غِر فهذا شأنك والله يتولى بعنايته من هم على شاكلة بن، والله يعلم أن عليه أن يفعل شيئًا من أجله لكن إذا كنتِ تعتقدين أنني سوف أثق في أن أعهد بقيادة سيارتي التي تحتاج لعناية خاصة والتي يبلغ ثمنها ألف دولار إلى فتى زنجي أو حتى لرجل زنجي فمن الأفضل أن تشتري له بنفسك سيارة لأنك تحبين ركوب السيارة وتعلمين ذلك.

قالت ديلسي إنها في البيت. دخلت إلى الصالة وأصغيت، لكني لم أسمع شيئًا. صعدت السلالم، لكن ما إن مررت ببابها حتى نادتني.

قالت: "أردت فحسب أن أعرف مَن الذي أتى. فأنا هنا وحدي تمامًا إلى حد أنني أسمع أي صوت".

قلت: "لا ينبغي لكِ أن تبقي هنا. يمكنك أن تمضي النهار بأكمله في

القيام بزيارات مثل كل النساء، لو شئت".

قالت، وهي تأتي عند الباب: "ساورني شك في أنك مريض، بعد أن هرولت في تناول غدائك مثلما فعلت".

قلت: "ربما حالفني الحظ في المرة القادمة. ماذا تريدين؟"

قالت: "هل هناك أي شيء على غير ما يرام؟"

قلت: "مثل ماذا؟ ألا يمكنني أن أعود إلى البيت وسط ما بعد الظهيرة دون أن أتسبب في ضيق لكل من في البيت؟"

قالت: "هل رأيت كوينتن؟"

قلت: "هي في المدرسة".

قالت: "الساعة الآن تجاوزت الثالثة. لقد سمعت ساعة الحائط تدق منذ نصف ساعة على الأقل. ومن المفترض أن تكون في البيت الآن".

قلت: "هل يفترض ذلك؟ منذ متى رأيتها في البيت قبل حلول الظلام؟"

قالت: "ينبغي لها أن تكون في البيت الآن. عندما كنتُ فتاة.."

قلت: "كان هناك من يضبط سلوكك. أما هي فلا".

قالت: "عجزت عن القيام بأي شيء معها. لقد حاولت وحاولت".

قلت: "كما أنك لم تسمحي لي بذلك، لسببٍ ما. وعليكِ أن تقنعي بما حدث". توجهت إلى غرفتي. أدرت المفتاح وفتح بيسر وتأهبت لفتح الأكرة. فسمعتها تقول:

"يا جاسون"

قلت: "ماذا؟"

قالت: "أعتقد أن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قلت: "ليس هنا. لقد أخطأتِ المكان".

قالت: "لا أقصد أن أقلقك".

قلت: "يسرني أن أسمع ذلك. لست متأكدًا من شيء. وربما أكون على خطأ. هل تريدين شيئًا ما؟"

بعد برهة قالت: "لا. لا شيء". ثم ابتعدت. أنزلت الصندوق وقمت بعَد النقود، ثم خبأته مرةً أخرى، وأغلقت الباب وخرجت. تذكرت الكافور، ولكن الوقت قد يكون متأخرًا الآن، على أية حال. وليس لديَّ سوى رحلة ذهاب وإياب واحدة. كانت تقف منتظرةً عند بابها.

قلت: "هل ترغبين في شيء من المدينة؟"

قالت: "لا. لا أقصد التدخل في شئونك. ولكني لا أدري ماذا سأفعل لو جرى لك شيء، يا جاسون".

قلت: "أنا بخير. أشعر فقط بصداع".

قالت: "تناول بعض الأسبرين. فأنا أعلم أنك لن تتوقف عن استعمال السيارة".

قلت: "وما علاقة السيارة بذلك؟ كيف يمكن للسيارة أن تسبب صداعًا للمرء؟"

قالت: "أنت تعلم أن البنزين يسبب لك مشاكل صحية دائمًا. منذ نعومة أظفارك. وأتمنى عليك أن تتناول بعض الأسبرين".

قلت: "عيشي دائمًا مع التمنيات. فلن يضرك ذلك".

ركبت السيارة، وبدأت طريق العودة للمدينة. ما إن انعطفتُ بالسيارة في الشارع حتى رأيت سيارة فورد قادمةً نحوي بسرعة. توقفَت فجأةً. سمعت صوت العجلات وهي تحتك بالأرض، ثم استدارت فجأةً

عائدة بسرعة، وما إن فكرتُ في سبب ما يجري حتى رأيت ربطة العنق الحمراء. ثم تعرفتُ على وجهها وهي تطل من نافذة السيارة. دخلت السيارة في الحارة بسرعة. رأيتها تنعطف مرة ثانيةً، ولكني عندما رجعت في الشارع الخلفي كانت تختفي، بسرعة هائلة.

استشاط غضبي. عندما تعرفت على تلك ربطة العنق الحمراء تلك بعد كل ما قلته لها، نسيت كل شيء. بل لم أفكر برأسي المصدوع حتى عندما بلغت أول تقاطع للطرق وتعين عليَّ أن أتوقف. مع ذلك فنحن ننفق الأموال تلو الأموال على الطرق ومع ذلك عندما تقود السيارة عليها تشعر بأن بها الكثير من التعرجات والمطبات، ولا أدري كيف يمكن للمرء أن يتحكم في السير حتى لو كان ما يقوده عربة يد. وأنا أحرص كثيرًا على سيارتي، ولن أقودها بمثل هذا العنف الذي قادوا به السيارة الفورد حتى لا تتحطم، وهما لا يعنيهما من أمر السيارة فورد شيئًا، ربما يكونان قد سرقاها على أية حال، وكما أقول دائما فالعِرق دسَّاس ولو كان مثل هذا الدم يسري في عروقك فلن تلوي على شيء. وقلت في نفسي أيًّا كان ما تعتقد أنه واجبك نحوها فقد أديته وأقول مِن الآن فصاعدًا لا تلومي إلا نفسك لأنك تعرفين ما سيفعله أي شخص عاقل في مثل هذه الأحوال. وقلت في نفسي حتى لو أمضيت نصف وقتي في العمل كمخبر سري فيتعين عليَّ أن أذهب إلى حيث أحصل على أجر عن ذلك.

ومن ثم كان عليَّ أن أتوقف عند التقاطع. ثم تذكرت الصداع. شعرت كما لو أن شخصًا في داخل رأسي يدق بمطرقة. قلت لقد حاولت ألا تتسبب لك في القلق؛ وفيما يخصني فلتذهب إلى الجحيم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وخير البر عاجله. وما الذي تتوقعه خلاف ذلك من كل طبَّال وعامل في سيرك رخيص يأتي إلى المدينة، بعد أن أعرض عنها حتى أولئك الفتية التافهين في المدينة. وأنت لا تعلمين ما يجري ولم تسمعي ما أسمعه من أحاديث ويمكنك أن تتأكدي من أنني أُسكت أفواههم. وأقول لهم إن أهلي كان يمتلكون العبيد في الوقت الذي كنت فيه تديرون محلات ريفية صغيرة وتزرعون من الأراضي ما يتعفف حتى الزنوج أن يشاركوكم فيها.

لو أفلحوها أصلاً. من حسن الحظ أن الله قد مَنَّ بالخير على هذا البلد؛ ولكن من يعيشون عليها لم يفعلوا ذلك. ففي عصر يوم الجمعة، يمكنك أن ترى ثلاثة أميال من الأراضي التي لم يمسها محراث، في حين أن كل رجل قادر على العمل في المقاطعة تجده في السيرك. ولو كنتُ غريبًا يشرف على الموت من الجوع، فلن أجد إنسانًا واحدًا لأسأله عن الطريق إلى المدينة. وهي تحاول أن تجعلني أتناول الأسبرين. وأقول عندما آكل خبزًا فسوف أقوم بذلك على المائدة. وأقول إنك تتحدثين دائمًا عن تضحياتك في سبيلنا في حين أنك يمكنك أن تشتري عشرة فساتين جديدة كل عام بالنقود التي تنفقينها على تلك الأدوية التي تُصرف من الصيدليات دون روشتة. إنه ليس مرضًا لأتناول الدواء لكي أعالجه فكل ما أحتاجه قسط عادل من الراحة طالما أنني يتعين عليَّ أن أعمل عشر ساعات في اليوم لأنفق على مطعم بأكمله مليء بالزنوج على النحو الذي تعودوا عليه ولكي أرسلهم للسيرك مثل كل زنجي آخر في المقاطعة، ولكنه الآن تأخر. وما إن يصلوا إلى هناك حتى يكون العرض قد انتهى.

بعد برهة اقترب من السيارة، وعندما تمكنت في نهاية المطاف من أن أفهمه سؤالي عما إن كان شخصان يركبان سيارة فورد قد مرا أمامه، أجاب بالإيجاب. وهكذا واصلت السير، وعندما وصلت إلى النقطة التي ينعطف عندها طريق العربات كان بوسعي أن أرى أثار العجلات على الأرض. كان آب راسل يقف في أرضه، ولم أشأ أن أقلقه بالسؤال، ولم يكن منظر جرنه قد اختفي عن ناظري إلا بالكاد عندما رأيت السيارة الفورد. لقد حاولا أن يخفياها. وتصرفَت على نفس النحو تمامًا الذي تصرفَت فيه من قبل في كافة الأمور. وأقول ليس هذا الموضوع ما يهمني كثيرًا، فلربما لا يكون في إمكانها أن تتصرف إلا على هذا النحو، ولكن ما يشغلني هو أنها لا تحفل كثيرًا بأن تستر نفسها لتحظى أسرتها بالتقدير. وأخشى طوال الوقت أن أصادفهما على الفور وسط الشارع أو تحت عربة في الميدان، مثل كلبٍ وكلبة.

أوقفت السيارة وخرجت منها. والآن عليَّ أن أسلك طريقًا ملتفًا وأن أعبر حقلاً محروثًا، وهو الحقل الوحيد المحروث الذي رأيته منذ أن غادرت المدينة، وكنت أخطو كل خطوة كما لو أن شخصًا يسير خلفي، ويضربني بهراوة على رأسي. واصلت التفكير في أنني عندما سأتخطى الحقل فسوف تكون هناك أرض مستوية لأسير عليها، لكيلا أترنح في كل خطوة، ولكن عندما دخلت بين الأشجار كانت النباتات تحتها كثيفة ومتشابكة، فكنت أسير بينها في طريق ملتوٍ لأجتازها، ثم وصلت إلى حفرة نمت فيها نباتات العُليق بكثافة، وتمكنت من السير فيها بعض الوقت، لكنها كانت تزداد كثافة على نحو مضطرد، وربما يتصل إيرل بالمنزل طوال الوقت ليسأل عني مما يشعر أمي بمزيد من الاحباط من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

جديد.

عندما اقتربت من المكان في النهاية تعين عليَّ أن ألتف وأتمهل لكي أحدد المكان الذي تقف فيه السيارة. كنت أعلم أنهما لن يكونا بعيدين عنها، وأنهما سوف يكونان تحت الشجيرات القريبة للغاية، ولهذا استدرتُ وعدت للطريق. آنئذٍ لم أعد أعرف مدى بعدي عن السيارة، لذا كان عليَّ أن أتوقف وأنصت، ثم بدا أن رجليَّ خارتا ولم يعد يجري فيهما الكثير من الدم، ولابد أنه اندفع كله إلى رأسي التي ستنفجر في أية لحظة، وكانت أشعة الشمس منخفضة كما لو كانت مركزة على عيني، وأذني تطن بما حال دون أن أسمع أي صوت. واصلت سيري، محاولاً أن أسير بهدوء، ثم سمعت صوت كلب أو شيء كهذا، فأدركت أنه عندما يشم رائحتي فسوف يأتي وينقض عليَّ، وينكشف الأمر.

شعرت بأن جسمي قد امتلأ بالحشرات وعيدان النباتات، في ملابسي وفي حذائي وكل ما أرتديه، وتصادف وأنا أتلفت حولي أن وضعت يدي على عنقود من عناقيد اللبلاب السام. والشيء الوحيد الذي لم أفهمه لماذا سموه اللبلاب السام وليس الثعبان أو شيئًا من هذا القبيل. ولم أجشم نفسي مشقة إبعادها. وقفت بلا حراك هناك إلى أن ابتعد الكلب. ثم مضيت إلى حال سبيلي.

لم تعد لديَّ أية فكرة عن مكان السيارة الآن. ولم يعد بمقدوري أن أفكر في أي شيء سوى ما ألم برأسي، ووقفت في مكاني وأنا أتساءل إن كنت قد رأيت بالفعل سيارة فورد أم لا، ولم أعد أعبأ بما إن كنت قد رأيتها أم لا. وقلت في نفسي فلتنم- طوال النهار والليل- إلى جوار أي شيء يرتدي سروالاً في هذه البلدة، فلماذا أعبأ بذلك. لستُ ملزمًا بأي

واجب تجاه أي إنسان لا يحترمني، ولا تعبأ بترك تلك الفورد هناك، لتحملني على أن أضيع وقتي طوال فترة ما بعد الظهر، فيما يعود بها إيرل إلى هناك ليطلعها على الدفاتر لا لشيء سوى أنه لا أحد سواه يتمتع بالفضيلة في هذا العالم. وقلت في نفسي إنك سوف تمضي ردحًا من الزمن في الجنة ولن يكون لأحد أن يتدخل في شئونك اللهم إلا إذا ضبطتك متلبسةً، قلت إنني أغض الطرف عن ذلك احترامًا لجدتك، لكنك لن تفلتي من يدي لو قمتِ بهذا الفعل مرةً أخرى في هذا المكان الذي تعيش فيه أمي. هؤلاء الفتية التافهون الملاعين الذين يدهنون شعرهم بالفازلين يظنون أن بإمكانهم أن يحيلوا حياة الناس إلى جحيم، وأقول في نفسي لسوف أريهم الجحيم، كما سوف أحيل حياتك جحيمًا أنتِ أيضا. ولسوف أجعلهم يعرفون أن هذا الملعون الذي يرتدي ربطة عنق حمراء هو مَن يفتح على نفسه وعليهم باب الجحيم، لو كان يظن أن بوسعه أن يتسكع في الغابات مع ابنة أختي.

كانت أشعة الشمس مركزة على عيني ودمي يفور وخلت كما لو أن رأسي بسبيلها لأن تنفجر وينتهي بذلك الأمر، أيضًا مع عيدان العليق وتلك الأشياء العالقة على جسمي، ثم وصلت إلى خندق رملي كانا فيه وتعرفتُ على الشجرة التي كانت تقف أمامها السيارة، وما إن خرجتُ من الخندق وبدأت العدو نحوهم حتى سمعت صوت محرك السيارة يدور. انطلقت مسرعةً، وبوقها يدوي. ظلا يطلقان صوت البوق، كما لو كان يقول هيه هيه. هيه. هههههههههه، بسبيلها للاختفاء عن الأنظار. ما إن خرجت إلى الطريق حتى كانت السيارة قد اختفت.

مع مرور الوقت اكتشفت مكان سيارتي، وكانوا قد ابتعدوا تمامًا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عن الأنظار، إلا أن صوت البوق كان مسموعًا. ولا أذكر أنني قمت بالتفكير في عمل شيء حيال ذلك سوى أنني كنت أردد اجري. اجري إلى المدينة. ثم اجري إلى المنزل وحاولي أن تقنعي أمي أنني لم أرك في تلك السيارة. حاولي أن تقنعيها بأنني لا أعرف مَن هو. حاولي أن تقنعيها بأنك أفلت مني بفارق عشرة أقدام في ذلك الخندق. حاولي أن تقنعيها بأنك فتاة مستقيمة، أيضًا.

ظل صوت البوق مسموعا هههههه، هههههه، هههههههههههه، وهو يتلاشى رويدًا رويدًا. ثم توقف، وسمعت صوت بقرة تخور في حظيرة راسل. كان ذهني خاليًا من أية فكرة. توجهت إلى باب السيارة وفتحته، وهممت بأن أركب. خطرت لي فكرة أن السيارة مائلة بقدر أكبر من ميل الطريق، لكني لم أكتشفت الأمر إلا بعد أن ركبت وبدأت تشغيل المحرك.

حسنًا، جلست هناك. كانت الشمس على وشك الغروب، والمدينة على بُعد خمسة أميال. لم تكن لديهما الجرأة لثقب الإطار فاكتفيا بتفريغه من الهواء. وقفت هناك لبعض الوقت، وأنا أفكر في ذلك المطبخ الممتلئ عن آخره بالزنوج، ولا وقت لدى أحدهم لكي يضع الإطار في مكانه ويربط الصواميل. كان الأمر باعثًا على السخرية لأنها لم تكن بعيدة النظر بحيث تأخذ معها مضخة الهواء عن قصد إلا إذا كانت هذه الفكرة قد خطرت لها وهو يقوم بتفريغ الإطار من الهواء، ربما. ولم لا يكون من المحتمل أن أحدهم أعطى المضخة لبن كي يلعب بها كبندقية رش لأنهم على استعداد لأن يفككوا السيارة قطعة قطعة لو شاء بن ذلك، وعندها سوف تقول ديلسي: "لم يقترب أحد من سيارتك. ولماذا سنعبث بها؟"

وأقول لها أنت زنجية. وهذا من حسن حظك، أتعلمين ذلك؟ وأنا على استعداد لأن أتبادل معك لوني في أي وقت لأن الرجل الأبيض هو من يشعر وحده بالانزعاج من التصرفات التي يمكن أن تقوم بها فتاة صغيرة ساقطة.

توجهت إلى بيت راسل. كانت لديه مضخة هواء. وهذا جانب غفلا عنه في اعتقادي. غاية ما في الأمر أنني لا أصدق أن تكون لديها الجرأة على فعل ذلك. واصلت التفكير في الأمر. ولا أدري السبب في أنني لا يمكنني فيما يبدو أن أتعلم أن المرأة يمكنها أن تفعل أي شيء. واصلت التفكير في ذلك. فلننس لبعض الوقت شعوري نحوك وشعورك نحوي: فأنا لن أتصرف معك على هذا النحو بالتحديد أيًّا كان ما فعلته لي. فصلة الدم صلة دم ولا مفر للمرء منها. وهي ليست هزلاً يمكن أن يقوم به صبي في الثامنة من العمر حتى تجعلي رجلاً يلبس ربطة عنق حمراء كهذه يجعل من خالك أضحوكة للناس. فهم يأتون إلى البلدة ويقولون عنا إننا فلاحين سذج ويرون أن البلدة أصغر من أن تتسع لهم. حسنًا هو لا يعرف كم هو على صواب. وهي أيضًا. فلو كانت تشعر بذلك أيضًا، فمن الأفضل أن تمضي لحال سبيلها وتريحنا من مشاكلها.

توقفتُ وأعدت المضخة إلى راسل، وتوجهت بالسيارة إلى البلدة. دخلت إلى محل وشربت زجاجة من الكوكاكولا، ثم توجهت إلى مكتب التلغراف. بلغ السعر عند الإقفال 20.21 نقطة، أي بانخفاض أربعين نقطة. أربعون ضعفًا للخمسة دولارات؛ فلتشتر بهذا المبلغ شيئًا ما إن كان ذلك بمقدورك، وسوف تقول هي لابد لي من أحصل على ذلك لابد لي من ذلك وسوف أقول من المؤسف أن عليك أن تحاولي مع أحد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

غيري، فلا أملك أية نقود؛ وكنت مشغولاً عن الحصول عليها بأمور أخرى.

اكتفيت بالنظر إليه.

قلت: "سأبلغك بنبأ. سوف يدهشك أن تعلم أنني مهتم بسوق القطن. هل خطر ذلك على بالك، على الإطلاق؟".

قال، وهو يبحث في الدرج: "بذلت قصارى جهدي لأسلمها لك، وحاولت الاتصال بالمحل مرتين، واتصلت بمنزلكم، ولكنهم لم يكونوا يعرفون أين أنت".

قلت: "تسلم ماذا؟" سلمني برقية. قلت: "متي وصلت هذه؟"

قال: "حوالي الساعة الثالثة والنصف".

قلت: "الساعة الآن الخامسة وعشر دقائق".

قال: "حاولت أن أسلمها لك، ولكني لم أتمكن من العثور عليك".

قلت: "ليست غلطتي، أليس كذلك؟" فتحت البرقية لكي أتعرف فحسب على نوع الكذبة التي سيبلغونني بها هذه المرة. لابد أنهم يمرون بضائقة لو كان عليهم أن يقطعوا كل هذه المسافة إلى المسيسيبي ليسرقوا عشرة دولارات كل شهر. تقول البرقية "بع. فالسوق سوف تشهد عدم استقرار، وسوف يحكمها اتجاه عام للهبوط. ولا تتزعج في أعقاب صدور التقرير الحكومي".

قلت: "ما تكلفة هذه البرقية؟"

قال: "هم دفعوا تكلفتها".

قلت: "إذن أنا مدين لهم بهذا المبلغ. أنا أعلم ذلك. أرسل البرقية التالية، والرسوم على المرسل إليه. أخذت برقية فارغة، وكتبت فيها

"اشتر. السوق توشك على الانفجار، وهذه تقلبات وقتية تهدف لاصطياد بعض السذج من الأرياف الذين لم يصلوا بعد إلى مكتب التلغراف. ولا يصيبنك الانزعاج".

قلت: "أرسل البرقية، وحصِّل الرسوم من المرسل إليه".

نظر إلى البرقية، ثم نظر إلى الساعة. قال "السوق أغلقت أبوابها منذ ساعة".

قلت: "حسنًا. ليست هذه غلطتي أيضًا. فأنا لم أخترعها؛ لقد اشتريت القليل منها عندما كنتُ تحت تأثير انطباع بأن شركة التلغراف سوف تبلغني بما يجري".

قال: "يتم إرسال التقرير عندما يصل".

قلت: "أجل. وفي ممفيس يعرضونها على سبورة كل عشر ثوان. لقد كنتُ على بعد ستة وسبعين ميلاً منها، بعد ظهر اليوم".

نظر إلى البرقية. قال: "هل تود إرسالها؟"

قلت: "لم أغير رأيي". كتبتُ برقية أخرى، ثم قمت بعَد النقود: "أرسل هذه أيضًا، إذا كنت تستطيع هجاء كلمة ش ر ا ء".

توجهت عائدًا إلى المحل. كنت أسمع صوت فرقة الموسيقى قادمًا من أقصى الشارع. إن الامتناع عن شرب الخمر شيء رائع. وقد اعتدنا أن يأتوا إلينا كل يوم سبت، ولم تكن العائلة تمتلك سوى زوج واحد من الأحذية، وكان يرتديه، وكانوا يذهبون إلى مكتب القطارات السريعة ليتسلموا طرده. والآن يتوجهون جميعًا إلى السيرك حفاةً، ويقف التجار في الباب كما لو كانوا صفًا من النمور، وهم يرقبونهم حين يمرون.

قال إيرل: "آمل ألا يكون الأمر خطيرًا".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قلت: "ماذا؟" نظر في ساعته. ثم توجه نحو الباب ونظر إلى ساعة المحكمة. قلت: "الأفضل أن تشتري ساعة بدولار. لن يكلفك الأمر كثيرًا لأن تعرف أنها لن تكون مضبوطة".

قال: "ماذا تقول؟"

قلت: "لا شيء. آمل ألا أكون قد تسببت لك في أي حرج".

قال: "لم يكن هناك شغل كثير. فالجميع ذهبوا إلى السيرك. والأمر يسير على مايرام".

قلت: "لو أن الأمر لم يكن يسير على ما يرام، فأنت تعرف ما يمكنك فعله في هذه الحالة".

قال: "هل تود أن تترك العمل؟"

قلت: "أنا لا أهتم بذلك. وليست لرغباتي أهمية في ذلك. ولكن حذار من التفكير في أنك حين تبقيني في العمل فإنك تحميني بذلك".

قال: "بوسعك أن تكون رجل أعمال كفؤ، لو سمحت لنفسك بذلك، يا جاسون".

قلت: "أنا ـ على أقل تقدير ـ أهتم بشئوني، ولا أتدخل في شئون الآخرين".

قال: "لا أدري السبب في أن تسعى لأن أفصلك من العمل. أنت تعلم أن بإمكانك أن تترك العمل في أي وقت تشاء، ولن يكون لذلك تأثير على الود بيننا".

قلت: "ربما يكون هذا هو السبب في أنني لن أترك العمل. طالما أنني أهتم بعملي، الذي تدفع لي المال في مقابله". ذهبت إلى الجزء الخلفي للمحل وشربت جرعة ماء، وخرجت من الباب الخلفي. كان جوب قد

انتهى أخيرًا من تجميع آلات العَزق كلها. كان المكان هادئًا، وسرعان ما شعرت ببعض التحسن في الصداع. كنت أسمعهم يغنون الآن، ثم شرعت الفرقة في العزف من جديد. حسنًا، فليجمعوا كل سنت في المقاطعة، فماذا يضيرني في ذلك؟ لقد بذلت كل ما بوسعي، وعندما يكون هناك إنسان في مثل عمري ولا يعرف متى يعتزل العمل فهو إنسان أحمق، لا سيما عندما لا يكون هذا العمل غير لائق بي. ولو كانت ابنتي أنا، لكان الأمر مختلفًا الآن لأنها لن يكون لديها وقت لذلك؛ حيث سيكون عليها أن تعمل قليلاً لتطعم هذه الفئة من المرضي والمعتوهين والزنوج، ولأن الحياء كان سيمنعي من المجيء بأحد إلى هنا. فأنا أحترم أي إنسان يفعل ذلك. وأنا رجل يمكنني أن أتحمل ذلك، فهي لحمي ودمي، وأود أن أرى حمرة الخجل في وجه مَن يتحدث بعدم احترام عن أية امرأة صديقة لي فمَن يفعل ذلك هُن النسوة الصالحات قبحهن الله، وإني لأود أن أرى امرأة صالحة ممن لا ينقطعن عن ارتياد الكنائس لديها نفس القدر من الاستقامة التي تتمتع بها لورين، سواء أكانت عاهرة أو غير عاهرة. وقلت لها لو أنني تزوجت لانفجرتِ مثل البالون وأنت تعلمين ذلك وقالت أنا أتمنى لك السعادة وأن تكون لك حياتك الأسرية الخاصة وألا تضيع ثمرة كدحك علينا. ولسوف أقضي نحبي قريبًا وعندها يمكنك أن تتزوج لكنك لن تجد امرأةً أهلاً لك فقلت لها أجل يمكنني أن أجدها وعندها سوف تنهضين من قبرك وأنت تعلمين ذلك. وقلت لها لا أود ذلك أشكرك فلديَّ ما يكفيني من النساء لرعايتهن وإذا تزوجت امرأة فقد تكون خفيفة وطائشة أو شيئًا من هذا القبيل. وهذا ما ينفصنا في هذه العائلة.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت الشمس تغيب وراء الكنيسة الميثودية الآن، والحمائم تحوم حول القبة ذهابًا وجيئةً، وعندما توقفت الفرقة عن العزف كنت أسمع هديل الحمام. لقد انقضت أربعة أشهر بالكاد على أعياد الميلاد، ومع ذلك فقد كان الحمام كثيفًا كما هو الحال على الدوام. وأحسب أن القس وولتهول بسبيله لأن يملأ به كرشه الآن. ولربما ظننت أننا نطلق النار على الناس في حين أنه يطلق العظات، بل يعمل على أن يهدئ الناس عندما يشهرون أسلحتهم. ويقول على الأرض السلام وبالناس المسرة وما من عصفور يقع على الأرض. لكن لماذا يعبأ إن كانت قد تكاثرت، فليس عليه أن يفعل شيئًا: ولماذا يعبأ بأية فترة من الزمن نمر. فهو لا يدفع ضرائب، ويرى أمواله تذهب كل عام لكي ينظفوا بها ساعة المحكمة حتى لا تتوقف عن العمل. وعليهم أن يدفعوا لأحدهم خمسة وأربعين دولارًا لتنظيفها. لقد أحصيت ما يزيد عن مئة حمامة فاقسه على الأرض. فهل تظن أن لدى الحمائم قدرًا من الحصافة لتغادرالبلدة. وقلت في نفسي إن من الخير أنني لا أرتبط بهذه البلدة بقدر ارتباط الحمام بها.

عاودت الفرقة عزفها، كانت تعزف لحنًا مرتفعًا وسريعًا، كما لو أنه لحن الختام. أظن أنهم لابد أن يشعروا بالرضا الآن. وربما كان لديهم من الموسيقى ما يكفيهم للتسرية عن أنفسهم وهم يقطعون أربعين أو خمسين ميلاً إلى موطنهم، حيث يفكون عقال دوابهم في الظلام ليريحوها أثناء رحلتهم ويطعموها ويحلبوها. فكل ما عليهم أن يقوموا به هو أن يصفروا بأفواههم الألحان ويطلقوا النكات أمام حيواناتهم في الحظيرة، ويمكنهم أيضًا أن يحسبوا ما جنوه من ربح من عدم اصطحابهم لهذه

الدواب في عرض السيرك أيضًا. فبإمكانهم أن يحسبوا إذا ما كان رجل لديه خمسة أطفال وسبعة بغال، فإذا ما أخذ عائلته إلى السيرك فإنه سيوفر ربع دولار. وهذا هو ما تسير عليه الأمور. وجاء إيرل وهو يحمل طردين. سألني:

"هذه بضاعة أخرى يتعين إرسالها. أين العم جوب؟"

قلت: "ذهب إلى السيرك، على ما أظن. إلا إذا كنتَ عينيك لم تغفل عنه".

قال: "هو لا ينسل من المحل خلسة. ويمكنني الاعتماد عليه".

قلت: "أنت تقصدني بهذا الكلام".

قال: "هذه فرقة جيدة. أعتقد أنه الوقت الذي يفككون فيه خيامهم".

قلت: "ما لم يكونوا يعتزمون أن يمضوا الليلة هنا".

كانت طيور السنونو قد بدأت في التوافد، وبدأت أسراب العصافير في التوافد أيضًا على أشجار فناء المحكمة. وبين حين وآخر، تأتي مجموعة منها وتحط على السطح لبرهة، ثم تمضي مبتعدة. وهي مصدر إزعاج كبير في اعتقادي، مثلها مثل الحمام. ولا يمكنك بسببها أن تجلس حتى في قاعة المحكمة. فأول شيء تفعله كما تعرف أنها تتبرز. على قبعتك مباشرةً. ولكني لست مليونيرًا لأطلق الرصاص عليها بتكلفة تبلغ خمسة سنتات للطلقة الواحدة. فلو وضعوا طعامًا مسمومًا لها في الميدان، فسوف يتخلصون منها في يوم واحد، وإذا كان أحد التجار لا يمكنه التحكم في بضاعته من الدجاج ويتركها تمرح في الميدان، فيتعين عليه أن يتاجر في شيء آخر خلاف الدجاج، شيء لا يأكل، مثل المحاريث أو البصل. ولو كان هناك من لا يُبقي كلابه يقظة، فإما أنه لا يرغب في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ذلك أو أنه لا تجارة له مع أحد. وأرى أنه إذا كنت كافة الأعمال في بلدةٍ ما تدار مثل الشركات الريفية، فإن النتيجة ستكون بلدة ريفية.

قلت: "لن يفيدك في شيء أن يفكوا خيامهم. وعليهم أن يخلعوا الأوتاد ويلموا أغراضهم وحاجياتهم ليصلوا إلى بلدتهم قبل منتصف الليل، كما هو دأبهم".

قال: "حسنًا. إنهم يستمتعون بذلك. دعهم ينفقون قليلاً من المال على السيرك بين حين وآخر. فالمزارعون في الهضبة يكدون كثيرًا ولا يحصلون إلا على القليل".

قلت: "ليست هناك قانون يلزمهم بأن يزرعوا في الهضبة، أو في أي مكان آخر".

قال: "ما كنا لنوجد أنا وأنت لولا المزراعين".

قلت: "سوف أذهب الآن إلى البيت. أتمدد، وأضع قطعة من الثلج على رأسي".

قال: "صداعك يعاودك كثيرًا. لماذا لا تكشف على أسنانك؟ هل فحصها جيدًا هذا الصباح؟".

قلت: "تقصد مَن؟"

قال: "قلت لي إنك قد ذهبت إلى طبيب الأسنان صباح اليوم".

قلت: "هل يضايقك أن أصاب بالصداع أثناء العمل لديك؟ هل الأمر على هذا النحو؟"

كانوا يعبرون الزقاق الآن، قادمين من السيرك.

قال: "ها هم قادمون. أظن أن من الأفضل أن أقف أمام المحل". توجه إلى هناك. إنه لأمر غريب أن ينصحك رجل بأن تكشف على

أسنانك، وأن تنصحك امرأة بأن تتزوج، بغض النظر عمَّا إذا كان ذلك يمثل خطأ بالنسبة لك. وعادةً ما ينصحك رجل لم يفلح في أي عمل بالكيفية التي يمكنك بها أن تدير أعمالك. شأن هؤلاء الأساتذة الجامعيين الذين لا يحمل أي منهم جوربًا سليمًا، فيما يخبرك بالكيفية التي يمكنك بها أن تجمع مليون دولار في عشرة أعوام، أو تقدم لك عانسٌ النصح في الكيفية التي يمكنك بها أن تكوِّن أسرة.

حضر جوب العجوز ومعه العربة. بعد قليل انشغل بلف الخيوط حول مكان وضع السوط.

قلت: "أهلاً. هل كانت العرض ممتعًا؟"

قال: "لم أذهب إلى السيرك بعد. ولكن من يُرِد أن يقبض عليَّ هذه الليلة، فسيجدني هناك لا محالة".

قلت: "بحق الجحيم، أنت لم تذهب إلى هناك. أنت متغيب عن هنا منذ الساعة الثالثة. والسيد إيرل كان يبحث عنك".

قال: "كنت أقوم بعملي. والسيد إيرل يعرف أين كنت".

قلت: "بوسعك أن تخدعه. ولن أشي بك".

قال: "هذا الرجل هو الوحيد الذي لن أحاول خداعه. ولماذا أرغب في تضييع وقتي في خداع رجل لا يهمني إن كنت أراه ليلة السبت أم لا؟ ولن أحاول أن أخدعك. أنت أشطر مني. أجل، يا سيدي". قال ذلك، وهو بادي الانشغال، وهو يضع ما بين خمسة إلى ستة طرود في العربة.

قال، وهو يركب العربة، ويمسك بالزمام: "أنت أشطر مني بكثير. وليس في هذه البلدة من يضاهيك في شطارتك. فأنت تخدع إنسانًا لا يجاريه أحد في الشطارة".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قلت: "من هو؟"

قال "هو السيد جاسون كومبسون. هيا، سر بنا، يادان!".

كانت إحدت العجلات على وشك أن تنفلت من العربة. كنت أرقبه لأتبين إن كان سوف يخرج بالعربة من الزقاق دون أن تنفلت. وكما أقول دائمًا، ما عليك سوى أن تعطي عربة لزنجي. فهذه العربة المتهالكة قبيحة المنظر، قذًى للعين، ومع ذلك تحتفظ بها في حظيرة العربات على مدى مئة عام لا لشيء سوى ليركبها فتى زنجي ويذهب بها إلى المقابر مرةً كل أسبوع. وقلت لنفسي ليس هو بأول إنسان يضطر لأن يفعل أشياء لا يود القيام بها. ولو كان الأمر بيدي لجعلته يركب سيارة مثل إنسان متحضر، أو فليبق في البيت ولا يغادره. ما الذي يدريه عن المكان الذي يذهب إليه، أو عما يركبه، ونحن نحتفظ في بيتنا بعربة وحصان بحيث يركبها عصر كل يوم أحد.

وهل ينشغل جوب كثيرًا بإن كانت العجلة ستنفلت أم لا، ما لم يضطره ذلك للعودة ماشيًا. وفي رأيي أن المكان الوحيد لمثل هؤلاء هو الحقول التي يتعين عليهم أن يعملوا بها من شروق الشمس حتى غروبها. فهم لا يتحملون العيش في رفاهية، أو القيام بوظيفة مريحة. وإذا تركت أحدهم ليقيم لفترة مع البيض، فلن يكون جديرًا حتى بالقتل. ويتحايلون عليك في العمل جهارًا نهارًا، وكانت الغلطة الوحيدة التي ارتكبها روسكوس هو أنه غفل عن ذلك ليوم واحد فمات. فهم يدأبون على التهرب من العمل والسرقة، وتزداد وقاحتهم معك تدريجيًا إلى أن يأتي عليك يوم يكون لا مفر لك من أن تضربهم علقة ساخنة بشومة أو عصا غليظة. صحيحٌ أن هذا المحل هو محل إيرل، لكنه لو كان محلّي لما

جعلت واجهة الدعاية له هذا الزنجي الهرم المتهالك، وهذه العربة التي يخال لك- كلما دارت عند منعطف- أنها سوف تتحطم تمامًا.

كانت الشمس تلوح من بعيد في السماء الآن، وبدأ الظلام يحل تدريجيًّا في الداخل. توجهت إلى الجزء الأمامي. كان الميدان خاليًا. وكان إيرل في الجزء الخلفي من المحل يغلق الخزنة، ثم بدأت الساعة تدق.

قال: "هلا أغلقت الباب الخلفي؟" ذهبت إلى الخلف وأغلقت الباب وعُدت. قال: "أعتقد أنك ستذهب إلى عرض السيرك الليلة. لقد أعطيتك تذكرتين أمس، أليس كذلك؟"

قلت: "أجل. هل تريد أن تستردهما؟"

قال: "لا، لا. غاية ما في الأمر أنني نسيت إن كنت قد أعطيتهما لك أم لا. ليس من المعقول ألا تستفيد بهما".

أغلق الباب، وقال ليلة سعيدة، ثم مضى. كانت العصافير المتجمعة على الأشجار ما تزال تصدر ضجيجًا، غير أن الميدان كان خاليًا فيما عدا بضع سيارات فيه. كان ثمة سيارة فورد متوقفة أمام محل للمرطبات، لكني لم أعرها اهتمامًا. فأنا أعرف متى يفيض بي الكيل من أي شيء. وأنا لا أمانع من تقديم العون لها، لكني أعلم متى ألزم حدودي. وأعتقد أن بإمكاني أن أدرب لاستر على قيادة السيارة، فيمكنهم أن يطاردوها طول النهار، إن شاءوا، وبوسعي بالتالي أن أبقى في البيت وألاعب بن.

دخلتُ إلى محل المرطبات واشتريت سيجارين. ثم عَنَّ لي أن آخذ جرعة إضافية من الصداع من باب التيمن، فتوجهت للحديث معهم لبعض الوقت.

قال ماك: "حسنًا. أظنك ستراهن على فريق اليانكي هذا العام".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قلت: "ولماذا أراهن عليه؟"

قال: "لأنه الفريق الذي يفوز بالعلَم المثلث*. كما أنه لا يوجد فريق آخر في الدوري يمكنه أن يهزمه".

قلت: "ليس الأمر على هذا النحو. فقد ضعف الفريق. هل تظن أن هناك فريقًا يحالفه الحظ للأبد".

قال ماك: "أنا لا أسمي ذلك حظًا".

قلت: "لن أراهن على فريق يضم هذا الشخص المدعو روث، حتى لو كنت أعلم أنه سيفوز".

قال ماك: "صحيح؟"

قلت: "يمكنني أن أذكر لك أكثر من عشرة من اللاعبين في الفريقين أفضل منه".

قال ماك: "ما الذي بينك وبين روث؟"

قلت: "لا شيء. لا أحمل له أية ضغينة. ولا أحب حتى أن أنظر إلى صورته". خرجت بعد ذلك من المحل. كانت الشوارع قد أضيئت والناس يسيرون فيها متجهين إلى بيوتهم. وفي بعض الأحيان، لا تهدأ العصافير قبل حلول الظلام الدامس. وعندما أضيئت الأنوار لأول مرة في المنطقة المحيطة بمبنى المحكمة، ظلت الطيور مستيقظة، وحامت حول المصابيح وظلت تخبط المصابيح طوال الليل. ظلت على هذه الحال يومين أو ثلاثة إلى أن اختفت تمامًا في صبيحة أحد الأيام، ثم عادت جميعًا بعد شهرين تقريبًا.

---

* يدور الحديث عن مباريات البيسبول، والفرق المشاركة في الدوري. و"العلم المثلث" هو رمز الفوز في البيسبول.

ركبت سيارتي إلى المنزل. لم تكن الأنوار قد أضيئت بعد في المنزل، غير أنهم جميعًا كانوا يطلون من الشبابيك، وديلسي تحرك فكيها وهي تثرثر في المطبخ، كما لو أن هذه الثرثرة هي طعامها الذي يتعين عليها أن تبقيه ساخنًا إلى أن أحضر إلى المطبخ. وتخال عندما تسمعها أنه لا يوجد سوى عشاء واحد في العالم وهو العشاء الذي حرصت على أن تحتفظ به من أجلي منذ دقائق. حسنًا أن حالفني الحظ ذات مرة على الأقل لدى حضوري للمنزل بألا أرى بن والزنجي اللذين دأبا على التشبث بالبوابة كأنهما دب وقرد يقفان في قفص. وما إن تبدأ الشمس في الغروب حتى تراه يتجه نحو البوابة مثل بقرة تتجه إلى الحظيرة، ويتعلق بالبوابة وهو يهز رأسه ويئن لنفسه. هذا الختزير بمثابة عقاب لك. ولو كان ما حدث له عند عبثه بالبوابات المفتوحة قد حدث لي، لما تمنيت أن أرى واحدةً منها على الإطلاق. وكثيرًا ما كنت أسأل نفسي فيم يفكر، وهو يتشبث على هذا النحو بالبوابة، وهو يرقب الفتيات وهن في طريقهن من المدرسة للبيت، ويحاول أن يبدي رغبةً في شيءٍ ما لا يمكنه حتى تذكره ولا يمكنه أن يرغب فيه بعد الآن. وفيم يفكر كلما خلعوا ملابسه وحين ينظر إلى نفسه ثم يشرع في البكاء كما دأب على القيام بذلك. ولكن كما قلت من قبل فلم يقوموا بما فيه الكفاية بهذا الصدد. وقلت أنا أعلم ما يجب القيام به حيالك ينبغي أن يفعلوا بك ما فعلوه مع بن. ولو لم تكوني على علم بما فعلوه ببن، فاسألي ديلسي وستعرفك ما فعلوه به.

كانت غرفة أمي مضاءة. ركنت السيارة وتوجهت إلى المطبخ. كان لاستر وبن هناك.

قلت: "أين ديلسي؟ هل تعد العشاء؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال لاستر: "في الطابق العلوي مع السيدة كارولين. إنهم يتشاجرون. منذ أن حضرت الآنسة كوينتن إلى المنزل. وأمي هناك تحاول أن تفصل بينهما حتى لا تتشاجران. هل وصل السيرك يا سيد جاسون؟"

قلت: "نعم".

قال: "أظن أنني سمعت صوت الفرقة الموسيقية. كنت أتمنى لو ذهبت إلى هناك. ولكني ليس معي ربع دولار".

دخلت ديلسي. قالت: "هل أتيت؟ ماذا كنت تفعل هذا المساء؟ أنت تعلم أن لديَّ الكثير من العمل؛ فلماذا لم تأت في الموعد؟"

قلت: "ربما أكون قد ذهبت الى عرض السيرك. هل العشاء جاهز؟"

قال لاستر: "تمنيت لو ذهبت للعرض. ولكني لا أمتلك ربع دولار".

قالت ديلسي: "وما شأنك بعرض السيرك؟ ادخل إلى البيت واجلس. ولا تذهب للطابق العلوي لتجعلهما يستأنفان الشجار، الآن".

قلت: "ما الذي حدث؟"

قالت: "أتت كوينتن إلى المنزل منذ فترة، وقالت إنك كنت تراقبها طوال فترة المساء، فأثار ذلك حفيظة السيدة كارولين. لماذا لا تتركها وشأنها؟ ألا تستطيع أن تعيش تحت سقف واحد مع ابنة اختك دون أن تتشاجرا".

قلت: "لا أستطيع الشجار معها. فأنا لم أرها منذ الصباح. فما الذي قالت الآن إنني فعلته؟ أنني حملتها على أن تذهب للمدرسة؟ هل هذا شيء مؤسف للغاية؟"

قالت ديلسي: "عليك بالاهتمام بشئونك ولا تتدخل في شئونها. ولو سمحت لي أنت والسيدة كارولين فسوف أهتم بأمرها. اذهب إلى الغرفة

ولا تسبب مشاكل إلى أن أحضر لك العشاء".

قال لاستر: "لو كان معي ربع دولار، لتمكنت من الذهاب إلى عرض السيرك".

قالت ديلسي: "ولو كنت تملك جناحين لطرت في السماء. لا أريد أن أسمع منك أية كلمة مرةً أخرى عن السيرك".

قلت: "ذلك يذكرني. لقد أعطوني تذكرتين". أخرجت التذكرتين من جيب معطفي.

قال لاستر: "هل تعتزم استخدامهما؟"

قلت: "لن أذهب للسيرك. لن أذهب حتى لو أعطوني فوقهما عشرة دولارات".

قال: "تكرَّم عليَّ بإحداهما، يا سيد جاسون".

قلت: "سوف أبيعها لك. ما رأيك؟"

قال: "ليس معي نقود".

قلت: "هذا أمر مؤسف". هممت بالخروج. قال: "تكرَّم عليَّ بإحداهما، يا سيد جاسون. فلن تحتاج لهما معًا".

قالت ديلسي: "اسكت. أنت تعلم أنه لا يعطي شيئًا بلا مقابل".

قال لاستر: "بكم تبيعها لي؟"

قلت: "بخمسة سنتات".

قال: "ليس معي هذا المبلغ".

قلت: "كم معك؟"

قال: "لا شيء".

قلت: "لا بأس". وخرجت.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "يا سيد جاسن".

قالت ديلسي: "لم لا تسكت؟ هو يسعى لإغاظتك. وسوف يستعمل التذكرتين بنفسه. هيا، يا جاسون، واتركه وشأنه".

قلت، وأنا أقترب من الفرن: "لا أريدهما. وقد أتيت إلى هنا لأحرقهما في الفرن. إلا إذا كنت تود أن تشتري إحداها بخمسة سنتات". قلت له ذلك، وأنا أفتح باب الفرن.

قال: "ليس معي هذا المبلغ".

قلت: "حسنًا". وألقيت إحداهما في الفرن.

قالت ديلسي: "أنت، يا جاسون، ألا تخجل من نفسك؟"

قال لاستر: "يا سيد جاسون، من فضلك، يا سيدي، اعطها لي وسوف أُركّب لك إطارات السيارة يوميًّا لمدة شهر".

قلت: "أنا بحاجة للنقود. خذها بخمسة سنتات".

قالت ديلسي: "اسكت، يا لاستر". دفعته للخلف. قالت: "هيا. القِها. هيا. القِها في الفرن".

قلت: "يمكنك أن تشتريها بخمسة سنتات".

قالت: "هيا. القها. ليس معه أي سنت. هيا. القها".

قلت: "لا بأس". القيتها في النار، وأغلقت ديلسي الفرن.

قالت، موجهة حديثها للاستر: "أنت الآن رجل مكتمل الرجولة. اخرج الآن من مطبخي. اصمت. لا تدفع بنچي إلى البكاء. سوف آخذ ربع دولار من فروني الليلة، وأعطيه لك لتذهب إلى السيرك ليلة غد. اهدأ الآن".

دخلت إلى غرفة الجلوس. لم أعد أسمع أي صوت قادم من الطابق

العلوي. فتحت الصحيفة. بعد قليل دخل بن ولاستر. اتجه بن إلى المنطقة الداكنة في الحائط حيث كانت تُعلق في السابق مرآة، وهو يحك الحائط بيده ويريل ويئن. شرع لاستر في تحريك النار بسيخ.

قلت: "ماذا تفعل؟ لسنا في حاجة إلى النار الليلة".

قال: "أحاول تهدئته. الجو يكون باردًا على الدوام في عيد الفصح".

قلت: "ولكن عيد الفصح لم يحل بعد. دع النار وشأنها".

وضع السيخ جانبًا، وأحضر الوسادة من كرسي والدتي وأعطاها لبن، ثم جلس القرفصاء أمام المدفأة في هدوء.

كنت أقرأ الصحيفة. لم يكن هناك أي صوت قادم من الطابق العلوي عندما دخلت ديلسي، وأرسلت بن ولاستر إلى المطبخ، وهي تقول إن العشاء جاهز.

قلت: "لا بأس". خرجت ديلسي. جلست هناك، أقرأ الصحيفة. بعد قليل سمعت ديلسي تطل من الباب.

قالت: "لم لم تأتِ لتأكل؟"

قلت: "أنا أنتظر العشاء".

قالت: "العشاء على المائدة. قلت لك ذلك".

قلت: "فعلا؟ عذرًا. لم أسمع صوت أحد قادم من الطابق العلوي".

قالت: "لن ينزلوا. تعال وتناول طعامك، حتى أتمكن من أخذ قدر من الطعام لهم".

قلت: "هل هما مريضتان؟ ما الذي قاله الطبيب عن مرضهما. آمل ألا تكونا مريضتين بالجدري".

قالت: "هيا، يا جاسون. حتى أتمكن من الانتهاء من العمل الذي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أقوم به".

قلت: "حاضر"، وأنا أرفع الصحيفة من جديد: "أنا في انتظار العشاء الآن".

شعرت بأنها تنظر إليّ من عند الباب. وأنا أقرأ الصحيفة.

قالت: "ماذا تريد بالتصرف على هذا النحو؟ في الوقت الذي تعلم فيه إلى أي مدًى يضايقني ذلك، على أية حال".

قلت: "إذا كانت صحة أمي قد أصبحت أكثر سوءًا مما هو الحال عندما نزلت للغداء، فلا بأس بذلك. ولكن طالما أني مَن يشتري الطعام فليتزلوا للمائدة لتناول الطعام. أبلغيني عندما يكون العشاء جاهزًا"، وعاودت قراءة الصحيفة. سمعتها وهي تصعد السُّلم، تجرجر رجليها وهي تئن وتنهج كأن رجليها متصلبتان، وتسير عليهما وهما متباعدتان لمسافة ثلاثة أقدام. وسمعت صوتها عند باب غرفة أمي، ثم سمعتها وهي تنادى على كوينتن، التي يبدو أنها تغلق الباب على نفسها، ثم عادت إلى غرفة أمي، وتوجهت أمي بعدها وتحدثت مع كوينتن. ثم نزلوا على السُّلم. وأنا أقرأ الصحيفة.

عادت ديلسي عند الباب. قالت: "هيا، قبل أن تراودك أية أفكار شيطانية أخرى من النوع الذي تصمم على القيام به الليلة".

توجهتُ إلى غرفة الطعام. وجدت كوينتن جالسة وهي مطأطئة الرأس. كان وجهها عليه الكثير من أصباغ التجميل. كانت أنفها تبدو كما لو كانت قطعة من البورسلين.

قلت لأمي: "أشعر بالسرور لأن صحتك تحسنت بما يمكنك من النزول".

قالت: "أقل ما يجب عليَّ القيام به أن آتي إلى المائدة من أجلك. ولا يهم ما أشعر به. فأنا على يقين من أنه عندما يعمل رجل طوال النهار فإنه يحب أن يكون محاطًا بعائلته على مائدة العشاء. وأنا أود أن أفعل ما يسرك. وكل ما أتمناه أن تكون العلاقة بينك وبين كوينتن على ما يرام. فهذا مما يهون الأمور عليّ".

قلت: "الأمور بيننا على ما يرام. وأنا لا يهمني بقاءها في غرفتها وغلق باب الغرفة عليها طوال النهار، إن شاءت ذلك. ولكن ما لا أتحمله هو هذه الضجة الفارغة والوجوه العابسة في مواعيد الوجبات. أعلم أن مطلبي هذا قد يكون عسيرًا عليها، لكن هذا هو أسلوب حياتي في بيتي. أقصد بيتك".

قالت: "هو بيتك. وأنت رب الأسرة الآن".

لم ترفع كوينتن رأسها. قمت بتوزيع الأكل على الأطباق وبدأت تأكل.

قلت: "هل أخذت قطعة مناسبة من اللحم؟ إذا لم تكن القطعة مناسبة، أبحث لك عن قطعة أفضل".

لم ترُد.

قلت: "قلت لك، هل قطعة اللحم مناسبة؟"

قالت: "ماذا؟ أجل. لا بأس بها".

قلت: "هل تريدين المزيد من الأرز؟"

قالت: "لا".

قلت: "اسمحي لي بأن أعطيك المزيد من الأرز".

قالت: "لا أريد المزيد".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قلت: "لا شكر على واجب".

قالت أمي: "هل زال صداعك؟"

قلت: "صداعي؟"

قالت: "خشيت أن يكون قد ألم بك الصداع عندما أتيت للبيت عصر اليوم".

قلت: "آه. لا، لم أشعر به. فقد انشغلت طوال فترة ما بعد الظهر في العمل إلى حد أنني نسيته".

قالت أمي: "هل هذا هو السبب في أنك تأخرت؟"

لفت انتباهي أن كوينتن كانت تصغي للكلام. قد نظرت إليها. كانت لا تزال تحرك شوكتها وسكينها في الطبق، لكني ضبطتها وهي تنظر إليَّ، فركزت نظرها في الطبق مرةً أخرى.

قلت: "لا. لقد أعرت سيارتي لأحدهم حوالي الساعة الثالثة، وتعين عليَّ أن أنتظر إلى أن يعيدها لي".

قالت: "من هو؟"

قلت: "أحد العاملين في السيرك. يبدو أن زوج أخته كان في نزهة مع امرأة من البلدة، وكان يطاردهما".

لم تحرك كوينتن ساكنًا، وهي تمضغ طعامها.

قالت أمي: "لا ينبغي لك أن تعير سيارتك لأشخاص مثل هذا. أنت تسرف في الكرم بإعارة السيارة. وهذا هو السبب في أنني لا أطلبها قدر طاقتي".

قلت: "هذا ما فكرت فيه أنا نفسي في البداية. لكنه عاد، ولا بأس بذلك. قال إنه عثر على ما كان يبحث عنه".

قالت أمي: "من هي المرأة؟"

قلت: "سوف أقول لك في وقت لاحق. لا أود أن أتحدث في هذه الأمور في حضور كوينتن". توقفت كوينتن عن الأكل. كانت تتناول جرعة من الماء بين حين وآخر، وكانت تجلس وهي تفتت في يديها بعض البسكويت، ووجهها منكفئ على طبقها.

قالت أمي: "أجل. أعتقد أن النسوة اللاتي يلزمن بيوتهن مثلي لا يعرفن شيئًا عما يجري في تلك البلدة".

قلت: "أجل. بكل تأكيد".

قالت: "إن حياتي مختلفة عن تلك الحياة. وأحمد الله على أنني لا أعرف مثل هذه الشرور. بل لا أود حتى أن أعرف عنها شيئًا، أنا لست مثل الكثيرين من الناس".

لم أتكلم. كانت كوينتن تجلس، وهي تفتت البسكويت، إلى أن انتهيت من تناول طعامي. عندها قالت، دون أن تنظر لأحد:

"هل يمكنني أن أذهب الآن؟"

قلت: "ماذا؟ يمكنك بالتأكيد أن تذهبي. هل كنت تنتظرينا؟"

نظرت إليّ. كانت قد فتتت قطع البسكويت كلها، إلا أن يديها كانتا تتحركان كما لو أنها ما تزال تفتت البسكويت، وثمة نظرة في عينها تبدو كما لو أنها محصورة في ركن أو شيء من هذا القبيل، وبدأت تعض على شفتها كأنها قد سممتها، بكل ما عليها من رصاص أحمر.

قالت: "جدتي. جدتي.."

قلت: "هل تريدين طعامًا آخر؟"

قالت: "لماذا يعاملني على هذا النحو، يا جدتي؟ أنا لم أتسبب له في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أي أذى".

قالت أمي: "أود منكما أن تستعيدا الود بينكما. فأنا لم يتبق لي من سواكما، وأود منكما أن تتصالحا".

قالت: "إنها غلطته. فهو لا يود أن يتركني وشأني، وهذا من حقي. وإذا لم يكن يود أن أمكث هنا، فلم لا يسمح لي بأن أعود إلى.."

قلت: "يكفي هذا. لا تنطقي بكلمة أخرى".

قالت: "إذن، فلماذا لا يتركني وشأني؟ إنه.. إنه.."

قالت أمي: "إنه أقرب الجميع إلى أن يكون مثل والدك. وأنا وأنت نأكل من خبزه. ومن حقه أن ينتظر منك أن تطيعيه".

قالت: "إنها غلطته". هبت واقفة. "هو من يجعلني أفعل ذلك. ولو قام فحسب.." نظرت إلينا، وعيناها محصورتان، وذراعاها تنتفضان إلى جانبيها.

قلت: "لو قمت فحسب بماذا؟"

قالت: "أيًا كان ما أفعله، فإن الغلطة غلطتك. ولو كنت فاسدة، فلأنني اضطُررتُ إلى ذلك. فأنت الذي دفعتني. أتمنى لو أموت. ليتنا نموت جميعًا". ثم جرت. سمعنا جريها على السلالم. ثم اصطفق باب.

قلت: "هذا أول كلام معقول تنطق به في حياتها".

قالت أمي: "لم تذهب اليوم للمدرسة".

قلت: "كيف عرفتِ ذلك؟ هل ذهبتِ إلى المدينة؟"

قالت: "عرفت وكفى. أتمنى لو عاملتها بقدر أكبر من اللطف".

قلت: "لو كان لي أن أفعل ذلك فسوف يتعين عليَّ أن أرتب أمر رؤيتها أكثر من مرة في اليوم. عليكِ أن تحضريها إلى المائدة في كل وجبة.

آنئذٍ يمكنني أن أعطيها قطعة إضافية من اللحم في كل مرة".

قالت: "هناك أشياء أبسط من ذلك يمكنك القيام بها".

قلت: "مثل أن أغض النظر عندما تطلبين مني أن أتأكد من إن كانت قد ذهبت إلى المدرسة أم لا؟"

قالت: "هي لم تذهب للمدرسة اليوم. وأنا أعلم أنها لم تذهب. وهي قالت لي إنها خرجت في نزهة مع أحدهم بعد ظهر اليوم وأنك لاحقتها".

قلت: "كيف ألاحقها. في حين أن أحدهم استعار سيارتي عصر اليوم؟ وسواء أكانت قد ذهبت للمدرسة اليوم أم لم تذهب، فإن هذا أمر انتهي. وإن كنتِ قلقة بشأن ذلك فوفري قلقك ليوم الإثنين القادم".

قالت: "تمنيت لو كان بينكما وفاق. لكنها ورثت كل صفات العناد. وكل صفات كوينتن أيضًا. لقد تبين لي الآن أن تسميتها باسمه كان له ما يبرره، لما ورثته من صفات وخصال. وفي بعض الأحيان أرى أنها عقاب من الله لي بسببهما".

قلت: "يا إلهي. أنت تتمتعين بعقلية ممتازة. ولا عجب في أن تمرضي على الدوام".

قالت: "ماذا؟ لا أفهم ما تقول".

قلت: "آمل ألا تفهمي. فالمرأة الفاضلة تفتقر إلى معرفة الكثير من الأمور التي يفضل لها ألا تعرفها".

قالت: "كلاهما كان يسير على نفس الطريقة. كانا يتحالفان مع والدك ضدي عندما أسعى لأن أقوم سلوكهما. كان يدأب على القول بأنهما لا يلزم الرقابة عليهما، وأنهما يعرفان بالفعل ما تعنيه الأمانة وما يعنيه النقاء، وهذا غاية ما يأمل أي انسان في تعلمه. وآمل أن يكون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

راضيًا عن ذلك".

قلت: "لديك بن يمكنك الاعتماد عليه. فابتهجي".

قالت: "كلاهما- هي وكوينتن- كانا يتعمدان أن أظل بمنأى عن حياتهما. وكانا يتآمران عليَّ. وعليك أيضًا، على الرغم من أنك كنت أصغر من أن تدرك ذلك. كانا ينظران إليك وإليَّ على أننا دخلاء، تمامًا كما كانا ينظران إلى خالك موري. ولطالما كنت أقول لأبيك أنه يسمح لهما بقدر مبالغ فيه من الحرية، وأن يكونا معًا أكثر مما ينبغي. وعندما دخل كوينتن المدرسة سمحنا لها بأن تدخل المدرسة في العام التالي، حتى تكون معه. ولم تكن تطيق أن يكون بإمكان أحد منكم أن يقوم بأي شيء لا يمكنها القيام به. كانت مغرورة وتتسم بكبرياء زائفة. وعندما بدأت في إثارة المشاكل كنت أدرك أن كوينتن سوف يشعر بأن عليه أن يقوم بعمل أسوأ مما قامت به. لكني لم أكن لأصدق أن يكون من الأنانية بحيث.. ولم أكن لأتخيل أنه.."

قلت: "لعله عرف أن الوليد سيكون بنتًا. وأن وجود المزيد منهم أكثر مما يمكنه احتماله".

قالت: "كان بإمكانه التحكم فيها. كان يبدو الشخص الوحيد الذي تحسب له حسابًا. لكني أظن أن ذلك جانب من حُكم القدر عليّ".

قلت: "أجل. لسوء الحظ أنني لم أمت بدلاً منه. فلربما كان ذلك أفضل لك".

قالت: "أنت تقول مثل هذه الأقوال لتؤلمني. ومع ذلك، فأنا أستحق. وعندما شرعوا في بيع الأرض ليرسلوا كوينتن إلى هارفارد قلتُ لوالدك إنه ينبغي أن يمنحك ما يضمن مستقبلك مثل أخيك. وعندما

عرض هربرت أن يوظفك في البنك، قلت ها قد حصل جاسون الآن على ما يضمن مستقبله. وعندما بدأت النفقات تتزايد اضطررتُ لبيع أثاث منزلنا والجزء المتبقي من المرعَى. وكتبت لها رسالة على الفور لأنني اعتقدتُ أنها سوف تكون متأكدةً أنها وكوينتن قد حصلا على نصيبهما وجزء من نصيب جاسون أيضًا، وأن الأمر يتوقف عليها الآن لكي تعوضه عن ذلك. وقلت في نفسي إنها سوف تفعل ذلك احترامًا لذكرى والدها. كنت أؤمن بذلك وقتها. ولكن كم أنا امرأة مسكينة؛ تربيتُ على الاعتقاد بأن الناس ينكرون ذواتهم من أجل دمهم ولحمهم. إنها غلطتي. ومن حقك أن تلومني عليها".

قلت: "هل تعتقدين أنني أحتاج لمعونة من أحد لأقف على رجلي؟ ناهيك عن أن يكون هذا الشخص امرأة لا يمكنها أن تقول مَن هو والد طفلها".

قالت: "جاسون".

قلت: "لا بأس. لم أقصد ذلك. لم أقصده بطبيعة الحال".

"هل أصدق أن ذلك ممكن بعد كل ماعانيتُه من متاعب".

قلت: "ليس الأمر على هذا النحو. لم أقصد ذلك".

قالت: "آمل أن أعفَى من ذلك، على أقل تقدير".

قلت: "بالتأكيد. فهي شديدة الشبه بهما، ولا ريب في ذلك".

قالت: "يصعب عليَّ تحمل ذلك".

قلت: "عليكِ إذن ألا تشغلي بالك بهذا الأمر. هل تتسبب لك في القلق مجددًا بشأن خروجها بالليل؟"

قالت: "لا. فقد أقنعتها أن هذا في صالحها، وأنه سيأتي يوم سوف

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تشكرني فيه على ذلك. وهي تأخذ كتبها معها وتذاكر، بعد أن تغلق الباب. وقد رأيت نور غرفتها مضاءً حتى الساعة الحادية عشرة في بعض الليالي".

قلت: "كيف عرفتِ أنها تذاكر؟"

قالت: "لا أدري ماذا تفعل غير ذلك عندما تكون وحدها. وهي لم تكن تذاكر من قبل".

قلت لها: "لا. لن تعرفي. واحمدي الله على أنك لا تعرفين". وما جدوي أن يصارحها المرء. فذلك ما لن يؤدي إلا إلى دفعها إلى البكاء من جديد.

سمعتها وهي تصعد السُّلم. ثم نادت على كوينتن وقالت كوينتن من وراء الباب: "ماذا هناك؟" قالت أمي: "تصبحين على خير". ثم سمعت صوت المفتاح في القفل، وعادت أمي إلى غرفتها.

بعد أن انتهيت من تدخين سيجاري وصعدت إلى الطابق العلوي، كانت الغرفة ما تزال مضاءة. رأيت ثقب المفتاح خاليًا، لكني لم أسمع صوتًا. ربما تذاكر في صمت. ربما تكون قد تعلمت ذلك في المدرسة. قلت لأمي تصبحين على خير، ثم توجهت إلى غرفتي، وأخرجت صندوق النقود وأحصيت ما فيه من جديد. كنت أسمع شخير بن- أعظم الخصيان في أمريكا- يأتي من بعيد كأنك تسمع صوت ورشة نجارة. لقد قرأت في مكانٍ ما أنهم يخصون الرجال على هذا النحو حتى تصبح أصواتهم كأصوات النساء. ولكن ربما لا يدري هو ماذا فعلوا به. ولا أظن أيضًا أنه كان يعرف شيئًا عما كان يحاول فعله، أو السبب في أن السيد بورجس ضربه على رأسه بعارضة من عوارض السياج. ولو كانوا

قد أرسلوه إلى مستشفى المجانين وهو ما يزال تحت تأثير الإثير، لما عرف أبدًا بالفرق. ولكن هذا الأمر أبسط من أن يفكر فيه آل كومبسون. إنهم مولعون بأن تكون الأمور معقدة تمامًا. ولقد تريثوا في القيام بذلك إلى أن انفلت من عقاله وحاول أن يطأ فتاة في الشارع أمام أعين والدها. حسنًا، فكما أسلفت القول، فهم لا يتعجلون أبدًا حسم الأمور، وسرعان ما يتخلون عن ذلك. وأنا أعرف اثنين على الأقل يلزم خصيهم، أحدهم على بُعد ما يزيد قليلاً عن ميل من هنا. ولكن لا أظن أن القيام بذلك سوف يكون مجديًا. فكما قلت مَن تكون فاجرةً لمرة تكون فاجرةً على الدوام. فلتُتح لي فقط مدة أربع وعشرين ساعة دون أي يهودي ملعون يقبع في نيويورك ينصحني بما يجب عمله في السوق. أنا لا أريد أن أحقق مكاسب ساحقة؛ دع ذلك لأولئك المقامرين الشطار. كل ما أريده فرصة أستعيد بها أموالي. وما إن أتمكن من ذلك، فبوسعهم أن يجلبوا شارع بيل* ومستشفى المجانين بكاملها ليناموا في فراشي، ويمكن لأحدهم أن يجلس في مكاني على المائدة أيضًا.

---

* شارع بيل: شارع الملاهي والمسارح والفرق الموسيقية والغنائية والمقاهي الشهير في وسط مدينة ممفيس، بولاية تنيسي، بالجنوب الأمريكي- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

8 أبريـــل 1928

أشرق اليوم كئيبًا وقارس البرودة، كما لو أنه جدار متحرك من الضوء المعتم قادمًا من الشمال الشرقي، وبدلاً من أن يتحول إلى رطوبة انحل إلى حبيبات دقيقة ومهلكة أشبه بالتراب، إلى حد أن ديلسي عندما فتحت باب الكوخ وخرجت، شعرت بوخز مثل وخز الإبر على بشرتها، حيث كانت الحبيبات تتكثف لا في شكل رطوبة بل في شكل مادة أشبه بزيت لم يتجمد بعد. كانت ترتدي قبعة سوداء صلبة مصنوعة من القش تجثم على عمامة فوق رأسها، وترتدي عباءة مخملية ضاربة للحمرة ذات حواف كالحة اللون من فراء مجهول الأصل فوق رداء من الحرير أرجواني اللون، ووقفت بالباب لبعض الوقت بوجهها المتغضن والحافل بالندوب المتوجه إلى الطقس، ومدت يدها، الضامرة كثيرة الغضون مثل بطن سمكة، ثم عدلت وضع الرداء عند أحد الجانبين وتحسست صدر عباءتها.

كانت العباءة متهدلة على كتفيها النحيلين، عبر ثدييها المتهدلين، ومشدودة عند كرشها ثم تنسدل مرةً أخرى، مكونةً انتفاخًا فوق ثيابها الداخلية التي تخلعها طبقةً وراء الأخرى في الربيع والأيام الدافئة، وجميعها زاهية الألوان ومبهرجة. لقد كانت يومًا ما امرأة ممتلئة الجسم، أما الآن فقد بدأت عظامها في البروز، يكسوها جلد مترهل، إلا أنه يصبح مشدودًا عند كرشها الذي يبدو مثل قربة ممتلئة بالماء، كما لو أن العضلات والأنسجة كانت علامة على شجاعة أو صبر استنفدته الأيام والأعوام فيما ظل الهيكل العظمي منيعًا وشامخًا مثل أثر أو شاهد فوق الأحشاء الناعسة والصماء، وأعلى ذلك وجهٌ متهالك يعطيك انطباعًا بأن عظامه بسبيلها لأن تخرج من اللحم، ترفعه لتنظر إلى هذا اليوم العاصف ليعلوه تعبير مستسلم للقدر وملامح وجه طفولية تعبر عن الإحباط المندهش، إلى أن استدارت ودخلت البيت مرةً أخرى، وأغلقت الباب.

كانت الأرضية المجاورة للباب خالية من البلاط. كان بها لمعانٌ ما، كما لو كان نتيجة للمشي عليها بأقدام حافية على مدى أجيال، مثل الفضة القديمة أو حوائط الأكواخ المكسيكية التي انصقلت بفعل احتكاك الأيدي لها. وبجوار المنزل، تقف ثلاث شجرات توت تظلله في الصيف، والأوراق الصغيرة والغضة- التي سوف تصبح في وقت لاحق عريضة ومنبسطة مثل الكف- تتماوج تحت تأثير الهواء المندفع. أتى طائران من فصيلة أبو زريق من مكان مجهول، وحاما وسط الريح كما لو كانا قطعتين من القماش أو الورق الملون وحطا على شجر التوت، يتأرجحان بحركات خشنة وهما يصيحان وسط الريح التي كانت تبدد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

صرخاتهما الفظة كمزق من الورق أو القماش وتقذف بها بعيدًا. ثم انضم إليهما ثلاثة طيور أخرى من نفس الفصيلة وتأرجحوا وتمايلوا جميعًا فوق الأغصان التي كانت تتأرجح تحتهم، وهم يصرخون وينعقون. انفتح باب الكوخ وخرجت منه ديلسي مرةً أخرى، وهي ترتدي هذه المرة قبعة من اللباد من النوع الذي يرتديه الرجال، ومعطفًا عسكريًا، وتحته كانت تبدو أطراف ردائها الأزرق المخطط منسدلةً في انبعاجات غير مستوية، وهي تعبر الفناء وتصعد السلالم المفضية إلى باب المطبخ.

بعد دقيقة ظهرت مرةً أخرى، وهي تحمل مظلة مفتوحة الآن، وهي تمسكها في وضع مائل تجاه الريح، وعبرت نحو كومة الحطب ووضعت المظلة جانبًا، وهي ما تزال مفتوحة. سرعان ما أمسكت بها وتشبثت بها وحملتها وهي تنظر إليها لبرهة. ثم أغلقتها ووضعتها جانبًا، وجمعت حزمة من الحطب في ذراعها المعقوفة إلى صدرها، ثم التقطت المظلة وفتحتها في نهاية المطاف، وعادت إلى السُّلّم وهي تمسك بالحطب في توازن قلق، فيما تجاهد لأن تغلق المظلة، التي أسندتها في الركن خلف الباب مباشرةً. كوَّمت الحطب في الصندوق خلف الفرن. ثم نزعت معطفها وقبعتها، وتناولت مريلة متسخة معلقة على الحائط وارتدتها، وشرعت في إشعال النيران في الفرن. وفيما تقوم بذلك، وقضبان الموقد تنتفض وتحتك بأغطيته، بدأت السيدة كومبسون في النداء عليها من أعلى السلم.

كانت ترتدي ثوبًا من الساتان الأسود المبطن، وهي ترفعه بيدها إلى ما تحت ذقنها. وفي يدها الأخرى، كانت تحمل قربة المياه الساخنة

المصنوعة من المطاط الأحمر، ووقفت تنادي: "ديلسي" على فترات منتظمة وبصوت رتيب، وهي تقف أعلى بئر السلم الذي كانت تكتنفه الظلمة، ثم أضاء مرةً أخرى عندما فُتحت نافذة سقط منها عليه ضوء معتم. نادت: "يا ديلسي"، بصوت رتيب وغير متعجل وبلا إلحاح، كأنما لا تنتظر إجابة أبدًا. "يا ديلسي".

ردت ديلسي وكفت عن تنظيف الفرن، لكنها قبل أن تعبر المطبخ نادتها السيدة كومبسون من جديد، ثم مرةً أخرى قبل أن تعبر غرفة الطعام وتخرج رأسها لمنطقة الضوء المعتم القادم من النافذة.

قالت ديلسي: "حاضر. حاضر، أنا قادمة. سوف أملأها عندما يسخن الماء". شمرت ملابسها لأعلى وهي تصعد السُّلم، وهي تتغطى بكاملها بالضوء الرمادي. "ضعيها هناك وعودى إلى فراشك".

قالت السيدة كومبسون"لا يمكنني أن أفهم ماذا يجري. فأنا أرقد مستيقظة منذ ساعة على الأقل، دون أن أسمع صوتًا في المطبخ".

قالت ديلسي: "ضعيها هناك وعودي إلى الفراش". عانت بألم وهي تصعد السُّلم بصعوبة بالغة وهي تلهث. "سوف أشعل النار في غضون دقيقة، وسوف يسخن الماء في دقيقتين".

قالت السيدة كومبسون: "أنا أرقد منذ ساعة، على الأقل. أظنك تنتظرينني لكي أنزل وأشعل النار".

وصلت ديلسي إلى قمة السُّلم وتناولت قربة الماء الساخن. قالت: "سوف أملأها في غضون دقيقة. لقد نام لاستر ولم يستيقظ مبكرًا هذا الصباح كعادته، لانه ظل في السيرك حتى منتصف الليل. سوف أشعل النار بنفسي. فعودي، حتي لا توقظي الآخرين قبل أن أكون جاهزة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لذلك".

قالت السيدة كومبسون: "عندما تسمحين للاستر بأن يفعل ما يتعارض مع عمله فإنك مَن ستعانين من ذلك. كما أن جاسون سوف يمتعض من ذلك لو سمع به. وأنت تعلمين".

قالت ديلسي: "لم يذهب إلى السيرك على حساب جاسون. لقد دفع من جيبه". نزلت السُّلم. وعادت السيدة كومبسون إلى غرفتها. وعندما صعدت إلى فراشها من جديد، كانت لا تزال تسمع صوت خطوات ديلسي وهي تنزل السلم ببطء مرعب ومؤلم ويبعث على الجنون، لو لم يتوقف الصوت ويتلاشى بعد أن تخطت باب الكرار.

دخلت ديلسي المطبخ، وأشعلت النيران، وشرعت في إعداد طعام الإفطار. في غضون ذلك توقفت وتوجهت إلى النافذة، ونظرت نحو كوخها، ثم اتجهت إلى الباب وفتحته ونادت وسط الجو العاصف.

"يا لاسترا!" صاحت، متوقفةً لتسمع ردًّا، وهي تميل بوجهها بعيدًا عن الريح. "أنت، يا لاسترا!"، وأنصتت. وما إن تأهبت لأن تنادي مرةً أخرى حتى ظهر لاستر عند ركن المطبخ.

"أجل يا سيدتي؟" قال ببراءة، ببراءة بالغة إلى حد أن تفحصته ديلسي، وهو واقف للحظة بلا حراك، بما هو أكثر من الدهشة.

قالت "أين كنت؟"

قال: "لم أكن في مكان معين. كنت فحسب في القبو".

قالت: "وماذا كنت تفعل في القبو؟ لا تقف في المطر، يا أحمق".

قال، وهو يصعد على رجات السلم: "لم أكن أفعل شيئًا هناك".

قالت: "إياك والدخول إلى هذا المكان دون أن تحمل حطبًا في يدك.

أرأيت كيف أنني أحضرت الحطب وأشعلت النار بدلاً منك. ألم أقل لك من قبل ألا تبرح هذا المكان في الليل دون أن تملأ صندوق الحطب عن آخره".

قال: "قمت بذلك. ملأته".

قالت: "فأين الحطب، إذن؟"

قال: "لا أدري. لم ألمسه".

قالت: "طيب، املأ الصندوق الآن. واصعد إلى الطابق العلوي لترعي بنچي".

أغلقت الباب. توجه لاستر إلى كومة الحطب. كانت طيور أبوزريق الخمسة تحوم حول البيت، صارخةً، وتحط على أشجار التوت من جديد. نظر إليها. التقط حجرًا من الارض وألقاه عليها. "هشش. عودا إلى الجحيم، مأواكم. يوم الاثنين لم يأتِ بعد".

حمَّل نفسه جبلاً من حطب الموقد. لم يعد يرى مِن فوقه، وترنح وهو يصعد السلم واصطدم بحمله الثقيل بالباب، مما أدى الى سقوط بعض الحطب. أتت ديلسي وفتحت الباب له ومشى متخبطًا في المطبخ. صرخت فيه ديلسي: "أنت، يا لاستر! ماذا فعلت". لكنه كان قد ألقى الحطب ليسقط في الصندوق بدوي مرعد. قال "ياه..!".

قالت ديلسي: "هل تود أن توقظ مَن في البيت جميعًا؟" صفعته على قفاه براحة يدها. "اصعد إلى الطابق العلوي وألبس بنچي ملابسه، الآن".

قال: "حاااضر". ثم اتجه نحو الباب الخارجي.

قالت ديلسي: "إلى أين أنت ذاهب؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"أعتقد من الأفضل أن ألتف حول المنزل حتى لا أوقظ السيدة كارولين".

قالت ديلسي: "اصعد من السُّلم الخلفي مثلما قلت لك وساعد بنچي على ارتداء ملابسه. هيا، الآن".

قال: "حاااضر". عاد وخرج من باب غرفة الطعام. بعد برهة توقف الباب عن الاهتزاز ذهابًا وجيئةً.

أعدت ديلسي العدة لصنع بسكويت. كانت تحرك الغربال على نحو منتظم فوق طاولة الخبز، وهي تغني، لنفسها أولاً، شيئًا ما دون كلمات أو لحن معين، مجرد غمغمة رتيبة وحزينة وجافة أشبه بالعديد، فيما كانت ترش الدقيق بين حين وآخر على طاولة الخبز. بدأت حرارة الفرن تدفئ جو الغرفة وتملأها بأصوات طقطقة خفيضة للنيران، وأصبح صوت غنائها الآن أكثر ارتفاعًا، كما لو أن دفء الغرفة جعل صوتها أكثر دفئًا، وفي هذه اللحظة نادت عليها السيدة كومبسون مرةً أخرى من داخل المنزل. رفعت ديلسي وجهها كما لو أن عينيها يمكنهما أن تخترقا الجدران والسقف، بل كما لو أنهما قاما بذلك بالفعل، لتريا المرأة العجوز بردائها السميك عل رأس السُّلم، وهي تنادي اسمها مرارًا كما لو أنها ماكينة تكرر ما تقول.

قالت ديلسي: "أوه، يا إلهي". وضعت الغربال ورفعت ذيل مريلتها ومسحت يديها، وأمسكت بالقربة من فوق كرسي كانت قد وضعتها فوقه، وأمسكت بطرف مريلتها مقبض الغلاية التي كانت تنفث الآن البخار بضعف. صاحت: " دقيقة. الماء سيسخن بعد دقيقة".

لكن لم يكن ما تريده السيدة كومبسون هو القربة مع ذلك،

وتوجهت ديلسي- التي كانت تمسك بالقربة من رقبتها كمن يمسك بدجاجة ميتة- إلى السُّلم، وهي تنظر إلى أعلاه.

قالت: "أليس لاستر معه؟"

"لاستر ليس في المنزل. فأنا أنصت له وأنا راقدة في مكاني. وأعلم أنه سوف يتأخر، ولكني كنت آمل أن يأتي في الوقت المناسب ليبعد بنچامين حتى لا يزعج جاسون في اليوم الوحيد من الأسبوع الذي يستيقظ فيه متأخرًا".

قالت ديلسي: "لا أدري كيف تتوقعين أن ينام أحد، في الوقت الذي تقفين فيه في الصالة، وتنادين بأعلي صوت على الناس منذ طلوع الفجر". وبدأت في صعود السلم بمشقة كبيرة. "لقد أرسلت هذا الصبي له منذ نصف ساعة".

نظرت إليها السيدة كومبسون، وهي ترفع بيدها ياقة ردائها إلى ما تحت ذقنها. قالت: "ماذا ستفعلين؟"

قالت: "سوف أساعد بنچي في ارتداء ملابسه وأنزله معي للمطبخ حتى لا يتسبب في إيقاظ جاسون أو كوينتن".

"ألم تشرعي بعد في إعداد الإفطار".

قالت ديلسي: "عليَّ أن أقوم بذلك أيضًا. من الأفضل أن تعودي إلى فراشك إلى أن يوقد لك لاستر المدفأة. فالجو بارد هذا الصباح".

قالت السيدة كومبسون: "أعلم ذلك. فقدميَّ باردتان مثل الثلج. وقد استيقظت من النوم بسبب شعوري بالبرد". كانت تنظر إلى ديلسي وهي ترتقي السُّلم. أمضت وقتًا طويلاً في صعودها. قالت لها السيدة كومبسون: "أنتِ تعلمين إلى أي مدًى يشعر جاسون بالضيق عندما يتأخر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الإفطار".

قالت ديلسي: "لا يمكنني القيام بأكثر من شيءٍ في نفس الوقت. عودي إلى فراشك لكي لا تكوني عبئًا آخر عليَّ هذا الصباح، أيضًا".

قالت: "إذا كنت ستتركين كل شيء لكي تساعدي بنچامين في ارتداء ملابسه، فمن الأفضل أن أنزل وأعد الإفطار. فأنت تعلمين كما أعلم كيف يتصرف جاسون عندما يتأخر".

"قولي لي مَن سيأكل من طعامك سيء الإعداد؟ قولي لي. هيا، اذهبي لفراشك". قالت ديلسي وهي تعاني في الصعود. وقفت السيدة كومبسون ترقبها وهي تصعد، وتستند هي نفسها على الحائط بيد، وترفع طرف ردائها باليد الأخرى.

قالت: "هل ستذهبين لإيقاظه لكي تلبسيه ملابسه".

توقفت ديلسي. وقت هناك وقدمها مرفوعة لتضعها على الدرجة التالية، وهي مستندة إلى الحائط والضوء الرمادي يأتي من النافذة وراء ظهرها، وهي تلوح كما لو كانت شبحًا ساكنًا غير محدد المعالم.

قالت: "ألم يستيقظ بعد؟"

قالت السيدة كومبسون: "لم يكن مستيقظًا عندما نظرت في غرفته. لكنه تأخر في نومه. فهو لا ينام بعد السابعة والنصف. وأنت تعرفين ذلك".

لم تتكلم ديلسي. ولم تتحرك من مكانها، ولكن على الرغم من أنها لم تتبينها وبدت لها شكلاً غير محدد المعالم، إلا أن السيدة كومبسون أدركت مع ذلك أنها أطرقت بوجهها قليلاً وأنها تقف الآن مثلما تفعل الأبقار تحت الأمطار، ممسكةً بقربة الماء الساخن الفارغة من رقبتها.

قالت السيدة كومبسون: "لا ذنب لك في ذلك ولست مسئولة عنه. بوسعك أن ترحلي. فليس عليكِ أن تتحملي هذا العبء الثقيل يومًا تلو الآخر. فأنتِ لستِ مدينة لهم بشيء، ولا لذكرى السيد كومبسون. أعلم أنك لا تتعاطفين أبدًا مع جاسون. فلم تحاولي إخفاء ذلك على الاطلاق".

لم ترد ديلسي. استدارت ببطء ونزلت، وهي تهبط بجسمها درجةً بعد أخرى، مثلما يفعل طفل صغير، ويدها على الحائط. قالت: "اتركيه وشأنه، ولا تدخلي غرفته ثانيةً الآن. سوف أرسل لاستر فورًا بعد أن أعثر عليه. فاتركيه وشأنه، الآن".

عادت إلى المطبخ. نظرت في الفرن، ثم سحبت مريلتها من فوق رأسها وارتدت معطفها، وفتحت الباب الخارجي ونظرت في أرجاء الفناء. كان الطقس يضرب جسدها، قارسًا ولاسعًا، لكن المشهد فيما عدا ذلك كان خاليًا من أي شيء يتحرك. نزلت بهمة على السُّلم، كما لو كانت تراعي الصمت، وذهبت عند ركن المطبخ. عندئذٍ برز لاستر بسرعة وبراءة من باب القبو.

توقفت ديلسي، وسألته: "ماذا تفعل؟"

قال لاستر: "لا شيء. لقد طلب مني السيد جاسون أن أبحث عن السبب في تسرب الماء في القبو".

قالت ديلسي: "متى قال لك ذلك؟ هل قال لك ذلك في عيد رأس السنة الماضية؟"

قال لاستر: "فكرت في أن ألقي نظرة عليهم وهم نيام". توجهت ديلسي إلى باب القبو. كان لاستر يقف جانبًا، وحملقت في العتمة التي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تفوح بروائح الأتربة والعفن والمطاط والرطوبة.

قالت ديلسي:"هه"، وهي تنظر إلى لاستر مرةً أخرى. واجه نظرتها بنظرة توحي بالبراءة والصراحة والدعة. "لا أعلم ما الذي تفعله، ولكن ليس لك أن تفعل ذلك. فهل تسعى لأن تُكمل مضايقتي مثلما ضايقني الآخرون هذا الصباح؟ اصعد في الحال لترعى بنچي، هل سمعتني؟"

قال لاستر، وهو يصعد سُلم المطبخ بسرعة: "حاااضر".

قالت ديلسي: "انتظر. فما دمت هنا، فأحضر لي حزمةً أخرى من الحطب".

قال: "حاااضر"، وهو يتخطاها على السُّلم متوجهًا لكومة الحطب. عندما عاد وهو يتخبط عند الباب بعد برهة، مخفيًّا ولا يرى من جديد وسط الحطب، ككومة من حطب، فتحت له ديلسي الباب واقتادته عبر المطبخ وهي تمسك به بقبضة راسخة.

قالت: "حذار من أن تلقي الحطب في الصندوق مرةً أخرى. حذارِ".

قال لاستر، وهو يلهث: "كيف إذن؟ فأنا لا أستطيع إنزاله بطريقة أخرى".

قالت ديلسي: "قف وأنت تمسك بالحطب لبرهة". أخذت تُنزل الحطب حفنةً حفنةً وهي تقول: "ماذا حدث لك هذا الصباح؟ كلما أرسلتك لإحضار الحطب، أحضرتَ ما لا يزيد عن ست حطبات في المرة لتضفي أهمية على حياتك اليوم. ما الذي كنت ستطلبه مني الآن؟ هل ما يزال السيرك في المدينة؟"

قال: "أجل. لقد غادر".

وضعت ديلسي آخر حزمة من الحطب في الصندوق. قالت: "والآن

اصعد إلى بنچي كما قلت لك من قبل، ولا أود أن يناديني أحد إلى أن أدق الجرس. هل تسمعني؟"

قال لاستر: "حاااضر". ثم اختفي عبر الباب المتأرجح. وضعت ديلسي المزيد من الحطب في الفرن وعادت إلى طاولة الخبز. ثم شرعت في الغناء من جديد.

دب الدفء في الغرفة. سرعان ما اتخذت بشرة ديلسي حالة حيويةً صقيلة، مقارنةً بحالة بشرتها وبشرة لاستر التي كانت تشوبها من قبل غبرة رماد واهية، وهي تتحرك في المطبخ، وهي تجمع حولها مكونات وجبة الافطار. وعلى الحائط- فوق خزانة الأواني- كانت هناك ساعة معلقة لا تراها إلا في الليل باستخدام مصباح، لينكشف لك آنئذٍ لغز عميق في غموضه، لأنه ليس به سوى عقرب واحد، وهيكل ساعة حائط يتكتك، ثم كأنما سلّك زوره، انطلقت خمس دقات.

قالت ديلسي: "الساعة الآن الثامنة". توقفت وهي تميل برأسها، وتتسمع. لكن لم يكن هناك أي صوت سوى تكتكة الساعة وصوت النار. فتحت الفرن ونظرت إلى صينية الخبز، وانتظرت وهي منحنية حين سمعت وقع أقدام تنزل على السُّلم. عبرت الأقدام غرفة الطعام، عندئذ انفتح الباب المتأرجح ودخل منه لاستر، وخلفه رجل ضخم الجسم بدا كما لو تشكل من مادة رجراجة غير متماسكة مع بعضها البعض، أو مع هيكله بصفة عامة. وكانت بشرته شاحبة وخالية من الشَّعر وبطنه منتفخة كما لو كان مصابًا بالاستسقاء أيضًا، يمشي متثاقلاً مثل دُب مدرب. شعره فاتح اللون وناعم. كان قد مشطه إلى الأمام ليتزل على حاجبيه مثل تسريحات الأطفال في الصور الفوتوغرافية. عيناه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

صافيتان، ضاربتان للخضرة، أشبه بخضرة شواشي الذرة، وشفتاه الغليظتان متدليتان مفتوحتين، مبللتين قليلا.

قالت ديلسي: "هل يشعر بالبرد؟" جففت يديها بمريلتها، ولمست يده.

قال لاستر: "هو لا، أنا البردان. الجو يكون باردًا في عيد الفصح دائمًا، ولم أره يأتي والجو دافئ. تقول لك السيدة كارولين إذا لم يكن لديك وقت لملء قربتها بالماء الساخن، فلا تشغلي نفسك بذلك".

قالت ديلسي: "يا إلهي". جرَّت كرسيًا إلى الركن فيما بين صندوق الحطب والفرن. ذهب إليه الرجل طواعية وجلس. "ابحث في غرفة الطعام حيث ستجد تلك القربة التي وضعتها هناك". أحضر لاستر القربة من غرفة الطعام، وملأتها ديلسي بالماء الساخن، وأعطتها له. قالت: "أسرع بها إليها، الآن. وإذا وجدت جاسون مستيقظًا، فقل له إن كل شيء جاهز".

خرج لاستر. جلس بن إلى جوار الفرن. جلس براحته، دون أن يحرك ساكنًا إلا رأسه، التي كانت تهتز صعودًا وهبوطًا بشكل مستمر، وهو يتابع بعينه ديلسي- وهي تتحرك ذهابًا وجيئةً- بنظرة فيها غموض وعذوبة. وعاد لاستر.

قال: "استيقَظ. السيدة كارولين تقول لكِ ضعي الإفطار على المائدة". توجه إلى الفرن وفرد راحتَي يديه على النار. قال: "استيقظ، أيضًا. وهو يضرب بقدميه هذا الصباح".

قالت ديلسي: "ماذا بك الآن؟ ابتعد عن هناك. كيف يمكنني أن أفعل أي شيء أانت تقف أمام الفرن؟"

قال لاستر: "أنا بردان".

قالت ديلسي: "كان الأولى بك أن تفكر في ذلك وأنت هناك في ذلك القبو. ماذا حدث لجاسون؟"

قال لاستر: "يقول إنني وبنچي كسرنا شباك غرفته".

"وهل هناك شباك مكسور في الغرفة؟"

قال لاستر: "هذا ما يقوله. وهو يقول أيضًا إنني كسرته".

قالت: "وكيف يمكنك أن تكسره وهو يغلق الغرفة بالنهار والليل؟"

قال لاستر: "هو يقول إنني كسرته بحجر ألقيته عليه".

قالت: "وهل ألقيته؟"

قال: "أبدًا".

قالت: "لا تكذب عليَّ، يا ولد".

قال: "لم أفعل ذلك. واسألي بنچي إن كنت فعلت. لم أقترب من هذا الشباك".

قالت ديلسي، وهي تخرج صينية البسكويت من الفرن: "فمن كسره إذن؟ إنه يسعى لإيقاظ كوينتن".

قال لاستر: "هل تظنين ذلك؟ هؤلاء القوم ما أغربهم. سعيدٌ بأنني لست واحدًا منهم".

قالت ديلسي: "واحد ممن؟ أود أن أقول لك شيئًا، أيها الفتى الزنجي، أنت فيك نفس القدر من الشيطنة كأي فرد من آل كومبسون، هل أنت واثق من أنك لم تكسر الشباك؟"

"وما الذي يدفعني لأن أكسر الشباك؟"

قالت ديلسي: "واحدة من أعمالك الشيطانية. انتبه له الآن حتى لا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يحرق يده ثانيةً إلى أن أنتهي من إعداد المائدة".

ذهبت إلى غرفة الطعام، وكانا يسمعانها وهي تتحرك فيها، ثم عادت وأعدت طبقًا ووضعته على مائدة في المطبخ، ووضعت طعامًا فيه. كان بن ينظر إليها وهو يريل، ويصدر صوتًا خفيضًا ملهوفًا على الطعام.

قالت ديلسي: "لا بأس، يا حبيبي. هذا إفطارك. هات هذا الكرسي له، يا لاستر". أتى لاستر بالكرسي وجلس عليه بنچي، وهو يهمهم ويريل. ربطت ديلسي قطعة من القماش حول رقبته، ونظفت فمه بطرفها. وقالت وهي تناول لاستر ملعقة: "حاول أن تجعله يأكل دون أن يوسخ ملابسه ولو مرة في عمرك".

توقف بن عن الهمهمة والغمغمة. رأى الملعقة ترتفع نحو فمه. كان كأن اللهفة تسري في كل عضلة من عضلاته، وكأنما الجوع نفسه عاجز عن التعبير عن نفسه، كأنما لا يعرف أنه جوع. كان لاستر يطعمه بتمكن وبلا أي تركيز. وبين حين وآخر كان يستعيد انتباهه بما يكفي ليعابث بن بحيث يُقرب الملعقة من فمه ثم يسحبها فجأة، فيطبق بن فمه على لا شيء، ولكن الظاهر أن ذهن لاستر كان شاردًا في مكان آخر. كان يسند يده الأخرى على ظهر الكرسي، ويده تنقر على هذا الجسم الجامد بحرص ونعومة، كما لو أنه يلتقط نغمة غير مسموعة من هذا الفراغ الهامد، ونسى لبرهة حتى أن يعابث بن بالملعقة في حين كانت أصابعه تنتزع من الخشب القتيل لحنًا مشوشًا متسارعًا بلا صوت، إلى أن انتبه إلى صوت بن وهو يصرخ من جديد.

كانت ديلسي تتحرك ذهابًا وجيئةً في غرفة الطعام. رنت جرسًا

صغيرًا واضح الصوت، وعندها سمع لاستر صوت السيدة كومبسون وجاسون وهما ينزلان السلم، ثم سمع صوت جاسون، وقلب عينيه لتبدوان كما لو كانتا بياضًا بلا سواد، وهو يتنصت عليهما.

قال جاسون: "بالتأكيد، أنا أعلم أنهما لم يكسراه. أنا على يقين من ذلك. ربما تكون التقلبات الجوية هي السبب في كسره".

قالت السيدة كومبسون: "لا يمكنني أن أتصور كيف حدث ذلك. فغرفتك تكون مغلقة طوال النهار، وتظل على حالها كما تتركها عندما تذهب إلى المدينة. ولا يدخلها أحدٌ منا إلا يوم الأحد لتنظيفها. ولا أريد أن تظن أنني دخلتها، فأنا لا أود ذلك، ولا أسمح لأحد آخر بدخولها".

قال جاسون: "لم أقل إنك كسرتها. هل قلت ذلك؟"

قالت السيدة كومبسون: "أنا لا أريد دخول حجرتك. فأنا أحترم خصوصيات أي إنسان. ولن أتخطى عتبتها برجلي حتى لو كان معي المفتاح".

قال جاسون: "أجل. أعلم أن مفاتيحكم لا تفتح غرفتي. وذلك هو سبب تغييري للقفل. وكل ما أريده هو أن أعرف كيف تم كسر هذا الشباك".

قالت ديلسي: "لاستر قال إنه لم يكسره".

قال جاسون: "أعلم ذلك حتى دون أن أسأله. أين كوينتن؟"

قالت ديلسي: "حيث تكون صباح كل يوم أحد. فما الذي جرى لك في الأيام القليلة الماضية، على أية حال؟"

قال جاسون: "حسنًا، سوف نعمل على تغيير ذلك كله. اصعدى وقولي لها إن الإفطار جاهز".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قالت ديلسي: "اتركها وشأنها الآن، ياجاسون. فهي تستيقظ للإفطار صباح كل يوم من أيام الأسبوع، والسيدة كارولين تسمح لها بأن تظل في فراشها كل يوم أحد. وأنت تعلم ذلك".

قال جاسون: "لا يمكنني أن أصرف على مطبخ ممتلئ بالزنوج لكي يقوموا على خدمتها، فأنا أود أن يقوموا بأشياء أخرى. اذهبي وأخبريها بأن تنزل للإفطار".

قالت ديلسي: "لن ينتظر أحدٌ لخدمتها. سوف أسخن لها إفطارها عندما.."

قال جاسون: "هل تسمعينني؟"

قالت ديلسي: "أسمعك. فأنا لا أسمع سوى صوتك عندما تكون في المنزل. فإن لم ترفع صوتك على كوينتن أو والدتك، فإنك ترفعه على لاستر وبنچي. لماذا تسمحين له بالتصرف على هذا النحو، يا سيدة كارولين".

قالت السيدة كومبسون: "من الأفضل أن تتصرفي كما يقول. فهو رب البيت الآن. ومن حقه أن يطلب منا أن نحترم رغباته. وأنا أحاول أن ألبيها ما استطعت ذلك، ويمكنك أن تفعلي ذلك أيضًا".

قالت ديلسي: "أليس من الغريب أنه عندما يتعكر مزاجه يجبر كوينتن على أن تستيقظ عندما يحلو له ذلك. ربما تظن أنها هي التي كسرت هذا الشباك".

قال جاسون: "لن تتردد في فعل ذلك لو خطر ببالها. هيا اذهبي وافعلي ما قلته لك".

قالت ديلسي، وهي تتجه نحو السُّلم: "أنا لن ألومها لو فعلت ذلك.

فأنت تتشاجر معها طوال مدة بقائك في المنزل".

قالت السيدة كمبسون: "اسكتي، يا ديلسي. فليس من حقك أو من حقي أن نقول لجاسون ما ينبغي عليه أن يفعل. وأفكر في بعض الأحيان أنه مخطئ، لكني أحاول ألا أخالف رغباته من أجلكم جيمعًا. ولو كنت قوية بما يكفي للمجيء إلى المائدة، فإن كوينتن يمكنها أن تفعل ذلك أيضا".

خرجت ديلسي. سمعوا وقع أقدامها وهي تصعد السَّلالم. سمعوها طويلا على السلالم.

قال جاسون: "لديكِ طاقم ممتاز من الخدم". غَرَف الطعام لأمه ثم لنفسه. "أليس لديكِ طاقم يستحق القتل؟ لا بد أنهم كانوا لديك قبل أن أكبر وأعي ذلك".

قالت السيدة كومبسون: "عليَّ أن أسايرهم. فلا مفر من أن أعتمد عليهم تمامًا. فلست في صحة جيدة. بتمنيت لو كانت صحتي كذلك. وعندها كان بإمكاني أن أقوم بكل أعمال المنزل بنفسي. وكنت سأرفع على الأقل عبئًا كبيرًا عن كاهلك".

قال جاسون: "هل علينا أن نحيا في حظيرة للخنازير، أيضًا. أسرعي يا ديلسي".

قالت السيدة كومبسون: "أعلم أنك تلقي باللوم عليَّ، لأني أسمح لهم بالذهاب إلى الكنيسة اليوم".

قال جاسون: "يذهبون إلى أين؟ ألم يغادر السيرك اللعين المدينة بعد؟"

قالت السيدة كومبسون: "إلى الكنيسة. فالسود يُقام لهم قُداس خاص

https://telegram.me/maktabatbaghdad

في عيد الفصح. وقد وعدتُ ديلسي منذ أسبوعين بأن يذهبوا إلى هناك".

قال جاسون: "وهو ما يعني أنني سوف أتناول طعامًا باردًا، إن كان هناك أصلاً طعام".

قالت السيدة كومبسون: "أعرف أنها غلطتي. وأنك تلومني على ذلك".

قال جاسون: "علام ألومك؟ هل أنت مَن بعث المسيح حيًّا؟"

سمعوا وقع أقدام ديلسي عند آخر درجة في السلالم، ثم صوت خطواتها البطيئة في الطابق العلوي.

قالت ديلسي: "كوينتن". عندما نادت أول مرة وضع جاسون شوكته وسكينه على المائدة، وبدا هو وأمه في وضع الانتظار على طرفي المائدة في وضع متطابق تقريبًا؛ فهو قاس وخبيث، شعره كثيف وبني اللون يلتوي في شكل عقفتين على جانبي الجبين مثل عامل البار الذي يُرسم عادة في رسوم الكاريكاتير، وعينان كستنائيتان قزحيتاهما متحلقتان بحلقتين سوداوين، أما هي فقاسية وشكسة، شعرها أشيب تمامًا، وعيناها جاحظتان قلقتان، وتبدوان لشدة سوادهما كما لو أنهما بكاملهما قزحيتان أو بؤبؤان.

قالت ديلسي: "كوينتن. استيقظي، يا عزيزتي. فهم ينتظرونك لتناول الإفطار".

قالت السيدة كومبسون: "لا يمكنني أن أفهم كيف كُسر هذا الشباك. هل أنت متأكد أنه كُسر أمس؟ ربما يكون قد كُسر منذ فترة، مع دفء الطقس. العارضة العليا، خلف الستارة تشي بذلك".

قال جاسون: "قلت لك للمرة الأخيرة إن ذلك حدث أمس. ألا

تعتقدين أنني أعرف الغرفة التي أعيش فيها؟ وهل تظنين أن بإمكاني أن أعيش لمدة اسبوع في غرفة بها فتحة في الشباك يمكن أن تنفذ منها يدك"..

كان صوته قد تحشرج، وتوقف، وتركه يحملق في أمه بعينين بدتا للحظة خاليتين تمامًا من أي تعبير. بدا كما لو أن عينيه تحبسان أنفاسهما، فيما كانت أمه تنظر إليه، ووجهها بادي الترهل والتحفز والملل ويستشرف الغيب، إلا أنه يتسم مع ذلك بالبلاهة. وفيما هما جالسان قالت ديلسي:

"كوينتن، لا تلعبي بي، يا حبيبتي. هيا للإفطار، يا عزيزتي. إنهم في انتظارك".

قالت السيدة كومبسون: "لست أفهم ذلك. كأن أحدهم حاول اقتحام البيت.." قفز جاسون من مكانه. سقط كرسيه وراءه. "ماذا.." قالت السيدة كومبسون، وهي تحدق فيه وهو يجري متخطيًا إياها، قافزًا على السلالم، حيث قابل ديلسي. كان وجهه الآن في الظل، وقالت ديلسي:

"لقد حرنت. لم تفتح". لكن جاسون جرى وتخطاها ووصل إلى باب يفتح على الممر. لم يناد عليها. أمسك بمقبض الباب وحاول أن يفتحه، ثم وقف وهو ممسك بالمقبض ومال برأسه، كما لو أنه يتنصت ليسمع شيئًا بعيدًا يتجاوز حتى أبعاد الغرفة خلف الباب، وهو ما سمعه فعلاً. كان مسلكة مسلك شخص يحاول أن يسمع شيئًا كي يخدع نفسه بما يسمع. من ورائه صعدت السيدة كومبسون السلالم، وهي تنادي عليه. ثم رأت ديلسي فكفت عن المناداة عليه، ونادت على ديلسي بدلاً منه.

قالت ديلسي: "قلت لك إنها لم تفتح الباب".

عندما تكلمت استدار وجرى نحوها، وقال بصوت هادئ عملي:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"هل تحمل المفتاح معها؟ أهو معها الآن، أم أنها سوف.."

نادت السيدة كومبسون من السلم: "يا ديلسي".

قالت ديلسي: "سوف ماذا؟ لماذا لا تدعها.."

قال جاسون: "المفتاح. مفتاح هذه الغرفة. هل هو معها دائمًا، يا أمي". عندئذٍ رأي السيدة كومبسون ونزل السلالم وقابلها. قال: "اعطني المفتاح". انحنى ليفتش جيوب جاكتها الأسود المغبر المتهالك. قاومته.

قالت، وهي تحاول أن تبعده: "جاسون! أنت يا جاسون، هل تسعى أنت وديلسي لأن ألزم الفراش مرةً أخرى؟ ألا يمكنك أن تتركني في سلام حتى في يوم الأحد؟"

قال جاسون، وهو يفتشها: "المفتاح. اعطيني المفتاح". نظر إلى الخلف نحو الباب، كما لو كان يتوقع أن ينفتح فجأة، قبل أن يذهب إليه وفي يده المفتاح الذي لم يحصل عليه بعد.

قالت السيدة كومبسون وهي تضم جاكتها وتتشبث به: "أنت، يا ديلسي!"

صرخ جاسون فجأة: "اعطيني المفتاح، أيتها العجوز البلهاء!" أخرج من جيبها مجموعة كبيرة من المفاتيح الصدئة موضوعة في حلقة كبيرة من الحديد، مثل تلك الحلقة التي كان يحملها سجانو العصور الوسطى، وجرى جاسون عبر الصالة والمرأتان خلفه.

قالت السيدة كمبسون: "أنت، يا جاسون! لن يعرف أبدًا المفتاح المناسب. وأنت تعرفين أنني لا أسمح لأحد بأن يأخذ مفاتيحي، يا ديلسي". وبدأت تبكي.

قالت ديلسي: "اهدئي. لن يمسها بسوء. لن أسمح له بذلك".

قالت السيدة كومبسون: "لكن كيف يحدث ذلك صباح الأحد، في منزلي. أنا التي بذلت قصارى جهدي لأن أربيهم تربية مسيحية. دعني أدلك على المفتاح المطلوب، يا جاسون". وضعت يدها على ذراعه. ثم بدأت في مقاومته، لكنه أطاح بها جانبًا بحركة من كوعه، ونظر إليها للحظة، وعيناه باردتان قاسيتان، ثم استدار إلى الباب مرةً أخرى وإلى المفاتيح الكثيرة.

قالت ديلسي: "اهدئي. أنت، ياجاسون!"

قالت السيدة كومبسون: "شئ مريع قد حدث". وأضافت وهي تبكي من جديد: "أعلم أنه قد حدث. أنت، يا جاسون"، قالت وهي تشهق نحوه من جديد. "فهو لا يسمح لي حتى بأن أعثر على مفتاح غرفة في بيتي!".

قالت ديلسي: "كفى، كفى. ما الذي يمكن أن يحدث؟ أنا هنا. ولن أتركه يلحق بها أذًى". ثم رفعت صوتها: "كوينتن، لا تخافي، يا حبيبتي، فأنا هنا".

انفتح الباب، وتأرجح الباب داخل الغرفة. وقف جاسون بالباب للحظة، حاجبًا الرؤية عن الغرفة، ثم دخل. قال بصوت خافت وغليظ "ادخلا". دخلا. لم تكن غرفة فتاة. ولا غرفة يمكن أن يسكنها أحد، تفوح منها رائحة خفيفة لأدوات التجميل الرخيصة وبضعة أغراض أنثوية وشواهد على محاولات مستميتة لإضفاء لمسة أنثوية عليها، لكنها أضافت إلى ما يفقد الغرفة هويتها، وتضفي عليها طابعًا عابرًا لا حياة فيه، مثل الغرف في بيوت الدعارة. السرير مرتبٌ على حاله. وعلى الأرضية قطعة ملابس داخلية متسخة من الحرير الرخيص وردية اللون،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ومن أحد الأدراج تتدلى فردة جورب. كان الشباك مفتوحًا. تلوح منه شجرة كمثرى مزهرة قريبة من البيت، تحتك أغصانها بالبيت، ويهب تيار هواء شديد من الشباك حاملاً معه إلى الغرفة رائحة الزهور.

قالت ديلسي: "ألم أقل لك أنها بخير؟"

قالت السيدة كومبسون: "بخير؟" لحقت بها ديلسي إلى الغرفة وربتت عليها.

قالت: "هيا، استريحي الآن. سوف أعثر عليها في عشر دقائق".

قالت السيدة كومبسون، وهي تدفعها بعيدًا عنها: "ابحثي عن الرسالة. عندما فعلها كوينتن ترك رسالة".

قالت ديلسي: "لا بأس. سوف أعثر عليها. تعالي إلى غرفتك، الآن".

قالت السيدة كومبسون: "أدركت منذ اللحظة التي أسموها كوينتن أن هذا سيحدث". توجهت إلى المكتب، وبدأت تبحث في الأوراق والأشياء المتناثرة فيه.. قوارير عطور، علبة بودرة، قلم رصاص معضوض عند أحد أطرافه، مقصان أحدهما مكسور موضوع على وشاح مرفو مُشبع بمسحوق تجميل وملطخ بأحمر شفاه. قالت "ابحثي عن الرسالة".

قالت ديلسي: "أنا أبحث. هيا، اذهبي الآن. فسوف نجدها، أنا وجاسون. فهيا اذهبي إلى غرفتك".

نادت السيدة كومبسون: "جاسون. أين هو؟". اتجهت إلى الباب. تبعتها ديلسي إلى الصالة، واتجهت لباب الغرفة الأخرى. كان مغلقًا. نادته عبر الباب: "جاسون". ما مِن رد. حاولت فتح الأكرة، ثم نادت عليه مرةً أخرى. لكن لم يكن ثمة رد أيضًا، لأنه كان يلقي بأشياء خارج خزانة الملابس، ملابس وأحذية وحقيبة ملابس. ثم خرج وهو يحمل

قطعة من لوح خشبي معشَّق ووضعه على الأرض، ودخل إلى خزانة الملابس مرةً أخرى، وخرج منها بصندوق معدني. وضعه على الفراش ووقف ينظر إلى القفل المكسور وهو يخرج من جيبه سلسلة مفاتيح ويختار مفتاحًا، ووقف لفترة أكبر وفي يده المفتاح الذي اختاره، وهو ينظر إلى القفل المكسور. ثم وضع المفاتيح مرةً أخرى في جيبه، وأفرغ محتويات الصندوق بحرص على الفراش. قام بحرص بفرز الأوراق، وهو ينفضها واحدةً تلو الأخرى. ثم قلب الصندوق وهزه أيضًا، ثم أعاد الأوراق إلى مكانها ووقف يتأمل القفل المكسور، وهو يحمل الصندوق في يديه ورأسه مُطرقة. كان يسمع من خارج النافذة طيور أبو زريق تحوم وتنعق، وتتردد أصداء صرخاتها في خضم الريح، ومرت سيارة في مكانٍ ما ثم تلاشى صوتها بعيدًا أيضًا. نادته أمه من جديد من وراء الباب، لكنه لم يتحرك. سمع ديلسي تقتادها عبر الصالة، ثم سمع صوت باب يُغلق. ثم وضع الصندوق في الخزانة من جديد وألقى فوقه الملابس، ونزل على السلالم إلى التليفون. وفيما كان يقف هناك وهو يضع السماعة على أذنه ينتظر ردًّا، نزلت ديلسي على السلالم. نظرت نحوه، دون أن تتوقف، ومضت في حال سبيلها.

تلقى ردًّا على مكالمته. قال: "أنا جاسون كومبسون"، وفي صوته خشونة وغلظة إلى حد أن كان عليه أن يكرر ما قال: "جاسون كومبسون"، وهو يحاول التحكم في صوته. "أرجو تجهيز سيارة، برفقة معاون شرطة، وإذا لم يكن بإمكانكم الحضور، خلال عشر دقائق. سوف أحضر.. ماذا؟.. سرقة. منزلي.. وأعرف مَن السارق، أقول. لديَّ سيارة جا.. ماذا؟؟ ألست موظفًا لتنفيذ القانون.. أجل، سوف أحضر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

خلال خمس دقائق. جهز السيارة على الفور. إن لم تفعل، سوف أتقدم بشكوى إلى حاكم الولاية".

ألقى بالسماعة على التليفون ومر عبر غرفة الطعام، حيث كانت الوجبة التي لم يقربها أحد موضوعة على المائدة باردة، ثم دخل المطبخ. كانت ديلسي تملأ القربة بالماء الساخن. وبن يجلس في هدوء ووداعة. إلى جانبه لاستر يرقب مثل كلب شرس. كان يأكل شيئًا ما. مر جاسون عبر المطبخ.

قالت له ديلسي: "ألن تتناول إفطارك؟" لم يلتفت إليها. قالت: "هيا تناول إفطارك، يا جاسون". مضى إلى حال سبيله. قرقع الباب الخارجي وراءه. نهض لاستر وتوجه إلى النافذة ونظر منها.

قال: "ماذاااا. ماذا حدث هناك؟ هل ضرب الآنسة كوينتن؟"

قالت ديلسي: "اقفل فمك واسكت. سوف تجعل بنچي يبكي الآن وسوف أضربك على رأسك. دعه في هدوئه قدر الإمكان إلى أن أعود، مرةً أخرى". وضعت الغطاء على فم القربة وخرجت. سمعاها وهي تصعد السلالم، ثم سمعا جاسون وهو يمر بالمنزل في سيارته. ولم يعد بعدئذٍ هناك من صوت في المطبخ عدا صوت غليان الماء في الغلاية ودقات الساعة.

قال لاستر: "هل تعرف ما أخمنه؟ أظنه ضربها. أظن أنه بطحها في رأسها، وهو ذاهب الآن إلى الطبيب. هذا ما أظنه". كانت الساعة تتكتك بعمق ووقار. وربما تكون هي النبض الجاف لهذا البيت المتداعي نفسه، وبعد برهة صدرت عنها أصوات خفيضة وسلّكت زورها ودقت ست دقات واضحة. رفع بن نظره إليها، ثم نظر إلى شكل رأس لاستر الظلي

بطريقة السلويت في النافذة الذي يشبه شكل الرصاصة، ثم بدأ يهز رأسه من جديد وهو يريل. وبدأ يغمغم

قال له لاستر، دون أن يستدير إليه: "اسكت، أيها العبيط. يبدو أننا لن نذهب إلى الكنيسة اليوم". لكن بن جلس في الكرسي، وقد تدلت يداه الكبيرتان الناعمتان بين ركبتيه، وهو يئن بصوت خفيض. فجأةً بكى ،بصوت بطيء مرتفع ومتواصل وعديم الدلالة. قال له لاستر: "اسكتْ". التفت إليه رافعا يده. قال: "هل تريدني أن أضربك؟" لكن بن كان ينظر إليه وهو يبكي ببطء مع كل شهيق وزفير. أتى إليه لاستر وهزه. صرخ فيه: "اسكت، على الفور!". جر بن من كرسيه ثم جر الكرسي وجعل وجهه ناحية الفرن، ثم فتح باب الفرن وأجلس بن في الكرسي. كان منظر لاستر وهو ينقله الى الكرسي أشبه بقارب جرار يجر ناقلة عملاقة في مرسى ضيق. جلس بن أمام باب الفرن الوردي. سكت. ثم سمعا صوت الساعة من جديد، وديلسي قادمة ببطء على السلالم. عندما دخلت بدأ يغمغم من جديد. ثم رفع صوته.

قالت ديلسي: "ماذا فعلت له؟ لماذا لا تتركه وشأنه في هذا الصباح، من دون أيام السنة؟"

قال لاستر: "لم أفعل له شيئًا. السيد جاسون أفزعه، هذا هو ما حدث. هل ضرب الآنسة كوينتن، هل ضربها؟"

قالت ديلسي: "اسكت، يا بنچي". سكت. توجهت إلى الشباك ونظرت إلى الخارج. قالت: "لقد توقف المطر".

قال لاستر: "أجل. توقف منذ فترة طويلة".

قالت ديلسي: "اخرجا لبعض الوقت. لقد انتهيت لتوى من تهدئة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

السيدة كارولين".

قال لاستر: "هل سنذهب إلى الكنيسة؟"

"سوف أقول لك في حينه. فدعه بعيدًا عن البيت إلى أن أنادي عليك".

قال لاستر: "هل يمكننا الذهاب إلى المرعى؟"

قالت ديلسي: "لا بأس. أبقه فحسب بعيدًا عن المنزل. فقد تحملت بكل طاقتي".

قال لاستر: "حاااضر. أين ذهب السيد جاسون يا ماما؟"

قالت: "ليس هذا من شأنك، أليس كذلك؟" وبدأت تنظف المائدة. ثم قالت: "اهدأ، يا بنچيز. لاستر سوف يخرج معك لتلعبا".

قال لاستر: "ماذا فعل للآنسة كوينتن، يا ماما؟"

"لم يفعل لها شيئًا. هيا اخرجا من هنا".

قال لاستر: "أنا متأكد أنها ليست هنا".

نظرت ديلسي له، وقالت: "كيف عرفت أنها ليست هنا؟"

قال: "رأيناها أنا وبنچي، وهي تنزل من النافذة الليلة الماضية. أليس كذلك يابنچي؟"

نظرت إليه، وقالت: "هل رأيتها؟"

قال لاستر: "نحن نراها تفعل ذلك كل ليلة. فهي تنزل من النافذة من فوق شجرة الكمثرى".

قالت ديلسي: "لا تكذب عليَّ، أيها الولد الزنجي".

"أنا لا أكذب. اسألي بنچي إن كنت أكذب".

"لماذا لم تتحدث عن ذلك، إذن؟"

قال لاستر: "ليس هذا من شأني. أنا لا أحب التدخل في شئون البيض. هيا، يا بنچي، لنخرج".

خرجا. وقفت ديلسي لبرهة عند المائدة، ثم ذهبت وأخلت أشياء الإفطار من غرفة الطعام، وتناولت إفطارها ونظفت المطبخ. ثم خلعت مريلتها وعلقتها، وذهبت إلى أسفل السُّلم، وتصنتت لدقيقة. لم يكن هناك صوت. ارتدت المعطف والقبعة، وتوجهت إلى كوخها.

كانت الأمطار قد توقفت. والهواء يأتي من الاتجاه الجنوبي الشرقي، والسماء تتقطع إلى بقع زرقاء. فوق قمة التل، خلف الأشجار والأسقف وأبراج الكنائس في المدينة، كان ضوء الشمس يرقد مثل قطعة من القماش الأصفر ثم انحسر. ترددت في الهواء أصداء جرس، ثم انطلقت أجراس أخرى، وترددت أصداؤها في الجو، كأنها كانت في انتظار الإشارة منه.

انفتح باب الكوخ وخرجت ديلسي منه، وهي ترتدي مرةً أخرى العباءة الكستنائية والفستان الأرجواني وقفاز طويل أبيض ومتسخ يصل إلى الكوع، ولم تكون مرتدية قلنسوتها على رأسها هذه المرة. دخلت إلى الفناء ونادت على لاستر. انتظرت برهة، ثم توجهت إلى المنزل والتفت حوله لتصل إلى باب القبو، وهي تسير بمحاذاة الحائط، ونظرت عبر الباب. كان بن يجلس على الدرجات المفضية إليه، وأمامه لاستر يجلس القرفصاء على الأرضية الرطبة. كان يمسك بمنشار في يده اليسرى وسلاح المنشار قد انحنى قليلاً بضغط من يده، وكان يضرب سلاح المنشار بمدقة خشبية قديمة كانت تستخدمها في صنع البسكويت منذ أكثر من ثلاثين عامًا. أصدر المنشار نغمة واحدة بطيئة مات صداها بسرعة،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مخلفة وراءها سلاح المنشار منحنيًا بين يد لاستر والأرضية. وظل منحنيًا وثابتا بلا تعبير.

قال لاستر: "هذه هي الطريقة التي كانوا يعزفون بها. لكني لم أجد الشيء المناسب للعزف به".

قالت ديلسي: "ما الذي تفعله؟ اعطني هذه المطرقة".

قال لاستر: "لم أتسبب لها في أي ضرر".

قالت ديلسي: "هاتها. وضع هذا المنشار في المكان الذي أتيت به منه في البداية".

وضع لاستر المنشار بعيدًا وأعطاها المطرقة. عند ذلك بكى بن من جديد، بكاء مديد ويائس. كان لا شيء. ليس إلا مجرد صوت. ربما أطول من أي وقت وإحساس بالظلم والأسى وجد تعبيرًا صوتيًا عنه للحظة بفعل اقتران الكواكب في السماء.

قال لاستر: "اسمعي له. إنه يواصل البكاء على هذا النحو كلما طلبتِ منا الخروج من المنزل. لا أدري ما الذي جرى له هذا الصباح".

قالت ديلسي: "أحضره هنا".

قال لاستر: "تعال هنا، يا بنچي". نزل إلى درجات السلم وأمسك بذراع بن. أطاعه وأتي معه وهو يصرخ، ذلك الصوت البطيء الخشن الذي تصدره السفن، الذي يسبق انطلاق صفاراتها، والذي يصدر قبل أن تتوقف الصفارات أيضًا.

قالت ديلسي: "أسرع وأحضر قبعته. ولا تحدث ضجة حتي لا تسمعك السيدة كارولين. أسرع الآن. فقد تأخرنا".

قال لاستر: "سوف تسمعه على أية حال، إذا لم تسكتيه".

قال ديلسي: "سوف يسكت عندما نخرج من هذا المكان، فهو يشم رائحته. وهذا هو السبب في بكائه".

قال لاستر: "يشم ماذا، يا جدتي؟"

قالت: "اذهب وأحضر القبعة". ذهب لاستر. وقفت هي وبن عند باب القبو، وكان بن يقف منخفضًا عنها بدرجة. كانت السماء مهشمةً إلى بقع منطلقة تجر ظلالها السريعة من الحديقة المهملة فوق السياج المهدم وعبر الفناء. ربتت ديلسي على رأس بن، ببطء وانتظام، وهي تسوي خصلة الشعر المتدلية على جبينه. هدأ بن من بكائه، على مهل. قالت ديلسي: "اهدأ. اهدأ، الآن. سوف نمضي خلال دقيقة. فاهدأ، الآن". واصل البكاء بهدوء وانتظام.

عاد لاستر، وهو يرتدي قبعة جديدة متصلبة من القش، مزينة بشريط ملون، وفي يده قبعة من قماش. بدت القبعة كما لو أنها تخفي تمامًا رأس لاستر، في عين الناظر إليها، كما لو أن ضوءًا مركزًا سُلط عليها من جميع الزوايا والاتجاهات. كما أن شكلها بدا متفردًا للغاية بحيث يبدو للوهلة الأولى أن القبعة موضوعة على رأس شخص يقف مباشرةً خلف لاستر. نظرت ديلسي إلى القبعة.

قالت: "لماذا لم ترتد قبعتك القديمة".

قال لاستر: "لم أجدها".

"لا شك في أنك لم تتمكن من ذلك. وأظن أنك رتبت الأمر في الليلة الماضية بحيث لا تجدها. ولسوف تتلف هذه القبعة".

قال لاستر: "اعفيني من ذلك، يا جدتي".

"عليك أن تحضر المظلة إذن".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"لا أريد، يا جدتي . لن تمطر اليوم".

"كيف عرفت ذلك؟ اذهب وأحضر القبعة القديمة وضع الجديدة هناك".

"أوو، يا جدتي".

"إذن، فلتحضر المظلة".

"أوو، يا جدتي".

قالت ديلسي: "عليك أن تختار. إما أن تحضر قبعتك القديمة، أو أن تحضر المظلة. لا مانع عندي من أيهما".

توجه لاستر إلى الكوخ. كان بن يبكي بصوت خفيض.

قالت ديلسي: "هيا بنا، سوف يلحقوا بنا. هيا بنا لنسمع القداس". دارا حول المنزل، نحو البوابة. كانت ديلسي تقول له بين حين وآخر "اهدأ"، فيما كانا يسيران في الممر. وصلا إلى البوابة. فتحتها ديلسي. كان لاستر قادمًا على الممر خلفهما، وهو يحمل المظلة. كانت بصحبته امرأة. قالت ديلسي: "ها هم قادمون". تخطيا البوابة. قالت ديلسي: "الآن، إذن". كَفَّ بن عن البكاء. سبقهما لاستر وأمه. كانت فروني ترتدي فستانًا من الحرير الأزرق اللامع وقبعة مزينة بالزهور. كانت امرأة نحيلة، ذات وجه مُسطح، منشرح.

قالت ديلسي: "تلبسين فستانًا كلفك ستة أسابيع من أجرك. فماذا لو أمطرت السماء؟"

قالت فروني: "سوف تبتل ملابسي، على ما أظن. لكني لن أتوقف، فهي لم تمطر بعد".

قال لاستر: "جدتي تقول دائما إن السماء سوف تمطر".

قالت ديلسي: "إذا لم أقلق عليكم، فمن سيقلق عليكم. هيا، لقد تأخرنا".

قالت فروني: "الأب شيجوج سوف يلقي عظة اليوم".

قالت ديلسي: "صحيح؟ ومَن هو؟"

قالت فروني: "إنه واعظ كبير من سانت لويس".

قالت ديلسي: "ما نحتاجه رجل يمكنه أن يبث التقوى في قلوب هؤلاء الفتية الزنوج".

قالت فروني: "يقولون إن الأب شيجوج يمكنه أن يفعل ذلك".

ساروا في الشارع. وعلى طول الشارع الهادئ كان هناك أناس من البيض يسيرون في جماعات بادية الابتهاج نحو الكنيسة، تحت دقات الأجراس، وهم يمشون بين حين وآخر في الشمس العشوائية المترددة. وكانت الريح عاصفة، قادمة من الجنوب الشرقي، قارسة ورطبة بعد الأيام الدافئة.

قالت فروني: "كنت أتمنى يا أمي ألا تحضريه دائمًا إلى الكنيسة. فالناس تتكلم عن ذلك".

قالت: "أي ناس؟"

قالت فروني: "سمعتهم يتحدثون".

قالت ديلسي: "أعرف أي نوع من الناس هم. أناس بيض تافهون. أليسوا كذلك. فهم يتصورون أنه ليس أهلاً لأن يحضر إلى كنيسة البيض، كما أنه لا يليق به أن يذهب إلى كنيسة الزنوج".

قالت فروني: "هم يقولون ذلك على وجه التحديد".

قالت ديلسي: "إذن فأرسليهم إليّ. قولي لهم إن الله الرحيم لا يبالي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بأن يكون الناس بيضًا أم غير بيض. هذه أمور لا يهتم بها سوى التافهين من البيض".

انعطف الشارع بزاوية قائمة، وانحدر، ثم تحول إلى طريق ترابي. على الجانبين، كانت الأرض تنحدر على نحو أكثر حدة، إلى أرض منبسطة، تتناثر فيها الأكواخ الصغيرة التي عاثت العوامل الجوية بأسطحها التي تتساوى مع مستوى ارتفاع الطريق. تقع هذه الأكواخ في بقع بلا عشب تتناثر فيها أشياء مكسرة، طوب وألواح خشبية وأواني فخار وأشياء أخرى كانت نافعةً يومًا ما. وما ينمو في هذه البقع هو نبت كريه الرائحة وأشجار توت وخروب وجميز- أشجار تسهم في خلق جو من الإحساس بالجفاف الذي يكتنف هذه الاكواخ؛ أشجار يبدو انتشارها في المكان كما لو كان بقايا لسبتمبر، وكما لو أن الربيع لم يمر من هنا، ليتركها تتغذى على رائحة الزنوج الزاعقة التي لا تخطئها أنف حين نمت بينهم.

من الأبواب كان الزنوج يتحدثون إليهم وهم يمرون بهم، إلى ديلسي عادةً:

"أختي العزيزة جيبسون، كيف حالك صباح اليوم؟"

"أنا بخير. هل أنت بخير؟".

" أنا بخير. أشكرك".

كانوا يبرزون من أكواخهم ويجاهدون للمشاركة في حفل الاستقبال الصباحي على الطريق: رجال رصينون، سود أو سمر، يلبسون سلاسل ساعات ذهبية ويحملون في أيديهم عصيًّا بين حين وآخر؛ وشبان يرتدون قبعات متهدلة شديدة الزرقة أو مخططة من الأنواع الرخيصة؛ ونساء

يهسهسن، وأطفال يلبسون ملابس البيض المستعملة، ينظرون إلى بن وهم يختبئون منه مثل الحيوانات الليلية:

"أراهن أنك لن يمكنك أن تلمسه".

"ولم لا ألمسه؟"

"أراهن أنك لن يمكنك ذلك، وأنك تخاف منه".

"هو لا يؤذي أحدًا. هو مجرد معتوه".

"وكيف لا يؤذي معتوه الناس؟"

"هذا المعتوه لا يؤذي. وقد لمسته من قبل".

"أراهن أنك لا يمكنك أن تفعل ذلك الآن".

"إذا كانت المسز ديلسي تراني".

"لا يمكنك ذلك في كل الأحوال".

"لا يؤذي أحدًا. فهو مجرد معتوه".

ودائمًا كلما كان الكبار يتحدثون إلى ديلسي، إلا إذا كانوا طاعنين في السن، فقد كانت تسمح لفروني بأن تجيب عليهم.

"أمي متوعكة قليلاً هذا الصباح".

"هذا أمر مؤسف. ولكن الأب شيجوج سوف يشفيها. سوف يهبها السكينة ويخفف عنها".

ارتفع الطريق مجددًا، فيما يشبه مشهدًا مرسومًا في خلفية مسرح. ويشق الطريق قطعة أرض من الصلصال الأحمر، تحفها أشجار البلوط، ويتوقف فجأةً مثل شريط مقصوص. وإلى جانبه كنيسة ظهرت عليها آثار الزمن يرتفع برجها في السماء في بلاهة، مثل الكنائس في اللوحات المرسومة، والمشهد برمته مسطح وبلا أبعاد مثل ورقة كرتون مرسومة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

موضوعة على حافة أرض مسطحة، في مواجهة إشراق عاصف وشهر أبريل في ضحى مفعم بالأجراس. توجهوا زرافات نحو الكنيسة بتؤدة تليق بيوم الأحد، دخلت النساء والأطفال، فيما توقف الرجال في الخارج يتحدثون بصوت خفيض في جماعات صغيرة إلى أن توقفت الأجراس عن الرنين. ثم دخلوا هم أيضًا.

كانت الكنيسة مزينة بقليل من الزهور من حدائق المطابخ ونباتات الأسوار، وبأشرطة من ورق الكريشة الملون. وفوق المنبر كان يتدلى جرس عيد ميلاد متهالك أشبه بأكورديون مطوي. كان المنبر خاليًا، على الرغم من أن جوقة المرتلين كانت تحتل مكانها، وهم يحركون المراوح لتهوية أنفسهم رغم أن الجو لم يكن حارًا.

كانت أغلبية النساء مجتمعات في جانب من الغرفة. كن يتحدثن. ثم ضرب الجرس مرةً واحدة فتفرقن ليجلسن في مقاعدهن، وجلس جمهور المصلين لبرهة وهو يترقب. ثم دق الجرس مرةً أخرى. هب أعضاء الجوقة واقفين وشرعوا في الترتيل، وأدار المصلون رؤوسهم سويًّا عندما دخل ستة أطفال- أربع فتيات بضفائر مربوطة بشرائط من القماش مثل الفراشات، وصبيان شعرهما قصير- وساروا وسط الكنيسة، تنظمهم شرائط بيضاء وزهور، ويتبعهما رجلان أحدهما وراء الآخر. كان الرجل الثاني ضخمًا أسمر مهيبًا يرتدي ردنجوت وربطة عنق بيضاء. ورأسه تشعرك بالمهابة والعمق، ورقبته تتهدل منها عدة ثنيات مكتنزة فوق ياقته. لكنه كان مألوفًا بالنسبة لهم، وظلت رقابهم ملتفتة حين مَر، ولم يدركوا أن الواعظ الزائر قد دخل إلا بعد أن توقفت الجوقة عن الترتيل، وبعد أن شاهدوا الرجل الذي كان يتقدم كاهنهم يصعد على المنبر قبله،

فصدر عنهم صوت يصعب وصفه، تنهيدة، صوت يعبر عن الدهشة وخيبة الأمل.

كان الزائر صغير الحجم للغاية، يرتدي معطفا كالحا من وبر الجِمال. وكان وجهه ممتلئًا بالتجاعيد مثل وجه قرد مُسن صغير الحجم. وفي الوقت الذي عاودت فيه الجوقة الترتيل، وفيما نهض الأطفال الستة وهم يتمتمون بتراتيل خفيضة الصوت وغير منغمة، كان الجمع يركز أنظاره بقدر من الذهول على ذلك الرجل الهزيل الطلعة الذي يجلس كالقزم، ويبدو مثل قروي، بالمقارنة بمنظر الكاهن الضخم والمهيب. ظلت أنظارهم مركزة عليه بنفس القدر من الذهول وعدم التصديق إلى أن نهض الكاهن وقدمه إلى الحضور بصوت جهوري ومؤثر بكلمات مبالغ فيها، وبلاغة زادت من شعور الحاضرين بتفاهة الزائر.

همست فروني: "هذا هو الشخص الذي أتوا به من سانت لوي"

قالت ديلسي: "أنا أعلم أن الله يسخر أدوات أكثر ضعفًا من ذلك لخدمته". ثم التفتت لبن: "اهدأ، الآن. سوف يرتلون من جديد بعد دقيقة واحدة".

حين نهض الزائر للحديث بدا اسلوبه أشبه بأساليب البيض. كان صوته هادئًا وعلى وتيرة واحدة. وصوته أكبر من أن يصدر عنه، واستمع الجمع إليه في البداية من باب حب الاستطلاع، كما لو كانوا يستمعون إلى قرد يتحدث. ثم شرع الجمع في تركيز أنظارهم عليه كمن يشاهد رجلاً يسير على حبل مشدود. بل نسوا هيئته الضعيفة لبراعة أدائه في سرعة الحركة والتوازن والانقضاض على سلك صوته المشدود الرصين، بحيث أنه تمكن- في النهاية- بعد نوع من المناورة السريعة، من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن يتوقف مرةً أخرى بجوار منضدة القراءة، مستندًا بإحدى يديه عليها على مستوى كتفه ومستوى جسمه القردي، توقفًا تامًّا بلا حراك كما لو كان مومياء أو وعاءً فارغًا، وصدرت عن الجمع تنهيدة كأنهم جميعًا قد استيقظوا من حُلم جماعي، وتململوا في كراسيهم. وخلف المنبر كان أفراد الجوقة مستمرون في استخدام المراوح للتهوية عن أنفسهم. همست ديلسي لبن: "اهدأ، الآن. سوف يرتلون بعد دقيقة واحدة".

ثم قال صوت: "أيها الأخوة".

لم يتحرك الواعظ. كانت يده ما تزال مستندةً إلى المنضدة، وكان لا يزال يتخذ هذا الوضع فيما كان الصوت يتلاشى في الأصداء الرنانة بين الحوائط. كان صوته مختلفًا- اختلاف الليل عن النهار- عن النغمة التي كان يتحدث بها من قبل، بنبرة من الحزن، ووقع مختلف كنفير صادح، وهو يغوص في قلوبهم ويحدثها من جديد إلى أن تلاشى في أصداء ذاوية متراكمة.

صدرت صيحة جديدة: "أيها الأخوة والأخوات".

رفع الواعظ يده عن المنضدة وراح يتمشى جيئةً وذهابًا أمام المنضدة وقد عقد يديه خلف ظهره، وبدا جسمه ضيئلاً محنيًّا على نفسه، كما لو أنه عكف لأمد طويل على الكد في أرض حرون. "إنني لأستعيد الذكرى ودم حَمَل الله*!" مشى وهو يدب برجليه على الأرض جيئةً وذهابًا في المسافة بين ورق الكريشة الملون وجرس عيد الميلاد المعلق، محنيًّا ويداه معقودتان خلف ظهره. بدا كما لو كان صخرة متآكلة غمرتها موجات صوته المتعاقبة. بدا كما لو أن صوته يتغذى بجسده، وينشب أسنانه-

---

* حَمَل الله: كناية عن السيد المسيح- المترجم.

مثلما تفعل قرينة الجن* ـ فيه. وبدا أن جمهور المصلين كان يركز أنظاره عليه وصوته يستنفد طاقته تحت ناظريهم إلى أن أصبح عدمًا، وأصبحوا هم أيضًا عدمًا، ولم يكن حتى ثمة صوت بل كانت قلوبهم تتخاطب بدلاً من ذلك كلٌّ منها مع الآخر بترانيم لا حاجة لهم فيها إلى الكلمات، ولهذا فحين عاود الاستناد بيده إلى منضدة القراءة، ارتفع وجهه القردي واتخذ وضعه كله وضع المصلوب المعذَّب الهادئ الذي يسمو على بؤس منظره وتفاهته، ويجعله غير ذي شأن، صعد منهم انفجار زفرة متأوهة مديدة، وصاحت امرأة بصوت نسائي حاد: "لبيك، يا يسوع!"

مع مرور النهار المسرع في السماء أضاءت النوافذ المعتمة ثم ذوت في تتابع شبحي. مرت سيارة على الطريق خارج الكنيسة، تجاهد في الرمل، ثم تلاشى صوتها بعيدًا. كانت ديلسي جالسة منتصبة، ويدها على ركبة بن. انحدرت دمعتان من عينيها الى خديها المتهدلين بفعل ما لا يحصي من الذكريات، عما فعله الزمن وما قدمته من تضحيات وما عانته من حرمان.

قال القس بصوت هامس وغليظ، بلا حركة: "أيها الأخوة".

قالت امرأة بصوت خفيض: "لبيك، يا يسوع!"

جلجل صوته من جديد، كما لوكان صوت نفير: "أيها الأخوة أيتها الأخوات!". رفع يده من فوق المنضدة وانتصب واقفًا رافعا يديه. "إنني لأستعيد ذكرى دم حَمَل الله!". لم ينتبهوا إلى اللحظة التي بدأ فيها يغير

---

* "قرينة الجن Succubus": جنية تظهر للرجال في الأحلام في صورة امرأة جميلة، وتغريهم بمعاشرتها، وتمتص دماءهم وتستنفد طاقتهم، حسب أساطير العصور الوسطى ـ المترجم..

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نبرته ولكنته إلى نبرة ولكنة الزنوج، فقد كانوا جالسين في مقاعدهم يترنحون نوعًا ما وقد استبد بهم صوته.

"عندما يطول أمد البرد.. أواه، أقول لكم، أيها الأخوة، عندما يطول أمد البرد.. أرى الضوء وأرى الكلمة، أيها الخاطئ المسكين! لقد زالت العربات الملكية المتأرجحة في مصر؛ وزالت أجيال. كان هناك رجل غني: أين هو الآن، أيها الأخوة؟ وكان هناك رجل فقير: أين هو الآن، أيتها الأخوات؟ أواه أقول لكم، إن لم تنالوا لبن الخلاص القديم ونداه، فمتى تزول عنكم سنوات البرد!"

"لبيك، يا يسوع!"

"أقول لكم، أيها الأخوة، وأقول لكن، أيتها الأخوات، سيأتي الوقت. سوف يقول الخاطئ المسكين فليحمل عبئي إلهي، مثلما حملت عبئي امرأة. عندئذٍ، ماذا يقول يسوع، أيها الأخوة وأيتها الأخوات؟ هل تذكرت دم حَمَل الله؟ لكي أرفع عنك عبئك في السماء!"

بحث في معطفه وأخرج منه منديلاً ومسح العرق من وجهه. صدر صوت جماعي خفيض: مممممممممم! وصاح صوت المرأة: "أجل، يا يسوع! يا يسوع!"

"أخوتي! انظروا إلى هؤلاء الأطفال الصغار الجالسين هناك. كان يسوع المسيح مثلهم ذات يوم. وعانت أمه المجد والأوجاع. وربما كانت تحتضنه عندما يحل الظلام في الوقت الذي كانت الملائكة تغني له لينام؛ وربما كانت تنظر من الباب وترى شرطة الرومان وهي تمر". كان يمشي ببطء جيئةً وذهابًا وهو يمسح وجهه بالمنديل. "استمعوا لي، أيها الأخوة! إنني لأرى ذلك اليوم. مريم تجلس عند الباب ويسوع في حجرها، يسوع

الصغير. مثل هؤلاء الصغار الذين يجلسون هناك، يسوع الصغير. وأسمع الملائكة ينشدون له أغاني السلام والمجد؛ وأراها العيون المغمضة؛ أرى مريم وقد هبت من نومها، وترى وجه الجندي: سوف نقتله! سوف نقتله! سوف نقتل صغيرك يسوع! أسمع بكاء ونواح الأم المسكينة دون خلاص بكلمة الله".

"مممممممممممممم! يا يسوع! يا يسوع الصغير!" ويتصاعد صوت آخر:

"أراك، يا يسوع! آه أراك!" وصوت ثالث، بلا كلمات، كبقبقة تصدر في الماء.

"أراها، يا أخوتي! أراها! أرى المشهد المريع الذي تعمى له الأبصار! أرى صخرة الجلجلة، والأشجار الثلاث المقدسة، وأرى اللص والقاتل وما هو أقل منهما: أسمع الصوت المتباهي الذي يقول: لو كنتَ يسوع، فارفع شجرتك وامش! أسمع ولولة النساء والندب في مساء هذا اليوم. وأسمع البكاء والنحيب والله يدير وجهه: لقد قتلوا يسوع؛ قتلوا ابني!"

"مممممممممممم. يا يسوع! إنني أرى، آه يا يسوع!"

"أيها الخاطئ الأعمى! يا أخوتي، إنني أخبركم، يا أخواتي، أقول لكم، عندما أشاح الله العظيم بوجهه، قال، لن أحمل السماء المزيد من الأعباء! وأكاد أرى الله المفجوع وهو يغلق بابه؛ وأرى الفيضان الغامر وهو يكتسح؛ أرى الظلمة والموت الأبدي الذي يحل بالأجيال المتعاقبة. ثم، أجل! يا أخوتي! حقًا، يا أخوتي! ماذ أرى؟ ماذا أرى، أيها الخاطئ؟ أرى البعث والنور؛ أرى يسوع الوديع وهو يقول: لقد قتلوني لأحيا من جديد؛ لقد قتلوني كي لا يموت من رأي وآمن. أخوتي ، يا أخوتي! إنني

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لأرى يوم القيامة ينبلج مع انطلاق الأبواق الذهبية التي تنادي للمجد ولقيامة الموتى الذي تذكروا دم حمل الله".

كان بن يجلس في خضم الأصوات والأيدي، منتشيًا وهو ينظر بعينية الزرقاوين العذبتين. وديلسي تجلس معتدلة بجواره، وهي تبكي بحرقة وهدوء بعد أن انفعلت بقوة وتذكرت دم حمل الله.

وبينما هم سائرون في رائعة الظهيرة، على الطريق الرملي مع المصلين المتفرقين وهم يتحدثون من جديد جماعة إلى جماعة، واصلت هي البكاء ولم تعر الحديث اهتمامًا.

"واعظ ممتاز، يا أمي! لم يبد عليه ذلك من البداية، اهدئي الآن!"

"لقد رأي القدرة والمجد".

"أجل، رآهما. رآهما. وجهًا لوجه رآهما".

لم تنطق ديلسي، ولم يرتجف وجهها والدموع تنحدر في أخاديد وتجاعيده، ومشت مرفوعة الرأس، دون أن تبذل حتى أدنى جهد لتجفيفها.

قالت فروني: "لم لا تكفي عن البكاء، يا أمي؟ كل هؤلاء الناس ينظرون إلينا. وسوف نمر على أناس من البيض بعد قليل".

قالت ديلسي: "لقد عرفت البداية والنهاية. لا تهتمي بي".

قالت فروني: "بداية ونهاية ماذا؟"

قالت ديلسي: "لا تهتمي. لقد رأيت البداية وأرى الآن النهاية".

قبل أن يصلوا إلى الشارع توقفت ورفعت ذيل تنورتها وجففت عينيها بطرف ثوبها الداخلي. ثم واصلوا المشي. كان بن يمشي وهو يحك قدميه في الأرض إلى جانب ديلسي، وهو ينظر إلى لاستر الذي كان

يعبث أمامهم، وفي يده المظلة، وقبعته تميل في إهمال في ضوء الشمس، مثل كلب كبير عبيط يرقب جروًا ماهرًا. وصلوا إلى البوابة ودخلوا. عندها شرع بن يبكي من جديد، ونظروا جميعا لبرهة عبر الممر إلى البيت المربع غير المطلي ذي الأعمدة المتهالكة.

قالت فروني: "ما الذي يجرى في البيت اليوم؟ هناك أمرٌ ما حدث؟"

قالت ديلسي: "لا شيء. اهتمي بشئونك ودعي البيض يهتمون بشئونهم".

قالت فروني: "شيءٌ ما حدث. لقد سمعت عنه أول مرة هذه الصباح. لكن لا شأن لي".

قال لاستر: "أنا أعرف ما حدث، أيضًا".

قالت ديلسي: "أنت تعرف أشياء أكثر من اللازم. ألم تسمع فروني تقول أن هذا أمر ليس من شأنك؟ خذ بنچي إلى خلف المنزل وهدئه إلى أن أعد طعام الغداء".

قال لاستر: "وأعرف أين ذهبت الآنسة كوينتن".

قالت ديلسي: "احتفظ بما تعرفه لنفسك. وسوف أبلغك عندما تحتاج كوينتن لنصحك. اذهبا والعبا خلف المنزل، الآن".

قال لاستر: "أنت تعرفين ما يحدث له عندما يراهم يشرعون في لعب الكرة هناك".

قالت ديلسي: "لم يبدأوا اللعب بعد. وعندما يبدأون سوف يحضر تي پي ليأخذه في نزهة بالعربة. هيا، هات هذه القبعة".

أعطاها لاستر القبعة ثم مضى هو وبن إلى الفناء الخلفي. كان بن لا يزال يبكي بصوت خفيض. توجهت ديلسي وفروني إلى الكوخ. ثم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

خرجت ديلسي بعد برهة، وهي ترتدي جلبابًا باهتًا من البفتة، وتوجهت إلى المطبخ. كانت النار في الموقد قد انطفأت. ولم يكن هناك صوت في البيت. ارتدت مريلتها وصعدت السُّلم. ولم يكن هناك أي صوت في أي مكان. كانت غرفة كوينتن على حالها كما تركوها. دخلت الغرفة والتقطت الملبس الداخلي من على الأرض، وأعادت فردة الجورب إلى مكانها في الدرج وأغلقته. كان باب غرفة السيدة كومبسون مغلقًا. وقفت ديلسي إلى جواره للحظة، وهي تتنصت. ثم فتحته ودخلت. فواجهتها رائحة الكافور الزاعقة. كانت الستائر مسدلة، والغرفة خافتة الإضاءة، واعتقدت لأول وهلة أن السيدة كومبسون نائمة على السرير، وعندما أوشكت على أن تغلق الباب سمعت صوتها.

قالت: "حسنًا؟ ماذا هناك؟"

قالت ديلسي: "إنها أنا. هل تريدين شيئا؟"

لم ترد السيدة كومبسون. بعد برهة قالت، دون أن تحرك رأسها على الإطلاق: "أين جاسون؟"

قالت ديلسي: "لم يعد بعد. ماذا تريدين؟"

لم تقل السيدة كومبسون شيئًا. ومثلها مثل الكثيرين من الناس الذين يتسمون بالضعف وبرود الأعصاب، عندما يواجهون في النهاية بكارثة لا مفر منها ،فقد استمدت نوعًا ما من القوة والعزيمة من مصدرٍ ما. وفي حالتها كان مصدر قوتها وعزيمتها إيمانها الذي لا يتزعزع فيما يختص بالحادث الذي لم تتكشف أبعاده بعد. قالت: "حسنًا. هل وجدتها؟"

"وجدت ماذا؟ عمَّ تتحدثين؟"

"الرسالة. فهي- على الأقل- لا بد أن يكون لديها احترام للآخرين

فتترك رسالة. وقد فعل ذلك كوينتن قبلها".

قالت ديلسي: "علام تتحدثين؟ ألا تعرفين أنها بخير؟ لا أشك في أنها سوف تدخل من هذا الباب قبل حلول الظلام".

قالت السيدة كومبسون "كلام فارغ. العِرق دسَّاس. فابنة الأخت شأن الخال. أو الأم. لا أدري أيهما أسوأ. لم أعد أهتم بالأمر".

قالت ديلسي: "لماذا تصرين على أن تتحدثي على هذا النحو؟ ولماذا تريد هي أن تقوم بشيء كهذا؟"

"لا أدري. ما السبب الذي لدى كوينتن؟ ما هو السبب تحت سماء الله الذي يبرر ما فعله؟ ربما يكون أنه أراد ببساطة أن يؤذيني. فالله- أيًّا ما كان- لن يسمح بذلك. أنا سيدة محترمة. ربما عندما تنظرين إلى أولادي لا تشعرين بذلك، لكنني سيدة محترمة".

قالت ديلسي: "انتظري وسترين. وسوف تأتي إلى هنا في الليل، وستجدينها في سريرها". لم ترد السيدة كومبسون. كانت قطعة القماش المشبعة بالكافور موضوعة على جبينها. والروب الأسود ملقى عند قدميها على السرير. ووقفت ديلسي وقد وضعت يدها على أكرة الباب.

قالت السيدة كومبسون: "حسنًا. ماذا تريدين؟ هل أنت ذاهبة لإعداد الغداء لجاسون وبنچامين، أم لا؟"

قالت ديلسي: "جاسون لم يأت بعد. سأذهب لإعداد شيءٍ ما. هل أنت متأكدة أنك لا تحتاجين شيئًا؟ هل هناك ما يكفي من الماء الساخن في قربتك؟"

قالت السيدة كومبسون: "ناوليني الكتاب المقدس".

قالت ديلسي: "لقد أعطيته لك هذا الصباح، قبل أن أغادر".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"لقد وضعتِه عند حافة السرير. كم من الوقت تتوقعين أن يظل هناك؟"

ذهبت ديلسي إلى السرير وبحثت تحت حافته ووجدت الكتاب المقدس، منكفئًا على وجهه. سوت الأوراق المطوية، ووضعته على السرير مرةً أخرى. لم تفتح السيدة كومبسون عينيها. كان لون شعرها ولون الوسادة واحدًا، وبدت- وهي تضع الفوطة المشبعة بالكافور على جبينها- كما لو كانت راهبة عجوزًا تصلي. قالت، دون أن تفتح عينيها: "لا تضعيه في المكان الذي وضعتِه فيه من قبل. هل تريدين أن أترك الفراش لأتناوله".

رفعت ديلسي الكتاب فوقها ووضعته على الجانب العريض من السرير. قالت: "كيف يمكنك القراءة، في هذه العتمة؟ هل أرفع لك الستارة قليلاً؟"

"لا. دعيها كما هي. اذهبي وأعدي شيئًا ما لجاسون كي يأكله".

خرجت ديلسي. أغلقت الباب وراءها وعادت إلى المطبخ. كان الموقد باردًا تقريبًا. وبينما هي واقفة هناك، دقت الساعة الموضوعة فوق خزانة الأواني عشر دقات. صاحت بصوت مرتفع: "الساعة الواحدة". وقالت، وهي تنظر للموقد البارد: "جاسون لم يأت للمنزل. لقد رأيت البداية والنهاية". "لقد رأيتُ البداية والنهاية". وضعت بعض الطعام البارد على المائدة. وبينما كانت تتحرك في المطبخ ذهابًا وجيئةً كانت تردد ترنيمة. رددت البيتين الأولين منها مرارًا بالكامل. أعدت الوجبة ثم توجهت إلى الباب ونادت على لاستر، وبعد فترة دخل لاستر وبن. كان بن لا يزال يبكي إلى حدٍّ ما، كأنما يبكي بينه وبين نفسه.

قال لاستر: "إنه لا يتوقف عن ذلك أبدًا".

قالت ديلسي: "تعالو لتأكلوا. جاسون لن يحضر الغداء". جلسوا إلى المائدة. وعندما يكون الطعام جافًا فيمكن لبِن أن يأكل بنفسه، ومع ذلك، فقد ربطت ديلسي مريلة صغيرة حول رقبته. وأكل هو ولاستر. كانت ديلسي تتحرك في المطبخ وهي تنشد بيتين من الترتيلة التي تذكرتها. قالت: "يمكنكما أن تأكلا. فجاسون لن يأتي الآن إلى المنزل".

كان جاسون على بعد عشرين ميلاً في ذلك الحين. فعندما غادر المنزل قاد السيارة بسرعة إلى المدينة، وكان يتخطى في سيره جماعات المصلين التي تسير ببطء يوم الأحد والأجراس التي كانت تدق وتتردد أصداؤها في الفضاء. تخطى الميدان الخالي ودخل شارعا ضيقًا كان أكثر هدوءًا حتى الآن، ووقف أمام منزل خشبي وسار عبر الممشى المزين بالزهور على جانبيه إلى المدخل المسقوف.

كان وراء الباب المصنوع من السلك أناس يتكلمون. وعندما رفع يده ليطرق على الباب سمع صوت خطوات، فأحجم عن الطرق إلى أن فتحه رجل ضخم يلبس بنطلونًا أسود من الجوخ وقميصًا أبيض بلا ياقة. وكان شعره رماديًا داكنًا وأشعث وعيناه رماديتان ومستديرتان ولامعتان مثل عيني طفل. مد يده إلى جاسون وصافحه وأدخله إلى المنزل وهو ما يزال ممسكًا بيده.

قال: "تفضل بالدخول. تفضل".

قال جاسون: "هل كنت تستعد للخروج الآن؟"

قال الشخص الآخر: "هيا ادخل"، وهو يمسك به من كوعه ليدخل به غرفة كان بها رجل وامرأة جالسان. "هل تعرف زوج السيدة ميرتل؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

جاسون كومبسون السيد فرنون".

"أجل"، قال جاسون دون أن ينظر إلى الرجل فيما كان العمدة يسحب كرسيًّا إلى الغرفة.

قال الرجل: "سوف نخرج حتى يمكنكما أن تتحدثا. هيا، يا ميرتل".

قال العمدة: "لا، لا. ابقيا في مكانكما. لا أظن أن الامر خطير، اجلس، يا جاسون".

قال جاسون: "سوف أخبرك عندما نمضي سويًّا. البس قبعتك ومعطفك".

قال الرجل: "سوف نخرج".

قال العمدة: "لا تبرحا مكانكما. سوف نخرج أنا وجاسون إلى المدخل".

قال جاسون: "البس قبعتك ومعطفك. لقد سبقونا باثنتى عشرة ساعة".

اقتاده العمدة إلى المدخل. مر رجل وامرأة وتحدثا إليه. رد عليهما بإيماءة ودية بالغة التأنق. كانت الأجراس ما تزال تُقرع وصوتها قادم من اتجاه المنطقة التي تعرف باسم "نيجر هولو". قال جاسون: "البس قبعتك، يا سيدى العمدة". جر العمدة كرسيين.

قال: "اجلس، واحك لي ما هي المشكلة".

قال جاسون، وهو واقف: "لقد حكيت لك ذلك بالتليفون. وفعلت ذلك لكي أوفر الوقت. فهل يتعين عليَّ أن ألجا للقانون لكي أحملك على تنفيذ واجبك الذي أقسمت على تنفيذه؟"

قال العمدة: "اجلس وأخبرني به. وسوف أولي الأمر عنايتي".

قال جاسون: "توليني عنايتك، اللعنة. أبهذه الطريقة توليني عنايتك؟"

قال العمدة: "أنت من يؤخرنا. اجلس وقل لي ما الأمر؟"

حكى جاسون له الحكاية، وإحساسه بالعجز والألم يبدو في صوته، بحيث أنه بعد مرور بعض الوقت نسي عجلته في غمرة غضبه وسعيه لتبرير موقفه. نظر إليه العمدة مليًّا بعينيه الهادئتين.

قال: "لكنك لا تعلم أنهما هما مَن فعل ذلك. أنت تظن ذلك فحسب".

قال جاسون: "لا أعلم؟ عندما أمضي يومين في مطاردتها في الأزقة، والسعي لإبعاده عنها، بعد أن أبلغتها بما سأفعله معها إذا وجدتها معه، وتقول لي إنني لا أعلم ذلك ذلك الـ.."

قاطعه العمدة: "كفاك، إذن. سوف نتصرف. كفاك ذلك". أرسل نظره عبر الشارع، ويداه في جيبيه.

قال جاسون: "وعندما آتي إليك، وأنت الرجل المكلف بتنفيذ القانون".

قال العمدة: "هذا السيرك سوف يكون في موتسون في الأسبوع المقبل".

قال جاسون: "نعم. ولو تمكنت من أن أجد مسئولاً عن تنفيذ القانون لا يبالى بحماية الناس الذين انتخبوه لتولي المنصب، لكنت هناك أنا أيضًا الآن". كرر قصته، وإن كان في إيجاز، وبدا كما لو أنه يستمتع بغضبه وشعوره بالعجز. وبدا أن العمدة لا يصغي له على الإطلاق.

قال العمدة: "ماذا كنت تفعل بمبلغ الثلاثة آلاف دولار الذي أخفيته

https://telegram.me/maktabatbaghdad

في المنزل؟"

قال جاسون: "ماذا؟ هذا شأني أن احتفظ بمالي أينما أريد. وعملك هو أن تساعدني في استعادته".

"هل تعلم والدتك أنك تحتفظ بهذا المبلغ في البيت؟"

قال جاسون "أنصت لي. لقد سُرق منزلي. وأنا أعلم مَن سرقه وأعلم أين هم. وأتيت لك لأن الرجل المكلف بتنفيذ القانون، وأسألك مرةً أخرى هل ستبذل أي جهد لاستعادة مالي أم لا؟"

"ماذا تنوي أن تفعل بهذه الفتاة في حالة ضبطهما؟"

قال جاسون: "لا شيء. لا شيء البتة. لن أمسها. تلك العاهرة التي كلفتني وظيفة كانت فرصتي الوحيدة للتقدم في الحياة، والتي قتلت والدي، وبسببها لأن تقضي على أمي يومًا بعد يوم، وجعلت مني أضحوكة في المدينة. لن أفعل لها شيئًا. لا شيء على الإطلاق".

قال العمدة "أنت مَن دفعها للهرب، يا جاسون".

قال جاسون: "ليس من شأنك أن تتدخل في كيفية تسيير عائلتي. هل ستساعدني أم لا؟"

قال العمدة: "أنت مَن دفعها للهرب من البيت. ولديَّ شكوك حول صاحب هذا المال، لكن لا يمكنني أن أجزم بذلك".

وقف جاسون، وهو يمسك بعصبية بحافة قبعته بيديه، وقال بهدوء: "لن تبذل جهدًا للقبض عليهما، أليس كذلك؟"

"ليس هذا من عملي أبدًا، يا جاسون. فإذا كان لديك دليل فعلي، فسأتصرف. ولكن دون ذلك، لا أري أن بامكاني القيام بأي عمل".

قال جاسون: "هذا ردك الأخير، أليس كذلك؟ فكر في الأمر،

الآن؟"

"هذا ردي، يا جاسون".

قال جاسون: "حسنًا". ارتدي قبعته. "سوف تندم على ذلك. لست قليل الحيلة. لسنا في روسيا، حيث مَن يعلق شارة معدنية يظن أن له حصانة من القانون". نزل السُّلم ودخل سيارته، وأدار المحرك. وقف العمدة يرقبه وهو يمضي بسيارته بعيدًا، وينعطف، ويبتعد عن المنزل متجهًا إلى المدينة.

كانت الأجراس تُقرع مرةً أخرى، وعاليًا في ضوء الشمس الراكض ثمة مزقٌ من الصوت متوهجة بلا انتظام. وقف في محطة بنزين ليفحص إطارات سيارته ويملأها بالبنزين.

قال العامل الزنجي: "أنت في رحلة، أليس كذلك؟" لم يرد جاسون. أضاف الزنجي: "يبدو أن الجو سوف يتحسن".

قال جاسون: "يتحسن، اللعنة. سوف تسقط أمطار غزيرة بحلول الساعة الثانية عشرة". رفع عينيه إلى السماء، وهو يفكر في المطر، وفي الطرق الطينية الزلقة، وفي أنه يمكن أن يتعطل بسيارته على الطريق على مسافة عدة أميال من المدينة. فكر في ذلك بنوع من الانتصار، لأنه بسبيله لأن يغيب عن الغداء، وأنه عندما يبدأ رحلته الآن ومن ثم يلبي دافعه للتعجيل بالأمر، فسوف يكون قد قطع أكبر مسافة ممكنة عن المدينتين قبل الظهر. وبدا له أن الظرف سيكون في صفه، ومن ثم قال للزنجي:

"ماذا تفعل؟ هل أعطاك أحد مالاً لكي تعطل هذه السيارة قدر الإمكان؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "إطارات السيارة ليس بها هواء على الإطلاق".

قال جاسون: "ابتعد عنها إذن واعطني هذا الأنبوب".

قال الزنجي، وهو ينهض: "لقد نفخت. يمكنك أن تذهب الآن".

ركب جاسون السيارة وشغَّل المحرك ومضي في طريقه. ثم نقل إلى السرعة الثانية، وتحشرج وشهق المحرك، فأسرع بالمحرك، لكي يزيل الاختناق وهو يدهس على دواسة البنزين مرارًا بشدة. قال "إنها توشك على أن تمطر. فلنقطع نصف المسافة، وبعد ذلك فلتمطر مدرارًا". قاد سيارته مبتعدًا عن صوت الأجراس، ومبتعدًا عن المدينة، وهو يتخيل نفسه وقد احتجزته الأوحال، وهو يبحث عن عربة بحصانين. قال في نفسه: "سوف يكونون جميعًا في الكنيسة". وفكر في الكيفية التي سيجد بها كنيسة في نهاية المطاف، وأن يأخذ الأحصنة، وعندما يخرج صاحبها معترضًا فإنه سوف يضربه ويطرحه أرضًا. "أنا جاسون كومبسون. لنر إن كان بوسعك أن توقفني. ولنر إن كان بوسعك أن تنتخب رجلاً لمنصب العمدة يمكنه أن يوقفني عند حدي"، قال ذلك وهو يتصور نفسه يدخل إلى المحكمة ومعه فرقة من الجنود ليجر العمدة خارجها. "يظن أن بإمكانه أن يجلس براحته مكتوف اليدين يتفرج عليَّ وأنا أفقد وظيفتي. سأريه كيف تكون الوظائف". لم يفكر في ابنة أخته على الإطلاق، ولا في التقدير الجزافي للنقود. فكلاهما لم يكن له كيان مستقل أو تفرد بالنسبة له على مدي عشر سنوات؛ فهما معًا يرمزان فحسب- بالنسبة له- إلى وظيفة البنك التي حُرم منها حتى قبل أن يحصل عليها.

أشرق الجو، ولم تعد ثمة بقع الغيوم الراكضة الآن، وبدا له أن صفاء الجو ليس إلا ضربة ماكرة لصالح خصمه، في المعركة الجديدة التي حمل

معه إليها جراحه القديمة. وبين حين وآخر، كان يمر بكنائس عيارة عن مبان خشبية غير مطلية ذات أبراج من الصفيح، محاطة بأحصنة مربوطة وسيارات قديمة، وبدا له أن كلاً منها ليس إلا موقع حراسة يتلصص حراس المقادير في المؤخرة فيه عليه على نحو عابر. قال: "وأنت، أيها الملعون، لنر أيضًا إن كان بوسعك أن تصدني"، وهو يفكر في نفسه وفي فرقة جنوده يجرون وراءهم العمدة المتجبر المكبل بالقيود، ليطيحوا به عن عرشه إذا لزم الأمر، وهو يشق طريقه خلال الجحافل المهزومة من كل حدب وصوب، ويقبض بيديه في نهاية المطاف على ابنة أخته الهاربة.

كانت الريح تهب من الاتجاه الجنوبي الشرقي. كان يشعر بها على نحو متواصل على خده. وبدا أنه يشعر أنها مع استمرار هبوبها تكاد تخترق جمجمته، وفجأةً انتابه إحساس غامض قديم فضغط برجله على المكابح وتوقف وجلس في مكانه ساكنًا تمامًا. ثم رفع يده إلى رقبته وراح يصب اللعنات، وجلس هناك، وهو يصب اللعنات بصوت خفيض خشن. وعندما كان يلزمه أن يقود السيارة لفترة طويلة كان يحتاط بأن يحتفظ معه بمنديل مشبع بالكافور يربطه حول رقبته، عندما يخرج من المدينة، ومن ثم فإنه يشم الرائحة. وخرج من السيارة ورفع مقعدها لعلة يعثر على منديل منسي فيها. فتش بين المقاعد، ووقف لبرهة، وهو يسب ويلعن، وهو يرى انتصاره يسخر منه. أغمض عينيه، متكئًا على الباب. كان بإمكانه أن يعود ويأتي بالكافور المنسي، وبإمكانه أن يمضي في طريقه. وفي الحالتين، فإن رأسه ستنفلق، ولكن في البيت يمكنه أن يكون على يقين من أن يعثر على الكافور يوم الأحد، في حين أنه لو واصل سيره فلن يكون على يقين من ذلك. لكنه إذا عاد، فسوف يتأخر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نحو ساعة ونصف الساعة في الوصول إلى موتسون. قال: "ربما يكون بإمكاني أن أسير بالسيارة بسرعة بطيئة. ربما يمكنني أن أسير ببطء، وأنا أفكر في شيء آخر.."

ركب السيارة وأدارها. قال: "سوف أفكر في شيء آخر"، ولهذا فكر في لورين. تخيل نفسه معها في السرير، نائمًا فحسب إلى جوارها في السرير، وهو يرجوها أن تساعده، ثم فكر مرةً أخرى في النقود، وكيف أن امرأة- بل فتاة- خدعته. تمني لو أن الرجل هو الذي سرقه. أما أن يسرقه مَن كان عليه أن يعوضه عن الوظيفة التي حُرم منها، والتي حصل عليها بكثير من من الجهد والمخاطرة، أن يكون مَن سرقه هو مَن يرمز على وجه التحديد إلى وظيفته المفقودة، والأسوأ من ذلك كله أن يكون من سرقه فتاة. واصل السير بسيارته، وهو يحمي وجهه من تيار الهواء المستمر بجزء من ياقة معطفه.

تراءى له أن القوى المتعارضة لمصيرة ولإرادته تلتقي الآن عند نقطة التقاء لا رجوع عنها؛ وأنه أصبح ماكرًا. قال في نفسه لا مجال للخطأ. فهناك أمر واحد صحيح بلا بديل: عليه أن يفعل ذلك. فهو على يقين من أنهما سوف يعرفانه من أول نظرة، أما هو فلكي يتعرف عليهما فيتعين أن يراها هي أولاً، إلا إذا كان الرجل ما يزال يرتدي ربطة العنق الحمراء، التي بدت له نذيرًا بالكارثة الوشيكة، التي كان بوسعه أن يشتم رائحتها، وأن يشعر بها فوق رأسه المصدوع.

صعد الهضبة الأخيرة. كان الدخان يجثم على الوادي، وفوق الأسطح، وبُرج أو اثنان يلوحان فوق الشجر. قاد سيارته ونزل من أعلى الهضبة ليدخل البلدة، ببطء، وهو يقول لنفسه إن عليه أن يتوخى

الحذر، لكي يعرف أولاً المكان الذي نُصبت فيه الخيمة. لم يكن قادرًا على الرؤية جيدًا، وأدرك أن الكارثة هي التي دفعته لأن يذهب مباشرةً، وأن عليه أن يحصل على شيءٍ ما لصداعه. في محطة البنزين أبلغوه أن الخيمة لم تُنصب بعد، لكن سيارات السيرْك تقف عند تحويلة في محطة القطارات. قاد سيارته إلى هناك.

عند التحويلة وجد سيارتي بولمان- ألوانهما صارخة- تقفان هناك. تفحصهما جيدًا قبل أن ينزل من السيارة. كان يحاول أن يهدئ أنفاسه، حتى لا يتسارع نبض الدم في عروق رأسه. نزل من السيارة وسار بمحاذاة سور المحطة، وهو ينظر يراقب السيارتين. كانت هناك بعض الملابس منشورة خارج نوافذهما مبتلةً ومجعدةً، كما لو كانت مغسولة لتوها. وعلى الأرض- بجوار سُلم إحدي السيارتين- كان هناك ثلاثة كراسي من النوع الذي يُطوى. لكنه لم يجد أثرًا يدل على الحياة فيها إلى أن رأى رجلاً يرتدي مريلة قذرة يخرج من الباب، ويفرغ وعاء به ماء مستخدم في غسل الأطباق، وكان بطن الوعاء يلمع عاكسًا ضوء الشمس، ثم دخل السيارة من جديد.

قال في نفسه عليٌّ الآن أن آخذه على حين غرة، قبل أن ينبههما. لم يخطر بباله أنهما قد لا يكونان في السيارة. فألا يكونا هناك، وألا تتوقف النتيجة برمتها على إن كان سيراهما أولاً أم أنهم هم الذين سيرونه أولاً لهو أمر يتنافى في رأيه مع طبيعة الأشياء، ويتناقض مع مسار الأحداث في مجمله. وفضلاً عن ذلك، فلابد له من أن يراهم أولاً، وأن يسترد المال، ومن ثم فإن ما يقومون به سيكون عديم الأهمية بالنسبة له، فيما سيعلم العالم كله- خلافًا لذلك- أنه هو جاسون كومبسون قد سُرق على يد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كوينتن، ابنة أخته، العاهرة.

استطلع المكان من جديد. ثم توجه إلى السيارة وصعد السُّلم، بسرعة وهدوء، وانتظر عند الباب. كان مطبخ السيارة معتمًا، يفوح برائحة الطعام البائت. والرجل أشبه ببقعة بيضاء، يغني بصوت خشن ومرتعش. قال جاسون لنفسه إنه رجل مُسن وليس بضخم الجسم مثلي. دخل السيارة والرجل ينظر إليه.

قال الرجل، متوقفًا عن الغناء: "ماذا هناك؟"

قال جاسون: "أين هم؟ قل بسرعة، الآن. هل هم في عربة النوم؟"

قال الرجل: "عمَّن تسأل؟"

قال جاسون: "لا تكذب عليّ". وتعثر في المكان المعتم.

قال الآخر: "ما هذا؟ عمَّن تقول إنه كاذب؟" وعندما أمسك جاسون بكتفه، صاح: "حذار، يا رجل!"

قال جاسون: "لا تكذب. أين هما؟"

قال الرجل: "لماذا ذلك، يا ابن الحرام؟" كان ذراعه ضعيفًا وواهنًا في قبضة جاسون. حاول أن ينتزع ذراعه من قبضته، ثم استدار وحاول البحث عن شيءٍ ما على طاولة مكدسة بأشياء كثيرة وراءه.

قال جاسون: "هيا. قُل، أين هما؟"

قال الرجل صارخًا: "سوف أقول لك أين هما. دعني فقط أعثر على ساطوري".

قال جاسون، محاولاً الإمساك بالرجل: أنت. إنني أسألك سؤالاً فقط".

صرخ الآخر، وهو يفتش الطاولة. حاول جاسون أن يمسك به من

ذراعيه الاثنتين، محاولاً كبح هياجه الواهي. كان بدن الرجل بادي الهرم والضعف، ومع ذلك كان متحفزًا على نحو ينذر بالخطر، وأدرك جاسون للمرة الأولى بوضوح ودون لبس حجم الكارثة التي تورط فيها.

قال "كف عن ذلك. اسمع. اسمع! أمهلني، وسوف أخرج".

صرخ الرجل: "تقول عني إنني كاذب. اتركني. اتركني للحظة، وسوف أريك".

راح جاسون ينظر حوله في رعب، وهو يمسك بالرجل. كان الخارج الآن ساطعًا ومشمسًا، مشرقًا وخاليًا، وفكر في الناس الذين سرعان ما سيمضون بهدوء إلى بيوتهم لتناول غداء الأحد، في أبهى زينة احتفالية، وفكر في نفسه وهو يسعى جاهدًا للإمساك بهذا الرجل العجوز صغير الحجم والخطير مع ذلك، الذي لا يجرؤ على إطلاقه كي يرجع للوراء ويجري.

قال: "هل تمهلني حتى أخرج من هنا؟ هل تتركني؟"

لكن الرجل كان يكافح، فأطلق جاسون إحدى يديه وضربه على رأسه. ضربة متعجلة وغير قوية، لكن الرجل تعثر على الفور وسقط وهو يتخبط بين الأواني والدلاء على الأرض. وقف جاسون فوقه، وهو يلهث ويتنصت. ثم استدار وفر من السيارة. عند الباب تمالك نفسه وهبط ببطء ثم توقف ثانيةً. أصدرت أنفاسه صوت هاه هاه هاه، فتوقف هناك محاولا تهدئتها، وهو ينقل نظراته هنا وهناك، حين سمع صوتًا وراءه فاستدار في الوقت المناسب، ليرى الرجل العجوز صغير الحجم يقفز بغضب وعلى نحو أخرق من داخل السيارة، وبلطة صدئة يشهرها بيده.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أمسك جاسون بالبلطة، دون أن يشعر بصدمة، لكنه أدرك أنه يسقط، وهو يفكر أهكذا تكون النهاية، وظن أنه يحتضر، وعندما اصطدم شيءٌ بمؤخرة رأسه، فكر كيف أصابني؟ ربما يكون قد أصابني منذ فترة، ولم أشعر بذلك إلا الآن، وفكر عليك أن تسرع. عليك أن تسرع. تخلص من الأمر، وتملكته رغبة عارمة في ألا يموت، وكافح، وهو يسمع الرجل العجوز يصرخ ويسب بصوت متقطع.

كان ما يزال يقاوم عندما أوقفوه على قدميه، غير أنهم أمسكوا به فكف عن المقاومة.

قال: "هل أنزفُ كثيرًا؟ مؤخرة رأسي. هل أنزف؟" كان ما يزال يقول ذلك فيما يشعر بأن أحدًا يدفعه بعيدًا بسرعة، وسمع صوت الرجل العجوز الغاضب يبتعد عنه شيئًا فشيئًا. قال "انظر إلى رأسي. انتظر، أنا..."

قال الرجل الذي يمسك به: "انتظر. فهذه الحشرة الضئيلة اللعينة سوف تقتلك. اذهب إلى حال سبيلك. لم تُصب بأذى".

قال جاسون: "لقد ضربني. هل أنزف؟"

قال الرجل: "اهرب". واقتاد جاسون حتي ناصية المحطة، إلى الرصيف الفارغ الذي تقف فيه عربة قطار، حيث نمت أعشاب صلبة في رقعة نمت على حوافها زهور صارمة ولافتة مكتوبة بحروف تضيئها الكهرباء: "لا ترفع عن موتسون"، وقد استُبدلت كلمة عين برسم لعين مضيئة. تركه الرجل.

قال: "من الأفضل لك أن تذهب من هنا وتبتعد. ما الذي كنت تحاول فعله هنا؟ هل كنت تحاول الانتحار؟".

قال جاسون: "كنت أبحث عن شخصين. كنت أسأله فحسب عن مكانهما".

"عمن كنت تبحث؟"

قال جاسون: "فتاة. ورجل. كان يلبس ربطة عنق حمراء في جفرسون أمس. في هذا السيرك. لقد سرقاني".

قال الرجل "آه. إذن فأنت هو. ليسا هنا".

قال جاسون: "كنت أظن ذلك". اتكأ على الحائط ووضع يديه على مؤخرة رأسه، ثم نظر إلى إصبعه. قال "أعتقد أنني كنت أنزف. لقد ظننت أنه ضربني بالبلطة".

قال الرجل: "أنت خبطت رأسك في السياج. من الأفضل أن تذهب من هنا. فهما ليسا هنا".

"أجل. هو قال إنهما ليسا هنا. وكنت أظنه يكذب عليّ".

قال الرجل: "وهل تظن أنني أكذب؟"

قال جاسون: "لا. أعلم أنهما ليسا هنا".

قال الرجل: "لقد طلبتُ منه أن يغادر.. أن يغادرا كلاهما. فلا مكان لشيء كهذا في سيركي. فأنا أدير سيركًا محترمًا، يعمل فيه أناس محترمون".

قال جاسون: "أجل. هل تعرف أين ذهبا؟"

"لا. ولا أود أن أعرف. فلا أحد ممن يعملون معي يرتكب فعلاً كهذا. هل أنت أخوها؟"

قال جاسون: "لا. ليس هذا بالأمر المهم. أردت فحسب أن أراهما. هل أنت متأكد أنه لم يصبني؟ أقصد هل يوجد دم؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"لو لم أحضر لكان هناك دم. عليك أن تبتعد من هنا، الآن. فهذا الشخص ابن الحرام ضئيل الحجم سوف يقتلك. هل هذه سيارتك التي تقف هناك؟"

"أجل".

"حسنًا. اركبها وعد إلى جفرسون. ولو عثرت عليهم فلن تعثر عليهم في سيركي. فأنا أدير مكانًا محترمًا. هل قلت إنهما سرقاك؟"

قال جاسون: "لا. ليس ذلك بالأمر المهم".

توجه إلى السيارة وركبها. فكر ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟ ثم تذكر. شغَّل المحرك وبدأ يتحرك بالسيارة ببطء عبر الشارع إلى أن وجد محلاً. كان بابه مغلقًا. توقف قليلاً ويده على الأكرة ورأسه مطرقة قليلاً. ثم ابتعد. وعندما قدم أحدهم بعد فترة سأله إن كان هناك محل مفتوح في أي مكان، لكن لم يكن هناك محل مفتوح. ثم سأله عند موعد قيام قطار الشمال، فأخبره الرجل بأن الموعد هو الثانية والنصف. عبر الشارع وعاد إلى السيارة وجلس فيها. بعد برهة مر شابان زنجيان. نادي عليهما.

"هل يمكن لأحدكما أن يقود سيارة؟"

"أجل، يا سيدي".

"كم تأخذ أجرًا لكي تقود سيارتي إلى جفرسون حالاً".

نظر كل منهما للآخر، متهامسين.

قال جاسون: "سوف أدفع دولارًا".

تهامسا مرةً أخرى. قال أحدهما: "لا يمكنني أن أذهب مقابل هذا المبلغ".

"ما هو المبلغ الذي يرضيك؟"

قال أحدهما: "هل يمكنك أن تذهب؟"

قال الآخر: "لا يمكنني الذهاب. لماذا لا تقود له السيارة إلى هناك؟ ليس هناك ما يشغلك؟"

"بل مشغول".

"ماذا لديك؟"

تهامسا مرةً أخرى، وهما يضحكان.

قال جاسون: "سوف أدفع دولارين لأيٍّ منكما".

قال الأول: "لا يمكنني الذهاب".

قال جاسون: "لا بأس. هيا انصرفا".

جلس في السيارة لبعض الوقت. سمع الساعة تدق نصف الساعة، ثم بدأ الناس يمرون، بملابس الأحد وعيد الفصح. كان بعضهم ينظر إليه لدي مرورهم به، ينظرون إلى الرجل الجالس وراء عجلة القيادة في سيارة صغيرة في هدوء، كما لو أن حياته غير المرئية تنحل بعيدًا عنه مثل جورب قديم. بعد برهة جاءه زنجي يرتدي حُلة عامل.

قال: "هل أنت مَن يرغب في الذهاب إلى جفرسون؟"

قال جاسون: "أجل. كم تتقاضى أجرًا عن ذلك؟"

"أربعة دولارات".

"أدفع دولارين".

"لا أذهب بأقل من أربعة دولارات".

ظل الجالس في السيارة جالسًا في هدوء. لم ينظر حتى إليه. فقال الزنجي: "هل تريدني، أم لا؟"

قال جاسون: "موافق. اركب".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ترك جاسون مقعده، وجلس الزنجي وراء عجلة القيادة. أغمض جاسون عينيه، وهو يقول في نفسه بوسعي أن أعثر عن علاج له في جفرسون، وهو يهون على نفسه الاهتزاز، يمكنني أن أجد شيئًا هناك. سارت بهم السيارة في الشوراع التي كان بها الكثير من الناس العائدين إلى بيوتهم في أمان بعد أن تناولوا غداء يوم الأحد، وإلى خارج المدينة. فكر في ذلك. لم يفكر في المنزل، حيث بن ولاستر يأكلون غداءهم البارد في مائدة في المطبخ. وأتاح له شيء ما- ابتعاد شبح الكارثة أو التهديد بأي نوع دائم من الشر- أن ينسى جفرسون، مثلما نسي الأماكن التي رآها من قبل، حيث يتعين عليه أن يستأنف حياته من جديد.

بعد أن انتهى بن ولاستر من طعامهما أرسلتهما ديلسي إلى الخارج. "يمكنك أن ترعاه حتى الساعة الرابعة، وبعدها سيكون تي بي قد عاد".

قال لاستر: "حااضر". خرجا. بعد أن تناولت ديلسي غداءها نظفت المطبخ. ثم توجهت إلى أسفل السُّلم وتنصتت. لكن لم يكن هناك أي صوت. عادت عبر المطبخ وخرجت عند الباب الخارجي وتوقفت على أعتابه. لم يكن بن ولاستر ظاهرين أمامها، لكنها سمعت فيما كانت متوقفة بالباب رنة خافتة قادمة من اتجاه باب القبو، فتوجهت إلى الباب ونظرت عبره إلى نفس المشهد الذي رأته في الصباح.

قال لاستر: "كان يقوم بذلك بهذه الطريقة بالتحديد". تأمل المنشار الساكن بنوع من الأسى الممزوج بالرجاء. قال: "لم أعثر بعد على الأداة المناسبة لطرقه بها"

قالت ديلسي: "ولن تعثر عليها أبدًا في هذا المكان. هيا اصحبه إلى مكان مشمس خارج القبو، قبل أن تُصابا بالتهاب رئوي في هذا المكان

الرطب".

انتظرت ووقفت تراقبهما إلى أن عبرا الفناء متوجهين إلى أشجار السدر القريبة من السياج. ثم توجهت إلى الكوخ.

قال لاستر: "والآن، كف عن البكاء. لقد تحملت الكثير منك اليوم". كانت هناك أرجوحة معلقة مصنوعة من ألواح البراميل الخشبية مضفورةً مع الحبال. رقد لاستر داخل الأرجوحة، بينما كان بن يتحرك جيئةً وذهابًا بلا هدف أو غرض واضح. ثم بدأ يبكي مرةً أخرى. قال لاستر: "اسكت الآن، وإلا ضربتك". كان لاستر راقدًا على ظهره على الأرجوحة. توقف بن عن الحركة، لكن لاستر كان يسمعه وهو يبكي بصوت خفيض. قال لاستر: "هل ستسكت، أم لا؟" نهض وتتبع بن، وعندما قدِم إليه وجده جالسًا القرفصاء أمام تل صغير من التراب. وعند كل طرف منه زجاجة فارغة كانت تحتوى ذات يوم على مادة سامة. في إحداها عود ذابل من عشبة الداتورة. وكان بن يجلس أمامها، وهو يبكي، بصوت بطيء غامض. ظل يبكي وهو يبحث عن شيءٍ ما، ووجد فرع شجرة صغير ووضعه في الزجاجة الأخرى. قال لاستر: "لماذا لا تسكت؟ هل تريديني أن أعطيك شيئًا يجعلك تبكي عن حق؟ افرض أني فعلت ذلك" انحنى وانتزع الزجاجة فجأةً وأخفاها وراء ظهره، فكف بن عن البكاء. جلس القرفصاء، وهو ينظر إلى المكان الفارغ، مكان الزجاجة، وما كاد بن يسحب نفَسًا ملء رئتيه حتى أخرج له لاستر الزجاجة ليراها، وهو يقول: "هُس! إياك أن تبكي! لا تبك. ها هي. هل تراها؟ هيا بنا. سوف تبكي اذا واصلنا البقاء هنا. هيا، دعنا نذهب لنراهم وهم يلعبون الكرة". وأمسك لاستر بذراع بن وجذبه وتوجها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نحو السياج ووقفا إلى جانبه هناك، وهما ينظران من بين أشجار زهر العسل المتداخلة التي لم تزهر بعد.

قال لاستر: "انظر. لقد قدموا. هل تراهم؟"

وقفا ينظران إلى أربعة رجال يلعبون جيئةً وذهابًا على الأرض الخضراء وفي أطرافها، يضربون الكرة ويمضون إليها. وقف بن يراقبهم وهو يتمتم ويريل. وعندما ابتعد الرجال الأربعة تابعهم على امتداد السياج، وهو ينط ويئن.

قال أحدهم: "هنا، يا كادي، هات الحقيبة".

قال لاستر: "اهدأ، يا بنچي". لكن بن واصل مشيته المترنحة، وهو يتشبث بالسياج، صارخًا بصوته الأجش اليائس. لعب أحدهم وابتعد، وظل بن يتابعه إلى أن انعطف السياج بزاوية قائمة، وتشبث بالسياج وهو يتابعهم وهم يبتعدون.

قال لاستر: "ألا تهدأ الآن؟ ألا تهدأ؟" هز ذراع بن. تشبث بن بالسياج، وهو لا يكف عن الصراخ بصوته الأجش. قال لاستر: "ألن تكف عن ذلك؟ ألن تكف؟" حملق بن عبر السياج. قال لاستر: "طيب. إذن. فأنت تريد شيئًا تبكي عليه؟" نظر من فوق كتفه نحو المنزل. وهمس: "كادي! ابك الآن. كادي! كادي! كادي!"

بعد دقيقة، في اللحظات الفاصلة بين صرخات بن، سمع لاستر ديلسي وهي تنادي. أمسك بذراع بن وعبر به الفناء متجها نحوها.

قال لاستر: "قلت لك إنه لن يسكت".

قالت ديلسي: "ماذا فعلت له، يا وغد؟"

قال لاستر: "لم أفعل له أي شيء. قلت لك إنه عندما يرى هؤلاء

القوم يلعبون يبكي".

قالت ديلسي: "تعال هنا. اهدأ، يا بنچي. اهدأ الآن". غير أن بنچي لم يهدأ. عبروا الفناء بسرعة وتوجهوا إلى الكوخ ودخلوا فيه. قالت ديلسي: "أسرع وأحضر ذلك الحذاء. ولا تزعج السيدة كارولين. وإذا قالت شيئًا، فقل لها إنه معي. أظن أنك يمكنك أن تفعل ذلك بلا أخطاء" خرج لاستر. اقتادت ديلسي بن وأجلسته على السرير إلى جانبها، وأمسكت به وهي تهزه للأمام والخلف، وتمسح اللعاب الذي يسيل من فمه بطرف تنورتها. قالت: "اهدأ، الآن" وهي تمسح بيدها على شعره: "اهدأ، الآن. أنت مع ديلسي". لكنه واصل صراخه ببطء ومذلة ودون دموع؛ كان صوته بائسًا ويائسًا معبرًا عن كل أشكال التعاسة التي لا لسان لها تحت الشمس. عاد لاستر يحمل خُفًّا من الساتان الأبيض. كان أصفر الآن، وتشقق واتسخ، وعندما وضعاه في يد بن سكت لبرهة. لكنه واصل البكاء بصوت خفيض، ثم ارتفع صوت بكائه من جديد".

قالت ديلسي: "هل تعتقد أن بإمكانك أن تجد تي پي؟"

"هو قال أمس إنه سوف يذهب إلى سانت جونز اليوم. وقال إنه سوف يعود في الرابعة".

عاودت ديلسي هدهدة بن، وهي تمسح بيدها على شعره.

قالت: "لقد طال بنا العهد، يا يسوع. طال بنا العهد".

قال لاستر: "يمكنني أن أقود هذه العربة، يا جدتي".

قالت ديلسي: "سوف تقتل نفسك وتقتل بن. فأنت تريد ذلك لتمارس ألعابك الشيطانية. وأنا أعلم أن بإمكانك أن تقودها، لكني لا أثق فيك. اهدأ. اهدأ".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال لاستر: "لن أفعل ذلك. لقد قدت العربة مع تي پي". هدهدت ديلسي بن وهي تحتضنه.

"السيدة كارولين تقول لك إنك إن لم تستطيعي تهدئته، فسوف تنزل هي لتهدئته".

قالت ديلسي، وهي تمسح بيدها على رأس بن: "اهدأ، يا عزيزي. لاستر، عزيزي. هل تراعي خاطر جدتك وتقود العربة بحذر با حبيبي؟"

قال لاستر: "حاااضر. سوف أقودها مثلما يقودها تي پي".

قالت ديلسي، وهي تمسح بيدها على رأس بن وتهدهده: "يعلم الله أنني أفعل كل ما في وسعي. اذهب وأحضر العربة، إذن". قالت ذلك وهي تنهض. انطلق لاستر إلى الخارج. أمسك بن بالخف وهي يبكي. قالت: "اهدأ، الآن. لاستر ذهب ليحضر العربة ليأخذك إلى المقابر. لن نغامر بإحضار قبعتك". وتوجهت إلى خزانة عبارة عن ستارة من البفتة معلقة على ركن من الغرفة، وأحضرت القبعة اللباد التي تلبسها، وقالت: "سوف نتزل إلى درك أسوأ من ذلك لو كان الناس يعلمون. لكنك طفل الرب على أية حال. ولسوف أكون بين يديه عما قريب. تبارك يسوع. هيا". وضعت القبعة على رأسه، وزررت معطفه. واصل البكاء. أخذت الخف من يديه ووضعته في مكان بعيد وخرجا. أتي لاستر بعربة متهالكة مائلة عند أحد جانبيها تقودها مهرة بيضاء هرمة.

قالت ديلسي: "سوف تتوخى الحذر، يا لاستر؟"

قال لاستر: "حاااضر". ساعدت بن على الركوب في المقعد الخلفي. كف عن البكاء، لكنه عاود البكاء بصوت خفيض من جديد.

قال لاستر: "يبكي من أجل زهرته. انتظري، سوف آتي له بزهرة".

قالت ديلسي: "انتظر في مكانك". ذهبت وأمسكت باللجام. جرى لاستر حول البيت متوجهًا إلى الحديقة وعاد ومعه زهرة نرجس. قالت: "هذه زهرة مكسورة. لماذا لم تحضر له زهرة سليمة؟"

قال لاستر: "هذه هي الزهرة الوحيدة التي وجدتها. لقد أخذتم كل الزهور يوم الجمعة لتزينوا به الكنيسة. انتظري، سوف أصلحها له". وفيما كانت ديلسي تمسك بالمهرة، كان لاستر يضع عودًا على ساق الزهرة ويربطه بخيط، وأعطى الزهرة لبن. ثم صعد وأمسك بالزمام، فيما كانت ديلسي ما تزال تمسك باللجام.

"أتعرف الطريق الآن؟ سِر عبر الشارع، حول الميدان، ثم إلى المقابر، ثم إلى المنزل مباشرةً".

قال لاستر: "حاااضر. هيا، يا كويني".

"هل ستتوخَّى الحذر، الآن؟"

قال لاستر: "حاااضر". أطلقت ديلسي اللجام من يدها.

قال لاستر: "هيا، يا كويني".

قالت ديلسي: "انتظر. اعطني هذا السوط".

قال لاستر: "أوه، يا جدتي".

قالت: "اعطه لي الآن"، وهي تقترب من العجلة فأعطاها لاستر السوط على مضض.

قال: "كيف سأتحكم في كويني الآن؟"

قالت ديلسي: "لا تقلق على ذلك. فكويني تعرف طريقها أكثر منك. وكل ما عليك هو أن تجلس وتمسك الزمام. هل تعرف الطريق الذي ستسير فيه، الآن؟"

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قال: "أجل هو نفس الطريق الذي يسير فيه تي پي كل يوم أحد".

قالت: "إذن فستسير في نفس الطريق هذا الأحد".

"نفس الطريق. ألم أتول القيادة بدلاً من تي پي أكثر من مئة مرة؟"

قالت: "عليك أن تفعل ذلك من جديد. هيا، اذهب الآن. ولو الحقت أي أذًى ببنچي، أيها الفتى الزنجي، فلا أعلم ما أنا فاعلة بك. سوف أرسلك لسجن الأشغال الشاقة ليربطوك هناك بالسلاسل، بل سأرسلك للسجن قبل أن يجهزوا لك السلاسل".

قال لاستر: "حاااضر. هيا بنا، يا كويني".

هز الزمام على ظهر كويني العريض وبدأت العربة تتحرك في تثاقل.

قالت ديلسي: "أنت، يا لاستر!"

قال لاستر: "هيا. إلى هناك". هز الزمام مرةً أخرى. اهتزت كويني ببطء وتحركت محدثة قعقعة اهتز لها باطن الأرض على الطريق الفرعي، ثم انعطفت ودخلت في الشارع الرئيسي، حيث حثها لاستر على السير بخطى متسارعة فبدت كأنها في حالة سقوط إلى الأمام طويل ومعلق.

كف بنچي عن النهنهة. جلس في وسط المقعد، وهو يمسك بالزهرة ذات الجبيرة مرفوعة في قبضته، وعيناه صافيتان وهادئتان على نحو يفوق الوصف. أمامه مباشرةً رأس لاستر المستطيلة التي تشبة الرصاصة تلتفت على نحو متواصل إلى الخلف، إلى أن اختفي المنزل عن الأنظار، ثم أوقف لاستر العربة على جانب الشارع ونزل وبن ينظر إليه، وانتزع غصنا من أحد الأسوار. خفضت كويني رأسها وراحت تقضم العشب إلى أن صعد لاستر ورفع رأسها وأسرع بها من جديد. رفع كوعيه ومع إمساكه بالغصن والزمام إلى أعلى اتخذ سمت خيلاء لا تتناسب مع إيقاع

حوافر كويني المتمهلة وقرقرة بطنها التي تشبه أصوات النغمات الغليظة الصادرة عن آلة الأرغن. مرت بهم عدة سيارات، ومشاة؛ من بينهم عدد من الفتية الزنوج:

"هذا لاستر. إلى أين أنت ذاهب يا لاستر؟ هل ستذهب إلى المقابر إياها؟"

قال لاستر: "مرحبًا. أليست هذه المقابر هي مثواكم جميعا؟ هيا، أيتها الفيلة"

اقتربوا من المبدان، حيث كان الجندي الاتحادي يحملق بعينيه الفارغتين تحت يده المرمرية في الريح والطقس. زاد لاستر من خيلائه وضرب كويني العنيدة بالغصن، وهو يجول ببصره في الميدان. قال في نفسه: "هذه سيارة السيد جاسون"، ورأي جماعة أخري من الزنوج. قال: "فلنُرِ هؤلاء الزنوج كيف يتصرف أولاد الذوات، يا بنچي".

"ماذا تقول؟" التفت إلى الخلف. كان بن يجلس، ممسكًا بالزهرة في يده، ونظراته خاوية بلا اضطراب. ضرب لاستر كويني مرةً أخري والتف بها يسارًا عند نصب الجندي الاتحادي.

كان بن جالسًا في خواء مطلق. ثم بكى. بكى وبكى، وارتفع صوته، دون توقف إلا ليلتقط أنفاسه. كان في صوته شيء يتجاوز الدهشة؛ كان الرعب؛ والصدمة؛ وعذاب أعمى وأخرس؛ مجرد صوت، وانقلبت عينا لاستر إلى بياض للحظة. قال: "يا إلهي العظيم. اسكت! اسكت! يا إلهي العظيم!" التف بالعربة مرةً أخرى وضرب كويني بالغصن. انكسر فرماه بعيدًا، ومع صوت بن المتصاعد إلى ذروته المذهلة، أمسك لاستر بطرف الزمام ومال إلى الأمام فيما كان جاسون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يقفز عبر الميدان ويصعد عل درجة العربة.

بضربة قوية بظهر يده أزاح لاستر جانبًا وأمسك بالزمام واستدار بكويني وشد الزمام إلى الخلف بقوة وضربها على مؤخرتها. ثم أبطأ سرعتها رويدًا رويدًا، حتى أصبحت تجري بسرعة أبطأ فيما كان صوت بن الخشن المجلجل تتردد أصداؤه حولهما، ثم أدار العربة إلى يمين النصب التذكاري. وضرب لاستر بقبضة يده على رأسه.

قال: " ألا تعرف ما هو أفضل من أن تأخذه ناحية اليسار؟ مد يده للخلف وضرب بن، فكسر ساق الزهرة. قال: "اخرس! لا تفتح فمك!" شد لجام كويني للخلف وقفز من العربة. قال: "توجه به على الفور إلى المنزل. ولو رأيتك مرةً أخرى تعبر به هذه البوابة، سأقتلك!"

قال لاستر: "حاضر، يا سيدي!" أمسك بالزمام، وضرب كويني بطرفه. "هيا! هناك! أرجوك، يا بنچي، بحق الله!"

جلجل صوت بن وجلجل. تحركت كويني من جديد، وبدأت ضربات حوافرها على الأرض في الانتظام مرةً أخرى، وسكت بن فجأةً. نظر لاستر إلى الخلف بسرعة من فوق كتفيه، ثم واصل القيادة. تهدلت الزهرة المكسورة على يد بن، وعيناه خاويتان وزرقاوان وهادئتان من جديد، والأفاريز والشرفات تنساب بنعومة إلى اليمين واليسار، أعمدة وأشجار ونوافذ ومداخل ولافتات كل في مكانه المعهود.

نيويورك- ولاية نيويورك
اكتوبر 1928

مُلحَــق *

كومبسون وآل كومبسون
1945ـ1699

إيكيموتـــــوب: ملك أمريكي حُرم من ملكه، وفقد أملاكه. كان يُدعي باسم لوم (الإنسان) أو دولوم من قبل أخيه بالتبني. وهو فارس من فرنسا. ولولا أنه وُلد في وقت متأخر للغاية لكان من بين ألمع كوكبة الفرسان المرتزقة من طراز حراس نابوليون. ولقبه بلغة التشيكاسو (وهم قومٌ من الهنود الحمر) يعني "الإنسان"؛ وهي الترجمة التي أضاف لها

* في عام 1945، كتب فوكنر هذا الملحق للرواية، ليضاف إلى الطبعة التي صدرت في ذلك العام. وبناءً على توصية من فوكنر، فقد اشتملت غالبية الطبعات التالية للرواية على هذا الملحق. ويُشار لهذا الملحق ـ في بعض الأحيان ـ على أنه القسم الخامس من "**الصخب والعنف**". ونظرًا لأن الملحق قد كُتب بعد ستة عشر عامًا من صدور الطبعة الأولى للرواية، فقد تضمن بعض الاختلافات في رواية الأحداث أحيانًا؛ ولكنه يلقي الضوء ـ على أية حال ـ على بعض الأحداث الغامضة في الرواية ـ المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إيكيموتوب- وكان يتمتع بالحكمة والخيال، وتشبه شخصيته شخصية القاضي- ترجمته الخاصة بتصرف، حين ترجمها إلى الإنجليزية إلى معنى "المصير المحتوم". وقد أنعم على حفيد لاجئ اسكتلندي وأهداه أرضًا خصبة من ممتلكاته الشاسعة، مساحتها ميل كامل من أراضي شمال المسيسيبي، حُددت مساحتها بالزوايا الأربع التي تحد تلاً مربعًا ومرتفعًا (كانت هذه المساحة- في تلك الفترة- جزءًا من غابة في الفترة السابقة على عام 1833، حين تهاوت النجوم. وكانت جيفرسون المسيسيبي- في ذلك الحين- عبارة عن مبنى واحد يحتل مساحة كبيرة، وبه الكثير من الغرف، مبني من الطين، ويضم وكيل التشيكاسو ومركزه التجاري). وكان هذا الحفيد للاجئ الاسكتلندي- وهو جاسون ليكورجس كومبسون- قد فقد ميراثه حين ربط مصيره بمصير مَلك حُرم من مُلكه. وكان ذلك- في جانب منه- مقابل الحق في أن يمضي في سلام، بالوسيلة التي يراها هو وشعبه مناسبة، مشيًا على الأقدام وعلى حصان، شريطة أن يكون من خيل التشيكاسو ،إلى البرية في الأرض الغربية التي يُطلق عليها الآن اسم أوكلاهوما، التي لم يكن يعلم أحد حينذاك أن بها آبار نفط.

جاكسون: واحد من الآباء البيض العظام. كان يمتشق سيفًا (مبارز قديم، وشخص مشاكس ضامرالجسم وأجرب، وأسد عجوز صعب المراس، يضع مصلحة الأمة فوق البيت الأبيض، وسلامة حزبه السياسي الجديد فوق الاثنين، ويضع فوق ذلك جميعًا لا شرف زوجته، بل المبدأ القائل بأن الشرف لابد من الدفاع عنه، سواء أكان هناك شرف أم لا، لأنه إما أن يكون هناك دفاع وإلا فلا). وهو الذي سجل ووقع وصدَّق على مرسوم- كتبه بخط يده في كوخه في مدينة واسي، التي لم

يكن يعلم أحدٌ أن بها نفطًا أيضًا- يقضي بأنه ذات يوم سوف يركب أسلاف النازحين- ممن جُردوا من أملاكهم- في راحة تامة، عربات لنقل الموتى وعربات مطافئ مدهونة باللون القرمزي، تُصنع خصيصًا لهذا الغرض، إلى مثواهم الأخير حيث ترقد عظامهم للأبد.

وهؤلاء آل كومبسون:

كوينتن ماكلاتشان: ابن عامل طباعة من جلاسجو، تيتَّم وتولت تربيته أسرة والدته في مرتفعات بيرث. فر إلى كارولينا من قرية كالودن مور ومعه سيف ذو حدين، وشال صوف اسكتلندي عريض كان يرتديه بالنهار وينام تحته بالليل. وفي سن الثمانين، قاتل ضد ملك إنجليزي، وخسر. وحتى لا يكرر هذه الغلطة فر مرةً أخرى في عام 1779 مع حفيده الطفل والشال الصوف (وكان السيف ذو الحدين قد اختفي مع ابنه والد حفيده الذي كان ضمن فيلق تارلتون في معركة جورجيا قبل ذلك بعام). وأسس في كنتاكي مستوطنة، وكان جيرانه ينادونه باسم بون أو بوني.

تشارلز ستيوارت: انضم إلى فيلق بريطاني، ثم حُرم من رتبه فيه. تركته فرقته في مستنقعات جورجيا ليواجه الموت على يد الجيش الأمريكي المتقدم. لكن الجانبين لم يكونا على صواب. فقد كان معه السيف ذو الحدين، وتمكن من اللحاق - برجله الخشبية التي صنعها بنفسه- بوالده وابنه، بعد أربع سنوات من ذلك، في هارودسبورج في كنتاكي، في الوقت المناسب، ليدفن والده كوينتن ماكلاتشان. ومر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بمرحلة طويلة كان فيها شخصية فصامية. وعلى حين أنه كان يسعى لأن يكون مدرسًا، وهي الوظيفة التي كان يتمنى القيام بها، انتهي به الأمر- في نهاية المطاف- لأن يصبح مقامرًا؛ وهي المهنة التي كان مؤهلاً لها بالفعل. والأمر الذي لا يبدو أن أيًا من آل كومبسون يدركه هو ما يقدمونه من مبادرات، ليست إلا عملاً نابعًا من الشعور باليأس، ولا يؤتي ثمارًا. وقد نجح- في نهاية المطاف- لا في أن يخاطر برقبته فحسب، بل بأمن أسرته وبسمعة الاسم الذي ورثه لمن خلفوه، حين انضم إلى مؤامرة ترأسها أحد معارفه، ويدعى ويلكنسون (وهو رجل يتمتع بالموهبة والنفوذ والذكاء والقوة) لانفصال وادي المسيسيبي عن الولايات المتحدة وضمه لأسبانيا. وفر حين افتُضح أمر المؤامرة (ويعرف أي إنسان أن ذلك كان لابد أن يحدث، فيما عدا هذا المدرس من أل كومبسون)، ليجد نفسه في وضع فريد؛ إذ إنه كان الوحيد من المتآمرين الذي يتعين عليه أن يفر من البلاد؛ وذلك ليس نتيجة لانتقام أو قصاص الحكومة، التي سعي لأن يفصل قسمًا من أراضيها، بل نتيجة لغضب المتآمرين معه الذين يتحركون الآن بعصبية التماسا للنجاة. فهو لم يُطرد من الولايات المتحدة، بل كان يقول عن نفسه إنه بلا بلد، ولم يكن طرده نتيجة للخيانة العظمى، بل للثرثرة الشديدة والفضيحة الناتجة عن حديثه الذي لا ينقطع عما يقوم به؛ فقد أحرق بثرثرته تلك كل الجسور وراءه، قبل أن يتمكن حتى من الوصول إلى المكان الذي يقيم فيه أول جسر قادم للعبور: لدرجة أن من سعى لطرده لم تكن الشرطة، أو أية وكالة مدنية، بل كان مَن سعى لطرده من كنتاكي ومن الولايات المتحدة شركاؤه السابقون في المؤامرة؛ ولو كان الأمر بيدهم لطردوه من كافة أنحاء

المعمورة. وفر بالليل، مصداقًا للتقليد الراسخ في العائلة، واصطحب معه ابنه والسيف القديم ذا الحدين والشال الصوفي الاسكتلندي.

جاسون ليكورجس: هو الشخص الذي رحل ذات يوم في عام 1811، عبر طريق ناتشيز تريس التاريخي ـ وربما كان مدفوعًا لذلك بالاسم الرنان الذي أطلقه عليه أبوه ذو الساق الخشبية، والحاقد الذي لا يُهزم ويدفعك للابتسام بمرارة لدى رؤيته ـ ومعه مسدسان وخُرج صغير ممتطيًا مهرة صغيرة نحيلة الخصر، لكنها قوية الأرجل، ويمكنها أن تقطع رُبع الميل الأول في نصف دقيقة، ورُبع الميل الثاني في زمن ليس بأكثر من ذلك بكثير؛ لكن هذا هو غاية ما لديها، لكنه كان كافيًا ليصل إلى وكالة تشيكاسو في أوكاتوبا (التي كانت ـ عام 1860 ـ ما تزال يُطلق عليها اسم جيفرسون القديمة)، ولم يمض أكثر من ذلك في رحلته. وبعد ستة أشهر، أصبح موظفًا لدى صاحب الوكالة. وبعد عام أصبح شريكه، وظل مع ذلك موظفًا بالوكالة، رغم أنه الآن يمتلك نصف المحل الكبير، الذي أصبح ممتلئًا نتيجة لجوائز الفوز التي حصلت عليها المهرة في السباقات أمام أحصنة شباب إيكيموتوب. وفي العام التالي، كان إيكيموتوب هو الذي يمتلك المهرة، في حين أصبح جاسون كومبسون هو مَن يمتلك ـ في المقابل ـ ميلاً مربعًا بالكامل من الغابات، سوف يصبح يومًا ما في وسط مدينة جيفرسون. وكان هذا الميل غابة حينذاك، وظل غابة لنحو عشرين عامًا، إلى أن تحول بمرور الزمن إلى ما يشبه الحديقة، بعد أن أصبحت فيه مساكن للعبيد واسطبلات وحدائق ملحقة بالمطابخ ومنطقة مزروعة بالحشائش ومنتزهات ومقصورات مبنية بأسلوب المنازل ذات الأعمدة في مداخلها، مزودةً بقوارب بخارية من فرنسا ونيوأورليانز، وظل الميل

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المربع على حاله حتى عام 1840 (ولم تبدأ القرية البيضاء- التي كانت تدعى جيفرسون- في الإحاطة به فحسب، بل أحاطت به منطقة سكنية كاملة للبيض، لأن أبناء إيكيموتوب وشعبه كانوا قد رحلوا عن المنطقة في ذلك الحين. ومَن تبقى منهم لم يعد يعيش في المنطقة بوصفه محاربًا أو صيادًا، بل كانوا يعيشون مثل البيض كمزارعين كسالى، أو يعيشون هنا وهناك كسادة لما كانوا يطلقون عليه مشاتل، أو بوصفهم ملاكًا لعبيد تنابلة أكثر قذارة بقليل من البيض؛ وإن كانوا أقل منهم قليلاً كسلاً وأقل منهم قسوةً إلى حدٍّ ما، إلى أن اختفت أرومة هؤلاء الناس الفطريين، ولم تعد تراهم إلا بين حين وآخر في شكل أنف زنجي على متن عربة قطن أو مطحن أو صياد حيوانات ممن يبيعون الفراء، أو وقاد في قاطرة بخارية). وكان هذا الميل المربع يُعرف باسم عزبة كومبسون، ومنذ ذلك الحين فصاعدًا، أصبحت عزبة منتجة للأمراء ورجال الدولة والأساقفة؛ وانتقامًا للمحرومين من آل كمبسون من كولودن وكارولينا وكنتاكي- التي كانت تعرف في ذلك الحين باسم بيت الحاكم، لأنه كان من المؤكد بما فيه الكفاية في ذلك الحين أنها أنتجت- أو على الأقل أفرخت- حاكمًا مرةً أخرى، بعد الجد، هو كوينتن ماكلاتشان؛ وكان الجد في كولودن ولا يزال يُعرف باسم الحاكم القديم، حتى بعد أن أنجب في عام 1861 جنرالاً (وقد سمي بذلك بمقتضى اتفاق مسبق من جانب البلدة والمقاطعة بأكملها، حيث أنهم كانوا يعلمون- في ذلك الحين، وسلفًا- أن الحاكم القديم هو الأخير من سلالة كومبسون الذي لا يفشل في أي شيء يلمسه، فيما عدا طول العمر أو الانتحار)، والبريجادير جاسون ليكورجس الثاني، الذي مني بالفشل في شيلوه في 1862، ومني بالهزيمة

مرةً أخرى؛ وإن لم يكن ذلك بقدر كبير من السوء في عام 1864 في ريساكا، وهو أول من رهن- عام 1866- جزءًا من الميل المربع لسياسي من نيوانجلاند، كان يسعى لتحقيق نجاح سياسي بعيد عن منطقته. وبعد أن أحرق الجنرال الفيدرالي سميث المدينة القديمة، كانت المدينة الجديدة الأصغر حجمًا لايسكنها أبناء آل كومبسون، بل آل سنوبيز. وبدأ هؤلاء في التغلغل رويدًا رويدًا في الميل المربع، في الوقت الذي أمضى فيه البريجادير الفاشل الأعوام الأربعين التالية في بيع الأرض قطعةً قطعةً ليسدد الرهن على القِطَع الأخرى، إلى أن توفي في أحد أيام عام 1900 في هدوء، على سرير نقال من القماش في معسكر للصيد، عند مصب نهر تالاهاتشي، حيث كان يقضي معظم وقته في هذا المعسكر في أخريات أيامه. وحتى الحاكم القديم أصبح الآن نسيًا منسيًّا، وما تبقى من الميل المربع أصبح الآن يُعرف باسم محلة كومبسون: عبارة عن مدقات أو بقايا ممرات ينمو فيها العشب بكثافة، تفضي إلى المساحات التي كانت تغطيها، والمتنزهات التي لحق بها البلَى، والمنزل الذي أصبح كالحًا ويحتاج إلى طلاء منذ أمد بعيد، وبقايا الأعمدة في الشرفة المسقوفة في مدخل البيت، حيث كان جاسون الثالث- (درس المحاماة، وعمل محاميًا، وفتح مكتبًا في الطابق العلوي فوق الميدان، حيث اندفن وسط ملفات علتها الأتربة حملت أسماء الأعلام القدماء في المقاطعة، من أمثال هولستون وستوبن وجرنير وبوشامب وكولدفيلد، وتلاشت بمرور السنوات في متاهات المحاكم: وهو الذي يعرف الحلم المتجد في قلب والده يكمل الآن المرحلة الثالثة من تجليات وجوده؛ التجلي الأول بوصفه ابن رجل دولة مشهور ومرموق، والتجلي الثاني لمدافع عن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الرجال الشجعان الذين يتسمون بالشهامة، أما التجلي الثالث فهو لنوع متميز وزائف من الشخصية التي تجمع بين دانييل بون* وروبنسون كروزو؛ شخصية لم تعد لأيام الصبا لأنها لم تبرحها في الواقع. ومكتب المحامي هذا سوف يكون من جديد استراحة للعظماء)- يجلس طوال النهار ومعه قنينة ويسكي وأكوام من الكتب القديمة التي تثنت أطراف صفحاتها من كثرة الاستعمال، لهوراس وليفي وكاتولوس، ويؤلف (هكذا يُحكى عنه) أشعارًا لاذعة وساخرة في هجاء أبناء مدينته من الأحياء والأموات. وهوالشخص الذي باع باقي الممتلكات - فيما عدا القطعة التي تضم البيت وحديقة المطبخ والاسطبلات المنهارة وكوخ واحد للخدم كانت تقيم فيه عائلة ديلسي- إلى ناد للجولف، في مقابل مبلغ نقدي فوري، ليجهز ابنته كانديس للزواج في أبريل، ويرسل ابنه كوينتن للدراسة لمدة عام، حيث انتحر في يونيو التالي من عام 1910. ولا يزال المكان يُعرف باسم محلة كومبسون القديمة، على الرغم من أن آل كومبسون كانوا ما يزالون يعيشون فيه حتى ربيع عام 1928، عندما سرقت حفيدة أحفاد الحاكم القديم- تلك الفتاة البالغة من العمر سبعة عشر عامًا- مدخرات آخر سلالته العاقلة من الذكور (خالها جاسون الرابع) من مخبئها السري، وصعدت فوق مزراب المطر وقفزت لتهرب مع أفاق يعمل في سيرك متنقل؛ ولا يزال المكان يُعرف باسم محلة كومبسون القديمة، بعد اختفاء كل أثر لآل كومبسون منه، وذلك بعد أن توفيت الأم الأرملة، ولم يعد جاسون الرابع يخشى ديلسي الآن، فأرسل

---

* دانييل بون (1744- 1820): أحد الرواد الأمريكيي، ومستكشف، جعلته مآثره واحدًا من أبطال الحكايات الشعبية الأمريكية- المترجم.

أخاه المعتوه بنچامين إلى مستشفى المجانين في جاكسون، وباع البيت إلى رجل ريفي حوله إلى خان لإيواء المحكمين وتجار الخيول والبغال؛ ولا يزال المكان يعرف باسم محلة كومبسون القديمة، على الرغم من أن الخان اختفى (تم ضمه الآن لملاعب الجولف)، وعاد الميل المربع لتمامه مرةً أخرى، بعد أن أصبحت- صفوفًا تلو الأخرى- البيوت الصغيرة المملوكة للأفراد، والمخالفة للمواصفات، التي بناها مقاولون جشعون.

ومن آل كومبسون أيضًا:

كوينتن الثالث: الذي أحب لا جسد أخته، بل تصوره عن شرف أسرة كومبسون الذي يتوقف بصورة عابرة ومؤقتة (كما يعلم هو ذلك) على غشاء بكارتها، مثلما يقف نموذج مصغر لكرة أرضية على أنف فقمة مدربة. هو الذي عشق لا فكرة زنا المحارم الذي لم يقترفه، بل كان يعشق المفهوم الذي تتبناه الكنيسة المشيخية* عن العقاب الأبدي: فهو- بهذا الفهم- يمكنه أن يُلقي بنفسه في النار (دون عقاب من الله) هو وأخته حتى يحرسها للأبد، ويحافظ على شرفها للأبد، وسط لهيب جهنم. بل هو الشخص الذي عشق الموت، في المقام الأول؛ فقد عاش وأحب العيش في انتظار مرضي تقريبًا للموت، كما ينتظر العاشق معشوقته، والذي تمنَّع عن جسد معشوقته الراغب والرقيق على نحو يفوق الوصف

---

* **الكنيسة المشيخية** Presbyterian church : فرع من الكنائس البروتستانتية الإصلاحية، يرجع في أصوله إلى الجزر البريطانية. وقد اشتق الاسم من أسلوب إدارة هذه الكنائس على يد مجالس شيوخ الكنيسة، الذي يضم كبار رجال الدين فيها، من حيث السن والمرتبة والمكانة- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إلى أن عجز لا عن تحمل هذا التمنع، بل عن تحمل القيود المفروضة عليه، فألقى بنفسه في النهر، مستسلمًا للموت؛ حيث انتحر في كامبريدج ماساتشوستس في يونيو 1910، بعد شهرين من زفاف أخته، وذلك بعد أن انتظر لاستكمال السنة الدراسية التي دُفعت مصروفاتها مقدمًا، ومن ثم يسترد ما دفعه. ولا يرجع ذلك إلى ما ورثه من صفات من أجداده القادمين من كولودين وكارولينا وكنتاكي، بل لأن هذا المال كان ثمنًا لآخر قطعة أرض متبقيه من ميل كومبسون القديم، التي بيعت لدفع نفقات زفاف أخته ومصروفات دراسته لمدة عام في هارفارد. وفضلاً عن ذلك، فإن نفس الأخت كان يحبها أخوه الأصغر، الذي ولد معتوهًا، كما يحب منظر النار وهي تتوهج أمامه دون حاجز.

كانديس (كادي): فتاة مشئومة الحظ. وتدرك ذلك، وتقبل بشؤم حظها دون أن تسعى لذلك أو تهرب منه. تحب أخاها رغمًا عنه. وهي لا تحبه فحسب، بل تحب فيه تنبؤاته المريرة، والقاضي الذي لا يلين في حكمه الذي لا تشوبه شائبة، بشأن ما يعتبره شرف العائلة، وبأن مصيرها الهلاك حتمًا. ومثلما كان يفكر، كان يحب، لكنه كان يكره فيها حقًا ما كان يعتبره ضعفًا في اعتزازها بكرامتها، وما ترتكبه من أخطاء تجلب لها العار. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل هي تحبه بسبب عجزه عن الحب ورغم هذا العجز، وتقبل بأنه يعلق قيمةً لا عليها، بل على عذريتها التي يعتبرها حارسةً عليها، والتي لا تقيم لها وزنًا من أي نوع: فهي بالنسبة لها ليست أكثر من شيء تافه مثل قلامة ظفرها. ولعلمها بأن أخاها يحب الموت أكثر من أي شيء، وأنه ليس غيورًا (أثناء الحسابات والنقاشات حول زواجها)، أقدمت على فعل كان بمثابة تقديم السُّم له،

فقد كانت حاملاً في الشهر الثاني من رجل آخر بطفل أسمياه- بغض النظر عن جنسه- كوينتن، على اسم أخيهما، عندما تزوجت في عام 1910 من شاب من انديانا، تتوافر فيه كافة الشروط؛ تعرفت عليه هي ووالدتها في منتجع فرنش ليك في الصيف الماضي. وقد طلقها في عام 1911. وتزوجت في عام 1920 من أحد العاملين في مجال السينما في هوليوود بكاليفورنيا. وطُلقت بمقتضى اتفاق بينهما في المكسيك في عام 1925. وقد اختفي كل أثر لها مع الاحتلال الألماني. وكانت في ذلك الحين لا تزال تحتفظ بجمالها وذكائها، ومن المحتمل أنها كانت ما تزال من الأثرياء، وكانت في الثامنة والأربعين حينما لم يرها أحدٌ بعدها على مدى 15 عامًا، ولم يسمع أحدٌ شيئًا عنها بعد ذلك، فيما عدا امرأة من جيفرسون كانت أمينة مكتبة المقاطعة؛ وهي ضيئلة الحجم وملونة لم تتزوج، وكانت في نفس الفصل بالمدرسة مع كانديس كومبسون، وتمضي الآن ما تبقي من عمرها في السعي لمنع روايات مثل "**أمبر للأبد**" و"**يورجن**" و"**تاريخ توم جونز**"، بعيدًا عن أيدي الشبان والشابات في المراحل الأولي من الدراسة الثانوية؛ أما مَن هم في السنوات النهائية، فليس بإمكانهم أن يصلوا إلى مثل هذه الروايات دون أن يقفوا على رؤوس أصابع أرجلهم، ليبحثوا عنها في رف خلفي بعد أن وقفت هي علي صندوق لكي تخفيها فيه. وفي أحد الأيام في عام 1943، وبعد أسبوع من الذهول الذي يقارب الانهيار، كان أولئك الذين يدخلون المكتبة يجدونها على الدوام تُسرع في إغلاق درج مكتبها، وتدير المفتاح فيه (وانتهزت الزوجات المحترمات- زوجات رجال البنوك والأطباء والمحامين، وبعضهن كن زميلات لها في المدرسة- الفرصة، وكن يدخلن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ويخرجن من المكتبة في فترة ما بعد الظهر، ومعهن نسخ من آمبر للأبد ومجلدات من كتابات ثورن سميث مغلفةً بجرائد تصدر في ممفيس وجاكسون، ظنًّا منهن أنها ألم بها مرضٌ ما أو فقدت عقلها). وأغلقت الأمينة المكتبة، ووضعت القفل عليها في منتصف النهار، وأمسكت بحقيبتها بيدها بإحكام تحت إبطها، وبدا التصميم واضحًا على خديها الملتهبين اللذين لا يكونان مخضبين بأي لون في الظروف العادية، ودخلت إلى محل الأدوات الزراعية الذي أصبح جاسون الرابع يملكه الآن، ويمارس منه تجارة القطن بيعًا وشراءً، ودخلت إلى هذا الكهف الكئيب الذي لا يدخله عادةً إلا الرجال، والمكدس بالكثير من الأدوات وتُعلق على حوائطه وتتدلى من سقفه أسلحة محاريث وأقراص نوارج وسلاسل وأزمَّة وألجمة للخيل وأنيار وأطواق للبغال وحدوات ومراهم للخيل وخلاف ذلك، ويبدو المحل في صورة كئيبة، لأن البضائع فيه لا يتم عرضها بل إخفاؤها، نظرًا لأن مَن يمدون المزارعين في المسيسبي أو المزارعين السود على أقل تقدير- مقابل حصة من المحصول- لا يرغبون، إلى أن يتم جني هذا المحصول وحساب قيمته تقريبًا، في أن يعرضوا عليهم ما يعلمون أنهم يحتاجونه، ولكنهم لا يقدمون لهم إلا ما هو ضروري. وخلف جاسون هناك قسم مسيج برفوف وفتحات، تتضمن إيصالات ودفاتر حسابات ويومية وعينات قطن تفوح منها روائح كروائح الجبن والكيروسين الممزوجة برائحة دخان المضغة المحزن، منذ مئات السنين، وأعلى المنضدة المائلة التي يقف خلفها جاسون، ودون أن تنظر إلى الرجال الذين يرتدون ملابس العمال ويقفون في هدوء، وهم يتحادثون أو يمضعون الدخان "المضغة"؛ عندما دخلت فتحت بقدر من

فراغ الصبر حقيبة يدها، ثم بحثت فيها وأخرجت منها شيئًا ما ووضعته مفتوحًا على المنضدة، ووقفت وهي ترتعش وأنفاسها متلاحقة، فيما كان جاسون ينظر إلى ما وضعته على المنضدة، وكان ما وضعته عبارة عن صورة ملونة مقطوعة فيما يبدو من مجلة مصورة، صور حافلة بأشكال الثراء والفخامة وضوء الشمس، وفي خلفيتها جبال ونخيل وأشجار سرو وبحر وسيارة رياضية فاخرة حوافها لامعة ووجه سيدة لا تلبس قبعة يظهر من بين وشاح غالي الثمن ومعطف من الفرو الثمين، ولا يبدو على وجهها عمرها وجميلة، ويبدو على وجهها الصفاء والراحة، وبجوارها رجل أنيق ونحيف في منتصف العمر يرتدي ملابس عسكرية عليها شارات رتبة جنرال في الجيش الألماني. وكانت العانس الضئيلة والشبيهة بالفأرة ترتعش وينتابها فزع من تهورها، وهي تحملق في ذلك الشخص الأعزب الذي لم ينجب والذي جاء في مؤخرة صف طويل من الرجال الذين كان لديهم ما يشعرهم بالفخر والتميز، حتى بعد أن بدأوا في افتقاد ما يدعوهم للفخر وأصبحوا مدعاةً للشفقة، بدءًا من ذلك المغترب الذي كان عليه أن يفر بحياته من وطنه، وهو لا يملك إلا أقل القليل، والذي كان يرفض مع ذلك القبول بالهزيمة؛ مرورًا بذلك الرجل الذي قامر بحياته وباسم عائلته مرتين، وخسر مرتين، ورفض أن يقبل بالهزيمة في المرتين؛ وذلك الرجل الذي لم يكن يملك سوى حصان من النوع الأمريكي صغير الحجم، وتمكن من تعويض ما فقده والده وجده من أملاك وفاز بحي بأكمله؛ ثم ذلك الحاكم اللامع والمشهور؛ وذلك الجنرال الذي رغم فشله في قيادة رجال شجعان ومرموقين في المعركة، إلا أنه خاطر بحياته في تحقيق الفشل؛ وأخيرًا ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

السكير المثقف الذي باع آخر قطعة من ميراثه، لا ليشتري خمرًا، بل ليوفر لأحد أنجاله على الأقل فرصة لحياة اعتقد أنها أفضل.

همست أمينة المكتبه: "إنها كادي، وعلينا أن ننقذها". فقال جاسون "هذه كادي.. صحيح!" ثم انتابته نوبةٌ من الضحك، ووقف وهو يضحك وينظر إلى الصورة التي غطتها طبقةٌ من الدهون وتثنت أطرافها لطول فترة بقائها في الدرج، ثم في حقيبة اليد. وكانت أمينة المكتبة تدرك سبب ضحكه؛ فهي التي لم تناد عليه إلا باسم السيد كومبسون، على مدى اثنين وثلاثين عامًا، منذ ذلك اليوم من أيام عام 1911، عندما طُردت كانديس على يد زوجها من المنزل، فأحضرت ابنتها إلى المنزل ورحلت في أول قطار غادر المدينة، ولم تعد بعد ذلك أبدًا. ولم تكن الطباخة الزنجية ديلسي وحدها، بل شاركتها أمينة المكتبة أيضًا في شكوكها في أن جاسون كان يستغل الطفلة- ووضعها كطفلة جاءت نتيجة لعلاقة غير مشروعة- في ابتزاز الأم، لكي تتجنب القدوم إلى جيفرسون بقية حياتها، بل وفي أن تجعله الوصي الوحيد على الأموال التي كانت ترسلها لنفقة الطفلة. ورفضت الحديث معه منذ ذلك اليوم في عام 1928، عندما صعدت ابنتها على المزراب وقفزت لتهرب مع شخص أفّاق.

صرخت: "جاسون، لابد لنا أن ننقذها..! أتسمعني يا جاسون!" وظلت تصرخ حتى بعدما التقط الصورة في يده، ثم ألقاها مرةً أخرى على المنضدة، ثم قال "هذه كانديس؟ لا تدفعيني للضحك.. هذه العاهرة لا يتجاوز عمرها الثلاثين، في حين أن الأخرى في الخمسين من العمر الآن".

وظلت المكتبة مغلقةً في اليوم التالي أيضًا، عندما أمضت سحابة النهار في البحث. وعند حلول الساعة الثالثة بعد الظهر، كانت قدماها قد تورمتا، لكنها لم تكِل، وظلت تمسك بحقيبة يدها بإحكام تحت إبطها، ثم دخلت إلى فناء نظيف في حي الزنوج في ممفيس، وصعدت السُّلم إلى منزل نظيف، وضربت الجرس وفُتح الباب، وظهرت منه امرأة سوداء في مثل عمرها، وهي تنظر إليها بهدوء؛ فقالت أمينة المكتبة: "هل أنتِ فروني.. ألا تذكرينني؟ أنا مليسا ميك من جيفرسون". فقالت الزنجية: "أهلاً.. تفضلي.. هل تريدين مقابلة أمي". ودخلت الغرفة. كانت الغرفة مرتبة ونظيفة رغم أنها مزدحمة، غرفة زنجية مسنة تفوح منها رائحة كبار السن أوالنساء المسنات أو الزنوج كبار السن. وكانت المرأة العجوز نفسها تجلس على كرسي هزاز بجوار المدفأة، والنيران موقدة فيها، رغم أننا في شهر يونيو. كانت امرأة متينة البنيان ذات يوم، وترتدي الآن جلبابًا من البفتة كالح اللون، وتعتمر عمامة نظيفة حول رأسها. وبدت عيناها غائمتين. والظاهر أن نظرها ضعيفٌ الآن. وضعت الأمينة الصورة مثنية الأطراف في يديها السوداوين اللتين كانت ما تزالان ناعمتين وجميلتين، كما لو أنها لا تزال شابة في الثلاثين، بل في العشرين أو السابعة عشرة من العمر. وقالت أمينة المكتبة: "إنها كادي.. هي بعينها يا ديلسي". فسألتها الزنجية العجوز: "ماذا قال؟". وأدركت أمينة المكتبة مَن هو الذي تقصده، ولا عجب في ذلك؛ ولكن العجيب هو أن الزنجية العجوز أدركت- من الوهلة الأولى- أنها عرضت الصورة من قبل علي جاسون. فقالت، وهي تبكي: "هل تعلمين ما قال عندما علم أنها في خطر؟ قال إنها هي؛ ولكن ما إن قلتُ له إنه ينبغي لبعضهم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن ينقذها، حتى لو كنتُ أنا مَن سينقذها؛ قال إن هذه الصورة ليست صورتها. لكنها صورتها، انظري إليها". فقالت الزنجية العجوز: "انظري إلى عيني، كيف يمكنني أن أرى هذه الصورة؟" فقالت أمينة المكتبة بصوت مرتفع: "نادي على فروني، وسوف تعرفها". لكن ديلسي طوت قصاصة الورق وأعادتها لها بحرص، وهي تقول: "لم تعد عيني ترى بوضوح، ولا يمكنني أن أراها".

كان ذلك هو كل ما حدث. وفي الساعة السادسة كان تشق طريقها في محطة الأتوبيسات، وهي تمسك بإحكام بحقيبة يدها تحت إبطها، وتمسك باليد الأخرى تذكرة العودة. وانجرفت وسط مد من البشر على الرصيف تراه كل يوم، يضم قليلاً من المدنيين في منتصف العمر، والكثيرين من الجنود والبحارة، إما إلى المغادرة، أو الى الموت، وعددًا من النسوة المشردات، ومرافقيهم الذي يعيشون يومًا بيوم في سيارات البولمان والفنادق، عندما يكونون من سعداء الحظ، وفي الأتوبيسات والمحطات والدهاليز والاستراحات العامة، عندما لا يحالفهم الحظ، ويستريحون لبعض الوقت ليتركوا خيولهم في عنابر الخيل الخيرية أو في مقار الشرطة، ثم يتحركون هنا وهناك. شقت طريقها لتصعد إلى الأتوبيس، وكانت أصغر منهم جميعًا لدرجة كان من الصعب الصعود إلى أن نهض أحدهم (رجلٌ يلبس الكاكي، لم تتمكن من تبين شكله لأنها كانت ما تزال تبكي)، وساعدها على الصعود إلى أن أجلسها في مقعد بالقرب من النافذة، حيث واصلت البكاء في هدوء. كانت تنظر إلى البيوت تجري هاربةً خلفها مع سير الأتوبيس بسرعة. وأخيرًا عادت لبلدها مرةً أخرى، فهي تشعر بالأمان في جيفرسون، حيث تمضي الحياة

بكل ما فيها من انفعالات غامضة، وبكل صخبها وحزنها وعنفها ويأسها، ولكن هنا- عند الساعة السادسة- يمكنك أن تغلق أغلفتها، ويمكن حتى ليد طفل ضعيف أن تضعها في هدوء على الرفوف الأبدية، وتغلق الباب عليها لليلة بكاملها بلا أحلام. وقالت، وهي تفكر وتبكي في صمت: *أجل، هذا هو الوضع. لم ترغب في أن ترى الصورة لتعرف إن كانت صورة كادي أم لا، لأنها تعلم أن كادي لا تود أن ينقذها أحد؛ فليس لديها ما يستحق الإنقاذ، وليس لديها ما تخسره.*

جاسون الرابع: أول شخص عاقل في آل كومبسون، مثل عهد كولودين، أعزب بلا أطفال. وبذا يعتبر نهاية هذا النسل. عقلاني ومنطقي ومنضبط، بل وفيلسوف بالمعنى الرواقي القديم، لا يفكر في الله على أي نحو من الأنحاء، ويحترم ببساطة الشرطة، ولا يخشى إلا المرأة الزنجية، عدوته اللدود منذ ولادته، وعدوته القاتلة منذ ذلك اليوم من أيام عام 1911، حين حدست أيضًا برؤيا بسيطة أنه يستغل وضع عدم شرعية ابنة أخته في ابتزاز أمها، تلك المرأة التي كانت تُعد له طعامه الذي يأكله. وهي المرأة التي قاومته حين سعى لبيع ممتلكاته، بل نافست وامتلكت- مع آل سنوبيز- ممتلكاته، بعد أن استولى آل سنوبيز على المدينة الصغيرة في نهاية القرن، بعد أن اختفي من الوجود آل كومبسون وآل سارتوريس وأضرابهم (لم يكن أحد آل سنوبيز، بل جاسون كمبسون نفسه هو الذي- ما إن توفيت أمه، بعد أن قفزت من مزراب المطر واختفت، وبالتالي فلم تعد لدى ديلسي أيٌّ من تلك الهراوات التي كانت تمسكها له- قام بإيداع أخيه الأصغر المعتوه إلى رعاية الدولة، وأخلى البيت القديم، مجزئًا في البداية الغرف الشاسعة الجميلة إلى ما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أسماه بالشقق، ليبيع المكان كله إلى شخص قروي أنشأ فيه نُزُلاً)، رغم أن ذلك لم يكن صعبًا، طالما أن سائر أنحاء المدينة والعالم- بالنسبة له- والجنس البشري أيضًا، فيما عداه، هم من آل كومبسون، الذين لا يمكن فهمهم، ولكن يمكن التنبؤ بأفعالهم تمامًا بمعنى أنهم ليسوا أهلاً للثقة. وهو الذي- بعد أن انفق ثمن المرعى على زواج أخته وتعليم أخيه في هارڤارد- وفر من مرتبه الزهيد الذي كان يحصل عليه من المحل لكي ينفق على تعليم نفسه في مدرسة بممفيس تعلم فيها تصنيف وفرز القطن، ومن ثم أسس أعماله الخاصة، التي تكفل من خلالها- بعد وفاة والده مدمن الخمر- بأعباء الأسرة العفنة في هذا المنزل العفن، وتكفل بإعالة أخيه المعتوه إكراما لوالدته، مضحيًا بكل متعة يراها من حقه وباحتياجاته كأعزب في الثلاثين من العمر، كي تستمر والدته في الحياة قدر الإمكان. ولا يرجع ذلك لأنه يحبها (كان رجلاً عاقلاً دائمًا)، بل لأنه كان دائمًا ما يخشي تلك الطباخة الزنجية التي لم يتمكن حتى من أن يحملها على ترك المنزل عندما حرمها من أجرها الأسبوعي. وهو مَن تمكن رغم كل ذلك من أن يدخر نحو ثلاثة آلاف دولار، أو 2840.50 دولار، كما أبلغ عن ذلك في الليلة التي سرقتها فيها ابنة أخته، ولقد جمع مدخراته بشق الأنفس سنتًا سنتًا وأرباع دولار وأنصاف دولار، ولم يودعها أي بنك، لأنه يعتقد أن كل صرَّاف هو أيضًا من آل كومبسون؛ لذا حرص على أن يغلق عليها الدرج في مكتب في غرفة نومه التي يقوم بنفسه بترتيبه وتغيير فرشه، ويغلق باب الغرفة في كل الأوقات، فيما عدا الوقت الذي يمضيه فيها. وهو الشخص الذي قام- بعد محاولة فاشلة من جانب أخيه المعتوه للوثوب على فتاة صغيرة- بتعيين نفسه وصيًّا

عليه دون علم والدته، ومن ثم تمكن من خصي هذا الكائن المعتوه المسكين قبل أن تعلم والدته بأنه قد خرج من البيت؛ وهو الذي تمكن في أعقاب وفاة والدته (1933) من أن يتحرر إلى الأبد لا من أخيه المعتوه والمنزل فحسب، بل من المرأة الزنجية أيضًا، وانتقل إلى مكتبين يقعان فوق المحل يضمان عينات القطن، وحولهما إلى غرفة نوم ومطبخ وحمام في نفس المكان؛ ومن هذا المكان تُشاهد في عطلات نهاية الأسبوع امرأة ضخمة ذات شعر ذهبي، وجهها مريح لكنها ليست صغيرة السن، وهي تخرج من المكان وتدخل إليه، وترتدي قبعة مستديرة، وفي الفصل المناسب ترتدي معطفًا من الفراء المقلّد. وكلاهما- تاجر القطن والمرأة- في أواسط العمر، ويطلق عليها الناس في المدينة ببساطة اسم "صديقه القادم من ممفيس"، ويشاهدان في ليالي السبت وكل صباح أحد وهما يصعدان السُّلم إلى شقتهما حاملين أكياسًا من الورق من محل للبقالة، تحتوي على أرغفة خبز وبيض وبرتقال وعلب أطعمة محفوظة، ويبدوان كزوجين مدلهين إلى أن يأتي أتوبيس ما بعد الظهر يوم الأحد ويحملها إلى ممفيس. لقد أصبح حرًّا الآن. ولسان حاله يقول "لقد حرر أبراهام لنكولن العبيد من أسرة كومبسون في عام 1865، أما جاسون كومبسون فقدحرر آل كومبسون من العبيد في عام 1933".

بنجامين (بنجي- بن): سُمي عند ولادته موري على اسم خاله الأعزب، المتأنق والعاطل عن العمل الذي كان يقترض المال من الجميع حتى الخادمة ديلسي، على الرغم من أنها زنجية، ويوضح لها- وهو يسحب يده من جيبه- إنه لا ينظر إليها فحسب على أنها واحدة من أسرة أخته، بل باعتبارها سيدة كريمة المحتد في نظر الجميع. وهو الذي- عندما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تأكدت أمه في نهاية المطاف من حالته- أصرت وهي تبكي على أن اسمه ينبغي أن يتم تغييره فأعاد أخوه كوينتن تسميته وأطلق عليه اسم بنچامين (بنچامين آخر أبنائنا بيع في مصر). وكان يحب ثلاثة أشياء: المرعى الذي بيع لسداد نفقات زواج كانديس وتعليم كوينتن في هارڤارد، وكان يحب أخته كانديس، وضوء النار. وهو لم يفقد أيًا منها لأنه لا يمكنه تذكر أخته بل يتذكر فحسب أنه يفتقدها؛ كما أن ضوء النار هو نفسه الأشكال المضيئة التي يراها عندما يهم بالنوم؛ أما المرعي فمن الأفضل أنه بيع لأنه يمكنه الآن وللأبد- هو و تي پي- متابعة الحركة عبر السياج. وليس هناك فارق لديه إن كانت هذه الحركة لكائنات بشرية أم لمضارب جولف، حيث يمكن أن يدخل تي پي ومعه بنچي في دغل صغير من الحشائش والعشب، ويخرج تي پي فجأةً وفي يده كرات بيضاء صغيرة تتحدى حين يطلقها في الهواء من يده فوق المشايات الأسمنتية والأرصفة أو الأرضيات قانون الجاذبية، الذي لا يعلم عنه شيئًا وكافة القوانين التي لا تتغير. خصي في عام 1913، وأودع في مستشفى المجانين عام 1933. ولم يفقد شيئًا بذلك، لأنه لا يذكر أخته أو المرعى بل يفتقدهما، كما أن ضوء النار الذي يظهر في المواقد يراه في الأشكال البراقة التي يراها عندما يهم بالنوم.

الآنسة كوينتن: الأخيرة. ابنة كانديس، لا أب لها قبل تسعة أشهر من ميلادها، ولا اسم لها عند الميلاد. حكمت عليها الاقدار بألا تتزوج منذ أن انقسمت البويضة التي حددت جنسها. وهي التي قامت- في السابعة عشرة من عمرها، في ذكرى قيامة السيد المسيح من عام ألف وثمانمئة وخمسة وتسعين- بإلقاء نفسها مستخدمةً مزراب المطر من الغرفة

التي أغلقها عليها خالها عند الظهر، واتجهت إلى غرفته المغلقة وكسرت زجاج الشباك ودخلت منه، وكسرت- بسيخ يستخدمه خالها في تقليب النار- قفل درج المكتب، وسرقت منه النقود (لم يكن المبلغ 2840.50 دولارًا كما أبلغ عن ذلك خالها، بل كان نحو سبعة آلاف دولار؛ وكان هذا هو السبب في أن جاسون استشاط غضبًا؛ وهو سر الصخب البالغ الذي لا يُحتمل، والذي أحدثه في تلك الليلة، وكان يأتيه على شكل نوبات على مدى السنوات الخمس التالية، وإن كان قد بدأ يتلاشى بالتدريج، وحدا به إلى الاعتقاد أنه سيقضي عليه فجأةً ودون إنذار ويقتله، كما لو كان برصاصة أصابته أو صاعقة ضربته: وعلى الرغم من أن المبلغ الذي سُرق منه لم يكن يناهز ثلاثة آلاف بل نحو سبعة آلاف دولار، فلم يكن بوسعه أن يقول ذلك لأحد، لأنه لم يكون بوسعه أن يبرر كيف حصل على هذا المبلغ، كما أنه لا يحتاج إلى شفقة من أحد، فهناك الكثير من الرجال الآخرين ممن حالفهم سوء الحظ، فكانت لهم أخت عاهرة وبنت أخت عاهرة أيضًا، ولا يمكنه أن يتوجه للشرطة ليبلغ عن أربعة آلاف دولار لا يملكها، نظرًا لأنها ليست إلا ملكية قانونية لبنت أخته، من المال الذي كانت ترسله أمها لإعالتها على مدى ستة عشر عامًا، ولا وجود لها على الإطلاق، نظرًا لأنها مسجلة رسميًّا على أنها قد أنفقت واستهلكت في التقارير السنوية التي قدمها إلى مجلس حسبي المدينة، وكانت مطلوبة منه بصفته وصيًّا؛ ومن ثم فإن ما سُرق لم يكن ما سرقه منها فحسب، بل مدخراته أيضًا، وذلك على يد ضحيته، فما سُرق منه لم يكن مقتصرًا على الأربعة آلاف دولار التي خاطر بأن يدخل السجن بسبب حصوله عليها، بل أيضًا ثلاثة آلاف دولار ضحًّى وحرم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نفسه كي يدخرها سنتًا سنتًا على مدى نحو عشرين عاما؛ ولم يكن ذلك على يد ضحيته فحسب، بل الأدهى أن ضحيته طفلة أخذتها بضربة واحدة بلا خطة أو تدبير، دون أن تأبه حتى بعددهم، بعد أن كسرت الدرج؛ كما لا يمكنه الآن أن يتوجه إلى الشرطة طلبًا للعون؛، فهو شخص يتحاشى الشرطة دائمًا، ولا يود في أن يتسبب لها في أية مشاكل وهو يدفع الضرائب لهم على مدى سنوات، مما ساعدهم على أن يعيشوا متطفلين وفي بطالة سادية. ولم يقتصر الأمر على ذلك، فهو لا يجرؤ على ملاحقة الفتاة، لأنه قد يمسك بها وعندها سوف تتكلم؛ ومن ثم فإن ملاذه الأخير لم يكن سوى أضغاث أحلام حرمته النوم وطمسته بالعرق عدة ليال على مدي ثلاث أو أربع سنوات من الحادث: أحلام كان يري نفسه فيها وهو يمسك بها، بعد أن باغتها وبرز لها من الظلام قبل أن تنفق الأموال عن آخرها، ويقتلها قبل أن تتمكن من الصراخ)؛ وبعد أن سرقت النقود صعدت على نفس المزراب قُرب المغيب، ونزلت مستعينةً به وفرت مع أفاق كان فارًا من حكم بالسجن للجمع بين زوجتين. واختفى كل أثر لها، ولم تشغل عملاً يجعلها تركب سيارة مرسيدس ذات حواف من الكروم، كما أنه لم تظهر في صورة وإلى جوارها جنرال في الجيش.

وهذا كل ما كان.

وهؤلاء ليسوا من آل كومبسون، بل خدمهم السود:

تي بي : الذي كان يرتدي في شارع بيل في ممفيس ملابس رخيصة، يصعب التعامل معها، صنعها خصيصًا له أرباب المهن الشاقة التي كان

يمتهنها.

فـــروني: التي تزوجت حمَّالاً بالسكك الحديدية، وانتقلت إلى سانت لويس للعيش هناك، ثم انتقلت- في وقت لاحق- إلى ممفيس لتبني بيتًا لأمها، لأن ديلسي رفضت أن تذهب أبعد من ذلك.

لاستر: رجل في الرابعة عشرة من العمر، لم يكن فحسب قادرًا على الرعاية الكاملة لمعتوه يبلغ عمره ضعف سنه، ويبلغ حجمه ثلاثة أضعاف حجمه، بل كان قادرًا كذلك على أن يرفه عنه.

ديلسي: كانوا يحتملونها*.

---

* اكتفي فوكنر بهاتين الكلمتين، حين عرَّف بديلسي. وعلى سبيل التوضيح، فهي طباخة آل كومبسون وخادمتهم الزنجية، وهي زوجة روسكوس الخادم الزنجي، وأم ڤيرش وفروني وتي پي، وجدة لاستر- المترجم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المؤلف: وليَام فُوكنَر

أهم روائي في تاريخ الأدب الأمريكي، وأحد كبار روائيي القرن العشرين (1897-1962). فاز بجائزة نوبل في الآدب (1949)، وجائزة البوليتزر الأمريكية (1962).

و"**الصَّخَب والعُنف**" (1929) هي فاتحة أعماله الكبرى: "**وأنا أرقد محتضرة**" (1930)، "**الملجَأ**" (1931)، "**ضوء في أغسطس**" (1932)، "**أبسالوم، أبسالوم!**" (1936)، "**النخيل البري**" (1939)، فضلاً عن "**ال- هاملت**"، و"**المدينة**"، و"**قُداس لراهبة**"، وروايات أخرى، وخمس مجموعات قصصية.

المترجم: محمَّد يُونس

ليسانس الآداب في الفلسفة، ودبلوم الدراسات العليا في الفلسفة 1970. من ترجماته المنشورة "**الماركسية والقيم الإنسانية**" للفيلسوف الإنجليزي موريس كورنفورث، و"**الفرويديون الجدد**" تأليف ف. دوبرينكوف، ورواية "**حياة وزمن مايكل ك**" تأليف ج . م. كوتسي (نوبل عام 2003). وصدرت له- في "آفاق عالمية"- ترجمة "**فلسفة الفن**" لجوردون جراهام.

وهو مراجع ترجمات "**المجتمع المدني والصراع الاجتماعي**" تأليف ألين مكستروود وآخرين، و"**الذكاء العاطفي**" تأليف دانييل جولمان، و"**رؤى مستقبلية**" تأليف ميتشو كاكو. كما أنه مؤلف "**التكفير بين الدين والسياسة**" 1999، و"**موجز تاريخ الحرية- قصة حقوق الإنسان والمواطن**".

سلسلة
آفاق
عالمية

«الصَّخَب والعُنف»: دُرّة الرواية الأمريكية، وإحدى روائع القرن العشرين النادرة. رواية فريدة، عصيّة على الإدراك، عسيرةٌ على الامتلاك: ضد السهولة والتقليدية والخفة في الإبداع والقراءة.

ما يميزها هو تعدد مستويات الوعي، وجغرافيات الشخوص، واللغة، مندمجين في بنية مُركّبة، رواية لا تعرف التحديد الزمني التقليدي، المستقيم والأفقي. وقد مُنح فُوكنر جائزة نوبل على «مساهمته القوية والفريدة فنيًّا في الرواية الأمريكية الحديثة».

هذه ترجمة مرهفة تتقصّى ما وراء السطح اللغوي، دون انتهاك غموضه الإبداعي، وتشابكاته المعقدة، لم يكن بقادر على إنجازها سوى مترجم قدير صبور، له رهافة وثقافة وخبرة محمد يونس.

مكتبة بغداد

اللوحة للفنان الأمريكي مارسدن هارتلي ■ تصميم الغلاف: أحمد اللباد

الهيئة العامة لقصور الثقافة
www.gocp.gov.eg

https://telegram.me/maktabatbaghdad